

شك

# مَقَامَاتُ الْحَبْرِيِّ

تأليف المصباح أحمد بن عبد الرحمن القيسي الشامي

تمت  
مصححاً من الأستاذ إبراهيم



المكتبة العصرية  
مكتبة دار البحوث

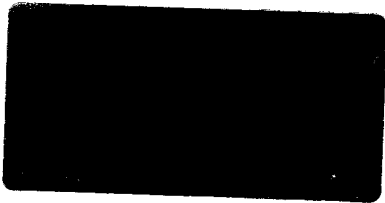
الطبعة الثانية

# شرح مقامات الحريري

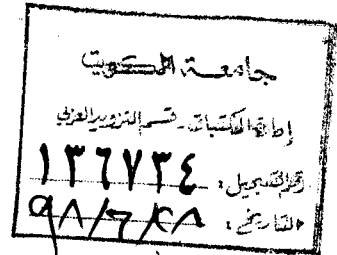
للأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



الجزء الرابع



المكتبة العصرية  
مكتبة بيروت

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م

شركة البناء شريف لايف ستايل للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العامة للطباعة والنشر

الدار البيضاء - المغرب المطبعة العامة للنشر

بكرت - ص.ب. ٨٣٥٥ - تلکس ٢٠١٢٧٤٤

صیدا - ص.ب. ٢٢١ - تلکس ٢٩١٩٨٤٤

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقامة الحاديّة والثلاثون وهي الرملية

حكى الحارثُ بن همامٍ قال : كنتُ في عُنفوانِ الشباب ، ورِيَّمانِ  
العيشِ اللَّبابِ ، أَقْلَى الاكْتِنانِ بالغابِ ، وَأَهْوَى الانْدِلَاقِ مِنْ  
النِّرابِ ؛ لِعِلْمِي أَنَّ السَّفَرَ ، يَنْفُجُ السُّفْرَ ، وَيَنْدِجُ الظَّفَرَ ، وَمُعَاقَرَةُ  
الْوَطَنِ تَعْقِرُ الْفِطْنَ ، وَتَحْقِرُ مِنْ قَطَنِ ، فَأَجَلْتُ قِدَاحَ الاسْتِشَارَةِ ،  
وَأَقْتَدَحْتُ زِنَادَ الاسْتِخَارَةِ ، ثُمَّ اسْتَجَشْتُ جَأشًا أَثْبَتَ مِنَ الْحِجَارَةِ .  
وَأَضَعَدْتُ إِلَى سَاحِلِ الشَّامِ لِلتَّجَارَةِ ، فَلَمَّا خَيَّمْتُ بِالرَّمْلَةِ ،  
وَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا الرِّحْلَةِ ، صَادَفْتُ بِهَا رِكَابًا تُعَدُّ لِلْشَّرَى ، وَرِحَالًا  
تُسَدُّ إِلَى أُمِّ الْقَرْيِ .

. . .

عنفوان ورِيَّمان ، معناهما أول . اللباب : الخالص . أَقْلَى : أبغض .  
الاكتنان : الاستتار والإقامة في السكن . والغاب : الشجر المتلف ، وهو بيت  
الأسد ، وأراد به بلدته ، وأنه كان يكره الإقامة بها ويحبُّ السفر . أهوى :  
أحب . الاندلاق : الخروج بسرعة وسهولة . والقرباب : وعاء يُجْعَلُ فِيهِ  
السيف ، وهو غده . السُّفْر : جمع سُفْرَةٍ ، وهي التي يجعل فيها الخبز ويضم عليها

بِحَقِّ، وتُسْتَعْمَلُ فِي السَّفَرِ . يُنْفَجُ : يُسَكَّرُ ، أَيْ تَكْثُرُ الْمَأْكُولَاتُ فِي السَّفَرِ  
فَتَنْفَجُ بِهِ . يُنْجَعُ : يُولَدُ . الظَّفَرُ : الْفُوزُ بِالْحَاجَةِ . مَعَاوِرَةُ الْوَطَنِ : مِلَازِمَةُ بَلَدِ  
الْإِنْسَانِ . تَعْقِرُ الْفِطَانَ : تَمِيتُ الْقُلُوبَ وَتَبْلُدُ الْأَذْهَانَ . قَطْنُ : سَكَنُ وَأَقَامُ ، فَيُرِيدُ  
أَنْ الْإِقَامَةَ فِي بَلَدِ الْإِنْسَانِ تُحَقَّرُ شَأْنُهُ وَتَبْلَدُ خَاطِرُهُ .

[مما قيل في الأوطان]

قال الشاعر :

أَنْفَقْتُ مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ      لَمْ يَخْشَ فَقْرًا مُنْفِقٌ مِنْ صَبْرِهِ  
وَالْمَرْءَ لَيْسَ بِبَالِغٍ فِي أَرْضِهِ      كَالصَّغَرِ لَيْسَ بِصَائِدٍ فِي وَكْرِهِ

وَأُنْشِدُ الْفَنَجْدِيَّهَيَّ :

نَقَلَ رِكَابَكَ فِي الْفَلَائِ      وَدَعِ الْعَوَالِي وَالْقُصُورَ  
فَمَحَا الْفَوْ أَوْطَانَهُمْ      أَشْبَاهَ سَكَّانِ الْقُبُورِ  
لَوْلَا التَّفَرُّثُ مَا ارْتَقَى      دُرُّ الْبَحُورِ إِلَى الثُّجُورِ

وَقَالُوا : مَنْ لَمْ يَصَاحِبِ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ ، وَلَمْ يُؤَدِّهِ الرِّخَاءَ مَرَّةً وَالشَّدَّةَ أُخْرَى ،  
لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الظِّلِّ إِلَى الشَّمْسِ ، فَلَا تَرْجُهُ . وَتَقْدِمُ مِثْلَ هَذَا فِي التَّاسِعَةِ <sup>(١)</sup> .

وقال أبو العباس الأعمى :

مَلَيْتُ حِمَصَ وَمَلْتَنِي فَلَوْ نَطَقْتُ      كَمَا نَطَقْتُ تَلَاَحِينًا عَلَى قَدَرِ  
وَسَوَّلْتُ لِي نَفْسِي أَنْ أَفَارِقَهَا      وَالْمَاءُ فِي الْمِزْنِ أَصْفَى مِنْهُ فِي الْغَدْرِ  
أَمَّا اشْتَفْتُ مِئِّيَ الْأَيَّامِ فِي وَطَنِي      حَتَّى تَضَاقِبَ بِي مَاعِزٌّ مِنْ وَطَرِي  
وَلَا قُضِيَ مِنْ سِوَادِ الْعَيْنِ حَاجَتُهَا      حَتَّى تَكْرَّرَ عَلَيَّ مَا كَانَ فِي السَّفَرِ

وقال البحرى :

ولَيْسَ اغْتِرَابِي مِنْ سَجَسْتَانِ أَنْتَى      عَدَمْتُ بِهَا الْإِخْوَانَ وَالذَّارَ وَالْأَهْلًا<sup>(١)</sup>  
ولَكِنِّي مَالِي بِهَا مِنْ مُشَاكَلٍ      وَإِنَّ الْغَرِيبَ الْفَرْدَ مَنْ يَعدَمُ الشَّكْلَا

ولأبى الفتح البستي عفا الله عنه :<sup>(٢)</sup>

مَا أَنْصَفْتَ بَغْدَادُ حِينَ تَوَحَّشْتَ      لِنَزِيلِهَا وَهِيَ الْحُلَّةُ الْآنَسُ  
لَمْ يَرِنِّ لِي حَقُّ الْقِرَابَةِ بِحُزْنٍ<sup>(٣)</sup>      فِيهَا وَلَا حَقُّ الْمَرْوَةِ فَارِسُ<sup>(٤)</sup>

وتعقب عليه المعري في هذا فقال في أبي القاسم على بن المحسن القنوخى  
القاضى :

ذَمُّ الْوَلِيدُ وَلَمْ أَذُمَّ جَوَارِكُمْ      فَقَالَ مَا أَنْصَفْتَ بَغْدَادُ حَيَّتَا<sup>(٥)</sup>  
فَإِنْ لَقِيتُ وَلِيدَا وَالنَّوَى قَدْ<sup>(٦)</sup>      يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ أَغْذِمِهِ تَبَكُّيْتَا  
أَحْسَنْتَ مَا شِئْتَ فِي تَأْنِيسٍ مَغْتَرِبٍ      وَلَوْ بَلَغْتَ الْمَدَى<sup>(٧)</sup> أَحْسَنْتَ مَا شِئْتَا  
وقال أبو الفتح البستي<sup>(٨)</sup> :

وَمَا غُرْبَةُ الْإِنْسَانِ فِي شُقَّةِ النَّوَى      وَلَكِنَّهَا وَاللَّهِ فِي عَدَمِ الشَّكْلِ

(١) ديوانه ٢٦٢٩ (عن الشريشى) .

(٢) كذا في الأصول ، والصواب أن البيت للبحرى ، من قصيدة يمدح فيها على بن يحيى  
المنجم في ديوانه ١١٣٣ ، وهما أيضا في شرح البطاوىسى على سقط الزند ١٦٤١ .

(٣) ط : « مجز » ، تصحيف ، وفي الديوان : « طيب » .

(٤) الديوان : « ولاحق الصداقة » .

(٥) سقط الزند ١٦٤١ ، ١٦٤٢ ، وفيه : « حوشيتا » .

(٦) قذف ، أى بعيدة .

(٧) سقط الزند : « المنى » .

(٨) يتيمة الدهر ٤ : ٣١ ، ونسبها إلى أبي سليمان الخطابي

ولأني غريب بين بُسْتٍ وأهلها وإن كان فيها أُنْزِلَتْ وبها أهلي  
ولأبي بكر بن بقي: <sup>(١)</sup>

أَقَمْتُ فِيكُمْ عَلَى الْإِقْتَارِ وَالْعَدِيمِ      لَوْ كُنْتُ حُرًّا أَبَى النَّفْسَ لَمْ أَقِمِ <sup>(١)</sup>  
فَلَا حَدِيثَكُمْ يُجَنِّي لَهَا ثَمَرُ      وَلَا سَمَاؤَكُمْ تَنْهَلُ بِالْدَّيْمِ  
أَنَا امْرُؤٌ إِنْ نَبَتْ بِي أَرْضٌ أُنْدَلِسِ      جِئْتُ الْعِرَاقَ قَامَتْ لِي عَلَى قَدَمِ  
مَا الْعَيْشَ بِالْعِلْمِ الْإِحَالَةَ <sup>(٢)</sup> ضَعَفْتُ      وَحُرْفَةٌ وَكَلْتُ بِالْقَعْدِ الْمَرَمِ

والفقيه أبي محمد بن حزم :

وَلِي حَوْلَ أَكْنَافِ الْعِرَاقِ صَبَابَةٌ      وَلَا غَرَوْ أَنْ يَسْتَوْحِشَ الْكَلِفُ الصَّبَّ  
فَإِنْ يُنْزِلَ الرَّحْمَنُ رَحْلِي بَيْنَهُمْ      خَفِينْتُذُ يَبْدُو التَّاسُفُ وَالْكَرْبُ  
هَذَاكَ يَذَرِي أَنْ لِلْبَعْدِ قِصَّةٌ      وَأَنْ كَسَادَ الْعِلْمِ آفَتُهُ الْقُرْبُ

\* \* \*

قوله: أَجَلْتُ، أى صرّفت . قدام : سهام . الاستشارة : مشاورة غيره في رأيه ، وإجالة القدام تأتى في الثالثة والأربعين ، واستعمار هنا لمن يستشير في أمر السفر قداماً ، فإن وافق رأيه فكأنه خرج له على السهم : « افعل » وإن خالفه فكأنه خرج عليه « لا تفعل » . اقتدحت : ضربت . زناد : ما يكون فيه النار . الاستخارة : طلب الخيرة من الله تعالى . استعجشت : حرّكت . جأشاً : نفساً ، وهى في سكونها عن السفر كالبحر فلا تتحرك للسفر . أصعدت : طلعت . خيّم : أقمت .

(١) نفع الطيب ٣ : ٤٤٨ .

(٢) النفع : « رحيلة » ، « البرم » .

الرَّمْلَة : بلدة بالشام ، سَمَّيَهَا العرب بالرَّمْلَة لما غلب عليها الرمل ،  
وهي من كُور فلسطين ، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا ، وكانت  
لَدَ (١) مدينة فلسطين القديمة ، فلما وَلِيَ الخِلافة سليمان بن عبد الملك ابقى مدينة  
الرَّمْلَة ، وخرَّب لَدَ ، ونقل أهل لَدَ إليها ، فصارت الرملة مدينة فلسطين .  
أَلْقَيْت : تركت . الرِّحْلَة : الارتحال ، وكفى بإلقاء العصا عن الإقامة بعد  
أن تهَيَّأ .

أم القرى : مكة . وكنا نؤينا ترك ذكر مكة لشهرتها ، ثم وجدنا شيخنا ابن  
جُبَيْر قد ذكر فيها أشياء قَلَّ مَنْ يضبطها ، فأثبتناها إعلاما لمن أحبَّ استطلاعها ،  
وتبرَّكا بذكر البيت الشريف أعزه الله تعالى .

[ ذكر مكة ومعالمها ]

قال شيخنا (٢) : مكة بلد قد وضعها الله تعالى بين جبال محدِّقة بها ، وهي في  
بطن وادٍ ، مدينة كبيرة مستطيلة لها ثلاثة أبواب :  
باب المَعْلَى يخرج منه إلى الجبَّانة بالموضع الذي يعرف بالحجُّون عن يسار  
المارِّ إليها جبلٌ في أعلاه نِثْيَة ، عليها علم يشبه البرجَ منها إلى العمرة ، وتعرف  
الثنْيَة بكَدَاء ، وهي التي جعلها حَسَّان موعد خيل الإسلام في قوله :

\* تُشِيرُ النَّقْعُ مَوْعِدُهَا كَدَاء (٣) \*

ومنها دُخِلَتْ مكة يوم الفتح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادخلوها  
من حيث قال حسان » .

(١) لد ، بالضم والتشديد ، ذكرها ياقوت وقال : « قرية قرب بيت المقدس ، من نواحي  
فلسطين » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن جبير الكتاني الأندلسي ، المعروف بابن جبير ، صاحب الرحلة  
المعروفة باسمه .

(٣) ديوانه ٤ ، وصدوره :

\* عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا \*

والحجون هو الذى قال فيه الحارث بن مُضاض :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجَّونِ إِلَى الصِّفَا  
أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ<sup>(١)</sup>

وعن يسار المارّ إليها جبل ، وفي جبّانة الحُجّون مدفن جماعة من الصّحابة  
ذُئِرَت اليومَ قبورهم ، وفيها بقية علم ظاهر ، وهو موضع خشبة عبد الله بن  
الزبير ، كان في موضعه بناء مرتفع ، فهدّمه أهل الطائف غيرهم على  
ما كان يحدّد من لعنة الحجاج صاحبهم . وعن يمينك إذا استقبلت الجبّانة مسجد  
في مسيل بين جبلين ، وهو الذى بايعت الجنّ فيه النّبي صلى الله عليه وسلم ،  
وعلى باب الحُجّون طريق الطائف والعراق ، والصُّعود إلى عرفات ، والباب  
بين الشرق والشمال مائلا إلى الشرق<sup>(٢)</sup>.

الباب الثانى: باب السفلى<sup>(٣)</sup> إلى جهة الجنوب، عليه طريق اليمن ، ومنه دخل  
خالد بن الوليد ، يوم الفتح .

الباب الثالث : باب العمرة يعرف بالباب الزاهر، عليه طريق المدينة والشّام  
وجُدّة ، وهو غربى ، ومنه يُخْرَج إلى التّنعيم ، وهو على فرسخ من مكة ، وهو  
أقرب ميقات للمعتمرين ، وطريقه حسن ، فيه الآبار العذبة المسماة بالشّبيكة .

وعلى ميل من مكة فى طريق التّنعيم يُلقَى مسجد بإزائه حجّر كالمصطبة ،  
يملؤه حجرا آخر مسند ، فيه نقش دائر ، يقال إن النّبي صلى الله عليه وسلم قعد عليه  
مستريحاً عند مجيئه من العمرة ، يمسح الناس خدودهم به تبرّكا . وبعدة بقلوة على

(١) تاريخ الطبرى ٢: ٢٥٨ من قصيدة، وبعدة فى ابن جبير:

بلى نَعْنُ كَنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودِ الْعَوَائِرُ

(٢) رحلة ابن جبير : « إلى الشرق أميل » . (٣) ابن جبير : « المسفل » .

يسار الطريق قبر أبي لُهب وامرأته ، قد علاهما جبلان عظيمان من الصَّخَر لرجم الناس على قديم الدهر .

وعلى قدر ميل يُبَاني الزاهر ، وهو مبنيٌّ على جانبي الطريق ، يحتوى على دارٍ وبساتين لأحد المكيّين ، وفيه مكان مستطيل ، عليه كيزان الماء ، ومراكن مملوءة ، وهى القصارى للشرب والطهور ، وفيه منفعة كبيرة للمعتمرين .

وعلى جانبي الطريق فى الزاهر أربعة أُجبال : جبلان ، من هنا وجبلان من هنا ، يُذكر أنها التى جعل إبراهيم عليه السلام أجزاء الطير عليها ، ثم دعاها عند قوله : ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ <sup>(١)</sup> .

وعند إجازتك بالزاهر تمرّ بالوادي المعروف بذي طوى ، كان ابن عمر رضى الله عنهما يغتسل فيه عند دخوله مكة ، وفيه نزل النبيُّ عليه الصلاة والسلام عند دخوله ، وفيه مسجد إبراهيم عليه السلام ، وفيه آثار تعرف بالشبيكة . ثم تخرج من الوادى إلى أعلام ، وهى أحجار موضوعة بين الحِلِّ والحرم ، كالأبراج المصفوفة ، فدخلها إلى جهة مكة حَرَم ، وهى كالأبراج ، وآخذة من أعلى جبل ، يعترض عن عَيْن الطريق فى [ التوجّه ] <sup>(٢)</sup> إلى العُمرة ، وينشق الطريق إلى جبل عن يساره ، وهما ميقاتا المعتمرين ، [ وفيها مساجد مبنية بالحجارة ] <sup>(٣)</sup> وخارجها <sup>(٣)</sup> بنحو غلوتين مسجد عائشة رضى الله عنها .

ومن جبال مكة جبل أبى قُبيس ، وهو على الحرَم فى الجهة الشرقية يقابل الحجر الأسود ، فى أعلاه مسجد عليه سطح يشرف على مكة ، ويظهر حسنُها وحُسْن الحرَم واتساعه وجمال السكبة ، وهو مستودع الحجر الأسود من الطوفان ، حتى أدّاه إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وفيه قبر آدم عليه السلام ، وهو أحد أخشبي مكة ، والأخشب الثانى المتصل بقميَّمان فى الجهة

(٢) من رحلة ابن جبير .

(١) سورة البقرة ٢٦٠ .

(٣) الرحلة : « خارج هذه الأعلام » .

الغربية ، وفيه موقف النبي صلى الله عليه وسلم ، عند انشقاق القمر .  
ومن جبالها حراء ، على مقدار فرسخ ، ومشرف على منى ، وهو مرتفع  
في الهواء ، كان متمبّد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي اهتزّ تحته ،  
فقال : اسكن حراء ، فما عليك إلا نبيّ وصديق وشهيدان ، لعمر بن الخطاب  
وعثمان بن عفان رضی الله عنهما ، وفيه نزلت أول آية من القرآن ، وهو أخذ  
من المغرب إلى الشمال ، وعلى طرفه الشماليّ جبّانة الحجّون المتقدمة .

ومن جبالها جبل ثور ، وهو في الجهة اليمانية على فرسخ أو أزيد ، وفيه  
الغار الذي أوى إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى مقربة من الغار قبة  
جبريل ، وهي عمود منقطع من الجبال ، قد قام شبه الذراع المرتفعة مقدار نصف  
القامة ، وانبسط من أعلى شبه الكفت ، كأنه قبة مبسوطة ، يستظلّ تحتها نحو  
العشرين رجلاً ، ومن مكة إلى منى نحو خمسة أميال .

ومنى مدينة عظيمة الآثار واسعة الاختطاط ، وقد خربت اليوم إلا منازل  
يسيرة محدّثة للنزول ، كان الطريق إليها الميدان اتساعاً وانفساحاً . وأول ما يلقى  
المتوجّه إليها بقربها مسجد البَيْعَة التي عقدها العباس للنبي صلى الله عليه وسلم على  
الأنصار ، ثم يُفَضَّى بها إلى جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ ، وهي أول منى وعليها مسجد ، وبها علَمٌ  
منصوب شبه أعلام الحرم المذكورة ، يجعله الراعي عن يمينه مستقبلاً مكة ،  
ويرمى بها سبع حصيات يوم النحر أثر طلوع الشمس ، ثم ينحر أو يذبح ،  
ويحلق أو يُقَصِّر ، ومنى كلّها مَنْحَرٌ ، ويحلّ له كل الأشياء إلا النساء ، وبعدها  
الجمرة الوسطى ، وبها أيضاً علَمٌ ، وبين الجمرتين قدر غلوة ، وبعدها بمقدار غلوة  
الجمرة الأولى التي ترمى وقت الزوال ثانی يوم النحر بسبع حصيات ، وفي الوسطى  
بسبع ، وفي جمرة العقبة بسبع ، فتلك إحدى وعشرون حصاة ، ويُفَعَّلُ ذلك في  
ثالث يوم النحر ، فتلك اثنتان وأربعون حصاة ، وسبع تقدّمت يوم النحر ،  
فتكمل تسع وأربعون حصاة .

وفي أثر ذلك ينفض الحاج إلى مكة ، وعند الحجرة الأولى يُلَنَّى مجرى الدَّيِّح عليه السلام ، وفي موضع المجرى حَجَرٌ ملصقٌ بجدارٍ فيه أثر قدم صغيرة ، يقال إنها أثر قدمه ، عند تحرّكه لَأَنَّ له الحجر إشفاقاً ، فيقبله الناس ويلبسونه تبرّكاً به .

ومسجد الخيف آخر مِنَى ، وهو متسع الساحة ، كأ كبر ما يكون من الجوامع ، وصومعته في رحبة المسجد ، وله في القبلة أربع بلاطات ، وهو مسجد مشهور البركة ، ومن مِنَى إلى المزدلفة نحو خمسة أميال ، والمزدلفة تسمى المشعر الحرام وجمعا فلها ثلاثة أسماء . ووادي محسّر حدٌّ بين المزدلفة ومِنَى . والمزدلفة بسيط من الأرض فسيح حولها صهاريج للواء ، وفي وسط البسيط حلق في وسطها قبة ، في أعلاها مسجد يصعد إليه على أدراج من جهتين ، يزدحم الناس عليه للصلاة فيه عند مبيتهم بها ، وبين المزدلفة وعرفات أزيد من خمسة أميال .

وعرفات بسيط من الأرض [ على ] مدّ البصر ، لو حُسِرَ الخلائق فيه لوسمهم ، تحدّقُ به جبال كثيرة . وفي آخر البسيط جبل الرّحمة ، وهو موقف الناس ، والعلمان قبله ، فما أمامهما إلى عرفات جبل ، وما دونهما حَرَم .

وجبل الرحمة منقطع عن الجبال ، قائم في البسيط ، فهو كُله حجارة . وكان صعب المرتقى ، فأحدثوا فيه من أربع جهاته أدراجاً وطبئة يصعد فيها بالدواب الموقرة . وفي أعلاه قبة تنسب لأُم سلمة رضى الله عنها ، وفي وسطها مسجد يحدّق به سطح فسيح الساحة جميل المنظر ، يزدحم الناس عليه للصلاة فيه ، فيشرف منه على بسيط عرفات ، وفي أسفله عن يسار القبلة دار عتيقة البنيان ، فيها عُرف ، لها طيقان تنسب إلى آدم عليه الصلاة والسلام . وعن يسارها مسجدٌ صغير . وبمقربة من العلمين مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، بقى منه

الجدار القبلي يخطب فيه الخطيب يوم الوقفة ، ثم يجمع بين الظهر والعصر ، ثم يقف الناس بعد جمعهم الظهر والعصر باكين داعين متضرعين ، حتى يغيب قرص الشمس ، ثم يدفع الإمام المالكي بالناس بالنفر دفعا ترنجا منه الجبال ، فيصلون بمزدلفة المغرب والعشاء الآخرة ، فيبيتون بها ، والدنيا كلها شموع مُسَرَّجَة ، فإذا صلوا الصبح غدوة النحر وقفوا داعين .

ومزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر ، فإن فيه تقع الهرولة إلى متى ، فإذا بلغوا متى رموا بها جرة العقبة .

ثم ينفِر الناس إلى البيت المكرم إلى طواف الإفاضة ، وهو كمال الحج .

وأما البيت المكرم فهو قريب من التريبع ، له أربعة أركان : ركن ينظر إلى الشرق وفيه الحجر الأسود ، ومنه ابتداء الطواف . يبعد الطائف عنه قليلاً ، والبيت عن يساره ، ثم يُبلَى بعد ذلك في طوافه الركن العراقي ، وهو ناظر إلى الشمال . ثم الركن الشامي ، وهو ناظر إلى المغرب ، ثم الركن اليماني ، وهو ناظر إلى الجنوب ، ثم يعود إلى ركن الحجر الأسود ، وذلك شوط واحد .

وباب البيت في السَّفْح الذي بين ركن الحجر والركن العراقي ، وهو قريب من الحجر بعشرة أشبار ، وما بين الحجر والباب يسمى الملتزم ، وهو موضع استجابة الدعاء ، ويرتفع الباب من الأرض أحد عشر شبراً ونصفاً ، والباب من فضة ، مذقّب بدیع الصَّنعة ، يستوقف الأبصار حسناً ، وعُضاداته كذلك ، وعلى رأسه لوح ذهب خالص إبريز في سمة نحو شبرين ، وله قنارتا فضة ، كبيرتان يتعلق عليهما قفل الباب ، والباب ناظر إلى الشرق ، وسعته ثمانية أشبار ، وطوله ثلاثة عشر شبراً ، وغِلَظ الحائط الذي ينطوي عليه الباب خمسة أشبار ، وداخل الببت مفروش بالرخام المجزّع ، وحيطانها كلها رخام مجزّع ،

قد قام على ثلاثة أعمدة من الساج ، مفرطة الطول ، بين كل عمود وعمود أربع خطاً ، ودائرة البيت كله من نصفه الأعلى مطلى بالفضة المذهبة ، يُحَيَّل إليك أنها صفيحة ذهب لفظها بالجوانب الأربع .

ولبيت خمسة مصابيح ، وعليها زجاج عراقى بديع النقش ، أدرجت في وسط السقف ، ومع كل ركن مضواً ، ويُبنى الداخل من الباب عن يساره ركن الحجر الأسود وباب الرحمة ، هو الذى يصعد عليه إلى السطح .

والمقام حجر مفسى بالفضة ، ارتفاعه ثلاثة أشبار ، وسعته شبران ، أدلاه أوسع من أسفله ، وآثار القدمين والأصابع فيه ، صُبَّ لنا فيه ماء زمزم ، فشربه منه .

ومن الباب إلى الركن العراقى حوض طوله اثنا عشر شبرا وعرضه خمسة أشبار ، وارتفاعه شبر ، هو علامة موضع المقام ، وهو مصب ماء البيت .

وموضع المقام الذى يصلّى فيه ما بين الباب والركن العراقى ، وموضع المقام قبة حديد موضوعة إلى جانب قبة زمزم ترفع في أشهر الحج ، وتزال قبة الخشب ، لأنها أجمل ، لازدحام الناس . ومن ركن الحجر إلى الركن العراقى أربعة وخمسون شبرا ، ومن الحجر الأسود إلى الأرض ستة أشبار ، فالطويل يتطامن لتقبيله ، والقصير يتناول له .

وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كأنها الرخام : سود وحر وبيض ، تتسع عن البيت مقدار تسع خطاً ، وسائر الحرم مفروش برمل أبيض ، وطواف النساء في آخر الحجارة المفروشة .

والحجر ستة أذرع وهو الذى تركته قريش من البيت ، وعليه جدار دوره تسع وعشرون خطوة ، وهى أربعة وسبعون شبرا من داخل الدويرة ، ودور جداره كله مجزّع بديع الإلصاق من الرخام ، وهو مفروش بالرخام المجزّع البديع التفاريع والتقاطع ، فراه عجيب .

والحرم له ثلثمائة سوار من الرخام ، وذراع الحَرَم في الطول أربعة ذراع ،  
وفي العرض ثلثمائة ذراع ، فتكسیره ثمانية وأربعون مرجما ، وله تسع صوامع  
وتسعة عشر بابا ، أكثرها مفتوح على الأبواب ، منها باب الصفا ، وهو مفتوح  
على خمسة أبواب ، وهو أكبرها ، وعليه يُخْرَج إلى السعى بين الصفا والمروة .  
وللصفا أربع عشرة درجة ، وللمروة خمسة ، وما بين الصفا والمروة ميل ،  
وهو اليوم سوق جميل ، يجمع الفواكه بمكة وحواليت الباعة يمين وشمال  
فلا يكاد الساعون يخلصون للسعى لكثرة الزحام .

وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الأسود ، منها إليه أربع وعشرون خطوة ،  
وداخلها مفروش بالرخام الأبيض وتنور البئر في وسطها من رخام دوره أربعون  
شبرا ، وارتفاعه أربعة أشبار ونصف ، وغلظه شبر ، وعمقه إحدى عشرة قامة ،  
وعق الماء سبع ، وباب القبة ناظر إلى الشرق .

ثم ذكر في البيت وما يتصل به من البئر من ذلك غرائب من صنع الرخام  
والنفوش وغير ذلك أشياء لا يسع كتابنا ذكرها ، فلنقتصر على هذا القدر <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

فمصفتُ بي ریحُ الغرامِ ، واهتاجَ لي شوقُ إلى البيت الحرام ؛  
فزمتُ ناقتي ، ونبذتُ عُلقِي وعَلَّاقِي  
وقلتُ لِلْأُمِّي أَقْصِرْ فَإِنِّي سَأَخْتَارُ الْمَقَامَ عَلَى الْمَقَامِ  
وَأُنْفِقُ مَا جَمَعْتُ بِأَرْضِ جَمْعٍ  
وَأَسْأَلُ بِالْحَاطِمِ عَنِ الْخَطَامِ  
ثمَّ انتظمتُ مَعَ رُفْقَةٍ كُنُجُومِ اللَّيْلِ ، لَهُمْ فِي السَّيْرِ جَرِيَّةٌ

(١) رحلة ابن جبير صفحة ٨٢ وما بعدها ، مع تصريف .

السَّيْلِ ، وإلى الخَيْرِ جَرَى الْخَيْلِ ؛ فلم تَزَلْ بين إِدْلَاجٍ وتَأْوِيبٍ ،  
وإِيحَافٍ وتَقْرِيبٍ ، إلى أَنْ حَبَّتْنَا أَيْدِي الْمَطَايَا بِالثُّحَفَةِ ، في إِيصَالِنَا  
إلى الْجُحْفَةِ ؛ فَحَلَلْنَاهَا مُتَأَهِّبِينَ لِلْإِحْرَامِ ، مُتَبَاشِرِينَ بِإِدْرَاكِ الْمَرَامِ ،  
فَلَمْ يَكْ إِلَّا أَنْ أَنْخَنَّا بِهَا الرِّكَائِبَ ، وَحَطَطْنَا الْحَقَائِبَ ، حَتَّى طَلَعَ  
عَلَيْنَا مِنْ بَيْنِ الْهَضَابِ ، شَخْصٌ ضَاحِي الْإِهَابِ ؛ وَهُوَ يُنَادِي :  
يَا أَهْلَ ذَا النَّادِي ، هَلُمَّ إِلَى مَا يُنْجِي يَوْمَ التَّنَادِي . فَانْخَرَطَ إِلَيْهِ  
الْحَجِيجُ وَانْصَلَّتُوا ، وَاحْتَفُوا بِهِ وَأَنْصَتُوا . فَلَمَّا رَأَى تَأَثُّفَهُمْ حَوْلَهُ ،  
وَاسْتِعْظَامَهُمْ قَوْلَهُ ، تَسَنَّمَ إِحْدَى الْآكَامِ ، ثُمَّ تَمَنَّحَ مُسْتَفْتِحًا  
لِلْكَلَامِ ، وَقَالَ :

\* \* \*

قوله : عصفت ، تحركت واشتدَّت . الغرام : الشوق . احتاج : تحرك .  
زمت : شددت زمامها . نبذت : رميت . عُلِّقَى : ما يتعلق به ويُمسكه عن  
إرادته . علاقتى : ما يتعلق بقلبي . أقصِرْ : كَفْ . المقام : مقام إبراهيم عليه  
عليه السلام . المقام : الإقامة . وجمع : اسم المزدلفة ، سميت بذلك لاجتماع الناس  
فيها . الحطيم : حَجَرٌ بِمَكَّةَ . الحطام : كسب الدنيا . انتظمت : ارتفعت .  
كنجوم الليل ، أى هم أشراف وأهل أحساب . جَرِيَّةٌ : انصباب . الإدلاج :  
سَيْرُ اللَّيْلِ . تأوِيب : سَيْرُ النَّهَارِ . إِيحَافٌ : إِسْرَاعٌ . تقرب : جَرَى مُقَارِبٌ .  
حَبَّتْنَا : أَوْصَلْنَا وَأَعْطَيْنَا . الثُّحَفَةُ : الْهَدِيَّةُ . إِيصَالِنَا : تَوْصُلُنَا .

الْجُحْفَةُ مِيقَاتُ أَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ ثَمَانِيَةُ أَمْيَالٍ .  
حَلَلْنَا : نَزَلْنَا فِيهَا . الْإِحْرَامُ : الدُّخُولُ فِي الْحَرَمِ . مُتَبَاشِرِينَ : يَبْشُرُ  
بَعْضُنَا بَعْضًا . بِإِدْرَاكِ الْمَرَامِ : بِلَوْغِ الْحَاجَةِ . أَنْخَنَّا الرِّكَائِبَ : بَرَكْنَا الْإِبِلَ

بالأرض . حططنا الحقائق : أنزلنا الأحمال عن ظهورها . الهضاب : السكدي ،  
واحدتها هضبة . ضاحي الإهاب : بارز الجلد ، أى ثوبه خَلَقَ لا يستره .  
التنادي : المنزل . هلم ، أى أقبلوا . يوم التنادي ، أى يوم البعث لاجتماع الناس  
فيه ، أو لأنه ينادى للحساب . انخرط : اندفع بسرعة . الحجيج : اسم الجماعة  
الحجاج . انصلتوا : خرجوا إليه مسرعين . احتفوا : استداروا : وأنصتوا :  
سكتوا . تأثفهم : اجتماعهم وثبوتهم حتى صاروا له كالأنثى للقدّر . استطاعهم  
قوله : استدعاءهم كلامه . تسّم : ارتفع عليها ، وأصل « تسّم » ركب البعير ،  
الآكام : السكدي .

\*\*\*

يَا مَعْشَرَ الْحَجَّاجِ ، النَّاسِلِينَ مِنَ الْفِجَاجِ ، أَتَعْقِلُونَ مَا تُوَجِّهُونَ ،  
وإِلَى مَنْ تَتَوَجَّهُونَ ! أَمْ تَذَرُونَ عَلَى مَنْ تَقْدُمُونَ ، وَعَلَامَ تُقْدِمُونَ !  
أَتَخَالُونَ أَنَّ الْحِجَّ هُوَ اخْتِيَارُ الرِّوَا حِلِّ ، وَقَطْعُ الْمَرَا حِلِّ ، وَاتِّخَاذُ  
الْمَحَامِلِ ، وَإِيقَارُ الزَّوَامِلِ ! أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ النَّسْكَ هُوَ نَضُّ  
الْأَرْدَانِ ، وَإِنْضَاءُ الْأَبْدَانِ ، وَمُفَارَقَةُ الْوُلْدَانِ ، وَالتَّنَائِي عَنْ الْبُلْدَانِ !  
كَلَّا وَاللَّهِ ، بَلْ هُوَ اجْتِنَابُ الْخَطِيئَةِ ، قَبْلَ اجْتِلَابِ الْمَطِيئَةِ ، وَإِخْلَاصُ  
النِّيَّةِ ، فِي قَصْدِ تِلْكَ الْبَيْتَةِ ، وَإِنْحَاضُ الطَّاعَةِ ، عِنْدَ وَجْدَانِ  
الاسْتِطَاعَةِ ، وَإِصْلَاحُ الْمَعَامَلَاتِ ، أَمَامَ إِعْمَالِ الْيَعْمَلَاتِ !

...

الناسلين : المسرعين . الفيجاج : الطرق . وتعقلون : تفهمون . تواجهون :  
تستقبلون بوجوهكم ، ير يد البيت . إلى مَنْ تتوجهون : تقصدون . الرواحل :

الإبل . المراحل : المواضع يُرحل إليها وينزل فيها . الحامل : آلات من خشب يركب عليها ، واحدها محمل ، يقال : إن الحجاج أول من أحدثها ، ولذلك قال الشاعر :

أول عبد صنع الحاملا أخزاه رنى عاجلا وآجلا

قوله : لزوامل : جمع زاملة ، وهي البعير وغيره من الدواب يحمل عليها الطعام . وإبقارها : رفع الأوقار عليها ، وهي الأحمال ، والوقر : الحمل . النسك : التعمد ، نضوا الأردن ، تجريد المحيط من الثياب . العناني : التباعد . اجتناب بُعد ، واجتنبته : بعدت عنه وتركته . الخطيئة : الذنب ؛ يريد أن أول ما يجب على الحجاج أن يقدموا التوبة . والبنية ، هي السكبة . إمحاض : إخلاص . وجدان : إصابة . الاستطاعة : القدرة على الشيء ، وهي شرط وجوب الحج . المعاملات : الأعمال التي يتعامل بها الناس بينهم من المبايعات وغيرها ، وأراد إصلاح فعل العباد بينه وبين ربه . أعمال اليعملات : استعمال الإبل للمشي ، واليعملة : الناقة تعمل كثيرا في المشي .

° ° °

فوالذي شرع المناسك للناسك ، وأرشد السالك في الليل الحالك ، ما ينبغي الاغتسال بالذنوب ، من الانغماس في الذنوب ، ولا تعدل تغرية الأجسام ، بتعبته الأجرام ، ولا تُغني لبسة الإحرام ، عن المتلبس بالحرام ، ولا ينفع الاضطباع بالإزار ، مع الاضطلاع بالأوزار ، ولا يجدي التقرب بالخلق ، مع القلب في ظلم الخلق ، ولا يرحض النسك في التقصير ، دون التمسك بالتقصير ، ولا يسعد بعرفة ، غير أهل المعرفة ، ولا يزكو بالخيف ، من يرغب في الخيف ، ولا يشهد المقام ، ( ٢ - شرح مقامات المريدي ج ٤ )

إِلَّا مِنْ اسْتَقَامَ ، وَلَا يَحْظَى بِقَبُولِ الْحَجَّةِ ، مَنْ زَاغَ عَنِ الْحَجَّةِ ،  
فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَفَا ، قَبْلَ مَسْعَاهُ إِلَى الصَّفَا ، وَوَرَدَ شَرِيعَةَ  
الرِّضَا ، قَبْلَ شُرُوعِهِ عَلَى الْأَصَا ، وَنَزَعَ عَنْ تَلْيِيسِهِ ، قَبْلَ نَزْعِ  
مَلْبُوسِهِ ، وَفَاضَ بِمَعْرِفِهِ ، قَبْلَ الْإِفَاضَةِ مِنْ تَغْرِيفِهِ . ثُمَّ رَفَعَ  
عَقِيرَتَهُ بِصَوْتٍ أَسْمَعَ الثَّمَمَ ، وَكَادَ يُزْعِزُ الْجِبَالَ الثَّمَمَ .

\* \* \*

شرع : فرض . المتناسك : مواضع الذبح والنحر ، والتناسك : الذى يأتى  
بنفسك ، وهو ما يُذبح أو ينحر فى الحرم . أرشد السالك : على الطريق للشئ  
فيها . الحالك : الشديد السواد . الذنوب : الدلو . الانفاس : الغطس ، يريد  
أن التطهر لا يزيل الذنوب . وما أحسن قول الحلواني فى غلام وسيم أراد  
النهوض للحج :

يا طالب الحج وهو ذو صغرٍ      عجلت فاستأنه إلى الكبر<sup>(١)</sup>  
إن كنت تبغى مثوبةً فعسى      تحمّل لى قبلةً إلى الحجرِ  
وإن رميت الجمار فارم بها      كلّ فؤاد عليك لم يطرِ  
فقال دعنى وزمزمًا فعسى      أغسل عن وجنتى دم البشرِ

قوله : تعمد ، أى تقاوم وتساوى . الأجرام : الأجسام ، واحدها جرم .  
تعبئة الأجرام : تحمّل أعباء الذنوب . لبسة : هيئة اللباس . التلبس : التعلق  
والاختلاط . الاضطباع : الاشتغال والالتحاق ، واضطبع الرجل بثوبه ، إذا  
أدخله تحت عضده الأيمن وألقاه على منكبيه الأيسر ، والاضطلاع : القيام بها .  
والأوزار : أثقال الذنوب . يمدى : ينفع . يرحض : يغسل . التقصير : الأخذ  
من الشعر . دَرَن : وسخ . التمسك : التعلق . التقصير : التضيق ، وترك الاجتهاد ،

(١) الذخيرة لابن بسام ٢٢١/١/٤ ، وهو الشاعر الأندلسى عبد الكريم بن فضال ،  
المعروف بالحلواني .

عَرَفَة: يوم من أيام الحج، سُمِّيَتْ بذلك لأن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة، نزل بالهند، وحواء بجُدَّة فالتقيا بعَرَفَة، نُسِمِيَ موضع التقائهما ويوم التقائهما عَرَفَة، وقيل: هي من العرف وهو الصَّبر، ورجل عارف، أى صابر، فُسِمِيَ الموضع عرفة لصبر الناس على القيام به للدعاء. وقيل: هي من العرف، وهو الرِّيح الطَّيِّبَة، لأنها طَيِّبَة بنسبتها إلى منى لما بَعِنَى من أقدار الفروث والدماء لأن بَعِنَى يُنحر الهدى. يزكو: يكون نامياً، والزكاء: النماء والصلاح. والخيف: موضع بمكة سمي بالخيف، وهو ما ارتفع من الأرض عن موضع السيل، وانحدر عن غِلَظ الجبل. والخيف: الظلم. يحظى: يسعد ويظفر. زاع: مال وخرج. الحجَّة: الطريق المستقيم. صفا: خلص قلبه. مَسَعاه: سعيه وجَرَّيه. الصفا: صخرة بمكة. ورد: دخل. شريعة الرِّضا: طريقة الخير، والشريعة فى النهر والغدير: الطريق. يهبط عليه إلى الماء، وبه سُمِّيَتْ شريعة الدين لأنه طريق موصل إلى الله تعالى، فورَد الشريعة، دخل فيها، ووصل إلى الماء، وشرعت الدواب فى الماء: دخلت فيه. الأضا: الغدران. نزع: زال وكف. تلييسه: تخليطه، والإفاضة: آخر الطواف. تعريفه: وقوفه بعرفة. عقيرته: كناية عن صوته يززع: يحرك. الشم: المرتفعة.

\* \* \*

وأُشَد:

ما الحجَّ سَيْرُكَ نَأْوِيًّا وَإِذْ لَاجَا      وَلَا اغْتِيَاؤُكَ أَجْمَالًا وَأَحْدَا جَا  
الحجُّ أَنْ تَقْصِدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ عَلَى  
تَجْرِيدِكَ الْحَجِّ لَا تَقْضِي بِهِ حَاجَا  
وَتَمْتَطِي كَاهِلَ الْإِنْصَافِ مُتَّخِذًا  
رَدْعَ الْهَوَى هَادِيًا وَالْحَقَّ مِنْهَا جَا

وَأَنْ تَوَاسَى مَا أُوتِيتَ مَقْدَرَةً      مَنْ مَدَّ كَفًّا إِلَى جَذْوَاكَ مُحْتَاجَا  
فَهَذِهِ إِنْ حَوَّتْهَا حَجَّةٌ كَمُلْتَ      وَإِنْ خَلَا الْحَبْجُ مِنْهَا كَانَ إِخْدَاجَا  
حَسْبُ الْمَرَاتِينِ غَبْنًا أَنَّهُمْ غَرَسُوا

وَمَا جَنَوْا وَلَقُوا كَدًّا وَإِزْعَاجَا  
وَأَنَّهُمْ حُرِمُوا حِرْزًا وَمَخْمِدَةً

وَأَلْهَوْا عِرْضَهُمْ مَنْ عَابَ أَوْ هَاجَى  
أَخَى فَاثْبَغَ بِمَا يُبْدِيهِ مِنْ قُرْبِ      وَجْهِ الْمُهَيَّيْنِ وَلَاجًا وَخَرَّاجَا  
فَلَيْسَ تَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ

إِنْ أَخْلَصَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَاتِ أَوْ دَاجَى  
وَبَادِرِ الْمَوْتِ بِالْحُسْنَى تَقْدُمُهَا

فَمَا يُنْهِنُهُ دَاعِي الْمَوْتِ إِنْ فَاجَا  
وَاقِنِ التَّوَاضُّعَ خُلُقًا لَا تَزَايِلُهُ      عَنْكَ اللَّيَالِي وَلَوْ أَلْبَسْنَكَ التَّاجَا  
وَلَا تَشْمُ كُلَّ خَالٍ لِأَحْ بَارِقُهُ

وَلَوْ تَرَ أَيْ هَتُونَ السَّكْبِ مُجَاجَا  
مَا كُلُّ دَاعٍ بِأَهْلٍ أَنْ يُصَاحَ لَهُ

كَمْ قَدْ أَصَمَّ بِنْعِي بَعْضُ مَنْ نَاجَى  
وَمَا اللَّيْبُ سِوَى مَنْ بَاتَ مُقْتَنِعًا

يُلْفِئُهُ تُدْرِجُ الْأَيَّامَ إِذْ رَاجَا  
فَكُلُّ كَثْرٍ إِلَى قُلٍّ مَغْبِيَّةٌ      وَكُلُّ نَازٍ إِلَى لَبٍّ وَإِنْ هَاجَا

\*\*\*

اعتيامك : اختيارك . أخذًا جًا : جمع حِذْج ، وهو ما يحمل على ظهر  
 البعير ، يُركب عليه . حاجًا : جمع حاجة . تمتطى : تركب . كاهل : مقدّم  
 الظهر . ردّع : كفّ وردّ . هاديًا : دليلًا . منهاجا : طريقًا . تواسى : تعطى .  
 جدّواك : عطيتك . حَوّتها : جمعتها . إخداجا : نقصانًا . المرائين : المظهرين  
 الخير ، وهم على خلافه . وحسب ، بمعنى يكفى . كدًا : عجلة وشدة . الإزعاج :  
 ضد السكون والقرار ، وأزعجته : لم تدعه يستقرّ . حرزا : تحصيل ، وأحرزه :  
 جمعه تحت حرز . ألهوه : أمكنوه من لجه . العِرْض : ما يسبّ من الرجل أو  
 يمدح . هاجى : شاتم وسابّ .

### [ ذكر المرائين وما قيل فيهم ]

ومما قيل في الرياء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والشرك  
 الأصفر . قالوا : وما الشرك الأصفر ؟ قال : الرياء » .  
 وقال صلى الله عليه وسلم : « لا رياء ولا سُمة مَنْ يسمع يسمع الله به » .  
 وقال صلى الله عليه وسلم : « من أسرّ سريرة ألبسه الله رداءها ؛ إن خيرًا  
 فخير ، وإن شرًّا فشر » .  
 وقال : « مَنْ أصلح سريره ، أصلح الله علانيته » .  
 وقال الشاعر :

وإذا أظهرت شيئًا حسنًا      فليكن أحسن منه ما تُسرّ  
 فمُسرّ الخير موسومٌ به      ومُسرّ الشرّ موسومٌ بشرّ

وقال يحيى بن أكرم :

يقول لى القاضى معاذ مشاوراً      وولى أمراً فيما يرى من ذوى الفضل  
 بعينك ماذا تحسبُ المرء فاعلاً      فقلت وماذا يفعل الذئب فى النحل  
 يدقُّ خلاياها ويأكلُ شهدَها      ويترك للزّبال ما كان من فضل

وأنشد الفرزدق :

رئيس السوق محمود السجايا      يقصر عن مدائحه البليغ  
نسميه يحيى وهو ميت      كما أن السليم هو اللديع  
يعاف الورذ إن ظلمت حشاه      وفي مال اليتيم له ولوغ  
ولالأبيض في الفقهاء المراثين :

أهل الرياء لبستم ناموسكم      كالذئب يدلج في الظلام العاتم<sup>(١)</sup>  
فلكنم الدنيا بمذهب مالك      وقسمتم الأموال بابن القاسم  
وركنتم شهب البغال بأشهب      وبأصغر صغت لكم في العالم<sup>(٢)</sup>

وله في نحوه أيضاً :

قل للإمام سنا الأئمة مالك      نور العيون ونزهة الأسماع<sup>(١)</sup>  
لله درك من همام ماجد      قد كنت راعيناً فنعم الراعي  
فضيت محمود النقية طاهراً      وتركنا فنصاً لشر سباع  
أكلوا بك الدنيا وأنت بمنزل      طاوى الحشى متكفت الأضلاع  
تشكوك دنيا لم تزل بك برّة      ماذا رفعت بها من الأوضاع !

وفي الإسرائيليات : جاءت عصفورة ، فوفقت على فنج ، فقالت له : مال  
أراك منحنيًا ؟ قال : لكثرة صلاتي انحنيت ، قالت : فمالى أراك بادية عظامك ؟  
قال : لكثرة صيامي بدت عظامي ، قالت : فما هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتي  
لبست الصوف ، قالت : فما هذه الحبة في يدك ؟ قال : قربان إن مرّ بي مسكين  
ناولته إياها ، قالت : فإني مسكينة ، قال : خذها فقبضت على الحبة ، فإذا الفخ  
في عنقها ، فصاحت : قمي قمي . تفسيره : لا غرنى وراء بعدك أبدا .

(١) قح الطيب : ٣ : ٤٤٨ .

(٢) ابن القاسم وأشهب وأصغر ، من فقهاء المالكية .

قال الشاعر :

نعموذ بالله من أناسٍ نَشِيخُوا قَبْلَ أَنْ يَشِيخُوا  
تَقَوَّسُوا وانحنوا رياءً فاحذرهم إنهم فنخوخُ  
وكان صائد يصيد العصافير في يوم بارد ، فكان يذبحها والدموع تسيل ،  
فقال عصفور لصاحبه : لا بأس عليك من الرجل ، أما تراه يبكي ! فقال له الآخر :  
لا تنتظر دموعه ، وانظر ما تصنع يداه .

وراءى بعضهم ثم هتك الله ستره ، فقال :

بينما أنا في توبتي مقبلاً قد شبهوني بآبن دؤادٍ  
وقد حملتُ العلم مستظهِراً وحدتوا عني بإسناد  
إذ خطر الشيطان بي خَطَرَةً نَكَسْتُ منها في أبي جاد  
ابن دؤاد : عابد بمكة .

صلى رجل مرء فقيل له : ما أحسن صلاتك ! قال : ومع ذلك فإني صائم .  
وقال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المروزي : كم لك منذ نزلت العراق ؟  
قال : منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة ، قال : يا أبا عبد الله  
سألتك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين .

وأمر عمر لرجل بكيس ، فقال : آخذ الخيط ؟ فقال عمر : ضع الكيس .

وكتب رجل عند الحسين كتاباً فقال : أجمعني في حلٍ من تراب الحائط ؟  
فقال : يا أخى بل ورعك لا يتكسر .  
وأخبارهم كثيرة .

\* \* \*

قوله : ابغِ أى اطلب : القرب : أفعال البر التي تقرب من الله تعالى ، واحدها  
قربة . ولأجاً وخرأجا ، أى كيف تصرف فيها . داجى : سائر العداوة وناق .

الحسنى : اسم لفعل الحسن ، وتكون الحسنى مؤنثة الأحسن فتلزمها اللام ،  
كالكبرى والأكبر وبابه ، وتكون الحسنى كاللشئى والرُّجعى .

ينهنه يزجر ويكف . فاجى : جاء بفتة ، ول بعضهم :

وهل نحن إلا سراى السهامِ      ويحفزها نابلٌ دائبٌ  
طرائدُ تطلبنا الناثبات      ولا بد أن يدرك الطالبُ  
حبائلُ للدَّهرِ مبنوثةٌ      يُرَدُّ إلى جذبها الهاربُ

وقال آخر فى معناه :

تَحَارِبْنَا جُنُودَ لَا تُجَارَى      وَلَا تَلْقَى بِأَسَادِ الْحُرُوبِ  
تَفُوتُ أَهْمًا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ      وَمَا أَغْرَضَهَا غَيْرُ الْقُلُوبِ  
فَأَنَّى بِاحْتِرَاسٍ مِنْ جُنُودٍ      مُؤَيَّدَةٍ تَمُدُّ مِنَ الْغُيُوبِ

وقال ابن جبلة :

وأرى الليالى ماطوتٍ مِنْ شِرَّتِي      زادتني فى عِظَتِي وفى إِفْهَامِي<sup>(١)</sup>  
وعلمت أن المرءَ مِنْ سُنَنِ الرَّدَى      حيث الرميّة من سهامِ الرامِ  
قوله : أَقْن ، أى اكتسب والتزم . خُلُقًا : طبيعة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ » .

وقالت الحكماء : كل ذى نعمة محسود عليها إلا المتواضع .

وقال عبد الملك : أفضلُ الرجالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رَفْعَةٍ ، وَعَفَا عَنْ قُدْرَةٍ ،  
أَنَصَفَ عَنْ قُوَّةٍ .

وقال رجل لبكر بن عبد الله : علَّمْنِي التَّوَاضَعَ ، فَقَالَ لَهُ : إِذَا رَأَيْتَ مَنْ  
وَأَكْبَرُ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقَنِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرُ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ  
هُوَ أَصْفَرُ مِنْكَ ، فَقُلْ : سَبَقَنِي إِلَى الذُّنُوبِ فَهُوَ خَيْرُ مِنِّي .

وقال أبو العتاهية :

يامن تشرفَ بالدنيا ولذَّتها      ليس التشرفُ رفعَ الطَّينِ بالطَّينِ<sup>(١)</sup>  
إذا رأيتَ شريفَ القومِ كلَّهم      فانظر إلى مَلِكٍ في زِيٍّ مسكين  
وقال أبو الفتح البستي :

من شاء عيشاً رغيداً يستفيدُ به      في دينه ثمَّ في دنياه إقبالاً<sup>(٢)</sup>  
فلا ينظرنَّ إلى مَنْ فوقه أدباً      ولا ينظرنَّ إلى مَنْ دونه مالا  
قوله : لا تَشِمَنَّ ، أى لا تنظر . خالٍ : سحاب . لاح بارقه ، ظهر برقه : تراهى :  
تظاهر . هَتُون : كثير الماء . السَّكْب : الصَّبَّ نجاساً ، صيباً ، نَجَسَ الماءَ ينجسُ نجاساً  
ونجسَتْهُ أنا . يُصاخ : يسمع . أَصَمَّ : كَسب الصمم . والتَّغَى : الخبر بالموت .  
ناجى : حَدَّث . اللبيب : العاقل . بُلغة : قوت يوم . تدرِج : تَطْوِي . كُثِرَ :  
كثرة . قُلَّ : قلة . مغبَّته : عاقبته وآخره . ناز : مرتفع ، ونزاً الفحل ينزو نزواً :  
قفز على الأثني . لين : فتور . هاج : اضطرب ، ويروى : « وكل نازٍ إلى لين » وهو  
الصحيح ، أخذه من المثل : فلان ينزو ويلين ، يقول : لا ننخدع بما يكون له ظهور  
في ملبسه وميئته ، فقد يخيب ظنك وتقلَّ فائدته ، أو يكون مضرراً لانفعا كما قد  
ينادى بك ، فتظنَّ النداء لمنفعة ، فإذا سمعته فاجأك بمصيبة . وأخذ لفظ « كم قد أصمَّ  
بنعى » من قول أبي تمام :

أصمَّ بك الناعى وإن كان أسمعاً      فأصبح مغنى الجود بمدك بلقماً<sup>(٣)</sup>  
والسابق إلى هذا المعنى جَزَوْ بنِ ضِرار ، أخو الشماخ بقوله :

أتانى فلم أسرُزْ به حين جاءنى      حديثٌ بأعلى القُبتين عجيبُ  
تصامقه حتَّى أتانى بقتينةٍ      وأفرغ منه مخطيء ومصيبُ

وقال المتنبي :

طوى الجزيرة لَمَّا جاءني خبرُ      فزعت منه بآمالى إلى السكذب<sup>(٤)</sup>

(٢) يتيمة لدهر ٤ : ٣٠٧

(١) ديوانه ٢٧٤

(٤) ديوانه ١ : ٨٢ ، ٨٨

(٣) ديوانه ٣٧٤

حتى إذا لم يدع لي صدقه خبراً شَرِقتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي  
أشار بعد ذلك بالبيتين إلى القناعة ، وأن كثير الدنيا مصيره إلى قليل ، وقد  
تقدم أمثال هذا .  
وقال أبو تمام :

يا قليل البقاء في هذه الدار إلى كم يترك التسويف<sup>(١)</sup>  
عجباً لأمريء يذلّ لذي المال ، ويكفيه كل يوم رغيـف  
ولابن عمران :

عجباً لنا نبغى الغنى والفقـر في نيل الغنى لو صحت الأبواب  
فيما يبلغنى الحلّ كفاية والفضل فيه تكاثره وحساب

\* \* \*

قال الراوى : فلما ألحّ عُقْمُ الأفهام ، يسخر الكلام ،  
استزوّخت ريج أبي زيد ، وما د بي الارتياح إليه أى مئيد ،  
فكشت حتى استوعب نث حكيمته ، وانحدر من أكمته .  
ثم دلفت إليه ، لأتصفح صفحات محياه ، وأستشف جوهر  
خلاه ؛ فإذا هو الضالة التي أنشدّها ، ونأظم القلائد التي  
أنشدّها ، فما شته عناق اللام للآلف ، ونزلته منزلة البرء  
عند الدنف . وسألته أن يلازمني فأبى ، أو يراملني فنبأ ، وقال ؛  
آليت في حجتي هذه ألا أحتقب ولا أعتقب ، ولا أكتسب  
ولا أنتسب ، ولا أرتفق ولا أرافق ، ولا أوافق من ينافق .

(١) لم أجد ما في ديوانه .

ثم ذهب يَهْرُول ، وغَادَرَنِي أَوَّلُول .

فلمْ أَزَلْ أَقْرِيبَهُ نَظْرِي ، وأودَّ لو يَمْشِي عَلَى نَاطِرِي ، حَتَّى  
تَوَقَّلَ أَحَدَ الْأَطْوَادِ ، وَوَقَفَ لِلْحَجِيجِ بِالْمِرْصَادِ .

فلَمَّا شَاهَدَ إِيضَاعَ الرُّكْبَانِ فِي الْكُشْبَانِ ، وَقَعَ بِالْبَيْتَانِ عَلَى الْبَنَانِ .

\* \* \*

قوله : فلما ألتح عُقْمُ الأفهام ، أى جعل العقيم منها حاملاً بالعلم والفهم .  
استدروحت : شملت فوجدت راحته . ماد : مال . الارتياح : الطرب . مكثت :  
أقمت . أستوعب : أستوفى : نث : نشر . أكتته : كُدَيْتُهُ<sup>(١)</sup> . دلفت : أسرع .  
أنصفح : أنظر . صفحات محياه : جهات وجهه . أستشف : أبالغ النظر فيها .  
جوهر حلاه : خلقة صفاته . أنشدها : أطلبها . القلائد : جمع قلادة ، وهى ما يُحمل  
فى العنق من سلوك الجوهر وغيرها ، ومنه تقليد البُدن بمكة ، وتقلدت  
بالسيف : جعلته فى عنقى ، وقلدتك الأمر : جعلته فى عنقك ، وناظم القلائد : جاعلها  
فى خيطها ، ويعنى بالقلائد مانثر من وعظه ، وأنشده من شعره - وصدق لعمري  
إن كلامه المنظوم والمنثور أبهى من القلائد فى أعناق الخرائد .

وقوله : عناق اللام للألف ، أما بخط المغرب فلا معاينة بينهما إلا فى  
الطرفين ، وربما وقعت فى بعض هذا الخط كالصليب ، وفى بعضه لا التقاء بينهما  
الْبَتَّةَ ، وإنما يريد صورة لام ألف بالخط الكوفى ، وهما بذلك الخط متعاقبان  
متلازمان من الأعلى إلى الأسفل . وأخذ اللفظ من قول بكر بن خازجة :

يَا مَنْ إِذَا قرأ الإنجيل ظلَّ له      قلب الحنيف عن الإسلام منصرفاً  
رأيت شخصك فى نومي يعانقني      كما تعانق لأم السكائب الألفاً

(١) السكدية : الأرض الغليظة .

[ مما قيل في العناق من الشعر ]

ونذكر هنا ما يستحسن في العناق ، قال البحتري :

تلك نِعْمٌ لو أنعمت بوصولٍ      لشكرنا في الوصل إنعام « نعم »<sup>(١)</sup>  
نسيبت موقف الجمارِ وشخصاً      نا كشخصٍ ، أرمى الجمارَ وترى  
وقال أيضاً :

ولم أسَ ليلتنا في العنا      قِ لَف الصَّبَا بقضيب قضيباً<sup>(٢)</sup>  
كما مرّت الريح في سمرها      فطوراً خفوقاً ، وطوراً هبوباً  
وقال ابن المعتز :

كأنما عانت ريحانةً      تنفست في ليلها البارد<sup>(٣)</sup>  
فلو ترانا في قميص الدجى      حسبنا من جسد واحد

وقال علي بن الجهم :

سقى الله ليلاً ضمتنا بعد هجمة      وأدنى فؤاداً من فؤاد معذب<sup>(٤)</sup>  
فبتنا جيماً لو تُراق زجاجةٌ      من الماء فيما بيننا لم تسرب  
وقال ابن عبدوس الناسي : سرت يوماً إلى ابن الجهم ، فأنشدني البيتين  
في العناق ، فاقتدح زندي لإيراد مثله ، فقلت :

لا وللنازل من نجدٍ وليلتنا      بميد إذ جسدانا بيننا جسدُ  
كرام فينا الكرى مع لطف مسلكه      نوما فما افلك لا خد ولا عضدُ  
ما أنصفوني ، دعوني فاستجبت لهم      حتى إذا قربوني منهم بُعدوا  
أخذ هذا البيت من قول الآخر :

أشكو الذين أذاقوني مودتهم      حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

(١) ديوانه ١٩٤٠ (٢) ديوانه ١٥٠ (٣) ديوانه ٧٧  
(٤) ديوانه ٩٥ (٥) للعباس بن الأحنف ، ديوانه ٨٤

وقال أبو نواس :

لبسنا رداء الليل والليل راضعٌ      إلى أن تردى رأسه بمشيبٍ  
وبنسا كفصنًى بانهٍ عصفتهمسا      مع الصبح ريمًا شمال وجنوب  
إلى أن بدأ ضوء الصباح كأنه      مبادئ نصول في عذار خضيبٍ  
فيالليلُ قد فارقت غير مذمةٍ      وباصبح قد أصبحت غير حبيبٍ

قال صالح بن موسى :

لى سيد ما مثله سيدٌ      تصدّت الحتى له فاشتكى  
عاقته عند موافاتها      والأفق بالليل قد احتلّكا  
فجاءت الحتى لعاداتها      فلم تجد ما بيننا مسلكا

ولابن الرومي :

طالما التفت إلى الصبِّ      يح لنا ساقٌ بساقٍ  
في نقابٍ من ودادٍ      ولثامٍ من عناقٍ

وقال أيضًا :

أعانها والنفس بعد مشوقةً      إليها وهل بعد الحاق تدانٍ<sup>(١)</sup>  
وألم فها كي تموت حرارتي      فيشتد ما ألقى من الهيمانِ  
كان فؤادي ليس يشفى غليله      سوى أن يرى الروحانِ ممتزجانِ  
وقال ابن المعتز :

ياربّ فتیان محبتهم ———      لا يرفعون لسلوة قلبا  
لو تستطيع قلوبهم نفدت      أجسامهم فتعانت حبّا

(١) أمالي القالي ١ : ٢٢٦

وقال ابن رشيق :

ومهمهمف يحميه عن نظر الورى  
فلثمتُ خدًا منه ضرّم لوعتي  
وضمّته للصّدر حتى استوهبت  
فكأن قلبي من وراء ضلوعه  
وقال ابن لبّال :

ما كنت أحسب قبل رؤية وجهه  
غازلته حتى بدا لي نغمه  
كم ليلة عانقه فكأنما  
يطنى ويلعب عند عقد سواعدي  
وقال آخر :

مشتاقه طرقت في الليل مشتاقا  
يا زائرا زار من قرب على بُعد  
يا ليل عرج على ألفين قد جملا  
وقال ابن الزقاق :

ومر نجّة الأعطاف أمّا قوامها  
سريت<sup>(٣)</sup> فبات الليل من قصرها  
وبت وقد زارت بأنعم ليلة  
على عاتق من ساعدتها خمائل

فلدن، وأما رذنها فردّاح<sup>(٢)</sup>  
يطير وما غير السرور جناح  
يعانقني حتى الصّباح صباح  
وفي خصرها من ساعدي وشاح

(١) نقله في التنف ١٣ .

(٢) ديوانه ١٢٩ والرداح : الضغمة .

(٣) ديوانه « ألت » .

ونظير هذا قول برهون الغرناطي :

لله درّ ليالي ما أحسنها      وما أحسن منها ليلة الأحد  
لو كنت حاضراً فيها وقد غفلت      عين الرقيب فلم تنظر إلى أحد  
أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر      ريم موسدة في ساعدي أسد

وقال ابن قاضي ميلة :

حيث التقى أسد العرين وظبية      تحت اللعاف وصارم وسوار  
قالت أرى بيني وبينك ثالثاً      ولقد عهدتك للدخيل تفار  
أمنت نشر حديثنا فأجبته      هذا الذي تطوى له الأمرار  
أخذ هذا من قول امرئ القيس :

تجافى عن المأثور بيني وبينها      وتدنّى عليّ السابري المضام<sup>(١)</sup>  
يعنى بالمأثور السيف .

قوله : الدنف : المريض . يزاملني : يرادفني ، والزميل : الرديف . نجا .  
ارتفع وامتنع . أحتقب : أركب موضع الحقيبة ، وهي ما يعلق خلف الراكب ،  
فيريد أنه حلف ألا يكون رديفاً ، ويريد بأحتقب أتخذ حقيبة للزاد ، يريد أنه  
لا يحمل زاداً انكالا على ما عند الله تعالى . أعتقب : أركب عقبة يعنى نوبة ،  
وهما يعتقبان ويتماقبان ، إذا ركب أحدهما فجاء الآخر فكان مكانه ، والاعتقاب :  
ركوب واحد ونزول آخر .

ولحائم في المعنى :

وما أنا بالساعي بفضل زمامها      لتشرب ماء الحوض قبل الركائب<sup>(١)</sup>

وَمَا أَنَا بِالطَّائِرِ حَقِيبَةٍ رَحَلَهَا لَا بَعْثَهَا خِفَا وَأَنْزَلَ صَاحِبِي  
إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقُلُوصِ فَلَا تَدْعُ رَفِيقَكَ يَمْشِي حَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ  
أُنْجِهَا فَأَرْدَفَهُ فَإِنْ حَمَلْتَكَا فَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْعَقَابُ فَمُغَابٍ

أُتْرِفَقُ: أَسْتَعِينُ أُرَافِقُ: أَطْلُبُ رَفِيقًا. يَهْرُولُ: يَسْرَعُ الْمَشْيَ. غَادَرَنِي: تَرَكَنِي  
أُولُولُ: أَصْبَحُ: يَأْوِي. أَقْرِيهِ: أَتَبِعُهُ. تَوَقَّلْ: صَعِدْ. الْأَطْلُودُ: الْجَبَالُ.  
بِالْمُرْصَادِ: بِمَضِيقِ الطَّرِيقِ بِمَحِثٍ يَرْتَصِدُ فِيهِ جَمِيعُ النَّاسِ، وَالْمُرْصِدُ وَالْمُرْصَادُ عِنْدَ  
الْعَرَبِ الطَّرِيقُ. إِبْضَاعُ: سُرْعَةٌ، وَقَدْ أَوْضَعَ فِي سِيرِهِ: أَسْرَعَ كَأَنَّهُ يَهْتَزُّ وَيَرْكُضُ.  
الْكُتُبَانُ: أَلَكْدَاسُ الرَّمْلِ. رَقَعَ: ضَرَبَ بِالْبَنْانِ عَلَى الْبَنْانِ، أَيْ صَفَقَ  
بِيَدَيْهِ، وَقَدْ تَطَلَّقَ الْبَنْانُ مَرَادًا بِهَا الْيَدُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ  
بَنَانٍ﴾<sup>(١)</sup>، أَيْ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ.

وَأُنْشِدُ الْفَنَجْدِيَّ:

أَقَامُوا الدَّيْدَانَ عَلَى يَفَاعٍ وَقَالُوا لَا تَنْمَ لِلدَّيْدَانِ  
إِذَا أَبْصَرْتَ ضَيْفًا مِنْ بَعِيدٍ فَوَقَّعَ بِالْبَنْانِ عَلَى الْبَنْانِ  
ثَرَاهِمَ خَشْيَةِ الْأَضْيَافِ خُرْسًا يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَذَانٍ

\* \* \*

وَانْدَفَعْ يَنْشُدُ:

لَيْسَ مَنْ زَارَ رَاكِبًا مِثْلَ سَاعٍ عَلَى الْقَدَمِ  
لَا وَلَا خَادِمٌ أَطَا عِ كَمَاصٍ مِنَ الْخَدَمِ  
كَيْفَ يَأْقُومُ يَسْتَوِي سَعَى بَانٍ وَمَنْ هَدَمَ  
سَيَقِيمُ الْمَفْرَطُ نَ غَدًا مَاتَمَ النَّدَمِ  
وَيَقُولُ الْغَى تَقَرَّرَ بَ: طَوَّبَى لِمَنْ خَدَمَ

(١) سورة الأنفال ١٢

وَيْكَ يَا نَفْسُ قَدِّي صَالِحًا عِنْدَ ذِي الْقَدَمِ  
 وَازْدَرَى زَخْرَفَ الْحَيِّ مَا فُؤْجِدَانَهُ عَدَمَ  
 وَاذْكُرِي مَصْرَعَ الْحَمَامِ مَ إِذَا خَطْبُهُ صَدَمَ  
 وَانْدُبِي فَمَلَكَ الْقَبِيِّ سَحَّ وَسَحَّى لَهُ بَدَمَ  
 وَادْبُغِيهِ بِتَوْبَةٍ قَبْلَ أَنْ يَحْلَمَ الْأَدَمَ  
 فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَكَ السَّعِيرَ الَّذِي اخْتَدَمَ  
 يَوْمَ لَا عَثْرَةَ تَقَالُ وَلَا يَنْفَعُ السَّدَمَ

• • •

قوله : ليس من زار راكبا ... البيت . يريد أن ثواب الماشي في الحج أكثر من ثواب الراكب .

وقال ابن عباس لبنيه : اخرجوا من مكة مشاة ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنَّ للحاجَّ الراكب بكلِّ خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة ، وللماشي بكلِّ خطوة سبعمئة حسنة من حسنات الحرم ، قالوا : يا رسول الله ، وما حسنات الحرم ؟ قال : الحسنة منها بمائة ألف .

وقوله : سَعَى بَانَ وَمَنْ هَدَمَ ، من قول بشار :

متى يبلغ البنيانُ يوما تمامه إذا كنت تبنيه وآخرُ يهدم  
 المفترطون : المقصرون . مَاتَمَ : مناحة . وَيَكُ : تعجب . اذْدَرَى : احتقرى .  
 زَخْرَفَ : زينة . وُجِدَانَهُ : مصدر وجدت الشيء . اَنْدُبِي : ابكى . الْحَمَامُ : الموت .  
 مَصْرَعُهُ : طَرَحُهُ للميت بالأرض . خَطْبُهُ : أمره الشديد . صَدَمَ : ضرب ، والصَّدَمُ :  
 ضرب الشيء الصلب بمثله ، وأراد أنه أصاب ، من قولهم : صدمهم أمر ، أى  
 ( ٣ - مقالات الحريري ج ٤ )

أَصَابِهِمْ . سَيْحِي : صُحِّي . يَحْلُم : يَنْقَب . الْأَدَم : الْجِلْد ، وَهُوَ مِثْلُ يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ .  
يَفُوت ، قَالَ الشَّاعِر :

\* كِدَابِفَةٌ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ <sup>(١)</sup> \*

السَّعِير : النَّارُ الْمُتَّقِدَةُ . احْتَدَم : التَّهَبَ وَاشْتَدَّ انْتِقَادُهُ . السَّدَم : هَمٌّ  
مَعَ نَدَم .

\* \* \*

ثُمَّ إِنَّهُ أَغْمَدَ عَضْبَ لِسَانِهِ ، وَانْطَلَقَ لِشَانِهِ ، فَمَا زِلْتُ  
فِي كُلِّ مَوْرِدٍ نَزْدُهُ ، وَمُعَرَّسٍ تَتَوَسَّدُهُ ، أَتَفَقَّدُهُ فَأَفْقَدُهُ ، وَأَسْتَنْجِدُ  
بِمَنْ يَنْشُدُهُ فَلَا يَجِدُهُ ، حَتَّى خِلْتُ أَنَّ الْجِنَّ اخْتَطَفَتْهُ ،  
أَوِ الْأَرْضَ اقْتَطَفَتْهُ ، فَمَا كَابَدْتُ فِي الْغُرْبَةِ ، كَهَذِهِ الْكُرْبَةِ ،  
وَلَا مُنِيتُ فِي سَفَرَةٍ ، بِمِثْلِهَا مِنْ زَفَرَةٍ .

° ° °

عَضْب : حَدٌّ ، وَأَرَادَ بِإِغْمَادِهِ سَكُونَهُ . لِسَانُهُ : لِأَمْرِهِ . مَوْرِدٍ : مَوْضِعُ الْمَاءِ .  
نَزْدُهُ : نَقْصِدُهُ . مُعَرَّسٍ : مَوْضِعُ النُّزُولِ بِالسَّجَرِ لِلِاسْتِرَاحَةِ . تَتَوَسَّدُهُ : نَزَلَ  
فِيهِ . أَتَفَقَّدُهُ : أَطْلَبُهُ ، وَالتَّفَقُّدُ طَلَبُ الْمَفْقُودِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ،  
طَلَبَهُ بَعْدَ مَا فَقَدَهُ . أُسْتَنْجِدُ : أَسْتَعِينُ . يَنْشُدُهُ : يَطْلُبُهُ . اخْتَطَفَتْهُ : أَخَذَتْهُ ،  
أَسْرَعَةً . اقْتَطَفَتْهُ : اقْطَعَتْهُ . كَابَدْتُ : قَاسَيْتُ . الْكُرْبَةُ : الْهَمُّ . مُنِيتُ : مُبْلِيَتْ .  
زَفَرَةٍ : تَنْفَسُ الْمَهْمُومِ .

(١) صدره :

\* فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلَيَّ \*

مِنْ آيَاتِ اللَّوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ يَحْضُ فِيهَا مَعَاوِيَةَ عَلَى قَتَالِ عَلِيٍّ . الْإِسَانُ - حِلْمٌ .  
(٢) سُورَةُ التَّلْهِيمِ ٢٠ .

ولأبي طالب الرِّقَّ في غلامٍ محرم<sup>(١)</sup> :  
 ومشتعلٍ عِظْفَى عفافٍ وفتنةٍ  
 يرى قَتْلَ مَنْ يهوى إلى النُّسكِ مَسْلَكًا  
 جَنَى اللَّحْظُ مِنْ خَدْيِهِ وَزْدًا مكفورًا<sup>(٢)</sup>  
 وَمِنْ عَارِضِيهِ يَاسْمِينًا مَمْسُكًا  
 فَيَا رَائِحًا مِنْهُ بِأَوْفَرِ فِتْنَةٍ تَجْهَزُّ لِعَامٍ بَعْدَ هَذَا لَعَلَّكَ  
 وقال صالح بن موسى :  
 عَشَقْتُ صَوْفِيًّا لَهُ شَاهِدٌ يَقِيمُ عَذْرَى عِنْدَ عُدَّالِي  
 قَدْ عُبِدَ اللهُ بِأَحْوَالِهِ فَلَيْتَهُ يَنْظُرَ فِي حَالِي

(١) أبو طالب الرق من شعراء البتيمة ، والأبيات في الجزء الأول فيها ص ٢٤٥ .  
 (٢) البتيمة : « موردًا » .

## المقامة الثانية والثلاثون وتعرف بالطيبية

حكى الحارث بن همام، قال : أَجْمَعْتُ حِينَ قَضَيْتُ مَنَاسِكَ الْحَجِّ ،  
وَأَقَمْتُ وَظَائِفَ الْعَجِّ وَالنَّجِّ ، أَنْ أَقْصِدَ طَيْبَةَ ، مَعَ رُفْقَةٍ مِنْ بَنِي  
شَيْبَةَ ؛ لِأَزُورَ قَبْرَ الْمُصْطَفَى ، وَأَخْرُجَ مِنْ قَبِيلِ مَنْ حَجَّ وَجَفَا ،  
فَأَرْجِفَ بَأْنَ الْمَسَالِكِ شَاغِرَةَ ، وَعَرَبَ الْحَرَمَيْنِ مُتَشَاكِرَةَ ،  
فَحِرْتُ بَيْنَ إِشْفَاقٍ يُشَبِّطُنِي ، وَأَشْوَاقٍ تَنْشِطُنِي ؛ إِلَى أَنْ  
أُلْقِيَ فِي رُوعِي الْاسْتِسْلَامَ ، وَتَغْلِبُ زِيَارَةَ قَبْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
فَأَعْتَمْتُ الْقُعْدَةَ ، وَأَعْدَدْتُ الْعُدَّةَ ، وَسِرْتُ وَالرُّفْقَةَ ، لَا نَلْوِي  
عَلَى عُرْجَةِ ، وَلَا نَنِي فِي تَأْوِيلٍ وَلَا دُلْجَةٍ ، حَتَّى وَافَيْنَا بَنِي  
حَرْبٍ ، وَقَدْ آبَوْا مِنْ حَرْبٍ ، فَأَزْمَعْنَا أَنْ نُقْضَى ظِلُّ الْيَوْمِ ،  
فِي حِلَّةِ الْقَوْمِ .

\*\*\*

أجمعت : عزمْتُ عليه كأنه جَمَعَ نفسه له . ومناسك الحج : متعبداته . وظائف :  
لوازم ، والوظيفة : النصيب الذي يلزمك عزمه . العج : رفع الصوت بالتلبية ،  
وكانوا في الجاهلية إذا أتموا حجهم يتفاخرون بما أثر آبائهم ، فأمرُوا بالثناء على  
الله تعالى . والنج : إراقة الدماء ، وعج يعج عَجًا وعجيجًا : رفع صوته ، وَنَجَجْتُ  
الدمع ، أُنَجِّجُه : أسلته ، وهو لازم ومتعد . وسئل رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عن أفضل الأعمال فقال : « العج والنج » .

طَيِّبَة : مدينة النبي صلى الله عليه وسلم . بنوشيدة : حَجَّبة البيت ، وشيبة هو عبد المطلب ، وُسِّمِيَ بذلك ، لأنه نشأ بالمدينة عند أخواله صغيراً ، فلما مات أبوه هاشم ذهب إليه المطلب ، فأتى به فراه معه أهل مكة فقتلوا : ما هو إلا عبد اشتراه ، فغلب عليه عبد المطلب . جَفَا أراد به قول النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَجَّ البيت ولم يَزُرْنِي ، فند جفاني ، وَمَنْ زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جاءني زائراً لايته إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم النيام » . وفي رواية : « مَنْ زار قبري وجَبَتْ له شفاعتي » .

وأرجف الرَّجُل : خاض في الفتنة والأخبار المسيئة . وشفر الطريق : خلا من حماته والمدينة خلَّتْ من حماتها ، وبلد شاعر ، بميد من القاضي والسلطان ، فلا يمتنع من غارة أحد ، والشفر : التفرقة ، ومنه : خرجوا شفر بفر ، أي تفرقوا ، وشفر عن بلده شفرأ وشفارأ ، إذا طرحوه ونفوه ، واشتغرت الحرب بينهم : اتسمت وعظمت ، وامرأة شاعرة ، إذا رفعت رجليها السكل من نكحها ، والمعنى أن المسالك شاعرة ، أي أن الطرق مضطربة خالية من حماتها . الحرمين : مكة والمدينة . متشاجرة : مختلفة . إشفاق : خوف . يثبطني : يحبسني . تنشطني : تحرّضني . روعي : نفسي . الاستسلام : الانقياد لأمر الله تعالى . أعتمت : اخترت . القعدة : الراحة المتخذة للركوب . تلوي : تعطف . عُرْجة شيء : يُشغل ليعرج عليه . نني : نفتر ، وتأويب ودُلْجة : مشى النهار والسحر ، والدُلْجة ، بضم الدال : الاسم من الإدلاج ، وهو سير جميع الليل ، والتأويب : سير النهار أجمع ، والدُلْجة ؛ بفتح الدال من الإدلاج بوزن الافتعال ؛ وهو أن يسير من آخر الليل . يعقوب : خرجنا بدُلْجة ودُلْجة : إذا خرجوا في آخر الليل . وافينا :

وصلنا . آبا : رجعوا . أزمعنا : عزمنا . تقضى : نتم ، أراد عزمنا على أن نزل  
ونتم بقية يومنا عندهم ، وظل الشيء إنما يبقى ببقائه . والحلة . النزول ، والقوم :  
اسم للجمع ، والحلة هيئة الحلول ، والحلة مجلس القوم ومجتمعهم ، لأنهم يحلونه ،  
والجمع حلال ، والحلة جماعة بيوت الناس .

\*\*\*

وبينا نحن نتخير المناخ ، وترود الورد النقاخ ، إذ رأيناهم  
يركضون ، كأنهم إلى نصب يوفضون ، فرأينا انشغالهم ،  
وسألنا ما بالهم ؟ فقيل : قد حضر ناديم فقيه العرب : فإهرأعهم  
لهذا السبب ؛ فقلت لرفقتي : ألا تشهد مجمع الحى ، لتبين  
الرشد من الغى ؟ فقالوا : لقد أسمعنا إذ دعوت ، ونصحت  
وما ألوت .

\*\*\*

المناخ : موضع النزول . ترود : نطلب . الورد النقاخ : الماء البارد العذب ،  
وأشد أبو على :

تركت الثبيذ لأهل النبذ وأصبحت أشرب عذبا نقاخا

سمى نقاخا ، لأنه ينقح الفؤاد ببرده ، أى يكسره . يركضون : يحركون  
مسرعين . نصب : صنم ، كانوا فى الجاهلية ينصبونه ، ويذبحون عليه لأوثانهم ،  
وجمعه أنصاب ، والنصب : للشر ، قال الله تعالى : ﴿ بَنَصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ . يوفضون :  
يسرعون . إهرأعهم : إسرأعهم ، وأهرع : أسرع فزعاً مرتعداً . ويهرأعون :  
يستعثنون . ألوت : قصرت .

نَمْ نَهَضْنَا نَتَّبِعُ الْهَادِيَ ، وَنَوْمُ النَّادِي ، حَتَّى إِذَا أَظْلَلْنَا عَلَيْهِ ،  
 وَاسْتَشْرَفْنَا الْفَقِيهَ الْمَنُودَ إِلَيْهِ ، أَلْفَيْتُهُ أَبَا زَيْدٍ ذَا الشُّقْرِ وَالْبُقْرِ ،  
 وَالْفَوَاقِرَ وَالْفَقَرَ ، وَقَدْ اعْتَمَّ الْقَفْدَاءُ ، وَاشْتَمَلَ الصَّمَاءُ ، وَقَمَدَ  
 الْقُرْفُصَاءَ ، وَأَعْيَانُ الْحَيِّ بِهِ مُحْتَفُونَ ، وَأَخْلَاطُهُمْ عَلَيْهِ مُلْتَفُونَ ،  
 وَهُوَ يَقُولُ : سَلُونِي عَنِ الْمَعْضِلَاتِ ، وَاسْتَوْضَحُوا مِنِّي  
 الْمُسْكِلَاتِ ، فَوَالَّذِي فَطَرَ السَّمَاءَ ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ ، إِنِّي لَفَقِيهٌ  
 الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ ، وَأَعْلَمُ مَنْ تَحْتَ الْجُرْبَاءِ . فَصَمَدَ لَهُ فُتًى  
 فَتِيقُ اللِّسَانِ ، جَرِيءُ الْجَنَانِ ، وَقَالَ : إِنِّي حَاضِرُ فَقَهَاءِ  
 الدُّنْيَا ، حَتَّى انْتَخَلْتُ مِنْهُمْ مِائَةَ فُتْيَا ، فَإِنْ كُنْتَ يَمِّنَ يَرْغَبُ  
 عَنْ بَنَاتٍ غَيْرِ ، وَيَرْغَبُ مِنَّا فِي مَيْرٍ ، فَاسْتَمِعْ وَأَجِبْ ، لِتُقَابَلَ  
 عَا يَجِبُ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، سَيِّئُ الْمَخْبَرِ ، وَيَنْكَشِفُ  
 الْمُضْمَرُ ، فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ .

. . .

الهادي : الدليل . نوّم : قصد . النادي : مجتمع القوم . أظللنا : قربنا منه  
 ودنونا وأشرفنا عليه . استشرفنا : نظرنا وتأملنا ، والاستشراف : أن تضع يدك  
 على حاجبك من الشمس إذا أردت النظر إلى شيء يبعد منك . المنهود : المقصود ،  
 ونهدت إليه ونهضت بمعنى ، ونهد ينهد نهداً ، أي شخص ونهض . وقيل :  
 أكثر ما يستعمل هذا في الحرب ، يقال : نهد إلى العدو ، إذا نهض ليقاّله .  
 ألفتته : وجدته . ذا الشُّقْرِ وَالْبُقْرِ : صاحب الدواهي ، يقال : جاءنا بالشُّقْرِ  
 وَالْبُقْرِ ، إذا جاء بالكذب المستفطع ، وجاء بالشُّقَارَى وَالْبُقَارَى ، أي بالكذب .  
 والفواقِر : قواصم الظَّهَر ، يراد بها الدواهي ، والفاقرة : الكاسرة للفقر ، وهو

عظم الصُّلب . والفقر في النثر ، مثلُ القوافي في الشعر . القَفْداء ، بالقاف قبل الفاء : أن يلفَّ عمامته على رأسه ولا يرسل منها شيئاً . ابن سيده : القَفْداء : والقَفْد ، إذا لوى عمامته على رأسه ، ولم يُسَدِّها ، قال الأزهرى رحمه الله تعالى : العمة القَفْداء معروفة ، وهي الميلاء ، والسنة أن يتمم ويُسدِّل خلف ظهره .

ابن عمر رضى الله عنهما . كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تمم سدك عمامته بين كتفيه . والصَّمَاء : أن تُجَلَّلَ نفسك بالثوب غير الحيط ، ولا ترفع شيئاً من جوانبه ، فتكون فيه فُرْجة تخرج منها اليد ، وإنما نهى عن ذلك مخافة أن تصيبه شدة في تلك الحالة ، وهو لا يقدر على إخراج يده ، فيدفعها فيهلك .

وقال الفجنديهى : رأيتُ بخط الحريرى : اشتمل الصَّمَاء ، أى التحف بثوب جَلَّ جسده ، وقيل لها صَّمَاء لأنها لا منفذ فيها كالصخرة الصماء ، التى لا صدع فيها ولا خرق ، وهى عند الفقهاء أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه ، فتبدو عورته ، فهى عن ذلك .

وقال الأزهرى : هذا أصح الكلام ، والفقهاء أعلم بتأويل هذا . والقُرْفُصاء : أن يقعد على إيتنيه ، وينصب ساقيه ، ويأصق فخذه بيظنه ويحتبى يديه فيضعهما على ساقيه ، قاله أبو عبيد . وقيل : هى جلسة المحتبى ، ثم يرفع فخذه وركبتيه إلى صدره ، ويدير يديه على ساقيه ، ويشدّهما ، فإذا فطت ذلك بالرجل وشددت يديك عليه ، فقد قرَفَصْتَهُ .

الفجنديهى : رأيتُ بخط الحريرى : معناه أن يحتبى يديه ، قال أبو أمامة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس القُرْفُصاء فيضع يده اليمنى على الشمال عند المفصل . وتقرِفُص الرجل ، إذا جمع يديه وانضم من جَرَب أو قروح به .

أعيان : أشراف . محققون : محققون ، والمنزل محفوف بالناس إذا اجتمعوا بحفاويه ، أى بجانبيه . والأخلاط : الدُّون من الناس . والمعضلات : الغامضات

من الكلام الصَّعْب. واستوضحوا ، أى طلبوا منى إيضاها ، أى بيانها . فَطَرُ : خلق ، وفطر الله الخلق ابتداء خلقهم ، قال ابن عباس : ما كنت أدري ما فطرُ السموات والأرض حتى احتكم إلى أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرُها ، أى ابتدأتها ، وقال الله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ <sup>(١)</sup> أى خلقني . وبتفطرن : يدشّقن ، وانفطرت : تشقّت . وعلم آدم الأسماء كلها ، أى علمه أسماء كل شيء من الحلوقات . وقيه العرب ، أى عالمهم ، وقال تعالى : ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ <sup>(٢)</sup> أى ليكونوا علماء به ، وكل عالم بشيء فهو ققيه فيه ، ويقال : ققّهت عنك ، أى فهمت ، وققّهت فقهاً ، أى صرت ققيها ، وهو الحاذق بما يعلمه ، وققّهت الرجل : غلبته في الفقه . العرباء : الخالصة ، وهذا الادّعاء الذي يدعى الآن يسمى انتحال العلم .

وقال بعض الحكماء : لا ينبغي لأحد أن ينتحل العلم .

وقال مقاتل بن سليمان يوما ، وقد دخلته أبهة العلم : سلوني عما تحت العرش إلى أسفل الثرى ، فقال له رجل : ما نسألك عن شيء من ذلك ، إنما نسألك عما معك في الأرض ، أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه ؟ فأخذه .

ولما شهّرت تآليف ابن قتيبة ، ولحظ بعين العالم المتفتّن ، صعد المنبر ، وقد غصّ الحفل واعتلى ، تبرزاً على علماء وقته ، مع فضل جاه اشتمل به من السلطان ، فقال : ليسأني مَنْ شاء عما شاء ، فقام إليه أحد الأغفال ، فقال له : ما النعيل والقطيمير ؟ فلم يُجِر جواباً ، وأخفّه ونزل خجلاً ، وانصرف إلى منزله كسلاً . فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكّر الناس بهما ، وهذا من عقاب العُجْب .

ورأيت في بعض الأخبار أن ابن قتيبة سئل عن حرف لفة فلم يعلمه وقت

(٢) سورة التوبة ٢٢ -

(١) سورة هود ٥١ .

السؤال - وكان أبيض مشرباً بحمرة - فلما وجد الحرف غلبت الحمرة على وجهه ، حتى طفىء أسفاً على فوت الحرف وقت الحاجة ، ولعله كان ما قدمنا في الحكاية .

وقال قتادة : ما سمعت قط شيئاً إلا حفظته ، ولا حفظت قط شيئاً فنسيته .  
ثم قال : يا غلام هات نعلی ، فقال : هما في رجلك ، ففضحه الله .

وقال قتادة : حفظت ما لم يحفظ أحد قط ، ونسيت ما لم ينس أحد قط ، حفظت القرآن في سبعة أشهر ، وقبضت على الحيتي ، وأنا أريد أن أقطع ما تحت يدي ، فقطعت ما فوقها .

وكان بشر يش رجل من أهل الدين والورع ، وحجّ في أيام أبي حامد وصحبه ، فقامت صلاة الصبح يوماً لأحد أصحابه ، فلما على ذلك ، فاعتذر له صاحبه فلم يعذره . ثم قال له على معنى الترغيب : كمّلت لي اليوم عشرون سنة ، ما فاتني صلاة الصبح في جماعة ، فلما كان في اليوم الثاني أدرك الحاج من صلاة الصبح ركعة واحدة ، فلما لقيّه صاحبه بعد الصلاة قال له : هذا كما رأيت . وإنما ذكرت عمالك على معنى التبصرة والإرشاد ، فلو ذكرتّه على غير ذلك لفاتتك ، وإذا كان موسى كلم الله قد عاتبه الله على الانتحال ، حين سئل : أيّ الناس اليوم أعلم ؟ قال : أنا ، وابتلى بالسفر حتى لقي الخضر ، وجلس إليه راغباً في أن يعلمه ، والخضر لا ينسب له في التعليم ، ونقرّ عصفور في البحر ، فقال له الخضر : ما علمي وعلمك في علم الله تعالى ، إلا مثل ما نقص هذا المصنور من هذا البحر .

وروى عن عبد الملك بن حبيب من طريق وهب بن منبه : أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : أتدري لم كمّمتك ؟ قال : لا ياربّ ، قال : إنني أطّمت على قلوب العباد فلم أرَ فيها قلباً أشدّ تواضعاً من قلبك ، قال المنجم :

لكل شيء في الوري آفة وآفة المرء من الكبير

وقال آخر :

الكِبَرُ بِأَسْنٍ والتواضع رفعةٌ والمزح والضحك الكثير سقوط  
والحرصُ فقر والقناعة رفعةٌ واليأس من روح الإله قنوطٌ

فينبغى لكل عاقل أن يقول : ما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾<sup>(١)</sup> ، ولا يَرَى لنفسه حظًا ، ويشكر الله تعالى على ما أعطاه فهو بالأدب أليق ، وبالشرع أوفق .

ومن سخييف الشعر في الانتحال :

وما عنَّلى من غامض العلم غامضٌ مَدَى الدَّهرِ إِلَّا بَتَّ منه على عِلْمٍ  
وقال عدى بن الرِّقاع :

وعلمت حتى ما أشاورُ عالِمًا عن علمٍ واحدةٍ لِسكى أزدادها<sup>(٢)</sup>  
وسمعه كُثيرٌ ينشده الوليد بن عبد الملك ، فقال له : كذبت ورب البيت  
الحرام ، فليمتحنك أمير المؤمنين في صغار الأمور دون كبارها ، حتى يتبين  
جهلُك ، وما كنتَ قطَّ أحقَّ منك اليوم حين تظنّ هذا في نفسك<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو موسى المنجم : ما أحدٌ تمنّيت أن أراه ، فَلَمَّا رأيته أمرت بصَفْعِهِ  
إلا عديًّا ، فقيل له : ولم ذلك ؟ قال : لقوله هذا البيت ، كنت أعرض عليه  
أصناف العلوم ، فكلّما مرّ عليه بشيء لا يحسنه أمرت بصفّعه .

قوله : وأعلم من تحت الجرباء : سُمِّيت السماء جرباء ، لأن النجوم فيها  
كالجرب في البدن .

وقال ابن الرومي في غلام يهواه وخرج عليه جُدَرِيٌّ ، وأشار إلى  
جرب السماء :

وقالوا شانه الجُدَرِيّ فانظرْ إلى وجهه به أثر الكلومِ  
قلت : ملاحه نُثِرَتْ عليه وما حُسِنُ السَّماءِ بلا نجومٍ !

(٢) الأغاني ٨ : ٣٣

(١) سورة ط ١١٤

وقال أبو بكر بن السراج في الفتح بن مسروق البلخي ، وقيل : قالهما  
بني ابن يامر للمفتي ، وكان من أحسن الناس وجهاً :

لِي قَرَّ جُدْرُ لَمَّا اسْتَوَى فزاده حسنا وزات الموم<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّمَا غَنَى لشمس الضحى فنهطته طربا بالنجوم

وقال آخر :

كَأَن أَمَّارَ تَجْدِيرٍ بوجنته عشر معورة في صحف وراقي

\* \* \*

وقال ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون :

قَالَ لِي اعْتَلَّ مَنْ هَوِيَ حَسُودُ قلت أنت العليلُ ويحك ، لا هو<sup>(٢)</sup>  
مَا الَّذِي تَنْقِمُونَ مِنْ بَثَرَاتٍ ضاعفت حسنه وزانت حلاه  
وَجْهَهُ - فِي الصَّفَاءِ وَالرَّقَّةِ - لَمَّا ، ، فَلَا غَرَوُ أَنْ حَبَابَهُ عِلَاهُ

قوله : صمد ، أى قصد . فتيق : طليق . جرى الجنان : ماضى القلب  
قوية . امتخت : اخترت . الفتيا : لفة في الفتوى ، وهما اسمان يؤضمان موضع  
الإفتاء ، تقول : إفتاء وفئتيا وفئتوى .

بنات غير ، كناية عن الكذب . الفنجديهي . رأيت بخط الحريري :  
بنات الغير : الكذب .

القرء : يقال للرجل ، أبو بنات غير ، وهو الباطل بعين مهملة وباء منقوطة ،  
واحدة .

مير : رزق وحلة ، وأصله جلب الطعام للأكل . الله أكبر : حكى  
أهل اللغة أن معناه كبير ، وقال الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا يَتَا دَعَائِهِ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ<sup>(٣)</sup>

(١) إنباء الرواة ٣ : ١٤٨

(٢) ديوانه ١٢٤ .

(٣) ديوانه ٧١٤ .

أى عَزَبَة طَوِيلَة .

قال معن بن أوس :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرَى وَإِنِّى لَأَوْجَلُ عَلَى أَيِّنَا تَعَدُّو الثَّنِيَّةَ أَوَّلُ<sup>(١)</sup>  
أى لوجل ، وقال الفحويون : الكسائى والفراء وهشام معناه : أ كبرُ  
من كل شيء ، لحذفت مِن . لَأَنَّ أَفْعَلَ خَيْرٌ ، كقولك : أبوك أفضل وأعقل ،  
أى من غيره ، ولو كان اسما لم يحذف منه شيء ، ألا ترى أن مَنْ قَالَ : أَخَوْتُ  
أَفْضَلَ لَمْ يَقُلْ إِن أَفْضَلَ أَخَوْتُ ، لحذفت « مَنْ » فى الخبر ، لأنَّ الخبر يدلّ  
على أشياء غير موجودة فى اللفظ ، نحو أَخَوْتُ قَامَ ، فيدلّ على المصدر والزمان  
والمكان والاسم لا يحذف منه شيء يدلّ عليه . والخبر ، مصدر خبرت خَبَرَةً  
ومُخْبَرًا ، إذا جَرَّبْتَهُ ، فأراد : سيتبين لك بالتجربة مادّعيته من العلوم ، وينكشف  
لك ما أضمرته منها . اضْءَع : تَكَلَّمَ وأظهر ، وصدعتُ بالحق تكلمت به جهارا ،  
وقوله تعالى : ﴿ فَاصْءَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾<sup>(٢)</sup> أى أظهر دينك .

وإنما اعتمد الشيخ أبو محمد الحربرى فى شرح الألفاظ التى ألفز بها على  
الوجه المعنى ؛ ولنشرح ما سوى ذلك مما اشتملت عليه إن شاء الله تعالى :

\*\*\*

[ فقيه العرب وفتواه ]

قال : مَا تَقُولُ فِيمَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ لَمَسَ ظَهَرَ نَعْلِهِ ؟ قال :  
انْتَقَضَ وَضُوؤُهُ بِفِعْلِهِ (النعل : الزوجة) .

قال : فَإِنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ أَتَى كَأَهُ الْبَرْدُ ؟ قال : يَحْدُذُ الْوَضُوءَ  
مِنْ بَعْدُ (البرد : النوم) .

قال : أَيَمْسَحُ الْمُتَوَضِّئُ أَنْفَئِيَهُ ؟ قال : قَدْ نُدِبَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ  
يُوجِبْ عَلَيْهِ . (الأنثيان : الأذنان) .

(١) ديوانه ٥٧ . (٢) سورة الحجر ٩٤

قال : أَيْجُوزُ الْوُضُوءِ مِمَّا يَقْذِفُهُ الثُّعْبَانُ ؟ قال : وَهَلْ أَنْظِفَ مِنْهُ لِلْعَرَبَانِ ! ( الثُّعْبَانُ : جَمْعُ ثَعْبٍ ، وَهُوَ مَسِيلُ الْوَادِي )

قال : أَيْسْتَبَاحُ مَاءِ الضَّرِيرِ ؟ قال : نَعَمْ ، وَيُجْتَنَبُ مَاءُ الضَّرِيرِ . ( الضَّرِيرُ : حَرَفُ الْوَادِي . وَالْبَصِيرُ : الْكَلْبُ ) .

قال : أَيْحِلُّ التَّطَوُّفُ فِي الرَّبِيعِ ؟ قال : يُكْرَهُ ذَلِكَ لِلْحَدَثِ الشَّنِيعِ . ( التَّطَوُّفُ : التَّفَوُّطُ . وَالرَّبِيعُ : النَّهْرُ الصَّغِيرُ ) .

\* \* \*

قوله : لَمْ يَسَّ ، جَرَّ أَصَابَهُ عَلَيْهَا . أَتَسَّاهُ : جَمَلُهُ مُتَسَكِّئًا . يَقْذِفُهُ : يَطْرَحُهُ مِنْ بَطْنِهِ . وَالضَّرِيرُ : الْأَعْمَى . وَالْبَصِيرُ : الْبَصَرُ .

وَالطَّوْفُ : مَصْدَرُ طَافَ حَوْلَ الشَّيْءِ إِذَا دَارَ بِهِ . وَالْحَدَثُ : الْفَائِظُ ، وَجَمَلُهُ شَنِيعًا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَعَلَ فِي الْمَاءِ ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ فَكَانَتْ بِهِ شَنْعَةٌ ، وَاسْتَقْدَرَ الْمَاءُ فَلَمْ يَسْتَعْمَلْ ، وَإِنْ كَانَ مَبَاحًا اسْتَعْمَالَهُ .

\* \* \*

قال : أَيْجِبُ النُّسْلُ عَلَى مَنْ أُمْنَى ؟ قال : لَا وَلَوْ ثَنَى . ( أُمْنَى : نَزَلَ مَنَى ، وَيُقَالُ مِنْهُ : مَنَى وَأُمْنَى وَامْتَنَى ) .

قال : فَهَلْ يَجِبُ عَلَى الْجَنْبِ غَسْلُ فَرْوَتِهِ ؟ قال : أَجَلْ وَغَسْلُ إِبْرَتِهِ . ( الْفَرْوَةُ : جِلْدَةُ الرَّأْسِ ، وَالْإِبْرَةُ : عَظْمُ الْمِرْفَقِ ) .

قال : أَيْجِبُ عَلَيْهِ غَسْلُ صَحِيفَتِهِ ؟ قال : نَعَمْ كَغَسْلِ شَفَتَيْهِ ( الصَّحِيفَةُ : أَسِيرَةُ الْوُجْهِ ) .

قال : فَإِنْ أَخْلَى بِنَفْسِهِ قَاسِمَهُ ؟ قال : هُوَ كَمَا لَوْ أَلْنَى غَسْلَ رَأْسِهِ ( النَّاسُ : الْعَظْمُ الْمَشْرِفُ عَلَى نَقْرَةِ الْقَفَا ) .

قال : أَيْجُوزُ الْفُسْلُ فِي الْجِرَابِ ؟ قال : هو كَأَمْسَلٍ فِي الْجِبَابِ .  
( الجِرَاب : جَوْفُ الْبُئْرِ )

قال : فَمَا نَقُولُ فِيمَنْ تَيْمَّمُ ثُمَّ رَأَى رَوْضًا ؟ قَالَ : بَطَلَ تَيْمُمُهُ فَلْيَتَوَضَّأْ . ( الرَّوْضُ هَاهُنَا : جَمْعُ رَوْضَةٍ ، وَهِيَ الصُّبَابَةُ تَبْقَى فِي الْحَوْضِ ) .

• • •

أَخْلَ : نَقَصَ . نُقِرَ : حُفِرَ . الرَّوْضُ : مَوَاضِعُ الْغَيْثِ . وَالصُّبَابَةُ : الْبَقِيَّةُ .

\* \* \*

قال : أَيْجُوزُ أَنْ يَسْجُدَ الرَّجُلُ فِي الْعَذِرَةِ ؟ قال : نَعَمْ وَلِيْجَابِ الْقَذِرَةِ  
( الْعَذِرَةُ : فَنَاءُ الدَّارِ ) .

قال : فَهَلْ لَهُ الشُّجُودُ عَلَى الْخِلَافِ ؟ قال : لَا ، وَلَا عَلَى أَحَدِ الْأَطْرَافِ . ( الْخِلَافُ : هَكَذَا ) .

قَالَ : فَإِنْ سَجَدَ عَلَى شِمَالِهِ ؟ قال : لَا بِأَسْفَلِهِ . ( الشِّمَالُ : جَمْعُ شِمْلَةٍ ) .

قال : فَهَلْ يَجُوزُ الشُّجُودُ عَلَى الْكُرَاعِ ؟ قال : نَعَمْ ، دُونَ الذَّرَاعِ  
( الْكُرَاعُ : مَا اسْتَقْطَلَ مِنَ الْحَرَّةِ ، وَهِيَ أَرْضٌ ذَاتُ حِجَارَةٍ سُودِ ) .

قال : أَيْصَلِّي عَلَى رَأْسِ الْكَلْبِ ؟ قال : نَعَمْ ، كَسَاءِ الْهَضْبِ  
( رَأْسُ الْكَلْبِ : ثَنِيَّةٌ مُعْرُوفَةٌ ) .

قال : أَيْجُوزُ لِلدَّارِسِ حَمْلُ الْمُصَاحِفِ ؟ قال : لَا ، وَلَا حَمْلُهَا فِي الْمَلَا حِفْ .  
( الدَّارِسُ : الْحَائِضُ ) .

قال : ما تقول فيمن صَلَّى وعَاتَهُ بَارِزَةٌ ؟ قال : صَلَاتُهُ جَائِزَةٌ .  
( التَّائِبَةُ : الْجَمَاعَةُ مِنْ مُحَرِّمِ الْوَحْشِ ) .

وَالْكُرَاعُ : الرَّجُلُ ، وَكُرَاعُ كُلِّ شَيْءٍ طَرَفُهُ . وَالْحَزَّةُ : أَرْضٌ فِيهَا  
حِجَارَةٌ سُودٌ . وَالْهَضْبُ : جَمْعُ هَضْبَةٍ وَهِيَ الصَّخْرَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَالْكُدْيَةُ الصَّغِيرَةُ ،  
وَقِيلَ : الْهَضْبَةُ الْجِبَلُ الْمُنْبَسِطُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَقِيلَ : الْجِبَلُ الطَّوِيلُ الْمُنْتَسِعُ  
وَالْجَمْعُ هَضَابٌ . ثَمَنِيَّةٌ : عَقَبَةٌ .

\* \* \*

قال : فَإِنْ صَلَّى وَعَلَيْهِ صَوْمٌ ؟ قال : يُعِيدُ وَلَوْ صَلَّى مِائَةَ يَوْمٍ .  
( الصَّوْمُ : ذَرَقُ النَّعَامِ )

قال : فَإِنْ حَمَلَ جَرَوْا وَصَلَّى ؟ قال : هُوَ كَمَا لَوْ حَمَلَ بِأَقْلَى .  
( الْجُرُوءُ : الصَّفَارُ مِنَ الْقِتَاءِ وَالرَّيْثَانِ ) .

قَالَ : أَتَصِحُّ صَلَاةُ حَامِلِ الْقَرْوَةِ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَوْ صَلَّى فَوْقَ الْمَرْوَةِ  
( الْقَرْوَةُ : مِثْلَةُ الْكَلْبِ ) .

قَالَ : فَإِنْ قَطَرَ عَلَى ثَوْبِ الْمُصَلِّي نَجَسٌ ؟ قال : يَمْضِي فِي صَلَاتِهِ  
وَلَا غَرْوٌ . ( النَّجَسُ : السَّحَابُ الَّذِي قَدْ هَرَّاقَ مَاءَهُ ) .

قال : أَيَجُوزُ أَنْ يَتَوَمَّعَ الرَّجُلُ الْمُقَنَّعُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَيَتَوَمَّعُهُمْ مُدْرَعٌ .  
( الْمُقَنَّعُ : لَابِسُ اللَّفْغَرِ ، وَالْمُدْرَعُ : لَابِسُ الدَّرْعِ ) .

قال : فَإِنْ أَتَاهُمْ مَنْ فِي يَدِهِ وَقْفٌ ؟ قال : يُعِيدُونَ وَلَوْ أَتَاهُمْ أَلْفٌ

( الوَقْف : السَّوَارُ من العَاج أو الذَّيْل ، وأراد أَنَّهُ لَا يَجُوزُ للرجال الاتِّمَامُ بالنِّسَاء ) .

...

الميلفة : ما يَشْرَبُ فِيهِ السَّكَبُ الماء ، وَهِيَ من وَلَغِ السَّكَبِ ، إِذَا تَنَاوَلَ الماء بلسانه والقَرَوَةُ : نَقِيرٌ من خَشَبٍ تَشْرَبُ مِنْهُ السَّكَلَابُ . والقِتَاءُ : هُوَ الْفَقُّوسُ . والنَّجْوُ : هُوَ الْحَدَثُ لَا غَرَوُ : لَا عَجَبٌ . والمَقْنَعُ : لَابِسُ الْقِنَاعِ ، يَرِيدُ الْمَرْأَةَ . والوَقْفُ : مَا وَقَفَ وَحَبَسَ مِنَ الْأَمْوَالِ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَالْمَسَاجِدِ . وَالذَّيْلُ : جِلْدُ السُّلَحْفَاءِ الْبَرِّيَّةِ ، وَيُقَالُ : لِمَنْهَا تَعْظُمُ ، فَرَبَّمَا يَضَعُ التَّاجِرُ لَيْلًا عَلَيْهَا حَمْلَهُ يَظُنُّهَا صَخْرَةً فَتَرْتَحِلُ بِهِ ، وَيَسْتَعْمَلُ مِنَ الطَّبَقِ الَّذِي عَلَيْهَا خِلَافًا لِلْحَشَمِ وَالْعَبِيدِ . وَالْعَاجُ عَظْمُ الْفِيلِ .

\* \* \*

قال : فَإِنْ أُمُّهُمْ مَنْ فَخِذُهُ بَادِيَةٌ ؟ قال : صَلَاتُهُ وَصَلَاتُهُمْ مَاضِيَةٌ . ( الْفَخِذُ : الْعَشِيرَةُ ، وَبَادِيَةٌ ، أَيْ يَسْكُنُونَ الْبَدُو ، وَاخْتَارَ بِمَعْرِضِ أَهْلِ اللُّغَةِ تَسْكِينِ الْخَاءِ مِنْ هَذِهِ الْفَخِذِ ، لِيَحْضُلَ الْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَضْوِ ) .  
قال : فَإِنْ أُمُّهُمْ الثَّوْرُ الْأَجَمُّ ؟ قال : صَلَّ وَخَلَكَ ذَمٌّ . ( الثَّوْرُ : السَّيِّدُ . وَالْأَجَمُّ : الَّذِي لَا رُمُوحَ مَعَهُ ) .

قال : أَيْدَخُلُ الْقَصْرُ فِي صَلَاةِ الشَّاهِدِ ؟ قال : لَا ، وَالْغَائِبِ الشَّاهِدِ . ( صَلَاةُ الشَّاهِدِ : صَلَاةُ الْمَغْرِبِ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِإِقَامَتِهَا عِنْدَ طُلُوعِ النَّجْمِ ، لِأَنَّ النَّحْمَ يُسَمَّى الشَّاهِدَ )

قال : أَيْجُوزُ لِلْمَعْذُورِ أَنْ يُفْطِرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؟ قال : مَا رُخِّصَ فِيهِ إِلَّا لِلصَّبَّيَّانِ . ( الْمَعْذُورُ : الْمُخْتُونُ ، وَهُوَ أَيْضًا الْمَعْذَرُ ) .  
قال : فَهَلْ لِلْمَعْرُوسِ أَنْ يَأْكُلَ فِيهِ ؟ قال : نَعَمْ بِمِلٍّ فِيهِ .

( ٤ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )

( المرء : المسافر الذى ينزل فى آخر ليله لِيَسْتَرِيحَ نَمَّ يَرْتَحِلُ ).  
 قال : فَإِنْ أَفْطَرَ فِيهِ الْمَرْأَةُ ؟ قال : لَا تُنْكَرُ عَلَيْهِمُ الْوَلَاةُ .  
 (المرأة : الذين تأخذهم المروءاء ، وهى الحتمى برعدة) .

\* \* \*

قال : فَإِنْ أَكَلَ الصَّائِمُ بَعْدَ مَا أَصْبَحَ ؟ قَالَ : هُوَ أَحْوَطُ لَهُ وَأَصْلَحَ .  
 ( أصبح ، أى استصبح بالمصباح ) .  
 قال : فَإِنْ نَحَّمَ لِأَنْ أَكَلَ لَيْلًا ؟ قال : يُشَمَّرُ لِلْقَضَاءِ ذِيلاً .  
 ( ذكر ابن دُرَيْدٍ أَنَّ اللَّيْلَ فَرَنَخَ الْحَبَّارَى ، وَقَالَ غَيْرُهُ : هُوَ وَلَدُ الْكَرَّوَانِ ) .  
 قال : فَإِنْ أَكَلَ قَبْلَ أَنْ تَتَوَارَى الْبَيْضَاءُ ؟ قَالَ : يَلْزُمُهُ وَاللَّهِ الْقَضَاءُ .  
 ( الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْمَاءِ الشَّمْسِ ) .  
 قال : فَإِنْ اسْتَنَارَ الصَّائِمُ الْكَئِيدُ ؟ قال : أَفْطَرَ وَمَنْ أَحَلَّ الصَّيْدَ .  
 ( الْكَئِيدُ : الْقَتْلُ . وَاسْتَنَارَهُ ، يُبَى اسْتَدْعَاهُ ) .  
 قال : أَلَا إِنَّهُ يُفْطِرُ بِالْخَلَّاحِ الطَّابِخِ ؟ قال : نَعَمْ لَا بِطَاهِيِ الْمَطْبَإِخِ .  
 ( الطَّابِخُ : الْحَتْمَى الصَّالِبُ ) .  
 قال : فَإِنْ ضَحِكَتِ الْمَرْأَةُ فِي صَوْمِهَا ؟ قَالَ : بَطَلَ صَوْمُ يَوْمِهَا .  
 ( ضَحِكَتْ هَا هُنَا ، أَيْ حَاضَتْ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَضَحِكْتُمْ فَبَشِّرْنَاهَا بِاسْتِحْقَاقِ ﴾ ) .  
 قال : فَإِنْ ظَهَرَ الْجُدَرِيُّ عَلَى ضَرْبِهَا ؟ قال : تُفْطِرُ إِنْ آذَنَ بِمَضَرَّتِهَا .  
 ( الْفَضْرَةُ : أَصْلُ الْإِبْهَامِ ، وَأَصْلُ النَّدَى أَيْضًا ) .

الطَّاهِي : طابخ اللحم . والصَّالِب : الحَتَّى لا ترعد ، وإلحاقها : ملازمتها .  
الجُدْرِي : قروح صفار تخرج على الصبيان . وضَرَّتْها : شربكتها في زوجها .

\* \* \*

قال : ما يجبُ في مائةِ مُصْبَاحٍ ؟ قال : حِقَّتَانِ يا صاح .  
( المِصْبَاح : النافذة التي تُصْبَع في المَبْرَك ) .  
قال : فَإِنْ مَلَكَ عَشْرَ خَنَاجِرٍ ؟ قال : يُخْرِجُ شَاتَيْنِ وَلَا يُشَاجِرُ .  
( الخَنَاجِر : الثوب الغزار الدَر ، واحدتها خِنْجَرٌ وخُنْجُورٌ ) .  
قال : فَإِنْ بَمَحَ السَّاعِي بِحَمِيمَتِهِ ؟ قال : يَا بُشْرَى لَهُ يَوْمَ قِيَامَتِهِ .  
( السَّاعِي : جَانِبِ الصَّدَقَةِ ، وَاحْمِيْمَةٍ : خِيَارُ الْمَالِ ) .  
قال : أَيْسْتَحِقُّ حَمَلَةُ الْأَوْزَارِ مِنَ الزَّكَاةِ جُزْأً ؟ قَالَ : نَعَمْ  
إِذَا كَانُوا غُزًى . ( الْأَوْزَار : السَّلَاح . وَغُزًى : جَمْعُ غَازٍ ) .  
قال : أَيْجُوزُ لِلْحَاجِّ أَنْ يَمْتَمِرَ ؟ قال : لَا ، وَلَا أَنْ يَخْتَمِرَ .  
( الْإِعْمَارُ : لِبْسُ الْعِمَارَةِ ، وَهِيَ الْعِمَامَةُ ، وَالْإِخْتِمَارُ : لِبْسُ الْخِمَارِ ) .  
قال : فَهَلْ لَهُ أَنْ يَقْتُلَ الشُّجَاعُ ؟ قال : نَعَمْ ، كَمَا يَقْتُلُ السَّبَاعُ .  
( الشُّجَاع : الْحَيَّة ) .

الحِقَّة : التي استَحَقَّتْ أَنْ يَرْكَبَ عَلَيْهَا . والخَنَاجِر : نوع من السَّكَّابِين  
السَّكَّابَر . ويشَاجِر : يَخَالِف . والجَانِي : الجامع للصدقة ، ومنه الجبَاية .  
والأَوْزَار : أَثْقَالُ الذُّنُوب . والغُزَى : هُؤُلَاءِ الرِّمَاءِ بِالنَّشَاب . وَيَمْتَمِرُ :  
يُحِجُّ بِعِمْرَةٍ . وَيَخْتَمِرُ : يَسْتَعْمِلُ الْخَبْزَ الْخَفِيفَ .

\* \* \*

قال : فَإِنْ قَتَلَ زَمْرًا فِي الْحَرَمِ ؟ قَالَ : عَلَيْهِ بَدَنَةٌ مِنَ النَّعَمِ .

(الزَّمْرَةُ : النِّعَامَةُ واسمُ صَوْتِهَا الزَّمَارُ) .

قال : فَإِنْ رَمَى سَاقَ حُرٍّ فَجَدَلَهُ ؟ قال : يُخْرِجُ شَاةً بَدَلَهُ .

(سَاقُ حُرٍّ : ذَكَرُ الْقَمَارِيِّ)

قال : فَإِنْ قَتَلَ أُمَّ عَوْفٍ بَعْدَ الْإِحْرَامِ ؟ قَالَ : يَتَصَدَّقُ بِقُبْضَةٍ

مِنْ طَعَامٍ . (أُمُّ عَوْفٍ : الْجُرَادَةُ) .

قال : أَيَجِبُ عَلَى الْحَاجِّ اسْتِصْحَابُ الْقَارِبِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،

لِيَسَوْقَهُمْ إِلَى الْمَشَارِبِ . (الْقَارِبُ : طَالِبُ الْمَاءِ بِاللَّيْلِ) .

قَالَ : مَا تَقُولُ فِي الْحُرَامِ بِنَدِ السَّبْتِ ؟ قَالَ : قَدْ حَلَّ

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . (الْحُرَامُ : الْحَرَمُ ، وَالسَّبْتُ : حَلَقُ الرَّأْسِ . وَحَلَّ ،

مِنْ تَحْلِيلِ الْحَجِّ) .

قال : مَا تَقُولُ فِي يَنْعِ الْكُمَيْتِ ؟ قال : حَرَامٌ كَبَيْعِ الْمَيْتِ .

(الْكُمَيْتُ : الْخُمْرُ) .

وَالزَّمْرَةُ : الْمَرْأَةُ تَضْرِبُ بِالزَّمَارِ . وَالتَّدَنَةُ الْفَاكَةُ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِضَخَامَتِهَا

وَبَدَنُ الرَّجُلِ ضَخْمٌ . جَدَلَهُ : قَتَلَهُ وَطَرَحَهُ عَلَى الْجِدَالَةِ ، وَهِيَ الْأَرْضُ .

وَمِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي الْجُرَادَةِ :

وَمَا صَفَرَاءُ تُكْنَى أُمَّ عَوْفٍ كَأَنَّ سُوْبَقَتَيْهَا مِنْجِلَانِ

وَالْقَارِبُ : السَّفِينَةُ الصَّغِيرَةُ . وَالْكُمَيْتُ : الْفَرَسُ الْأَسْوَدُ الْعُرْفُ وَالذَّنْبُ .

وَالْكُمَيْتَةُ : مُخْرَةُ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ .

\* \* \*

قال : أيجوز بيعُ الخُلّ بلحْمِ الجمل ؟ قال : ولا بلحْمِ الحَمَلِ .  
( الخُلّ : ابنُ الخاض ، ولا يحلّ بيعُ اللحمِ بالحيوان ، سواء كان من جنسه أو من غير جنسه ) .

قال : أيجوز بيعُ الهدية ؟ قال : لا ولا ينعى السديّة . ( الهدية ، بالتشديد : ما يُهدى إلى السكبة ، ويقال فيها هدية ، بتسكين الدال وتخفيف الياء . والسبيّة : الخمر ) .

قال . ما تقول في بيع العقيقة ؟ قال : محظورٌ على الحقيقة . ( العقيقة : ما يُذبحُ على المولود في اليوم السابع من ولادته ) .

قال : أيجوز بيعُ الدّاعي ، على الرّاعى ؟ قال : لا ، ولا على السّاعى .  
( الدّاعي : بنية اللبن في الضرع ، والسّاعى : جاني الصدقة ) .  
قال : أيباع الصّقر بالثّمر ؟ قال : لا ، ومالك الخلق والأمر .  
( الصّقر : الدّبس ) .

قال : أيشترى المسلم سَلَبَ المُسلِمَاتِ ؟ قال : نعم ، ويورثُ عنه إذا مات . ( السَلَب : لحاء الشجر ، وهو أيضا خوصُ الشّام )  
والحمل : الحروف . والعقيقة : خرزة حمراء . محظور : ممنوع . والصّقر : من جوارح الطير . الدّبس : عسل التمر . خوص : ورق . الثّمام : شجر ضعيف يورقه كورق الدّوم مزدوجة .

\* \* \*

قال : فهل يجوزُ أَنْ يُبتاعَ الشّافِعُ ؟ قال : ما لجوازه من دافع  
( الشافع : الشاة التي يتبعها سخلها ) .  
قال : أيباعُ الإبريقُ على بنى الأصفر ؟ قال : يُكره كبيع المنقر .

(الإبريق : السيف الصقيل الكثير الماء . وبنو الأصفر : الروم) .  
 قال : أيجوز أن يبيع الرجل صيفيه ؟ قال : لا ، وليكن لبيع  
 صفييه . (الصفي : الولد على السكبر ، والصفي : الناقة الغزيرة الدر) .  
 قال : فإن اشتري عبداً فبان بأمه جراح ؟ قال : ما في رده  
 من جناح . (الأم : مجتمع الدماغ) .  
 قال : أثبت الشفعة للشريك في الصحراء ؟ قال : لا ، ولا للشريك  
 في الصفراء . (الصحراء : الأتان التي يُمارج بياضها غبرة والصفراء : الناقة) .  
 قال : أمحّل أن يحمى ماء البئر والخلا ؟ قال : إن كان في  
 الفلا فلا . (يحمى : يمنع . والخلا : الكلاء) .

الإبريق : آنية الخمر . الصني : ما ولد في زمن الصيف . والصفي : صاحب  
 الخالص . والدر : اللبن . وبان : ظهر . وجناح : إثم . والأتان : الأثني  
 من الحمير .

\* \* \*

قال : ما تقول في ميتة الكافر ؟ قال : حلّ المقيم والمسافر .  
 (الكافر : البحر ، وميته : السمك الطافي فوق مائه) .  
 قال : أيجوز أن يضحى بالحول ؟ قال : هو أجدر بالقبول .  
 (الحول : جمع حائل) .  
 قال : فهل يضحى بالطالق ؟ قال : نعم ، ويُقرى منها الطارق .  
 (الطارق : الناقة تُرسل ترعى حيث شاءت) .

قال : فَإِنْ ضَحَّى قَبْلَ ظُهُورِ الْغَزَالَةِ ؟ قال : شاة لحمٍ بلا مَحَالَةٍ .  
 ( الْغَزَالَةُ : الشمس ) . قال بعضهم : يقال : طلعت الْغَزَالَةُ . ولا يقال :  
 غَرُبَتْ ، وَضَدَّهَا الْجَوْنَةُ ، تَسْمَى بِهَا عِنْدَ مَغِيبِهَا ، لِأَنَّهَا تَسْوَدُّ حِينَ تَغِيبُ ،  
 كما قال الشاعر :

\* تبادر الجَوْنَةُ أَنْ تَغِيبَا <sup>(١)</sup> \*

قال : أَيَحِلُّ التَّكْسِبُ بِالطَّرْقِ ؟ قال : هو كَالِقِمَارِ بلا فرق .  
 ( الطَّرْقُ : الضَّرْبُ بِالْحَصَى ، وهو من أفعال الكَهْنَةِ ) .  
 قال : أَيَسْلَمُ الْقَائِمُ عَلَى الْقَاعِدِ ؟ قال : مُحْظُورٌ فِيمَا بَيْنَ الْأَبَاعِدِ .  
 ( القاعد : التي قعدت عن الحيض أو عن الأزواج ) .

وَالطَّافِي : المرتفع على وجه الماء . وَالْحَوْلُ : جمع أَحْوَلٍ وَحَوْلَاءَ . أَجْدَرُ :  
 أَحَقُّ . وَالطَّرْقُ : السَّيْرُ بِاللَّيْلِ . مُحْظُورٌ : ممنوع .

\* \* \*

قال : أَيَنَامُ الْعَاقِلُ تَحْتَ الرَّقِيعِ ؟ قال : أَحْبِبُّ بِهِ فِي الْبَقِيعِ .  
 ( الرِّقِيعُ : السَّمَاءُ ، وَعَنَى بِالْبَقِيعِ الْمَدِينَةُ ) .  
 قال : أَبُئْمِنُكَ الذَّمَّى مِنْ قَتْلِ الْعَجُوزِ ؟ قال : مِمَّا رَضْتُهُ فِي  
 الْعَجُوزِ لَا تَجُوزُ . ( الْعَجُوزُ : الخمر . وَقَتْلُهَا : مَزْجُهَا ) .  
 قال : أَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَقِلَ الرَّجُلُ عَنِ عِمَارَةِ أَبِيهِ ؟ قال : مَا مُجَرِّزٌ  
 خَامِلٍ وَلَا نَبِيهِ . ( الْعِمَارَةُ : الْقَبِيلَةُ )

قال : ما تقول في التَّهَوُّد ؟ قال : هو مفتاح التَّزَهَّد . ( التَّهَوُّد :  
التَّوْبَةُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْكَ ﴾ .

قال : ما تقول في صَبْرِ الْبَلِيَّةِ ؟ قال : أعْظَمُ بِهِ مِنْ خَطِيئَةٍ .  
(الصَّبْرُ: الحبس . والبَلِيَّةُ: الناقَةُ تَحْبَسُ عند قبر صاحبها، فَلَا تُنْقَى وَلَا تُعْلَفُ  
إِلَى أَنْ تَمُوتَ ، وكانت الجاهلية تزعمُ أَنَّ صَاحِبَهَا يُحْشَرُ عَلَيْهَا) .

قال : أَيَحِلُّ ضَرْبُ السَّفِيرِ ؟ قال : نعم ، والحَمْلُ عَلَى الْمُسْتَشِيرِ .  
( السَّفِيرُ : ما تساقط من ورق الشجر . والمستشير : الجمل السَّمين ، وهو أيضا  
الجمل الذي يعرف اللَّاقِحَ من الحائل ) .

والزَّرِيعُ : الأحمق الذي يتخرق عليه رأيه حتى يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَرْقَعَ ، ثم كثر  
حتى صار الزَّرِيعُ المَاجِنُ القليل الحياء ، فأراد : أيرْقُدُ عَاقِلٌ تحت رِيع ؟ فقال :  
ما أحسن ذلك ، إذا كان في البقيع ؛ هذا معناه في الظاهر ، وما قصد به قد فسرهُ .  
والبقيع في الأصل : كلّ موضع فيه أصول أشجار مختلفة . التَّهَوُّد : الدَّخُولُ فِي  
دين اليهودية . عمارة أبيه : ما كان أبوه يعمره من دار يسكنها ومال يعمره .  
السَّفِيرُ : الرسول . المستشير : المسترشد الذي يستشيرك في أموره والحمل عليه  
إِهانتُه وظلمه . اللَّاقِحُ : الحامل بالولد ، والحائل : ضدها .

\* \* \*

قَالَ : أَيُغْزِرُ الرَّجُلُ أَبَاهُ ؟ قَالَ : يَفْعَلُهُ الْبَرُّ وَلَا يَأْبَاهُ . ( التَّغْزِيرُ :  
التَّعْظِيمُ وَالنُّصْرَةُ وَالتَّوْقِيرُ ) .

قال : ما تقول فيمن أفقر أخاه ؟ قال : حَبَّدَا مَا تَوَخَّاهُ .  
( أفقره : أعاره ناقه يركب فقارها ) .

قال : فإن أعرى ولذه ؟ قال : يا حُسن ما اعتمدته ! ( أعرَاه : أعطاه ثمرة نخلة عامًا ) .

قال : فإن أصلى مملوكه النار ؟ قال : لا إثمَ عليه ولا عار . ( المملوك : العَجِين الذي قد أُجيدَ عَجْنُهُ حَتَّى قَوِيَ ) .

قال : أيجوز للمرأة أن تصرم بعلها ؟ قال : ما حَظَرَ أحدٌ فعلها . ( البعل : النخل الذي يشرب بعروقه من الأرض ) .

قال : فهل تؤدّب المرأة على الخجل ؟ قل : أجل . ( الخجل : سوء احتمال الغنى ، ومنه قرله صلى الله وسلم للنساء : « إِنَّا نَكُنْ إِذَا جَعُنَّ دَقَعُنَّ ، وَإِذَا شَبَعُنَّ خَجَلُنَّ » ) .

قال : ما تقول فيمن نَحَتَ أثلةَ أخيه ؟ قال : أئِمَّ ولو أُذِنَ له فيه . ( نَحَتَ أثلته ، إذا اغتابه وَقَدَحَ في عِرْضه ) .

يعزّر : يؤدّب ، والتعزير : ضرب دون الحدّ . والبرّ : المكرم لأبيه .  
تروخاه : قصده ، وكذلك اعتمدته . أصله : جعله فيها . تصرم : تقطع وتباعد ،  
وأصل الصّرم التقطع . بعلها زوجها . حظر : منع . الخجل : الاستحياء . وأراد  
بسوء احتمال الغنى ، أن تكون مبدّرةً لمالها سفيهةً ، فكان الغنى لما أنهاها  
لم تحتملها فأفسدته نَحَتَ : نجّر . أثلة : شجرة .

\* \* \*

قال : أيجز الحاكم على صاحب الثور ؟ قال : نعم ، ليأمن  
غائلة الجور . ( الثور : الجنون ) .

قال: فهل له أن يضرب على يد اليتيم؟ قال: نعم، إلى أن يستقيم -  
( يقال: ضرب على يده، إذا حَجَرَ عليه ).

قال: فهل يجوز أن يتخذ له ربضاً؟ قال: لا، ولو كان له ربضاً.  
( الربض: الزوجة )

قال: فتى يبيع بدن السفينه؟ قال حين يرى له الحظ فيه.  
( البدن: الدرع القصيرة ).

قال: فهل يجوز أن يتباع له حشاً؟ قال: نعم، إذا لم يكن  
مُغشًى. ( الحش: النخل المجتمع ).

قال: أيجوز أن يكون الحاكم ظالماً؟ قال: نعم، إذا كان ظالماً.  
( الظالم: الذي يشرب اللبن قبل أن يروّب ويخرُج زبده ).

قال: أيستقضى من ليست له بصيرة؟ قال: نعم، إذا حسنت  
منه السيرة. ( البصيرة: الترس ).

قال: فإن تعرّى من العقل؟ قال: ذاك عنوان الفضل. ( العقل:  
ضرب من الوشى ).

غائلة: ضرر. الربض: بقاع من الأرض تباع وتشتري. الحش:  
الكثيف. مغشًى: يفساه الناس ويدخلونه. البصيرة: اليقين والنظر السديد.  
السيرة: العادة. عنوان: دليل وعلامة.

\* \* \*

قال: فإن كان له زهو جبار؟ قال: لا إنكار عليه ولا إكبار.

(الزهو : البُسْر المتلون . والعَبْتار : النخل الذى فات اليد وضده القاعد ) .  
قال : أيجوز أن يكون الشاهد مريباً ؟ قال : نعم ، إذا كان أريباً .  
(المريب : الذى يكثر عنده اللبن الرائب ) .

قال : فإنَّ بان أنه لاط ؟ قال : هو كما لو خاط . ( لاط الحوض ،  
إذا طينته ) .

قال : فإن عُثِر على أنه غَرَبَل ؟ قال : تُرَدَّ شهادته ولا تُقبل .  
( غَرَبَل ، أى قتل ، ومنه قول الراجز \* ترى الملوك حوله مغربلة \*  
قال : فإن وضح أنه مائن ؟ قال . هو وصف له زائن . ( المائن  
ها هنا : الذى يَعُول ويكتفى المثونة ، من مان يَمُون ، لا مِن مَانَ يَمِين ) .

قال : ما يجب على عابد الحق ؟ قال : يحلف بآله الخلق .  
( العابد ها هنا : الجاحد . والحق : الدين ) .

قال : ما تقول فيمن فقاً عَيْن بلبل عامدا ؟ قال : مُتَفَقِّأ عَيْنُهُ  
قولاً واحداً . ( البُلْبُل : الرّجل الخفيف ) .

قال : فإن جرح قطاة امرأة فماتت ؟ قال : النفس بالنفس  
إذا فانت . ( القطة : ما بين الورَكَيْن ) .

والزَّهو : التكبر والإعجاب . الأريب : العاقل . لاط : عمل عمل قوم  
لوط . وضح : تبين . مائن : كاذب . القطة : نوع من الحمام ، وفقاً  
العين : أخرجها . والبُلْبُل : طائر .

\* \* \*

قال : فَإِنْ أُلْقِيَ الْحَامِلُ حَشِيشًا مِنْ ضَرْبِهِ ؟ قال : لَيْسَ كَفَرًا  
بِالْإِعْنَانِ عَنْ ذَنْبِهِ . ( الحشيش : الجنين الْمُلْقَى مَيْتًا ) .

قال : مَا يَجِبُ عَلَى الْمُخْتَفِي فِي الشَّرْعِ ؟ قال : الْقَطْعُ لِإِقَامَةِ الرَّدْعِ .  
( الْمُخْتَفِي : نَبَّاشُ الْقُبُورِ ) .

قال : فَمَا يَصْنَعُ بَعْنُ سَرَقِ أَسَاوِدَ الدَّارِ ؟ قال : يُقَطَّعُ إِنْ سَاوَيْنِ  
رُبْعَ دِينَارٍ . ( الْأَسَاوِدُ : الْآلَاتُ الْمُسْتَهْلَكَةُ كَالْإِجَانَةِ وَالْقِدْرِ : الْجَفْنَةُ ) .

قال : فَإِنْ سَرَقَ ثَمِينًا مِنْ ذَهَبٍ ؟ قال : لَا قَطْعَ كَمَا لَوْ غَصَبَ .  
( الثَّمِينُ : الثَّمَنُ ، كَمَا يُقَالُ فِي النِّصْفِ : نَصِيفٌ ، وَفِي الشُّدُسِ سَدْرِيْسٌ ) .

قال : فَإِنْ بَانَ عَلَى الْمَرْأَةِ السَّرَقُ ؟ قال : لَا حَرَجَ عَلَيْهَا وَلَا فَرْقَ  
( السَّرَقُ : الْحَرِيرُ الْأَبْيَضُ ) .

قال . أَيْنَعِدُ نِكَاحًا لَمْ يَشْهَدَهُ الْقَوَارِي ؟ قال : لَا وَالْخَالِقُ  
الْبَارِي . ( الْقَوَارِي : الشُّهُودُ لِأَنَّهُمْ يُقَرُّونَ الْأَشْيَاءَ ، أَيْ يَتَّبِعُونَهَا ) .

قال : مَا تَقُولُ فِي عَرِيْسٍ بَاتَتْ بِمَلِيْلَةٍ حُرَّةٍ ، ثُمَّ رُدَّتْ فِي حَافِرَتِهَا  
بِسُحْرَةٍ ؟ قال : يَجِبُ لَهَا نِصْفُ الصَّدَاقِ ، وَلَا تَلْزُمُهَا عِدَّةُ الطَّلَاقِ .

( يُقَالُ : بَاتَتْ الْعُرُوسُ بِمَلِيْلَةٍ حُرَّةٍ ، إِذَا امْتَنَعَتْ عَلَى زَوْجِهَا ؛ فَإِنْ افْتَضَّهَا  
قِيلَ : بَاتَتْ بِمَلِيْلَةٍ شَيْبَاءَ . وَالرَّدُّ فِي الْحَافِرَةِ بِمَعْنَى الرَّجُوعِ فِي الطَّرِيقِ الْأَوَّلِ ،  
وَكُنِيَ بِهِ مَنْ طَلَّقَهَا قَبْلَ وِرْدِهَا إِلَى أَهْلِهَا ) .

\* \* \*

الحشيش : نبات يابس . الزدع : الكف والمنع . الأساود : الحيات . الثمين :  
الرفيع الثمن .

القواري : طيور خضر ، وقد بين هو أنه أراد بالقواري الشهود .  
ويقال : المسلمون قواري الله في الأرض أى شهرده ، وقال جرير :

\* المسلمون لِمَا أقولُ قَوَارِي \*

وبابت العروس بليلة شَيْبَاء ، إذا غشيتها زوجها .  
النفجديهي : رأيت : بخط الحريري رحمه الله تعالى :

طَيِّبُهَا وَلَمْ أَطِيبْ بِطِيبِ رَبِّ مَنَعَ الْأَذْمَنَ إعطاء  
بَتَ فِي دِرْعِهَا وَبَاتَ ضَجِيجِي فِي بَصِيرِ وَلِيلَةِ شَيْبَاء

للبصير هنا: قطعة من دم :

وقد أتينا على مافي هذه المسائل من الغريب في الظاهر ، وأما ما قصده من  
المعنى فهو مفسر في الأصل ، ولقد أحسن أبو محمد في هذه الفتاوى وبلغ من  
الإقتدار والاتساع فوق المراد ، وإن كان لا يوصف فيها الابتداء ، فقد أحسن  
في الاتباع .

### [ الملاحن والمعارض ]

والسابق إلى هذا المعنى أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى في كتاب سَمَاء  
بالملاحن ، وهي من اللَّحْن ، وهو أن تورى بلفظ عن لفظ .

ثم تم تلك الأغراض وحسنها أحمد بن عبيد الله في كتاب سَمَاء بالمنقذ<sup>(١)</sup> .  
وقائدة حفظ هذه الأغراض أن يخوف الرجل أو يروعه أمير ظالم أو مستط  
غاشم ، فيتخلص منه بهذه المعارض . فأما أن يقطع بها حق مسلم فلا سبيل إليها ،  
ومعتمدٌم فيها حديث عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :  
« إن في المعارض مندوحةً عن الكذب » .

(١) في كشف الظنون : « المنقذ من الإتيان لحمد بن أحمد البصري ، المعروف بالعجيج  
مات سنة ٣٢٠ ، وهو يشبه الملاحن لابن دريد .

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « عَجِبْتُ لِمَنْ يُحْسِنُ الْمَارِضَ كَيْفَ يَكْذِبُ ، وَلِمَنْ لَاحَنَ النَّاسُ كَيْفَ لَا يَعْرِفُ جَوَامِعَ السَّكَلِمِ ! »

وقول النبي صلى الله عليه وسلم لطلّاع المشركين حين لقّوه في نفر من أصحابه ، فقالوا : تَمَنُّ أَنْتُمْ ؟ قالوا : من ماء ، فتركهم ، وأراد ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِنْ خَلْقٍ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقوله صلى الله عليه وسلم في مُزاحه لإحدى عَمَاتِهِ « إِنْ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ » ، فَلَمَّا جَزَعَتْ قَالَتْ لَهَا « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَخْلُقُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَبْكَارًا » .  
رَقَالَ لَامْرَأَةٍ : « مَا فَعَلَ زَوْجُكَ الَّذِي فِي عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ ؟ » فَلَمَّا جَزَعَتْ قَالَتْ :  
« لَهَا أَوْ لَيْسَ فِي كُلِّ عَيْنٍ بَيَاضٌ ؟ »

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : ائْتِنِي ، قَالَ : مَا عِنْدِي إِلَّا وَلَدُ النَّاقَةِ ، فَقَالَ : وَمَا أَصْنَعُ بَوَلَدِ النَّاقَةِ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَهَلِ الْإِبِلُ إِلَّا مِنَ النَّوْقِ ! » .  
فَاسْتَحْيَزَتْ الْمَارِضُ عَلَى هَذَا النُّحُو مِنَ الْمَزَاحِ أَوِ التَّحْوِيفِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى الْوَائِقِ ، وَكَانَ يَقُولُ بِمَخْلَقِ الْقُرْآنِ وَيَعَاقِبُ مَنْ خَالَفَهُ ، فَقَالَ لَهُ ، مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ ، فَتَصَامَمَ عَلَيْهِ ، فَأَعَادَ السُّؤَالَ ، فَقَالَ : مَنْ تَعْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : لِإِيَّاكَ أَعْنِي ، فَقَالَ : مَخْلُوقٌ - يَعْنِي نَفْسَهُ ، وَتَخَلَّصَ مِنْهُ .

وَقَالَ لِآخِرِ مِنَ الصَّالِحِينَ : مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ ؟ فَأَخْرَجَ بَدَاهُ ، وَجَعَلَ يَعِدُّ أَصَابِعَهُ ، وَيَقُولُ : التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ مَخْلُوقَةٌ . فَعَنَى أَصَابِعَهُ ، وَتَخَلَّصَ مِنْهُ .

(١) سورة الطارق : ٦

وتعذر على رجل لقاء المأمون في ظلامه ، فصاح على بابه : أنا أحمد النبي المبعوث . فأدخل إليه ، وأعلم أنه تنبأ فقال له : ما تقول ؟ فذكر ظلامته ، فقال له : ما تقول فيما حُكي عنك ؟ فقال : وما هو ؟ قال : ذكروا أنك تقول إنك نبي ، فقال : معاذ الله ، إنما قلت : أنا أحمد النبي المبعوث ، أفأنت يا أمير المؤمنين ممن لا يحمد ؟ فاستظرفه ، وأمر بإصافه .

وخرج شريح القاضي من عند زياد ، وتركه يمكث بنفسه ، فسأله الناس عن حاله ، فقال : تركته يأمر وينهى ، فجزعوا لسلامته ، فمراءعهم إلا صياح التناحيت عليه . فسئل شريح عن قوله ، فقال : تركته يأمر بالوصية ، وينهى عن البكاء .

وسئل ابن شبرمة عن رجل ليس بعمل ، فقال : إن له شرفاً وقدماً وبيتاً . فنظروا فإذا هو ساقط سفلة ، فقيل له في ذلك ، فقال : شرفه أذناه ، وبيته الذي يأوى إليه وقدّمه الذي يمشى عليه .

وقال صاحب المنقذ :

إذا حلفت بالأيمان اللازمة لك ، فانو بالأيمان الأبدى ، قال تعالى : ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ . فإن قلت : كل امرأة طالق فاعن الطالق من الإبل ، وهي التي يطلقها الراعي ، والطلاق التي يحمل عليها عقابها .

فإن قيل : أحلف بظاهر امرأتك كظهر أمك ، فاعن بالظهر ما يركب من الخيل والبغال والحمير ، ولا جناح عليه في ركوب دواب أمه

فإن قال : أحلف بما لك على المسلمين صدقة ، فاعن ما لك على المساكين من دين ، وليس لك عليهم شيء .

فإن أحلفك بأن كل مملوك لك حر . فالمملوك : الدقيق الملتوت بالماء أو الزيت أو السمن .

فإن قال: كل غلام لك حر. فالحر: الحية الذكّر، والحر من الرمل الذي ماوطى، والحر: ذكر الحمام، قال حميد.

\* دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ تَرْحَةً وَتَرْفَمَا \*<sup>(١)</sup>

فإن أحلفك بأن كل جارية لك حرّة، فالجارية السفينة، والريح والشمس. فإن قال: احلف وإلا كل أمة لك حرّة، فالحرّة الأذن، والحرّة السحابة الغزيرة المطر.

فإن أحلفك: وإلا فمالك حبس، فحبس بلد معروف، قال ابن حنّـة:

\* لمن الديار عَفُونٌ بالحبس \*

فإن قال: وإلا فهو كافر. فالكافر الليل، أو البحر أو الزرع للبذر، قال الله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾<sup>(٢)</sup>، وأصله الساتر.

وتقول: كل امرأة تزوجتها فقد طلقها بقائنا. فتزوجت اتخذت زوجاً من النبات أى لونا، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾. وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾<sup>(٣)</sup> من نبات شتى، وطلقها ألبستها الطلق، وهو قبة من جلود والنبات: الزاد.

وتقول: مانطيت ولا تمسكت. فتطيت أنبت الطيب، وهو بلد بين واسط والسوس، أو طيبة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم. وتمسكت: لبست مسكا وهو الجلد، أو تنقلت من الامسك.

وتقول: ماله قبلى درهم ولا دينار. فدرهم قبيلة من ربيعة، لهم خُطّة في البصرة، ودينار اسم رجل معروف.

(١) ديوانه ٢٤، وصدره:

\* وَمَاهَا جَ هَذَا الشَّوْقُ إِلَّا حَامَةً \*

(٣) سورة ن ٧

(٢) سورة الحديد ٢٠

(٤) سورة طه ٣

وماله قبلى ثوب ولا شقة ولا قميص . الثوب : الرجوع ، من ثاب بثوب ،  
والشقة : البعد . والقميص : غشاء القلب .

وماله قبلى شئ بوجه من الوجوه ، ولا بسبب من الأسباب . الشئ : مصدر  
شويت اللحم . والوجوه صور مختلفة من التصاوير . والوجه : المقصد ، والجمع  
وجوه ، والأسباب : العبال .

وما أوصيتُ إليه ، وما أوصى إلى . أوصى دخل فى الواصى ، وهو بيت  
متصل بمضه ببعض .

ولا أعلم له داراً ولا عقاراً ؛ فداراً : بلد معروف بالجزيرة ، قال الشاعر :

ولقد قلتُ لرجلى بينَ حرّانٍ وداراً<sup>(١)</sup>  
اصبرى يارجلُ حتى يَرْزُقَ اللهُ حِمَاراً

والعقار : النخل .

ولا أعرف للمرأة بغلاً ولا ولياً . فالبغل : النخل أو الشجر ، يشرب بماء  
السحاب ، والولّى : بلى الوسمى .

وتقول : ما اشتريتُ لفلانة ضرّتك قميصاً ، ولا إزاراً ولا رداءً ، ولا فناعاً  
ولا غلالةً ، ولا حلّيتها خاتماً ولا خلخالاً ولا طوقاً ولا سواراً ؛ ولا قرطها  
ولا شففتها ولا كسوتها ، ولا جلست مع قينة ولا مغنية ولا ضاربة بمود ولا بطل  
ولا رباب ، ولا سمعت زمارة ولا ذقت نبيذاً . فالقميص غشاء القلب ، والرداء  
السيف أو الدّين أو الفطاء ، والإزار : قُبَل المرأة أو جسم الرجل ، قال الشاعر :

• فدّى لك من أخى ثقة إزار<sup>(٢)</sup> •

والإزار : العفاف ، والقناع : جمع قنّع ، وهو طبق يجعل عليه الفاكهة .

(١) دارا : بلدة فى لُحف جبل بين نصيبين وماردين - ياقوت

(٢) الحان - أزر ، من أبيات لجدّة بن عبد الله السلى

( • - شرح مقامات الحريرى ج ٤ )

وفي الحديث : إن<sup>(١)</sup> الربيع ابنة معوذ أنت النبي صلى الله عليه وسلم بقتاع من رطب  
وآخر من زغب فأكل منه ، والزغب : القثاء . والفلاة : مسمار من مسامير  
الدروع ؛ قال :

\* فهنّ وضاء صافياتُ الغلائلِ<sup>(٢)</sup> \*

والفلاة : الجماعة من الناس ، والخاتم : شعرات بيض في قوائم الفرس . والسوار  
مصدر ساورت الرجل . والخلخال : الثرمل الجريش . والطوق : المصدر من الطاقة ،  
وقرطها من القرط ، وهو الخلف الرطب تأكله الدواب ، فإذا يبس فهو القث . وشنتها  
جعلتها مشنقة أى مبعضة ، من شنت الرجل ، إذا أبغضته . وكسوتها : ضربت  
كسأها ، وهو جانبها ، وجانب كرسى . كسأه والجمع أكسأه ، والقينة : هزومة بين  
الوركين . وعجب الذنب من الفرس ، والعود الذي يُتخَرَّبُه ، والزمار : الفاجرة ،  
ومنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الزمار ، والزمار : الغل ، وفي خبر  
الحجاج : أتى سعيد بن جبير وفي عنقه الزمار ، أى ساجور ، والطبل : السلة التي يحمل  
فيها الطعام ، والطبل : الخراج . والمغنية : ناقة تضرب بناجها ، والرباب : سحب  
متراكب قريب من الأرض . والتبيذ : ما تبيذته النعام أو الحير بأرجلها من الحمى .  
وتقول : مالى مركوب وما بعت عبداً ، وقد افتقرت حتى مافى ملى  
نفقة يوم . مالى ، بمعنى ملى ، ومركوب : ضربت ركبته ، وثنية بالحجاز .  
وعبد : جبل من جبال طيء . وافتقر : اشتد فقاره أو كسر فقار جدى  
أو حمل ، والمالك : الحجة .

وتقول : ما أضعتُ عملك ولا قصرتُ ولا أهملتُ ولا فرطتُ ولا ساحتُ  
أحدًا ، ولا تركتُ واجبًا ، ولا ارتفعت بحبه ، ولا أبقيت غايةً في مناصحتك ،  
أضعت : كثرت ضياعي . وفرطت : بعث فارطاً ، وهو طالب المساء ،

(١) ذكرها ابن حجر في الإصابة ٤ : ٢٩٣ (٢) لثناينة ، ديوانه ٦٤ اللسان (علل) ، ومصدره :

\* عَلَيْنَ بِكَ دَيُونٍ وَأَبْطُنٍ كَرَّزٍ \*

هَوَصَّرَتْ : بنيت قصراً . وَأَتَمَمْتُ : كَثُرَتْ هَوَامِلِي ، وَهِيَ الْإِبِلُ السَّارِحَةُ فِي  
الْمَرْعَى بِلَا رَاعٍ . وَصَاحَتُ : نَظَرْتُ أُتَيْنَا أَكْرَمَ . وَالْوَاجِبُ : السَّاقِطُ ،  
وَارْتَفَقْتُ : نِمْتُ عَلَى مِرْفَقِي ، وَالْغَايَةُ : رَايَةُ الْحِمَارِ .  
وَتَقُولُ : مَا شِئْتُ لَهُ أَبِي وَلَا عَمًّا وَلَا عَمَةً ، وَلَا خَالًا وَلَا خَالََةً ، وَلَا صَحْبَتُهُ ،  
وَلَا شَاهِدَتَهُ وَلَا رَاسِلَتَهُ ، وَلَا شَارِبَتَهُ ، وَلَا نَادِمَتَهُ ، وَلَا رَأْيَتَهُ مِنْ دَهْرٍ  
أُنِّي : دَاءٌ يَأْخُذُ لِلْمَرْعَى ، قَالَ :

• أَبِي لَا إِخَالَ الضَّانَ مِنْهُ نَوَاجِيًا <sup>(١)</sup> •

وَعِمٌّ : قِطْعَةٌ مِنَ النَّاسِ ، وَقَرْيَةٌ بِالشَّامِ ، وَالْعَمَّةُ النَّخْلَةُ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
« نِعْمَتِ الْعَمَّةُ لَكُمْ النَّخْلَةُ » ، وَقِيلَ لَهَا عَمَّةٌ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ بَقِيَّةِ طِينَةِ  
آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَالْغَالُ : السَّحَابُ ، وَالْخَالُ مِنَ الْبُرُودِ ، وَالْخَالُ مِنَ  
الْخِيَلَانِ ، وَالْخَالََةُ : جَمْعُ خَالٍ مِنَ الْكِبَرِ . وَصَحْبَتُهُ : مَنَعَتُهُ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تُمْ  
مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أَيْ يَمْتَحِنُونَ . وَشَاهِدَتُهُ : أَكَلْتُ مَعَهُ الشَّهْدَ ، وَرَاسِلَتُهُ :  
شَرِبْتُ مَعَهُ الرُّسْلَ ، وَهُوَ اللَّبَنُ ، وَشَارِبَتُهُ مِنَ الشَّوَارِبِ ، وَنَادِمَتُهُ مِنَ النَّدَمِ ،  
وَرَأْيَتُهُ : ضَرَبْتُ رَأْيَتَهُ ، وَدَهْرٌ : قَبِيلَةٌ مِنْ إِيَادَ .

وَتَقُولُ : مَا كَتَبْتُ لَهُ حَرْفًا ، وَلَا خَطَطْتُ لَهُ قَلَمٌ ، وَلَا شِئْتُهُ وَلَا هَجَوْتُهُ ،  
وَلَا افْتَرَيْتُ عَلَيْهِ ، وَلَا أَعْرِفُ عَلَيْهِ سِوَاءَ . الْحَرْفُ النَّاقَةُ الْمَضْمَرَةُ ، وَالْقَلَمُ :  
الْقِدْحُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ يُنْفِقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، يَعْنِي قِدَاحَ الْمَيْسَرِ . وَالشَّقْمُ :  
قَبْجُ الْوَجْهِ ، وَهَجَوْتُهُ : أَرَلْتُ نَعْمَتَهُ ، وَهُوَ الْهَجَى مَقْصُورٌ ، وَافْتَرَيْتُ : لَبَسْتُ  
الْفَرْوَ ، وَالسَّوَاءَ : الْبَرَصَ .

وَتَقُولُ : رَأْيَتُهُ فِي السُّقُوقِ مَتَوَفَّى مَقْبُورًا ، وَمَا أَخَذَ دَوَاءً وَلَا مَعْجُونًا .

(١) اللسان - أبي ، ونسبه لابن أحرر

(٣) سورة آل عمران ٤٤

(٢) سورة الأنبياء ٤٣

فالسوق : أصول الشجر وأعناقها . متوفى دائماً . مقبوراً : مبخراً بالعود .  
الهندي الذي فيه قبر ، أى رخاوة . والدواء والدأوية : جلدة اللبن ، والمعجون :  
المضروب على عِجانه .

وتقول : هو مجنون مُصاب ، قد غلّ مراراً ، فما اعتذرتُ له ، ولا تنصت ،  
لأنه ليس من الأجواد ، ولا الشجعان الذين يُقدَح في أنسابهم . الجنون :  
المستور . مصاب : مجذّر من صاب يصب ، وغلّ من الغلّة ، واعتذر وتنصل :  
اتخذ عذاراً ونَصلاً . والأجواد : العطاش . والشجعان : الحيات ، والأنساب :  
أسنان المُشط .

وتقول : رأيت الجيش بالثغر ، والفارس في الفوارس ، فما أفضّل عليه  
أحدًا من العرب والعجم . الجيش : الفُكّيان ، والثغر : شجرٌ له شوك ،  
والفارس : الحسن الفِراسة ، والفوارس : كُشبان رمل ، والعرب :  
فساد المعدة ، وعربت معدته . والعجم : النوى .

وما أكلت دابتي شعيراً . الشعير : جمع شعيرة ، وهو مسمار من الفضة في  
قائم السيف .

وبالباب منسع وفيه تأنس لما ذكره أبو همد .

\*\*\*

ومن المعارض ، أن الحجاج لما أخرج ابن القبري من سجنه قال له :  
صمت يا غضبان ، قال : القيد والرّمة<sup>(١)</sup> ، والخفض والهدعة ، ومن يكن ضيف  
الأمير يستمن ، قال : لأحملنك على الأدهم ، قال : مثل الأمير يحمل على الأدهم  
والورّد والكُميت . قال : إنه حديد ، قال : لأن يكون حديداً خيرٌ من أن يكون  
بليداً ، قال : اضربوا به الأرض ، قال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>  
قال : جُرّوه ، قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ جِجْرَاهَا وَمَرَسَاهَا ﴾<sup>(٣)</sup> ، قال : احمّوه على الأيدي

(١) الرّمة : الاتساع في الحصب (٢) سورة طه ٥٥ (٣) سورة هود ٤١

فَلَمَّا حَمَلَ قَالَ: ﴿سَبَّحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾<sup>(١)</sup>، فَضَحَكَ الْحِجَاعُ وَقَالَ: غَلَبَنَا هَذَا الْحَدِيثُ، خَلَّوْهُ إِلَى صَنْحَى مِنْهُ، قَالَ: ﴿فَاَصْنَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن عمرو الفسائي - وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة - من أين أقصى أترك؟ قال: من صُلب أبي، قال: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: فعلام أنت؟ قال: على الأرض، قال: فقيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أنتقل لا هقلت! قال: إني والله وأقيد، قال: ابنُ كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال: فما سنُّك؟ قال: عَظُم، قال: ما تزيدني مسائلتك إلا عِيًا، قال: ما أجبتك إلا عن مسائلتك.

الربيع بن عبد الرحمن، قلت لأعرابي: أتهمز لإسرائيل؟ قال: إني إذا لَرَجَلٍ سوء؛ أراد قوله: ﴿هَمَّازٍ مَشَاءَ بَنِيهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، قلت: أتهمز فلسطين؟ قال: إني إذا لَمَوَى!

خلف الأحمر: قلت لأعرابي: ألقى عليك بيتًا؟ قال: على نفسك فآلِهِ.

قيل لأعرابي: أتهمز الفأرة؟ قال: الهرّ يهمزُها.

ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن يزيد الهلالي عامل إرمينية، وقد بات على قربٍ من غدير فيه ضفادع، فقال عبد الله: ما تركتُنا شيوخ محارب تنام في هذه الليلة لشدة أصواتها. فقال المحارب: أصلح الله الأمير! إنها أَصَلَّتْ برقما، فهي في بُعْثَانِهِ. أراد الهلالي قول الأخطل:

تنقُ بلا شيء شيوخ محاربٍ وما خلقتها كانت تریش ولا تَبْرِی<sup>(٤)</sup>  
ضفادعُ في ظمَاءٍ ليلٍ تجاوبتُ فدلَّ عليها صوتُها حيَّةُ البحرِ

(٢) سورة الزخرف ٨٩

(٤) ديوانه ١٣٢

(١) سورة الزخرف ١٣

(٣) سورة القلم ١١

وأراد المحاربي قول الآخر :

لِكَلِّ هِلَالِي مِنَ اللُّؤْمِ بَرَقَ      ولابن هلالٍ بَرَقَ وَقَبِيصٌ  
وهذا النحو من التعريض كثير .

وقال أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى :

يَا ضَرَّةَ الشَّمْسِ الَّتِي أَشْرَقَتْ      قَدْ أَشْرَقَتْ حَبَّةُ مُشْتَاكِكَ  
لَحْظُكَ أَوْ خَضِرُكَ قَدْ ضَمِنَا      مَا ضَمِنَتْ هِدَّةُ مِيثَاكِكَ  
كَمَارُ الْمَوَى يَطْلُبُهُ نَائِرٌ      مَصْرَمُهُ مَا بَيْنَ أَحْدَاكِكَ  
لَا تَدْخِرِي أَنْفَسَ صَوْتٍ قَدْ      يُرْغَبُ فِي أَنْفَسِ أَعْلَاكِكَ  
رَفَقًا بِمَنْ مُلِكَتْهُ فِي الْمَوَى      فَإِنَّهُ آخِرُ عُشَاكِكَ

فأنفس أعلاق المرأة معلوم ، والظرف كله في قوله : « فإنه آخر عشائك » يعرض أنها أسنت فلا عاشق لها من بعده . والقينة : التي داعبها وما زحها تفهم ما خوطبت به ، لأنها تليذة ولادة بنت المكتفى ، وولادة شاعرة بارعة التندير ، فمن تندرها قولها في ذى الوزارتين ابن زيدون عاشقها تعرض له بشيء كان يُزن به :

ما لابن زيدون على فضله      يفتابى ظلماً ولا ذنبَ لي<sup>(١)</sup>

يلحظنى شراً إذا جئتُه      كأنما جئت لأخصي علي

وعلَى صَبِيئِهِ ، وكان يمزح معه .

...

فقال له السائل : لِهْ دَرَكْ مِنْ بَحْرِ لَا يُغَضِّضُهُ الْمَاتِحُ ، وَحَبْرٍ لَا يَبْلُغُ مَدَحَهُ الْمَادِحُ ؛ ثُمَّ أَطْرَقَ لِطَرَاقِ الْحَيِّ ، وَأَرَمَ إِرَامَ

(١) تمام المتن ١١٠ .

العيّ . فقال له أبو زيد : إيه يافتي ! فإلى متى وإلى متى !  
فقال : إيه لم يبق في كِنَاتِي مِرْمَاة ، ولا بَنَدِ إِشْرَاقِ صُبْحِكَ  
مِمَارَاة ؛ فبالله أئى ابنِ أَرْضِ أَنْتِ ؟ فإِأَحْسِنِ مَا أَبْنَتِ !  
فَأَنْشَدَ بِلِسَانِ ذَلِيقٍ ، وَصَوْتِ صَهْصَلَتِي :

أنا في العالم مُثْلُهُ      ولأهل الْعِلْمِ قِبْلُهُ  
غَيْرَ أُنَى كُلِّ يَوْمٍ      يَتَيْنَ تَعْرِيسِ وَرِحْلُهُ  
والغريب الدار لو حَلَّ بطُوبَى لَمْ تَطْبُ لَهُ

ثم قال : اللهم كما جَعَلْتَنَا مِنْ هُدَى وَيَهْدَى ، فَاجْعَلْهُمْ مِنْ  
يَهْتَدَى وَيُهْدَى .

فساق إليه القومُ ذُوْدًا مع قَيْنَةٍ ، وسألوه أَنْ يَزُوْرَهمُ الْفَيْنَةُ  
بعد الْفَيْنَةِ . فَهَضَّ يُمْنِيَهُمُ الْعَوْدُ ، وَيُرْجَى الْأَمَّةُ وَالذَّوْدُ .

...

قوله : يَفْضُضُهُ : يَنْقُصُهُ . اللَّامُحُ : الْمُسْتَقَى مِنْ أَعْلَى الْبُئْرِ ، وَالْمَامُحُ ، هَالِيَاءُ  
مِنْ قَعْرِهَا . حَبْرُ : هَالِمٌ . أَطْرَقَ : أَمَالَ رَأْسَهُ سَاكِتًا . وَأَرَمَ : سَكَتَ . الْعَيَّ :  
الَّذِي إِنْ كَلِمَتَهُ لَمْ يُحْسِنْ رَدَّ جَوَابِهِ . إِيْهِ : بِمَعْنَى زِدْنِي مِنْ سُؤْأِكَ .

ابن السرى : إِذَا قُلْتَ : «إِيْهِ يَارَجُلُ» ، فَإِنَّمَا تَأْمُرُهُ أَنْ يَزِيدَكَ مِنَ الْحَدِيثِ  
الْمَعْرُودِ بَيْنَكَا ، كَأَنَّكَ قُلْتَ : هَاتِ الْحَدِيثَ ، وَإِنْ قُلْتَ إِيْهِ : بِالتَّنْوِينِ ، فَكَأَنَّكَ  
قُلْتَ : هَاتِ حَدِيثًا مَا ، فإِلى متى سَكُوتُكَ ؟ مِرْمَاة : سَهْمٌ يرمى بِهِ السَّبْقُ ، وَقِيلَ :  
هُوَ سَهْمٌ مَدُورُ النِّصْلِ . بَدَ إِشْرَاقِ صَبْحِكَ ، أَيْ بَعْدَ ظُهُورِ فَضْلِكَ . وَإِشْرَاقُ  
ضَوْءٍ . مِمَارَاة : شَكٌّ . أَبْنَتِ : بَيَّنَّتْ . ذَلِيقٌ : حَدِيدٌ . صَهْصَلَتِي : شَدِيدٌ .

مَثَلَةٌ : مَقْبَرَةُ الْخَلْقِ ، فَهِيَ « مُقْبَلَةٌ » مِنَ الْمَثَلِ ، وَيُقَالُ الْمَثَلَةُ وَالْمَثَلُ بِمَعْنَى .

\* \* \*

[ ذَكَرَ قَبَاحَ الْوُجُوهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِمْ ]

وَنَذَكَرَ عَلَى قَوْلِهِ : « أَنَا فِي الْعَالَمِ مَثَلَةٌ » ، فَصَلًّا فِي ذَكَرِ قَبَاحِ الْوُجُوهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرِهِمْ .

فَفَهِمَ الْجَاهِظُ ، وَأَرَادَ الْمُتَوَكَّلُ أَنْ يَعْلَمَ بَنِيهِ الثَّلَاثَةَ وَلَا عَهْدَهُ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِمْ ، فَارْتَاعُوا مِنْ قُبْحِ وَجْهِهِ ، فَأَخْرَجَ عَنْهُمْ بِعَنْفٍ .

وَحَكَى الْمَسْعُودِيُّ : أَنَّ الْجَاهِظَ قَالَ : ذُكِرْتُ لِلْمُتَوَكَّلِ لِتَعْلِيمِ بَعْضِ وَلَدِهِ ، فَلَمَّا رَأَى اسْتَبْشَعَ مِنْظَرِي ، فَأَمَرَ لِي بِمِشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ <sup>(١)</sup> وَصَرَّفَنِي .  
وَقَالَ الْحَدَّادِيُّ :

لَوْ يُبْسَخُ الْخِنْزِيرُ مَسْخًا ثَانِيًا لِرَأْيَتِهِ فِي دُونَ قُبْحِ الْجَاهِظِ <sup>(٢)</sup>  
رَجُلٌ يَنْوِبُ عَنِ الْجَعِيمِ بِوَجْهِهِ وَهُوَ الْعَدُوُّ لِكُلِّ عَيْنٍ لَاحِظٍ  
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، فَقَالَ لِي : هَلْ لَكَ يَا أَصْمَعِيُّ مِنْ زَوْجَةٍ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : لِمَ جَارِيَةٌ ؟ قُلْتُ : لِلْمَهْنَةِ ، قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ أَهْبَ لَكَ جَارِيَةً نَظِيفَةً ؟ ، قُلْتُ : إِنِّي لِحَاجَتِي إِلَى ذَلِكَ . فَأَمَرَ بِجَارِيَةٍ فَأَخْرَجَتْ وَهِيَ فِي خَايَةِ الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ وَالْهَيْئَةِ وَالظَّرْفِ ، فَقَالَ لَهَا : قَدْ وَهَبْتُكَ لِهَذَا ، وَقَالَ لِي : خُذْ هَذِهِ ، فَشَكَرْتُهُ ، وَبَكَتِ الْجَارِيَةُ ، وَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي ، أَتَدْفَعُنِي لِهَذَا الشَّيْخِ مَعَ مَا أَرَى مِنْ سَمَاحَتِكَ وَقُبْحِ مَنْظَرِهِ ! وَجَزَعَتْ جِزْعًا شَدِيدًا ، فَقَالَ لِي : يَا أَصْمَعِيُّ ، هَلْ لَكَ أَنْ أَهْوِضَكَ مِنْهَا أَلْفَ دِينَارٍ ؟ قُلْتُ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ لِي بِهَا ، وَدَخَلَتِ الْجَارِيَةُ ، فَقَالَ لِي : يَا أَصْمَعِيُّ ، أَنْكَرْتُ عَلَيْهَا شَيْئًا ، فَأَرَدْتُ عَقُوبَتَهَا بِكَ ، ثُمَّ رَحِمْتُهَا مِنْكَ ، قُلْتُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَفَلَا

(١) نَسِجَمَا الثَّعَالِي فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٤٠٤

أُهِلَّتَنِي قَبْلَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي لَمْ أَتَكَ حَتَّى سَرَحْتُ لِحَيْتِي ، وَأَصْلَحْتُ وَجْهِي وَعَمَّتِي ، فَلَوْ عَرَفْتُ الْخَبْرَ لَسَرْتُ عَلَى هَيْئَتِي وَخِلَقَتِي ، فَوَاللَّهِ لَوْ رَأَيْتَنِي كَذَلِكَ لِمَا عَاوَدْتُ شَيْئًا تَنْسُكِرُهُ أَبَدًا .

وما ضَرَّ مِنْ ذِكْرِنَا قُبْحَهُمْ مَعَ الْعِلْمِ الَّذِي زَيَّنَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، وَكَذَا يَنْبَغِي لِمَنْ خُلِقَ قَبِيحَ الصُّورَةِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ لَهَا الْأَخْلَاقَ الْحَسَنَةَ ، وَالْأَفْئَالَ الْحَسَنَةَ ، لِئَلَّا يَجْمَعَ بَيْنَ قَبِيحَيْنِ .

كَانَ الْأَوْثَقِيُّصُ الْخَزَوِيُّ أَقْبَحَ النَّاسِ خِلْقَةً ، وَمَا رَوَى مِنْهُ فِي الْعَفَافِ وَالزَّهْدِ . وَكَانَ قَاضِي مَكَّةَ ، فَقَالَ يَوْمًا لِحُلَسَائِهِ : قَالَتْ لِي أُمِّي : يَا بَنِي إِمَّاكَ خُلِقْتَ خِلْقَةً لَا تَصْلُحُ مَعَهَا لِمَجَالَسَةِ الْفَتَيَانِ فِي بَيْوتِ التِّيَّانِ ، فَعَلَيْكَ بِالذِّينِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ بِهِ الْخَلِيسَةَ ، وَيَتَمَّ بِهِ النَّقِيصَةَ . فَفَعَمَّى اللَّهُ بِكَلَامِهَا ، فَوُلِّيتَ الْقَضَاءَ .

وَرَوَى أَنَّ أُمَّ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَوْصَتْهُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ ، حِينَ أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْفَنَاءَ فِي حَدِّائِهِ ، فَتَرَكَهُ وَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ ، فَذَهَبَ بِهِ حَيْثُ بَلَغَ .

وَكَانَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ أَعْوَرُ أَسْوَدُ أَفْطَسُ أَشْلُ أَهْرَجُ ، ثُمَّ عَمِيَ . وَأُمُّهُ سُودَاءُ تَسَمَّى بَرَكَةَ ، وَقِيلَ لِأَهْلِ مَكَّةَ بَعْدَ مَوْتِهِ : كَيْفَ كَانَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ فَيْكُمْ ؟ قَالُوا : كَانَ مِثْلَ الْعَافِيَةِ الَّتِي لَا يُعْرَفُ فَضْلُهَا حَتَّى تُنْقَذَ .

وَكَانَ فِي خِلْقَةِ أَبَانَ بْنِ عَثْمَانَ كُلِّ عَيْبٍ ، وَكَانَ يُفْتَرَّبُ بِمُيُوبَةِ الْمَثَلِ فِي الْمَدِينَةِ .

كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ أَمِيرَ الْيَمَنِ يَوْمًا جَالِسًا إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ ، وَمَعَهَا ابْنُ صَغِيرٍ يَتَّبِعُهَا ، وَيَطَأُ أَذْيَالَهَا ، فَقَالَتْ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِنْ هُمَا زَوْجَانِ مَنْ لَيْسَ بِكَفءٍ ، فَقَالَ : مَنْ هُوَ ؟ فَقَالَتْ : ابْنُ ذِي مُنَاجِبٍ ؟ فَقَالَ : طَلِّ بِهَ ، فَدَخَلَ أَقْبَحَ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ ، وَأَشْوَهُهُمْ خِلْقًا ، فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ مِنْكَ ؟

قال : امرأتى ، قال : خلّ سبيلها ، ففعل ، فأطرق معن ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :

لَعَنَرى لَقَدْ أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُحِبِّ      وَلَا حَسَنٌ فِي عَيْنِهَا ذُو مَنَاجِبِ  
فَمَا أُمُّهَا لَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهَهُ      وَغَيْنًا لَهُ خَوْصَاءُ مِنْ تَحْتِ حَاجِبِ  
وَأَنَا كَأَنَّكَ الْبَكْرُ يَقْطُرُ نَائِلًا      عَلَى لَحْيَةِ عَضْبَاءٍ مِنْهُ وَشَارِبِ  
أَنْتِ بِهَا مِثْلُ الْمَهْصَاةِ تَسُوقُهَا      فَيَا حَسَنَ مَحْلُوبٍ وَيَا شَرَّ جَالِبِ

وكان تزوجها بمكة وقدم بها اليمن . والصبي هو ابن جامع المغنى المشهور .

وحكى البعترى في نوادره عن رجل سَمَاءُ قال : مررت بامرأة من أجل الناس ، معها رجل من أقبحهم ، فقلت لها : يا أمة الله ، مَنْ هذا منك ؟ قالت : رَجُلِيهِ ، فقلت : وَمَنْ قَرْنُكَ بِهِ ؟ قالت : أَخِيهِ ، فقلت :

جَزَى الرَّحْمَنُ عَنْكَ أَخَاكَ شَرًّا      فَقَدْ أَخْزَاكَ فِي الدُّنْيَا وَزَادَا  
فَلَمْ أَرَ مُفْزِلًا قُرْنَتْ بِكَابٍ      وَلَا خَزَاً بَطَانَتُهُ بِحَادَا

وقال آخر :

أَلَا رُبَّ بَيْضَاءٍ الْحَاجِرِ طَائِفَةٍ      تُسَاقُ إِلَى وَغْدٍ مِنَ الْقَوْمِ تَنْبَالِ  
يَقُولُونَ جَرَّيْنَهَا إِلَيْكَ قَرَابَةً      فَوَيْحَ الْعِذَارَى مِنْ بَنَى الْعَمَّ وَالْخَالِ !

وقال آخر :

لَا بِنَ عِبْدِ النُّورِ وَجْهَ      صَارَ لِلْمُنْبَجِّ مَلَاذَا  
قَالَ قَرْدٌ إِذْ رَأَاهُ      لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى ذَا

وقال في بشار :

تَوَائِبَ أَقْصَارًا وَأَنْتَ مَشْوَةٌ      وَأَقْرَبَ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَبِّهِ الْقِرْدِ

وكان بشار ضخمًا قبيح الوجه ، جاحظ الحدقتين ، أقبح الناس عَمًى ومنظرًا

قال فيه حماد عجرد :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الْإِذَى وَالِدُهُ بُرْدٌ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا مَا نُسِبَ النَّاسُ فَلَا قَبْلَ وَلَا بَعْدَ  
 وَأَعْمَى بِشْبَهُ الْقِرْدَا إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

فقال بشار عندما سمع هذا البيت : ما أخطأ ابن الزانية من حين شبّهني بقرد وجعل يبكي ويقول : ما حيلتي ! يراني ويشبّهني ، ولا أراه فأشبّهه ! وبعده :

وَلَوْ تُنْقِيهِ فِي صَلْدٍ صَفَا لَانْصَدَعَ الصَّلْدُ  
 هُوَ السَّكَبُ إِذَا مَا مَا تَ لَمْ يُوجَدَ لَهُ قَعْدُ

وأنشده رجل قول حماد :

دُعَيْتَ إِلَى بُرْدٍ وَأَنْتَ لَغَيْرِهِ وَهَبَكَ لِبُرْدٍ نَكْتُ أُمُكَ مِنْ بُرْدٍ

فقال : هاهنا أحد ؟ قال : لا ، قال : أحسن والله ابن الزانية ، ولقد تهيّأ له في بيت واحد على خمسة ممان من الهجو ، وهي : « دعيت إلى برد » معنى . « وأنت لغيره » معنى ثان ، و « هبك لبرد » معنى ثالث ، « نكت أُمك » شتم واستخفاف مجرّد ، وهو معنى رابع ، ثم ختمها بقوله : « من بُرد » فأتمه بالطامة الكبرى .

وأوجع ما مرّ عليه من قول حماد :

لَوْ طُلِيتْ جِلْدَتُهُ عَذْبَرًا لَأَفْسَدَتْ جِلْدَتَهُ الْعَنْبَرُ<sup>(٢)</sup>  
 أَوْ طُلِيتْ مِسْكًا ذَكِيًّا إِذَا تَحَوَّلَ الْمِسْكُ عَلَيْهِ خَرًا

كان حفص بن أبي بردة<sup>(٣)</sup> أفطس أعفص مقبّح الوجه ، وكان حماد صديقه ، فغاشدوا الشمر يوما ، فظمن حفص على مرقش ، فقال حماد :

لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنِيكَ بِأَحْفَصُ شَاغِلٌ وَأَنْفُ كَثِيلِ الْعُوْذِ عَمَّا تَنْتَبِعُ<sup>(٤)</sup>

(٢) الأغاني ١٤ : ٣٣١

(١) الشعر والخبر في الأغاني ١٤ : ٣٢٩

(٤) الأغاني ١٤ : ٣٥١ .

(٣) ط : « وردة » تصحيف .

تَتَّبِعْ لِحْنًا فِي كَلَامِ مَرْقَشٍ      وَوَجْهَكَ مَبْنًى عَلَى أَقْحَنِ أَجْمَعِ  
فَإِذْ نَاكَ إِقْوَاءُ وَأَنْفُكَ مُكْفَأٌ      وَعَيْنَاكَ إِبْطَاءٌ ، فَأَنْتَ الْمَرْقَعُ  
أَخَذَ تَشْبِيهِ الْأَنْفِ بِالثَّيْلِ مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ فِي الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :  
فَقَدْتُ الْوَلِيدَ وَأَنْفًا      كَثِيلَ الْبَعِيرِ أَبِي أَنْبِيولَا  
قال أبو زيد : رأيت أعرابيًا كأن أنفه كوزٌ من عظامه ، فرآنا نضحك ،  
فقال لنا : ما يضحككم ! فوالله لقد كنتُ في قومٍ يسمونني الأفتُسَ .  
وقال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ أَقْبَلْتَ فِي حَاجَةٍ      إِلَيْهِ فَحَلَّمَهُ مِنْ خَلْفِهِ  
فَإِنْ أَنْتَ وَاجِهَتَهُ بِالْكَلا      مَ لَمْ يُسْمَعْ الصَّوْتُ مِنْ أَنْفِهِ  
وقال آخر :

إِنَّ عَيْسَى أَنْفُ أَنْفِهِ      أَنْفُهُ ضِعْفُ لِيَضْمِنَهُ<sup>(١)</sup>  
لَوْ تَرَاهُ رَاكِبًا وَالْأَنْفُ قَدْ جَالَ بِمِطْفِئِهِ  
لَرَأَيْتَ الْأَنْفَ فِي السَّرِّ      جَ وَعَيْسَى رِذْفُ أَنْفِهِ

وقال الحسن في جعفر بن يحيى :  
ذَاكَ الْوَزِيرَ الَّذِي طَالَتْ عِلَاوَتُهُ      كَأَنَّهُ نَاطِرٌ فِي السَّيْفِ بِالطُّولِ  
وقال أبو علي الخليلي<sup>(٢)</sup> :

حَابُورَ وَيَنْحُكَ مَا أَخَصَّكَ بَلْ أَخَصَّكَ بِالْعَيُوبِ !  
وَجْهٌ قَبِيحٌ فِي التَّبَسُّمِ      كَيْفَ يَحْسُنُ فِي الْقَطُوبِ !

كان جعظة البرمكي ناثي العينين جدًا ، قبيح الوجه ، فقال فيه ابن الرومي :  
نَبَتْ جَعْظَةُ يَسْتَمِيرُ جَعْوَلُهُ      مِنْ فِيلٍ شِطْرُنَجٍ وَمِنْ مَرْطَانٍ<sup>(٣)</sup>  
يَا رَحْمَةً لِنَادِمِهِ تَحْتَمِلُوا      أَلَمْ الْعَيُونُ لِلْإِذَّةِ الْآذَانُ

(٢) هو الحسين بن الضحاك ، والبيتان في ديوانه ٢٩

(١) ذيل زهر الآداب ٢٨١

(٣) ذيل زهر الآداب ١٩٨

وكان طيب الغناء ، وحضر مجلسه علي بن بسام ، ففترق القوم الحادّ ه  
فقال جعظة : مالي لا أعطى مخدة ؟ فقال له ابن بسام : غنّ فالحادّ كلها إليك  
تصير ، وقال فيه :

يا مَن هَجُوناهُ فَمَنّانا      أنتَ وحقُّ الله أَهْ بَمانا  
سَيانٍ إنْ غَنّى لَنا جعظَةً      أو مَرَّ مَجنونَ فزَمانا  
وله فيه أيضاً :

لجَظّةِ الحَسنِ عَندى يدِ      أشكرها مِنه إلى الحَشرِ  
لَنا رَأى رَدَّ رِذَوَنَه      وصانني عن وَجهِه المُنكَرِ

كان الخطيئة قبيح المنظر ، كثير الشرّ ، فالتبس يوماً إنساناً بهجره فلم  
يحدّ ، فجعل يقول :

أَبَتِ شَفَتاي اليَومَ إلّا تَكلُماً      بَشرٍ فِما أَدري لِمَن أنا قائلُهُ<sup>(١)</sup>  
فأَطْلَع في ماءٍ فَرأى وَجْهَهُ ، فقال :

أَرى لِي وَجْهًا قَبِيحَ الله شَخْصَهُ      فُجِّحَ مِن وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حامِلُهُ  
نظر إلى هذا إسماعيل بن معمر القراطيسي فقال :

وَنيلٍ عَلى سَاكِنِ شَطِّ الصِراةِ      مِن وَجْهِهِ شَمَتَ بُرْقُ الحِياةِ<sup>(٢)</sup>  
ما تَنقَضِي مِن حَجابٍ فَكُرتِي      مِن خِصْلَةٍ قَرطِ فيها الوِلاةِ  
تَركَ الحَبَّينَ بَلا حَماكِ      لَم يَعدوا لِلعاشِقينَ القِصاهِ  
وَقَد أَتاني خَبرٌ صاءِني      مَقالها في السَرِّ : واسِوءَ تاهِ  
أَمثلَ هَذا يَتَنفَى وَصَلّا      أَمّا يَري ذَا وَجْهِهِ في المِراةِ

وقال الأصمّهاني : إن القراطيسيّ سأل العباس بن الأحنف فقال له :  
يا أبا الفضل ، هل قلتَ في معنى قولِي هذا شيئاً ؟ فقال : قلت :

(١) ديوان الخطيئة ١٢٠ . (٢) الاغاني ٢٠ : ٨٨ ، ٨٩ — سامي

جاريةٌ أعجبها حُسنُها      ومثلها في الناس لم يخلق<sup>(١)</sup>  
 خبّرتُها أني محبٌّ لها      فأقبلتْ تضعك من منطلق  
 والتفتتْ نحو فتاةٍ لها      كالرّشا الوسنان في قرطَق  
 قالت لها قولي لهذا الفتى:      انظر إلى وجهك ثم اعشِق

وقال الصّقلَى في صفة عدول قبيح :

رأى وجهه من أهوى عدولي فقال لي      أجلك من وجهه أراه كريها  
 قلت له بل وجه حبي مرأة      فأنت ترى تمثال وجهك فيها  
 ولابن القابلة السّبتى :

ووجه حبيب رقة حسنا أديمه      يرى الصبُّ فيه وجهه حين ينظرُ  
 تعرّض لي عند اللقاء به رشا      نكاد الحليّا من محياه تقطرُ  
 ولم يتعرّض كنيّ أراه وإنما      أراد يُرَبِّي أن وجهك أصفرُ  
 ولبعض المصريين في غلام يهواه :

يمجرى النّسيم على غلالة خدّه      وأرق منه ما يمرُّ عليه  
 ناولته المرأة ينظر وجهه      فمكست فتنة ناظرته إليه

وقال الرّمادي :

وإذا أراد تنزّها في روضة      أخذ المرأة بكفه فتنزّها  
 كان للفضل بن سهل وصيفة ظريفة كثيرة الملح والنّوادر، وكانت  
 ساقيته، وكان أبو نواس يولع بها ويمازحها، فقال لها يوما: إني أحبك وتبغضيني  
 فلم ذلك؟ فقالت له: وجهك والحرام لا يجتمعان، فقال:

(١) ديوانه ٢٠٣

مذكّرة مؤنثة ممّاة إذا برزت تشبّها غلاماً<sup>(١)</sup>  
 تعاف الماء والعسل المصنّى وتشرب من فتوتها المدّاما  
 تقول لحظها<sup>(٢)</sup> يا سيف أبشر ستروى من دم وتشقّ هاماً  
 وقائلة لها في وجه نصحر هلام قتلت هذا المستهما ؟  
 فكان جوابها في حسن من :<sup>(٣)</sup> أجمع وجه هذا والحراما !

ومن ملح ابن لفسكك في أهاجى أبي رياش :

على القبح الفظيع أبو رياش يعاثرنا بأخلاقٍ ملاح<sup>(٤)</sup>  
 يبيع أكفناً أبداً قداه فنصفقه على وجه المزاح

وله فيه أيضاً :

قل للوضع أبي رياش لا تبلى تيه كل تيه بالولاية والعمل<sup>(٥)</sup>  
 ما ازددت حين وليت إلا خسة كالسكّاب أنجس ما يكون إذا اغتسل

\* \* \*

قوله : تعريس ، أى نزول آخر الليل . يهدى : الأول يرشد ، ويدلّ على الطريق ، ويقال : هداه يهديه هدىً فى الدّين ، وهداه يهديه هدايةً فى طريق . يهدى : بعطي هدية ، ويقال : أهده هديةً يهديها إهداءً ، إذا أعطاه . الذود : ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل ، ولا تكون إلا أنثاء . قينة : جارية مفضية ويقال : القينة الأمة ، كانت مفضية أو غير مفضية . القينة : الساعة والحين ، ويقال : إني لآنيه القينة بعد القينة ، وقينة بعد قينة ، يستعمل بالآلف واللام ويتركهما ، أى أديم الاختلاف إليه الحين بعد الحين والوقت بعد الوقت . يزجى : يسوق . السفية : البطال المشتغل باللهو .

(٢) الديوان : « لسيفها »

(٤) القيمة ٢ : ٢٢٦ ، ٣٢٧

(١) ديوانه ٣٩٢ .

(٣) الديوان : « سر »

قال الحارث بن ممام : فاعترضته ، وقلت له : عَهْدِي بِكَ  
سَفِيهَا ، فَمَيَّ صِرْتُ فَقِيهَا ! فَظُلَّ هُنَيْهَةً يَحُولُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

لَبِسْتُ لِكُلِّ زَمَانٍ كَبُوسًا

وَلَا بَسْتُ صَرْفِيهِ : نَعْمَى وَبُوسًا

وَعَاشَرْتُ كُلَّ جَلِيسٍ بِمَا يُبْلَاغُهُ لِأَرْوَقِ الْجَلِيسَا

فَعِنْدَ الرِّوَاةِ أَذِيرُ الْكَلَامَ وَبَيْنَ السُّقَاةِ أَذِيرُ الْكُثُوسَا

وَطَوَّرًا بُوغِظِي أُسِيلُ الدُّمُوعَ

وَطَوَّرًا يَلَهْوِي أُسْرُ النُّفُوسَا

وَأَقْرَى الْمَسَامِعِ إِمَّا نَطَقْتُ يَا نَا يَقُودُ الْحُرُونَ الشُّمُوسَا

وَإِنْ شِئْتُ أَرْغَفَ كَفِّي الْبِرَاعَ

فَسَاقَطَ دُرًّا يُحَلِّي الطُّرُوسَا

وَكَمْ مَشْكَلَاتٍ حَكَّيْنِ الشَّهَا

خَفَاءَ فَصِرَنَ بِكَشْفِي شُمُوسَا

وَكَمْ مُلْعَرٍ لِي خَلَبَنَ الْعُقُولَ وَأَسَارَنَ فِي كُلِّ قَلْبٍ رَسِيدَا

وَعَذَرَاءَ فَهَتْ بِهَا فَاثْنَى عَلَيْهَا الشَّنَاءَ طَلِيقًا حَبِيسَا

\*\*\*

هُنَيْهَةٌ : سَوِيَّةٌ ، صَغِيرَةٌ ، وَيُقَالُ فِي تَصَغُّرِهَا : هُنَيْهَةٌ وَهُنَيْهَةٌ ، كَمَا تَصَغَّرُ سَنَةٌ

سُنَّتِيَّةٌ ، وَسُنَيْهَةٌ . يَحُولُ : يَتَصَرَّفُ . لَبُوسًا : ثَوْبًا بِشَاكِلِهِ ، أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ :

البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها  
 لا بست : خالطت . مَرَقِيهِ : حالته من الخير والشر . عاشرت : صاحبت .  
 يلائمه : يوافق . أروق : أعجب ، والصرف اسم لحادث الدهر ، لأنه يصرف  
 الأشياء عن وجوها . طوراً : مَرَّة . أفرى السامع : أعطى الآذن ، وأجمل  
 فيها البيان . إنا نطق ، أى إن نطق . الحرون : الذى يأبى المشى والانتقاد .  
 الشُّموس : الذى إذا نحس وثب ، وقيل : الذى يمنع الركاب . البراع : الأقلام :  
 أرفعها : أسأله بالمداد . يُحْمَلِي : يزين . الطروس : الكتب ، سُميت بذلك لأنها  
 ممحوة ، والمطروس : المحو . قال رؤبة :

\* كما رأيت الطلل المطروسا \*

[ مما قبل فى وصف القلم ]

وعلى ذكر البراع قال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي فى قلم :

وأهيف طاولى الكشع أسمر ناطق له جَوْلَانٌ فى بطون المهارق<sup>(١)</sup>  
 كأن اللالكى والزبرجد نطقه ونور الخزأى فى عيون الحدائق  
 إذا استعجلته الكف أمطر خاله بلا صوت إرعاد ولا صوب بارق

وقال ابن عبد ربّه :

بكفه ساحرُ البيان إذا أداره فى صحيفة سَحْرَا<sup>(٢)</sup>  
 مهفّفٌ تزدحم به صحفٌ كأنما حُلّيت به دُررا  
 يكاد عنوانها لروعته يُنبئك عن سرّها الذى استترا

وقال التّهامي :

يلقى العدا من كتبه بكتائب يجرّ زنّ من زرد الحروف ذُبُولَا<sup>(٣)</sup>

(١) العقد ٤ : ١٩١ ، أدب الكتاب ٨١ . (٢) العقد ٤ : ١٩٣ .

(٣) ديوانه ٣١ .

(٦ - شرح مقامات الحريري ج ٤)

فترى الصحيفة حليّة وجيادها أقلامه وصريهرن صهيل  
في كفه قلم أتم من القنا طولاً وهن أتم منه طولاً  
وله أيضاً :

وإذا راش بالأفامل منه قلماً واستمدت ساء وصراً<sup>(١)</sup>  
قلم دبّر الأقاليم حتى قال فيه أهل القناسخ إمراً  
يقبع الرمح أمره قابن عشرين ذراعاً بالرأى بمخدم شبرا

السها : نجم خفي . خَلَيْنَ : خدعن . أسأرنَ : أبقين ، والسور . البقية .  
وفي الحديث : « إذا أكلتم فأسئروا » ، وأخذت سائره ، معناه بقيته . الرئيس : أول  
برء الحصى ، يريد أن هذه المُلح لعدوبتها إذا حلت في القلب أحدثت فيه حركة  
وهزة ، وإذا سمع ذو الذكاء كلاماً مستظرفاً من نثر أو نظم وجد له ديباً  
وقشغيرة . وأخذ « وكـ مشكلات » ، من قول علي رضي الله عنه :

إذا المشكلات تصدّين لي كشفت حقائقها بالنظر<sup>(٢)</sup>  
وإن برقت في مخيل الصّواب عيبها لا يجتليها البصر  
مفنة بنيوب الأمور وضعت عليها صحيح الفكر  
لساناً كششفة الأرحبّي أو كالحسام اليماني الذّكر  
وقلبا إذا استنطقته الفيوب أمر عليها بواهي الدرر

عذراء : قصيدة بكر ، لم يسبق إليها . فُتت : نظمت . انشى : رجع . طليقاً :  
منشراً في الناس . حبساً : موقوفاً عليها لا يعتمدها غيرها .

[ ذكر مدح الشعراء للشعر ]

ومدح الشعراء للشعرباب شأوه بعيد ، ومنذ كر لحبيب - وهو المبرز فيه -

(١) ديوانه ٣٩ (٢) ديوانه ٢٢ ، ٢٢ ، زهرة الآداب ٤٠

ولغيره ما يستحسن ويُستجاد ، قال حبيب :

جاءتك من نظم اللسان قلادةٌ      سيمطآن فيها اللؤلؤ للكنون<sup>(١)</sup>  
 حذيتُ حذاء الحضرمية أرهفتُ      وأجادها التخصير<sup>(٢)</sup> والتبيينُ  
 إنسية وحشية كثرَتْ بها      حركات أهل الأرض وهي سكونُ  
 أما المعاني فهي أبكارٌ إذا      فُضت<sup>(٣)</sup> ولكن القوافي حُورُنُ

وقال أيضاً :

فوالله لأفئك أهدى قصائدًا      إليك يحمِلن الثناء للبيجلا<sup>(٤)</sup>  
 يحاك بها بُرْدٌ عليك مجدّدٌ      ونحسبه درًا عليك مفضلاً  
 ألدّ من السّوى وأطيب نفحةً      من المسك مفتوقاً وأيسر محملاً  
 أخفّ على سمعٍ وأثقلَ قيمةً      وأقصرَ في سَمْعِ الجلبسِ وأطولاً

وقال البحتري :

تَطَوَّعُ القوافي فيكمُ فكانتَا      يطير إليكم من علوّ قصيدتها<sup>(٥)</sup>  
 وكم لي من محبوبة الوشي فيكمُ      إذا أنشدت قام امرؤ يستعبدتها

وقال أيضاً :

ألستُ للموالى فيكَ نظمَ قصائدٍ      هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجمًا<sup>(٦)</sup>  
 ثناء تخالُ الروض منه منورًا      ضحى وتخالُ الوشي فيه مُسَهَّمًا

وقال أيضاً :

إليك القوافي نازعاتٍ قواصدًا      يُسيرُ ضاحي وشيها ويُفَنِّمُ<sup>(٧)</sup>

(٢) ط : « التحصين » وصوابه من الديوان .

(٤) ديوانه ٢٥٥ (٥) ديوانه ٦٥٥

(٧) ديوانه ١٩٤١

(١) ديوانه ٣٣٠ ، ٣٣١

(٣) الديوان : « نصت » .

(٦) ديوانه ١٩٨٤

ومشرقة في النظم غراً يزيدُها بهاء وحسناً أنها لك تُنظمُ  
ضوايمنُ للحاجات إمّا شوافها مشقمةً ، أوحاكاتٍ تُحكَمُ

وقال علي بن الجهم :

ولكنّ إحسان الخليفة جعفرٍ وسار مسير الشمس في كلّ بلدةٍ  
دعاني إلى ما قلت فيه من الشمر<sup>(١)</sup> وهبّ هبوب الريح في البر والبحر

ولابن الرومي يهجو :

خذها إليك منيعةً سياراً في الناس من بادٍ ومن متعصرٍ  
تقدو إليك بحاصٍ وبتاربٍ وعلى الرواة بلؤلؤ متخيرٍ

وقال السري الموصلي :

أتسك يحول ماء الطبع فيها قوافٍ إن ثذت للمرء عطفاً  
مجال الماء في السيف الصقيل<sup>(٢)</sup> ثنى الأعطاف في برود جميل  
وقال أيضاً<sup>(٣)</sup> :

شرقت بماء الطبع حتى خلتها ويقول سامعها إذا ما أنشدت  
شرقت لروثها<sup>(٤)</sup> يتبر ذائب أعقود تحدر أم عقود كواكب  
وقال أيضاً :

ألفاظها كالدرّ في أصدافه من كلّ رائحة الجمال كأنما  
لا بل تزيد عليه في لآلئه<sup>(٥)</sup> جاد الشباب لها برونق مائده  
والشعر بحر حُزّت أنفَس درّه وتنافس الشعراء في حصنائه

(٢) ديوانه ٢١٨

(١) ديوانه ١٤٧

(٤) الديوان : «لريثها» (٥) ديوانه ٥

(٣) ديوانه ٢٣

وقال أيضاً :

أَفْظَ صَمَلْتُ مَتُونَهُ فَكَأَنَّهُ      فِي مَشْرِقَاتِ النَّظْمِ دُرٌّ مِخَابٍ<sup>(١)</sup>  
وَكَأَنَّمَا أُجْرِيَتْ فِي صَفْحَاتِهِ      حَرُّ اللَّجَيْنِ وَخَالِصُ الزَّرِّيَابِ  
أُغْرِبْتُ فِي تَحْبِيرِهِ فَرُؤَاتِهِ      فِي نَزْهَةٍ مِنْهُ وَفِي اسْتِفْرَافِ  
وَقَطَعْتُ مِنْهُ شَيْبَةً لَمْ تَسْتَفْلِ      عَنْ حَسَنَةِ بَصَبَا وَلَا بِتَصَابِ  
وَإِذَا تَرَقَّرَ فِي الصَّحِيفَةِ مَاؤُهُ      عَبَقَ النَّسِيمِ فَذَاكَ مَاءُ شَبَابِي  
يُصْفَى اللَّيْبُ لَهُ فَيَقْسَمُ لُبُّهُ      بَيْنَ التَّعْجُوبِ مِنْهُ وَالْإِعْجَابِ  
جِدٌّ يَطِيرُ شَرَارُهُ ، وَفُكَاةٌ      نَسْتَعْفِفُ الْأَحْبَابَ لِلْأَحْبَابِ

قال يحيى بن أكرم لمحمد بن حازم : ما في شعرك شيء غير أنك لا تعطيله، قال :

أَبَى لِي أَنْ أُطِيلَ الشَّعْرَ قَصْدِي      إِلَى الْمَعَى وَعَلَيَّ بِالصَّوَابِ<sup>(٢)</sup>  
فَأَبْعَثْنِ أَرْبَعَةَ وَخَمْسًا      مَنَقَّةً بِالْقَاضِ عِذَابِ  
خَوَالِدًا مَا حِدَا لَيْلُ نَهَارًا      وَمَا حَسُنَ الصَّبَا بِأَخِي الشَّبَابِ  
وَمَنْ إِذَا وَسَمْتُ بِهِنَّ قَوْمًا      كَأَطْوَاكِ الْحَامِ فِي الرُّقَابِ  
وَمَنْ إِذَا أَقَمْتُ مَسَافِرَاتٍ      تَهَادَاها الرُّؤَاةُ مَعَ الرُّكَّابِ

\* \* \*

عَلَى أَتْنِي مِنْ زَمَانِي خُصِصْتُ

بِكَيْدٍ وَلَا كَيْدَ فِرْعَوْنَ مُوسَى

يُسَمِّرُ لِي كُلَّ يَوْمٍ وَغَى

أَطَامَنَ لَهَاها وَطِيسًا وَطِيسًا

وَيَطْرُقُنِي بِالْخَطِّ وَبِالَّتِي

يُذِئْنَ الْقَوَى وَيُشِينَنَ الرُّمُوسَا

(٢) الأغاني ١٤ : ٩٨، ٩٩

(١) ديوانه ٤٢ والخباب : القلادة

ويذهب إلى البعيد البغيض ويبعد عني القريب الأنيساً  
ولولا خسارة أخلاقه لما كان حظي منه خسيساً  
قللت له : خفف الأحزان ، ولا تلم الزمان ، واشكر لمن تقلك  
عن مذهب إبليس ، إلى مذهب ابن إدريس .

• • •

قوله : على أنني ، أي مع أنني . وقوله : ولا كيد فرعون موسى ، أضاف  
فرعون إلى موسى ، لأن القراعنة كانوا جماعة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن لكل أمة فرعوناً ، وفرعون هذه الأمة  
أبو جهل » .

وفرعون موسى ، كان أكبر القراعنة كيداً وأطولهم عمراً ، وأعتاهم على  
الله ، وأسراهم بمملكة .

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام :  
يأربى ، أمهت فرعون أربعائة سنة ، وهو يقول : أنا ربكم الأعلى ،  
ويكذب بآياتك ويمجد رسلك ! فأوحى الله تعالى إنه كان حسن الخلق سهل  
الحجاب ، فأحببت أن أكانته .

وأما عذابه لبني إسرائيل فقد قدمناه في الخامسة .  
ومما يحكى عنه أنه كان بأمره بالقص فيشق ، ويجعل أمثال الشفار ، ثم  
يضيف بعضه إلى بعض ، ثم يؤتى بالحبال من بني إسرائيل فيوقن عليه ، فيحز  
أقدامهن ، حتى إن المرأة لتضع ولدها فيقع بين رجلها ، فتظل تطؤه تتقى به  
حد القص عن رجلها .

قال وهب بن منبه : بلغني أنه ذبح في طلب موسى تسعين ألف ولد .  
ولسب الثعالبي المفسر فرعون ، فقال : هو أبو العباس الوليد بن مصعب بن الزيان

ابن أراشه بن ثروان بن عمرو بن قاذم بن حلاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

قوله : يُسَمَّر ، أى يهتيج . ونعى : حرب . لظاها : حرّها . وطيساً : شدة ، وحمى الوطيس : اشتدت الحرب ، وأصله تنور من حديد يطبخ فيه ، فشبهت شدة الحرب وحرارتها به . وقيل : هو حفرة يُخْتَبَزَ فيها . والوطيس : الوطء الشديد ، والبلاء الذى يطس الناس ، أى يذقهم ويقتلهم .

يطرقنى : يقصدنى ليلاً . الخطوب : الأمور الشداد . خساسة : حقارة . حظى : نصيبى .

ومما قيل فى معنى قوله : ويدنى إلى البعيد البغيض . . البيت .. قول الزاهد ابن عمران :

إلى سام كلّ ثقيل قد أضربنا نروم نقصهم والشئ يزود  
ومن يخفّ علينا لا يلمّ بنا ولثقل مع الساعات تردّاد

ويقرب منه قول الشاعر :

وكيف بودّ القلب من لا بودّه بلى قد تريد النفس من لا يريدّها  
وقال عدى بن الرقاع<sup>(١)</sup> :

تبلى لك<sup>(٢)</sup> أخت بى لوى إذ رميت سواها وأصاب نبلك إذ رميت سواها  
وأعارها الحدّان منك مودة وأعار غيرك ودّها وهواها

وهذا من قول الأعشى :

عائقتها عرّصاً وعلقت رجلاً غيرى ، وعلقت أخرى غيرها الرجل<sup>(٣)</sup>

(٢) ط : د بلى لك ، والصواب ما أنبته من اللالى

(١) اللالى ١٣٩ .

(٣) ديوانه ٥٧ .

وقال مسلم بن الوليد - وهو صريع الفوائى ، وكان حاملاً فولّاه بنو سهل جرجان فشرف - فقال :

أهلُ الصفاء نأيتُم بعد قُرْبِكُم      فما انتفعتُ بعيش بعدكم صافي<sup>(١)</sup>  
وقد قصدتُ ندى مَنْ لا يوافقنى      فكان سهمى عنه الطائش الطافي  
أردتُ «عمرأ» وشاء الله «خارجة»      أما كنى الدهر من خلّفى وإخلافى  
ولهذا أشار ابن شرف بقوله :

سَلْ مَنْ رَضَى عَنِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ      كَرِضًا الْفَرَزْدَقُ عَنْ بَنِي يَرْبُوعٍ<sup>(٢)</sup>  
فَهُ حَالٌ قَدْ تَنَقَّلَ مَهْدُهَا      كَخِلَافِ نَقْلِ الدَّهْرِ حَالَ صَرِيحٍ  
دَارَتْ دَرَارِيَّ الْخُطُوبِ قَوَاصِدًا      حَتَّى نَظُرْنَ إِلَى مَنْ تَرَيَّعَ  
وَلَهُ أَيْضًا يَتَشَكَّى :

مَالِي أَجَاذِبُ ذِي الدُّنْيَا مَوْلِيَّةً      فَكَلَّ ثَوْبٌ عَلَيْهَا قَدَمَنْ دُبُرٍ<sup>(٣)</sup>  
أَتَى الزَّمَانَ عَلَى يَأْسٍ بِهِ لَبِنِي الدُّنْيَا      كَبَشُورِي بِمَوْلُودٍ عَلَى كِبَرٍ  
وَقَالَ أَيْضًا :

إِنِّي وَإِنْ عَزَّتْ نِيلُ الْمَنَى لَا أَرَى      حَرِصَ النَّفْسِ خَلَّةَ زَيْدَتٍ عَلَى الْعَدَمِ<sup>(٤)</sup>  
تَقْلَدُنِي اللَّيَالَى وَهِيَ مَدِيرَةٌ      كَأَنِّي صَارِمٌ فِي كَفِّ مَنْهَزِمٍ  
وَقَالَ جَعْفَلَةُ :

ضَاقَتْ عَلَى وَجْهِهِ الرَأْيُ فِي نَفَرٍ      يَلْقَوْنَ بِالْجَعْدِ وَالْكَفَرَانِ إِحْسَانِي  
أَقْلَبَ الْطَرَفَ تَصْمِيدًا وَمُنْهَدَرًا      فَمَا أَقَابِلُ إِنْسَانًا بِإِنْسَانِي  
وَقَالَ أَيْضًا :

لَقَدْ مَاتَ لِإِخْوَتِي الصَّالِحِينَ      فَالَى صَدِيقٍ وَمَالَى عَادُ

(١) قله الميقي في التنف ١٠٤

(٢) قله الميقي في التنف ١١١

(٣) ديوانه ٣٢٧

(٤) قله الميقي في التنف ١٠١

إِذَا أَقْبَلَ الصَّبَحَ وَتَى السَّرُورُ    وَإِنْ أَقْبَلَ اللَّيْلَ وَتَى الرَّقَادُ  
قوله : خَفَضَ ، أَيْ سَكَنَ .

\* \* \*

### [ ترجمة الإمام الشافعي ]

وابن إدريس هو الإمام الشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن خافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، يلتقي نسبه مع بني هاشم وبني أمية في عبد مناف .

وقال صلى الله عليه وسلم : « نحن وبنو المطلب كهاتين » - وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى مضمومتين .

وحاصرت قريش بني المطلب مع بني هاشم في الشعب .

وكان الشافعي أعلم الناس وأورعهم وأعبدهم ، وأجودهم ، فإن أردت أن تقف على حفظه ومبلغ علمه ، فانظر رحلته .

ووصفه بعض أهل العلم فقال : هو خفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسبه وشريكه في حسبه .

زوج المطلب ابنته هاشماً الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف أخيه ، فولدت له عبد يزيد جد الشافعي رضي الله عنه ، فكان يقال لعبد يزيد : المحض لاقدى فيه ، فولد الشافعي رضي الله تعالى عنه هاشمان : هاشم بن المطلب وهاشم بن عبد مناف ، فالشافعي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، لأن للشفاء أخت عبد المطلب ، فهي عمة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأسلم السائب جدّه يوم بدر ، وكان صاحب راية بني هاشم بن عبد مناف

أَمِيرَ وَفَدَى نَفْسَهُ ، فَاسْلَمَ ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ لَمْ تُسَلِّمْ قَبْلَ أَنْ تَفْتَدِيَ ؟ قَالَ : مَا كُنْتُ أَحْرَمُ الْمُؤْمِنِينَ طَعْمًا لَهُمْ فَهَ .

قال أبو ثور : ما رأيتُ ولا رأى الراءون مثله .

وقال أحمد بن حنبل : ما صلّيت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو الله للشافعي . وقال له ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له هذا الدعاء ؟ قال : يا بني كان كالشمس للدينا ، أو كالعافية للناس .

وحدث صالح بن أحمد بن حنبل قال : مشى أبي مع بَنَلَةَ الشافعي في ركابه ، فبعث إليه يحيى بن معين فقال له : يا أبا عبد الله ، أما رضيت إلا أن تمشي مع بنفلة ؟ فقال : يا أبا زكرياء ، لو مشيت من الجانب الآخر لكان أنفع لك ، وما يمس أحد بحبرة إلا وللشافعي في عنقه منة .

وقال الشافعي رضي الله عنه : ما شِئْتُ منذ ست عشرة سنة ، لأنَّ الشَّبْعَ يثقل البدن ، ويقسى القلب ، ويزيل الفطنة ، ويحلب النوم ، ويضعف صاحبه من العبادة .

وقال : ما حلفتُ بالله لا صادقاً ولا كاذباً .

وقال : ما ناظرتُ أحداً قط فأحببت أن يخطيء ، وما كلمتُ أحداً إلا أحببت أن يوفق ويُسَدَّدَ ويعان ، ويكون عليه من الله رعاية وحفظ . وما كلمتُ أحداً إلا وأنا لا أبالي أن يُبَيِّنَ الله الحقَّ على لسانه أو لساني ، وما أوردتُ الحجة على أحدٍ ، فقبل مني إلا هبته واعتقدت محبته ، ولا ثابرتي على الحق أحدٌ ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته .

وكان يحتم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة .

وقال الكرايسي : بث معه غير ليلة فكان يصلّ نحواً من ثلث الليل ، فما رأيته يزيد على خمسين آية ، فإذا أكثر فثانة آية . وكان لا يمر بآية فيها رحمة إلا

سأل الله لنفسه ولجميع المسلمين ، ولا بآية هذاب إلا تعوذ منها وسأل النجاة منها لنفسه ولجميع المسلمين .

وقال عمر بن عبد الله البَلَوِيّ: جلسنا يوماً نقذا كرا الزهاد والعباد والعلماء ، وما بلغ من زهدهم وفصاحتهم وعلمهم ، فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا عمر ابن نباتة ، وقال : فيم تتحاورون ؟ فأعلمناه ، فقال عمر : والله ما رأيت رجلاً قطّ أوزع ولا أخشع ولا أصبَح ولا أسمع ، ولا أعلم ولا أكرم ولا أجمل ، ولا أجَلّ ولا أفضل ، من محمد بن إدريس الشافعيّ ، خرجت أنا وهو والحارث بن الليبيد إلى الصفا ، وكان الحارث صاحب صالح الثرّي ، وكان من المتقين الخاشعين ، وكان حسن الصوت ، فقرأ ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾<sup>(١)</sup> فرأيتُ الشافعيّ رضي الله عنه قد تغير لونه ، واقتشمر جلدُه واضطرب اضطراباً شديداً ، ثم خرّ مغشياً على وجهه ، فلما أفاق جعل يقول : أعوذ بك من مقام الكاذبين ، وأعراض الغافلين ! اللهم خضعت لك قلوبُ العارفين ، وذلت لك قلوبُ المشتاقين ، اللهم هب لي جُردك ، وجلّلي بسِترك ، واحف عن قصيري بكرم وجهك . ثم قنا وتفرقنا .

وقال الربيع بن سليمان ، سمعت الشافعيّ رضي الله عنه ، يقول : أتى عليّ عيد وليس عندي نفقة ، فاستسلفت سبعين ديناراً لفنقة أهلي ، فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجل من قریش يشتكي إلى الحاجة فأخبرته خبري ، وقلت له : خذ ما تحب ، فقال لي : ما يقنعني إلا أكثر من هذه الدنانير ، فقلت له : نخذها ، وبثّ وماعني دينار ولا درهم ، فبينما أنا في منزلي إذ أتاني رسول جعفر بن يحيى البرمكي ، يقول : أجب الوزير ، فأجبت . فقال : ما شأنك في هذه الليلة ؟ يهتف بي هاتف كلما دخلت في النوم ، يقول : الشافعيّ الشافعيّ ، فأخبرته بالخبر ، فأعطاني خمسمائة دينار ، ثم قال : أزيدك فأعطاني خمسمائة أخرى ، فلم يزلّ يزيدني حتى أعطاني ألفي دينار .

ومن جوده أن سوطه وقع من يده ، فأعطى مَنْ ناوله إياه خمسين دينار .  
وورد مكة بمئنة آلاف درهم ، ففُضرب خبائه خارجها ، فأتاه الناس ،  
فما برح من موضعه حتى فرَّقها .

وكان شاعراً مجيداً ، قال أبو القاسم بن الأزرق : دخلت عليه ، فقلت له :  
يا أبا عبد الله ، أما تنصفنا لك هذا الفقه تفوز بفوائده ، ولنا هذا الشعر ، وقد  
جئتُ تَدْخلنا فيه ! فإِما أفردتنا أو أشركتنا في الفقه ، وقد أتيتُ بأبيات إن  
أجزئها بمثلها ثبت من الشعر ، وإن عجزتُ تُب منه ، فقال لي : إيه يا هذا ،  
فأنشدته هذا الكلام :

ما همّتي إلا مقارعة العدا	خَلَقَ الزَّمانَ وَهَمَّتِي لَمْ تَخْلُقْ
والناس أعينهم إلى سبب النفي	لا ينظرون إلى الحجا والأولئ
لكن مَنْ رُزِقَ الحجا حُرِمَ النفي	ضدَّانَ مفترقان أئى تفرق
لو كان بالحيل النفي لوجدتني	بنجوم أقطار السماء تعلقي

فخال الشافعي رضى الله تعالى عنه : ألا قلت كما أقول ارتجالاً :

إن الذي رزق اليسار فلم يَنْفَلْ	حداً ولا أجراً لفيرُ موفق <sup>(١)</sup>
فالجد يدني كلَّ أمر شاسع	والجد يَفْتَحُ كلَّ باب مُغْلَقْ
فإن سمعت بأن مجدوداً حوى	عوداً فأتمر في يديه فحقق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى	ماء ليشربه ففاض فصديق
وأحق خلق الله بالهمّ امرؤ	ذو همّة يُبْهِلُ بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه	يؤنس اللبيب وطيبُ عيش الأحق

فقلت له : لا قلت شعراً بعدها .

(١) ديوانه - ، ونقل جامعه عن محمد بن منصور ، قاله : قرأت في كتاب طاهر بن محمد  
النبسبوري بخط الإمام الشافعي ، وذكر الأبيات .

قال المبرّد : كان الشافعي رضي الله عنه أشعر الناس وآدب الناس ، وأعرفهم بالفقه والقراءات ، ولقد أخبرني بعض أصحابي أنه مات ولداً لعبد الرحمن ابن مهدي ، فكتب إليه الشافعي رضي الله عنه : يا أخي ، عزّ نفسك بما تُعزّي به غيرك ، واستتبع من فعلك ما تستتبعه من غيرك . واعلم أن أمض المصائب قد سرور ، وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتماع اكتساب وزر ! فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ، أهلك الله عند المصائب صبراً ، وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً ، وكتب إليه :

إني أعزبك لا أني على ثقة من الحياة ولكن سفة الدين<sup>(١)</sup>  
فما المعزى يباقي بصد مئيتي ولا للمعزى وإن عاشا إلى حين  
وقال أيضاً :

على ممي حينما يمتت بنفعي قلبي وعاء له لا بطن صندوقي<sup>(٢)</sup>  
إن كنت في البيت كان العلم فيه ممي أو كنت في السوق كان العلم في السوق  
وقال أيضاً :

ومنزلة السفيه من الفقيه كنزلة الفقيه من السفيه<sup>(٣)</sup>  
فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهّد منه فيه  
إذا غلب الشقاء على سفيه تقطع في مخالفة الفقيه

وناظر الشافعي محمد بن الحسن الكوفي بالرة قطعه الشافعي ، فبلغ ذلك هارون الرشيد ، فقال : أما علم محمد بن الحسن إذا ناظر رجلاً من قريش ، أنه يقطعه ؛ سائلاً أو مجيباً ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « قدّموا قريشاً ولا قدّموا عليها ، وتعلّموا منها ولا تعلّموها » ، فإن علم العالم منها يسع طباقه

(١) ديوانه ٦٨

(٢) ديوانه ٤٩ .

(٣) ديوانه ٧١

الأرض . وكان الشافعي يعظم محمد بن الحسن له ، واستعار شيئاً من كتبه فلم يسهفه بذلك ، فكتب إليه الشافعي رضى الله تعالى عنه :

قُلْ لِلَّذِي لَمْ تَرَ عِيَةً نَأْمَنْ رَأَاهُ مَثَلُهُ (١)  
وَمَنْ كَانَ مِنْ رَأَاهُ قَدَرَأَى مِنْ قَبْلَهُ  
الْعِلْمُ يَنْهَى أَهْلَهُ أَنْ يَنْمُوهُ أَهْلَهُ  
لَعَلَّهْ يَبْذُلُهُ لِأَهْلِهِ لَعَلَّهْ

فبعث إليه بما سأل .

وقال في الفقيه ابن عبد الحكم وقد اعتلّ فعاده :

مَرِضَ الْحَبِيبُ فَعَدَنَهُ فَمَرَضَتْ مِنْ حَذَرِي عَلَيْهِ  
شُفِي الْحَبِيبُ فَعَادَنِي فَشَفَيْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ

وقال أبو سعيد : سمعت الشافعي رضى الله عنه يقول بيتين وهما :

إِنِّي أَرَى نَفْسِي تَتَوَقَّعُ إِلَى مَصْرِ  
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَلَاخْفَضُ وَالْغَنَى أَقَادُ إِلَيْهَا ، أَمْ أَقَادُ إِلَى الْقَبْرِ !

قال : فوالله ما كان إلا قليل حتى سيق إليهما جميعاً .

ورأيته بعد وفاته ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أجلسني على كرسي

من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب .

وقال المُرْنِي : دخلت عليه غداة وفاته فقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال : أصبحتُ من الدنيا راحلاً ، ولإخواني مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، ولا أدري إلى الجنة تصير نفسي فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ! ثم أنشأ يقول :

(١) ديوانه . ٥٤ .

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَامِي جَعَلْتُ الرَّجَا مَتْنِي لَعْفُوكَ سُلْمًا<sup>(١)</sup>

تَمَاطَمَنِي ذَنِي فَلَمَّا قَرَنْتَهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا

وكانت وفاته في رجب ليلة الجمعة سنة أربع ومائتين ، ودفن في صبيحتها وهو ابن أربع وخمسين سنة ، وصلى عليه السري بن الحكم أمير مصر ، ودفن بها نحو قبور الشهداء في مقبرة بنى عبد الحكم وعند رأسه عمود من الحجر كبير ، وفيه مكتوب : « هذا قبر محمد بن إدريس الشافعي أمين الله » .

وقال الشافعي : أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ لِنَفْسِهِ مَنْ تَوَاضَعُ لِمَنْ لَا يَكْرُمُهُ ، وَرَغِبَ فِي مَوَدَّةِ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ ، وَقَبِلَ مَدْحَ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ .

وقال : مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ شِدَّةُ الشَّهْوَةِ بِحُبِّ الدُّنْيَا لَزِمَتْهُ الْمَبُودَةُ لِأَهْلِهَا ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَنَعِ زَالَ عَنْهُ الْخُضُوعُ .

وقال الربيع بن سليمان : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ :

وَأَنْزَلَنِي طُولُ النُّوَى دَارَ غُرْبَةٍ يَجَاوِدُنِي مَنْ لَيْسَ مِثْلِي بِشَاكِلَةٍ<sup>(٢)</sup>

أَخَامَقُهُ حَتَّى يَقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ

قال : وَصَمَّتْهُ بِفَشْدٍ :

حُصِّنَ النَّفْسَ وَاحْلَاهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا تَعَمَّشُ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فَيْكُ جَبِيلٍ<sup>(٣)</sup>

وَلَا تَوَلِّينِ النَّاسَ إِلَّا نَجْمَلًا تَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلٌ

وَمَنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ عَمَى نَسَكِبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرَأَةٍ مَقْلُومٍ إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالٌ حَيْثُ تَمِيلُ

وَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعْدُثُمْ وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ ١

(١) ديوانه ٥٩ . (٢) ديوانه ٥٣ . (٣) ديوانه ٥٣ .

قال : وسمع رجلاً يَسْفَهُ على رجل من أهل العلم ، قال لأصحابه : تزَمُّوا  
أسماعكم عن استماع الخَلَى ، كما تزَمُّون ألسنتكم عن النطق به ، فإن المستمع  
شريك القائل ، وإن السفية ينظر إلى أخبث شيء في وعائه ، فيحرص على أن  
يفرغه في أوعيتكم .

نظم بعضهم هذا المعنى ، فقال :

فسمعتُ مَنْ عن سَمَاعِ الخَلَى      كصَوْنِ اللِّسانِ عن النُّطْقِ بِهِ  
فإنك عند استماعِ الخَلَى      شريكٌ لقائله فانتبه

وكان الحسن البصري رحمه الله ، إذا خطب المجاج ، وذكر السلف ،  
يتكلم تشاغلاً عن خطبته ، فيقول له في ذلك ، قال : إن السامع والمتكلم  
شريكان ، ألم تسمع قول الشاعر :

فجاء به ناطق منهم      بليغٌ ومستمعٌ صامتٌ  
فكلٌّ له حظه أنه      أعان مع الناطق الساكت

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

إن كنتَ لا ترهب ذمِّي لما      تعلم من صفحي عن الجاهل  
فاخش سكوتي إذ أنا منعتُ      فيك لمسموعي خني القائل  
فالسامع القول كن      قاله والموكل المأكول كالآكل

وذكر الفنجدي الشافعي ، فقال : هو إمام الأنام ، ونظام الإسلام ، أحد  
الأئمة الأربعة الأطواد ، الشاخرة في الدين الأجواد ، رضيع لبان النبوة ، أفضل  
العلماء ، وأعلم الفضلاء ، وصدر البدور وبدر الصدور ، وهادي الدعاة وداعيه  
الهداة ، إكسير العلوم ، وإكليل الرسوم . عِلِّم العلماء شظية من علمه ، وحلم  
العلماء جذوة من حلمه ، وعقائد الأصول مقتدحة من زناد كلماته ، وقواعد

الفروع مقترحة من عداد نعماته ، فارس هنيجاء المشكلات ، ومقوم عوجاء  
المضلات ، منبع الشئن ، ومثبع السنن ، فاز بقلبات الأقران ، وحاز قصبَاتِ  
الزَّهَانِ ، بظاهرة الأعراق ، ودمانة الأخلاق ، وفخامة شرف الأمومة ، وكرامة  
طرفي الأبوة والعمومة ، درة الأصداف ، من صميم آل عبدمناف ، كشف الظلمة  
عن الأمة ، وصرف عنهم المظلمة المدلّمة ، بعلم كالبحر الدجى ، ورأى كالبدر  
في الليل الدجى ، مذهبه مؤيد بنصوص القرآن ، وفصول الفرقان ، أسس بُنيانه  
على تقوى من الله ورضوانه ، فهو بين المذاهب والأديان ، كالناظر في الأجنان  
والسمع في الآذان ، والعقل في الإنسان ، والمدل لسلطان ، أحله الله محلّ  
القدس ، وأدلى إليه سحاب الأنس ... في كلام أكثر من هذا .

\* \* \*

فقال : دَعِ الْهَيْتَارَ ، وَلَا تَهْتِكِ الْأَسْتَارَ ، وانهضْ بنا لِانْضِرْبِ  
إِلَى مَسْجِدٍ يَثْرِبُ ، فَعَسَى أَنْ تَرَحَّضَ بِالْمَزَارِ ، دَرَنَ الْأَوْزَارِ .  
فقلت : هيهات أَنْ أَسِيرَ ، أَوْ أَفْقَهُ التَّفْسِيرَ ، فقال : تَاللَّهِ  
لَقَدْ أَوْجَبْتَ ذِمًّا ، وَطَلَبْتَ إِذْ طَلَبْتَ أَمًّا . فهاك ما يشقى النَّفْسَ ،  
وَيَنْفِي اللَّبْسَ ، قال : فَلَمَّا أَوْضَحَ لِي الْمَعْنَى ، وَكَشَفَ عَنِّي  
الْغُمَى ، شَدَدْنَا الْأَكْوَارَ ، وَسِرَتْ وَسَارَ . وَلَمْ أَزَلْ مِنْ مَسَامَرَتِهِ ،  
مُدَّةَ مَسَايَرَتِهِ ، فِيمَا أَنَسَانِي طَعْمَ الْمَشَقَّةِ ، وَوَدِدْتُ مَعَهُ بُفْدَ  
الشَّقَّةِ ، حَتَّى إِذَا دَخَلْنَا مَدِينَةَ الرَّسُولِ ، وَفَزْنَا مِنَ الزِّيَارَةِ  
بِالسُّوْلِ ، أَشَامَ وَأَغْرَقْتُ ، وَغَرَبَ وَشَرَقْتُ .

. . .

( ٧ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )

قوله : دع اهتار : ، أى أترك تمزيق العرض ، وفلان يهتار فلانا ، أى يسابه بالباطل من القول ، والقبیح من اللفظ ، وأصل الهتر سقط الكلام والباطل ، والمهاترة : القول الذى ينقض بعمضه بعضاً ، وأهتر الرجل فهو مهتر ، إذا أولع بالقول فى الشيء ، واستهتر ، فهو مستهتر : ذهب عقله فيه ، وانصرفت إليه همهته . تهتك : تخرق وتكشف ، يريد أنه لما عرض له بنقائصه قال له : دع كشف العيب ، فليس هذا موضعه . انهض : تقدم . لنضرب : لنمشى فى الأرض . ترخص : نفسل . المزار : زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . حرن الأوزار : وسخ الذنوب . هيهات : معناه بَعدَ ذلك عنك . أفعه : أفهم ، وذمماً : جمع ذمة ، وهى العهد . أمماً : شيئاً قريباً ، والأمم : القصد . هاك : أى خذ . المعنى : المعطى المشكل المعنى ، وأراد به شرح المائة الفتيا الملفةزة . ويقال لمن يطلب ما يمكن ولم يشتط : طلب أمماً قال عبيد الله بن قيس الرقيات : كوفية نازح محلتها لا أمم دارها ولا صتب<sup>(١)</sup>

الصفب : القرب . الفتى : هى الغمة التى تغطى على القهن ، والمعنى الأمر الملتبس . الأكوار : ما هو للإبل كالبراذع للدواب . الشقة : السفر البعيد . والشول : المراد ، أشأم وأعرق : قصد الشأم وقصدت العراق .

[ فصل فى زيارة قبر الرسول عليه السلام ]

ونذكر هنا فصلاً فى زيارة القبر المعظم وتوديع زائره له ووصف الروضة والمسجد وذِكْرُ يثرب ، وهى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ومهاجرة ، سماها طيبة لما كان اشتقاقها من التثريب<sup>(٢)</sup> . وكان صلى الله عليه وسلم يغير الأسماء التى تدل على الاستقباح إلى ضدّها .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زار قبرى وجبت له شفاعتى » .

(١) ديوانه ٨ ، وفيه « ولا صتب » ، وهما سواء (٢) التثريب : الإفساد

ابن عمر رضى الله عنهما : يثرب أرض مدينة الرسول في ناحية منها .  
وقال شيخنا ابن جبير في روضته صلى الله عليه وسلم : شاهدنا <sup>(١)</sup> الروضة  
المكرّمة ، وقد وقع الأذان بوصول صدر الدين رئيس الشافعية الأصبهاني الذي  
ورث النباهة والوجاهة في العلم كابرأ عن كابر ، المعروف برئيس العلماء ،  
توارثه عن أب فاب ، وقد غصّ الحَرَم بالمتنظرين ، وقد أعدّ له كرسيًا بإزاء  
الروضة المقدسة ، فصعد وحضر قراؤه أمامه ، فابتدءوا بالقراءة بنفحات عجيبة ،  
وتلاحين مطربة بهيجة ، وهو يلحظ الروضة المقدسة ، ويؤمن بالبكاء . ثم أخذ  
في خطبة من إنشائه سحرية البيان ، وسلك في أحاليب من الوعظ بالأسان ،  
وأندأ أبياتاً بديعة من قوله ، كان يردّد منها هذا البيت ، ويشير إلى الروضة  
المعظمة المطهرة .

هانيك روضته تفوح نسيماً صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

وتمدّأ في وعظه إلى أن أطار النفوس من خشية ورقة ، هو يعتذر من  
التقصير ، لهول ذلك المقام ويقول : عجباً لألكنّ العجم ، كيف ينطق عند  
أفصح العرب . وتهافت الأعاجم عليه معلنين بالتوبة ، وقد طاشت ألبابهم ،  
ودهشت عقولهم ، فيلقون نواصيهم بين يديه ، فستدعى الجلسين ، ويجرّاه ناصية  
ناصية ، وكلّما جزّ ناصية كساها عمامة ، فتوضع عليه للحين حمامة أخرى ، ثم  
ختم مجلسه ، بأن قال : معشر الحاضرين ، قد تكلمت لكم ليلة بحرم الله ،  
وهذه الليلة بحرم رسوله ؛ ولا بدّ للواعظ من كدّية ، وأنا أسألكم حاجة وإن  
ضمنتها إليّ أرت لكم ماء وجهي في ذكرها . فأعلن الناس بالإسماع وشهيقهم  
قد علا ، فقال : حاجتي أن تكشفوا رءوسكم ، وتبسطوا أيديكم ، ضارعين لهذا  
النبي الكريم في أن يرضى عني ويغفر لي . ثم أخذ في تعداد  
ذنوبه ، والاعتراف بها ، فأطار الناس محامهم ، وبسطوا أيديهم للنبي صلى الله

(١) رحلة ابن جبير ص ١٦٨ وما بعدها مع تصرف .

عليه وسلم ، داعين له باكين متضرعين ؛ فإرأيت ليلة أكثر دموعاً ، ولا أعظم خشوعاً من تلك الليلة . ثم انفضّ المجلس .

قال ابن جبير رحمه الله : ثم كان في اليوم التالي لهذه الليلة وداعنا للروضة المكرمة ، فياله وداعاً ، ذهلت له النفوس ارتباعاً ، حتى طارت شماعاً ، وما ظنك بموقف ينادى بالتوديع فيه سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ! إنه لموقف تنفطر فيه الأفئدة ، وتطيش له الألباب المتثددة ، فوا أسفاه وأسفاه ! كل ييوح لديه بأشواقه ، ولا يجد بُدّاً من فراقه ، فما تستطيع إلى الصبر سبيلاً ، ولا تسمع في ذلك المقام إلا رنةً وعويلاً ، وكل بلسان الحال ينشد :

محبتي تقتضي مقامي وحالي تقتضي الرحيل

بؤ أنا الله بزيارة هذا النبي الكريم منزل الكرامة ، وجعله شفيماً لنا يوم القيامة ، وألنا بفضل في جواره الكريم دار المقامة .

ثم ذكر الروضة المقدسة مع المسجد العتيق الذي احتوى على الروضة ، فقال : المسجد المبارك مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مُستطيلٌ ، وتمحُّفٌ من جهاته الأربع بلاطات مستطيلة ، ووسطه كلة صحن مفروش بالحصى والرمل ، وفي الصحن خمس عشرة نخلة ، فالجهة القبليّة لها خمس بلاطات مستطيلة من غرب إلى شرق ، والجنوبيّة كذلك ، على الصفة المذكورة والشرقيّة لها ثلاث بلاطات ، والغربيّة لها أربع بلاطات . وطول المسجد مائة خطوة وست وتسعون خطوة ، ووسعته مائة وست وعشرون خطوة ، وعددُ سواريه مائتان وتسعون ، وهي أهدمة متصلة بالثمنك دون قسيّ تنمطف عليها ، فكانتها دعائم قوائم ، وهي من حَجَرٍ منحوت قطعاً قطعاً ، مُدَمَّمة<sup>(١)</sup> مثقوبة توضع أثني في ذكر ، ويفرغ بينهما الرصاص للذباب إلى أن يتصل هموداً قائماً ، وتُنكسي بفلاة جيد ، ويبالغ في صقلها ودلكها ، فظهر كأنها رخام أبيض ، وتمحفت بالبلاط المتصل بالقبلة من

(١) اللام : الحجر المجتمعة الأملس

البلاطات الخمس مقصورة تسكتنفه من غرب إلى شرق ، والحراب فيها ، وعلى رأس الحراب حجر مربع أصفر قدر شبر في شبر ، ظاهر البريق ، يقال : إنه كان مرآة كسرى . وفي أعلى داخل الحراب مسمار مثبت في جداره ، فيه شبه حَقَرٍ صغير لا يعرف من أى شيء هو ، ويزعمون أنه كان كأس كسرى . ونصف جدار القبلة الأسفل رخام موضوع أزاراً على إزار مختلف الصنعة واللون ، مجزّع أبدع تجزيع . والنصف الأعلى من الجدار مزين كلمة يفصوص الذهب المعروفة بالفُسَيْفِساء ، قد نتج الصانع فيه نتائج غريبة من الصنعة ، تضمنت تصاوير أشجار مختلفة الصفات ، ماثلة الأغصان بثمرها ، والجداران الشرقي والغربي الناظران إلى الصحن مُحَرَّدان أبيضان مُقَرَّصان ، قد زُيِّنَا برسم يتضمن أنواعاً من الأصبغة إلى ما يطول وصفه من الاحتفال في هذا المسجد المبارك .

وفي الجهة الشرقية بيتٌ مصنوع من عود لمبيت بعض سدنته ، وسدنته فتيانٌ أحابيش صقالبُ ظراف الهيئات ، نظاف الملابس ، والمؤذّن الراتب فيه أحد أولاد بلال ، وفي جوف الصحن قبة كبيرة تُعرف بقبة الزيت ، هي مخزن لجميع آلات المسجد .

وله تسعة عشر باباً لم يبقَ منها مفتوحاً سوى أربعة : اثنان في الغرب ، ويُعرفان بباب الرحمة ، وباب الخشية ، واثنان في الشرق : باب جبريل ، وبقابه دار عثمان التي استشهد بها ، وباب الرجاء . وفي الشرق خمسة مغلقة ، وفي الغرب كذلك ، وفي الجنوب أربعة وفي القبلة واحدٌ صغير ، وله ثلاث صوامع إحداها في الركن الشرقي على هيئة الصوامع ، واثنان في ركني الجهة الجنوبية صغيرتان على هيئة بُرُجن ، والروضة المقدسة مع آخر الجهتين ، الجهة القبلية تمايلي الشرق ، وقد انتظمت من بلاطاته تمايلي الصحن في السعة اثنين وتيفت إلى البلاط الثالث بمقدار أربعة أشبار ، ولها خمسة أركان بخمس صفحات ، وشكلها شكل

عجيب لا يكاد يتأتى تصويره ولا تمثيله ، والصفحات الأربع محرفة عن القبلة تحريفاً بديعاً ، لا يتأتى لأحد معه استقبالها في صلاته ، لأنه ينحرف عن القبلة ، والذي اخترع ذلك في تدبيرها مخافة أن يتخذها الناس مصطلي عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه . وأخذت من الجهة الشرقية سعة بلاطتين ، وانتظم داخلها من أعمدة الأبلطة ستة ، وسعة الصفحة القبليّة منها أربعة وأربعون شبراً ، وسعة الصفحة الشرقية ثلاثون شبراً ، ومن الركن الشرقى إلى الركن الجنوبى صفحة سعتها خمسة وثلاثون شبراً ، ومن الركن الجنوبى إلى الغربى صفحة سعتها تسعة وثلاثون شبراً ، ومن الركن الغربى إلى القبلى صفحة سعتها أربعة وعشرون شبراً ، وفي هذه الصفحة صندوق آبنوس محتم بالصنديل ، مصفح بالفضة ، مكوكب بها طوله خمسة أشبار ، وعرضه ثلاثة أشبار ، وارتفاعه أربعة ، وهو قبالة رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، فجميع سعة الروضة من جميع جهاتها مائة شبر ، واثنتان وسبعون شبراً ، وهى مؤزرة بالرخام البديع النحت الرائع النعت ، وينتهى الإزار منها إلى نحو الثلث أو أقل يسيراً ، وعليه من الجدار المكرم ثلث آخر ، قد علاه تضميخ المسك والطيب مقدار نصف شبر مسوداً متراكباً ، مقشقا مع طول الأزمنة والأيام ، والذي يعملوه من الجدار شبائيك عود متصلة بالثمنك الأعلى ، لأن أعلى الروضة متصل بسمك المسجد ، والى حيز إزار الرخام تنتهى الأسعار ، وهى لازوردية اللون ، مختمة بخواتم بيض مئنة ومربعة ، وفي داخل الخواتيم دوائر مستديرة ، ونقط بيض تحف بها ، فنظرها منظر بديع الشكل . وفي أعلاها رسم مائل إلى البياض ، وفي الصفحة القبليّة أمام وجه النبي صلى الله عليه وسلم مسمار فضة ، هو قبالة الوجه المكرم ، فيقف الناس أمامه للاستلام ، وإلى قدميه صلى الله عليه وسلم رأس أبى بكر رضى الله عنه ، ومما يلى كتفى أبى بكر رأس عمر رضى الله عنهما ، فيقف المسلم مستدير القبلة ، ومستقبل الوجه الكريم ، فيسلم ثم ينصرف يميناً إلى وجه أبى بكر ، ثم إلى وجه عمر رضى الله تعالى عنهما .

وأمام هذه الصفحة المكرّمة نحو العشرين قنديلاً معلقة من الفضة ، وفيها اثنان من ذهب ، وفي جوفى الروضة حوضٌ صغير مرخّم في قبلته شكلُ الجحراب ، قيل : إنه يدت فاطمة رضى الله تعالى عنها ، ويقال : هو قبرها ، وعن يمين الروضة المكرّمة المنبر الكريم ، ومنه إليها اثنان وأربعون خطوة ، وهو في الحوض المبارك الذى طوله أربع عشرة خطوة ، وعرضه ستّ خطا ، وهو مرخّم كلّهُ وارتفاعه شبر ونصف ، وارتفاع المنبر نحو القامة أو أزيد وسعته خمسة أشبار ، وطوله خمس خطوات ، وأدراجُه ثمانية ، وبابه على هيئة الشّبّاك مقفل يُفتح يوم الجمعة ، وطوله أربعة أشبار ونصف شبر .

والمنبر مفضى بعود الآبنوس ، ومقعد النبي صلى الله عليه وسلم من أعلاه ظاهرٌ ، وقد طبق عليه لوح من الآبنوس غيرُ متصل به ، يصونه من القعود عليه ، يدخلُ الناس أيديهم إليه ، ويمسحونه تبركا بلمس ذلك المقعد الكريم ، وعلى رأس رجل المنبر اليمنى ، حيث يضع الخطيب يده حلقة فضة مجوّفة مستطيلة تشبه حلقة الخياط ، لاسكنها أكبر لاعبة تستدير في موضعها ، يزعمون أنها كانت لعبةً للحسن والحسين في حال خطبة جدّهما ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وفي الروضة الصغيرة التى بين القبر والمنبر ، جاء الأثر أنها روضة من رياض الجنة ، وقدرها ثمان خطا ، وبترأّسها الناس في هذه الروضة للصلاة ، وبأزائها لجهة القبلة عمود ، يقال إنه مُطبق على بقية الجذع الذى حنّ لالنبي صلى الله عليه وسلم وقطعة منه في وسط العمود ظاهرة ، يقبلها الناس ، ويمسحون خدودهم فيها وعلى حافتها في القبلة منها صندوق كبير للشّمع والأنوار التى توقد أمام الروضة كلّ ليلة ، ومصلّى الإمام في الروضة الصغيرة المذكورة إلى جانب الصندوق ، وبينها وبين الروضة الكبيرة محملٌ كبيرٌ مدهون عليه مُصَحَفٌ كبيرٌ في غِشاء مقفل ، هو أحدُ المصاحف الأربعة التى وجّه بها عثمان إلى البلاد ،

وبازاء المقصورة لجهة المشرق خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد ، ويليهما في البلاط الثانى دَفَّةٌ لجهة الشرق ، وَدَفَّةٌ مطبقة على وجه الأرض إلى سرداب يهبط إليه على أدراج تحت الأرض ، يُفْضَى إلى خارج المسجد إلى دار أبى بكر ، وهو كان طريق عائشة رضى الله عنهما إليها . وذلك الموضع هو موضع الخوخة المُفضية لدار أبى بكر رضى الله عنه التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بإبقائها ، وبازاء دار أبى بكر دار عمر وابنه عبد الله بن عمر رضى الله عنهم أجمعين .

وفى ذكرناه كفاية ، والله تعالى أعلم .

## المفامنة الثالثة والثلاثون وتعرف بالتفليسية

حكى الحارث بن همام ، قال : عاهدتُ الله مُذْ يَفْعْتُ ،  
أَلَّا أُؤَخِّرَ الصَّلَاةَ مَا اسْتَطَعْتُ ؛ فَكُنْتُ مَعَ جَوْبِ الْفَلَوَاتِ ،  
وَلَهُوَ الْخَلَوَاتِ ، أُرَاعِي أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ ، وَأُحَازِرُ مِنْ مَأْتَمِ  
الْفَوَاتِ . وَإِذَا رَافَقْتُ فِي رِحْلَةٍ ، أَوْ حَلَلْتُ بِحِلْمَةٍ ، مَرَحَبْتُ  
بِصَوْتِ الدَّاعِي إِلَيْهَا ، وَاقْتَدَيْتُ بِمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهَا .

فَاتَّفَقَ حِينَ دَخَلْتُ تَفْلِسَ ، أَنْ صَلَّيْتُ مَعَ زَمْرَةٍ مَقَالِسَ  
فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ ، وَأَزْمَعْنَا الْإِنْفِلَاتَ ، بَرَزَ شَيْخٌ بِأَدَى اللَّاقُوَةِ ،  
بِالْيِ الْكُسُوءِ وَالْقُوَةِ ، فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَى مَنْ خُلِقَ مِنْ طِينَةِ  
الْحَرِّيَةِ ، وَتَفَوَّقَ دَرَّ الْعَصِيَّةِ ، إِلَّا مَا تَكَلَّفَ لِي لُبْثَةً ، وَاسْتَمَعَ مَتَى  
نَفْثَةً ، نَمَ لَهُ الْخِيَارُ مِنْ بَعْدِ ، وَبِيَدِهِ الْبَذْلُ وَالرَّدُّ . فَعَقَدَ لَهُ  
الْقَوْمُ الْحَبَا ، وَرَسَوْا أَمْثَالَ الرُّبَا .

يفعت : شببت ولم أبلغ الحلم ، وقاربت ذلك .  
ابن أبي الخير : يفع الغلام ويُفَع ، إِذَا كَانَ ابْنُ سَنِينَ ، فَإِذَا نَاهَزَ الْحُلْمَ  
قِيلَ : مُرَاهِقٌ وَكَوَكَبٌ <sup>(١)</sup> ، فَإِذَا أُدْرِكَ قِيلَ : فِيهِ حَزَوْرٌ .

غيره : غلام يفعه غضُّ الشباب ، وَجَارِيَةٌ يفعه ، وَاجْمَعُ أَيْفَاعٌ وَأَيْفَعٌ ، فَهُوَ  
يَافِعٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ . قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَفَعُ الْغُلَامُ ،  
وَلَا مُوَفِعٌ ، وَمِثْلُهُ أَبْقَلَ الْمَوْضِعَ ، وَأَوْزَسَ ، وَالْوَرَسُ : نَبْتُ أَصْفَرٍ . جَوْبُ :

(١) في القاموس : السكوكب : الغلام المراهق .

قطع . الخلوات : حيث يخلو للذاته . أراعى . أحفظ . مائمه : إثم . الفوات . فوت الوقت . راققت في رحلة : صاحبت في ارتحال وسفر . حَلَلْتُ : نزلت ببِلْدَةٍ . والحَلَّة : جماعة البيوت ، والحَلَّة : القوم الحُلُول والجمع حِلَال . مَرَّجبت : قلت مَرَّجَبًا . الدَّاعِي : هو المؤذِّن .

[ ما قيل في أداء الصلاة في وقتها وما جاء في تركها ]

وجاء من الأثر في تأخير الصلاة قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليصلِّي الصلاة وما فاتهُ وقتها ، ولَمَّا فاتهُ من وقتها أعظمُ أو أفضلُ من أهله وماله » . فهذا وقد أدرك آخر الوقت سيندم على فوات أوله .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الوقت الأول من الصلاة رضوان الله ، والثاني عفو الله » ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : رِضْوَانُ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَفْوِهِ . وإنما قال ذلك لأن عفو الله لا يُتَصَوَّرُ إلا عند اكتساب خطيئة .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : « مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبِرْهَانًا وَنَجَاةٌ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ عَلَيْهَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَيُّ بْنُ خَلْفٍ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إِنْ الَّذِي تَقَوَّتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ ؛ فَكَأَنَّمَا وَرَّاهُ » .

وكتب عمر رضى الله عنه إلى عماله : إن أهمَّ أموركم عندى الصَّلَاةُ ، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيَعها فهو لما سواها أضيَع .

وجاء في القرآن : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً ﴾ <sup>(١)</sup> ، وفي التفسير : لم يتركوا الصَّلَاةَ وإنما أضاعوا وقتها . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تنفريط في النوم ، وإنما التفريط في الذي يؤخر الصلاة إلى وقت الأخرى »

وسُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، قَالَ :  
« هُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا » .

وَمَا يُسْتَظَرَفُ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْمَنْصُورَ قِيلَ لَهُ : إِنْ أَبَا دُلَامَةَ لَا يَحْضُرُ  
الصَّلَاةَ ، لِأَنَّهُ مَمْتَكِفٌ عَلَى الْخُر ، وَقَدْ أَفْسَدَ فِتْيَانُ الْمَسْكَرِ ، فَلَوْ أَمَرْتَهُ بِالصَّلَاةِ  
مَعَكَ لِأَصْلَحَتِهِ وَغَيْرِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : أَبُو دُلَامَةَ الْمَاجِنُ ! قَالَ : يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَنَا وَالْجَوْنُ ، وَقَدْ سَاوَرْتَ بَابَ قَبْرِي ، قَالَ : عَنَى مِنْ اسْتِكَانَتِكَ  
وَتَضَرَّعِكَ وَإِبَالِكَ أَنْ تَفُوتَكَ صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي مَسْجِدِي ، فَإِنْ فَاتَتْكَ  
لأَحْسِنَنَّ أَدَبَكَ ، وَلَا تُطِيلَنَّ حَبْسَكَ . فَوَقَعَ فِي شَرِّ أَمْرٍ ، فَلَزِمَ الْمَسْجِدَ أَيَّامًا ثُمَّ  
كَتَبَ رَقْعَةً وَدَفَعَهَا إِلَى الْمَهْدِيِّ ، فَأَوْصَلَهَا إِلَى أَبِيهِ وَفِيهَا :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَزَنِي	لِمَسْجِدِهِ وَالْعَصْرِ مَالِي وَلِلْعَصْرِ <sup>(١)</sup>
أَصَلَّى بِهِ الْأَوَّلَى جَمِيعًا وَعَصَرَهَا	فَوَيْلِي مِنَ الْأَوَّلَى ، وَوَيْلِي مِنَ الْعَصْرِ !
أَصَلِّيَهُمَا بِالْكُرْهِ فِي غَيْرِ مَسْجِدِي	فَمَا لِي فِي الْأَوَّلَى وَفِي الْعَصْرِ مِنْ أَجْرِ
يَكْتَفِنِي مِنْ بَعْدِ مَا شَبْتُ تَوْبَةً	يَحْطُّ بِهَا عَنَى الثَّقِيلِ مِنَ الْوِزْرِ
وَوَاللَّهِ مَالِي نَيْسَةٌ فِي صَلَاتِهَا	وَلَا الْبَرَّ وَالْإِحْسَانَ وَالْخَيْرُ مِنْ أَمْرِي
لَقَدْ كَانَ فِي قَوْمِي مَسَاجِدُ جَهَنَّمَ	وَلَمْ يَنْشَرْحْ يَوْمًا لِعِشْيَانِهَا صَدْرِي
وَمَا ضَرَّهُ - وَاللَّهِ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ -	لَوْ أَنَّ ذُنُوبَ الْعَالَمِينَ عَلَى ظَهْرِي !

فَقَالَ : صَدَقَ دَعْوُهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا يَضُرُّنِي ذَلِكَ ! وَاللَّهِ لَا يَفْلَحُ هَذَا  
أَبْدًا ، فَدَعُوهُ يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ .

وَكَانَ الْجَمَّازُ مَنِقَطًا إِلَى أَبِي جَزْءِ الْبَاهِلِيِّ ، فَتَنَاسَكَ أَبُو جَزْءٍ ، فَقَالَ  
لِلْجَمَّازِ : لَا أَحِبُّ أَنْ تَحَالِطَنِي إِلَّا أَنْ تَنْفَسَكَ فَأَظْهَرَ التَّنَسُّكَ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ :

(١) الحبر والشعر في الأغاني ١٠ : ٢٤٨ .

قد جفاني الأمير كي أنقرّي ففقرتُ مكرهاً لِحَفَائِهِ<sup>(١)</sup>  
والَّذي أنطوى عليه المعاصي علم الله نيتي من سمائيهِ  
ما قرأة لمكرو بقرأة قد رواه الأمير عن قَفَائِهِ  
ومن مجون أبي نواس أن الأمير لما نهاه عن الخمر وحَبَسَه ، فكلمه فيه  
الفضل بن الربيع ، وأخرجه كتب إليه :

أنت يا بن الربيع علمتني الخيـرَ وعَوَّدْتَنِيهِ والخيرُ عادة<sup>(٢)</sup>  
فارعوى باطلي وراجعتني الحـلمُ فأحدثتُ رهبةً وزهادهً  
لو تراني ذكرتُ بي الحسن البـهـرَ رى في حال نسكه أوقتاده  
المساييح في دراعى والمُصـحـف في لَبَّتِي مكانَ القِلادة  
فإذا شئت أن ترى طرفه تـنـدـجـجـب منها ملوحةً مستفادهً  
فادعُ بي لا عدمتَ تقويمَ مثلي فتأملْ بعينك السَّجادة  
لورآها بعضُ المرائين يوماً لا اشتراها يمدّها للشهادة  
أثرٌ لآخٍ للصلاة بوجهي تُوقن النفس أنه من عبادة

وأذن بشار لأصحابه والمائدة بين يديه ، فأكل ولم يدعُهم طعامه ، ثم دعا  
بطشتَ وكشَفَ عن سوءته فبال ، ثم حضر الظهر والعصر والعشاء الأولى  
والآخرة ، فلم يُصلِّ فقالوا له : أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكراها  
عليك . قال : وما هي ؟ قالوا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تُدعنا إليه ، قال :  
إنما أذنت لكم لتأكلوا ، ثم ماذا ؟ قالوا : دَعَوْتَ بالطشت ونحن حضورٌ  
فبَلَّتْ ونحن نراك ؛ فقال : أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بقبضِ  
البصر دُونِي ، ثم ماذا ؟ قالوا : حَضَرَتِ الصلاة فلم تصل ، فقال : إن الذي  
يقبلكم تفارق يقبلها جملة . هذا على أنه القائل :

(١) الأما ٣ : ٤٦ . تقرى : تنسك .

(٢) ديوانه ١٤٥ ، ذيل زهر الآداب ١٦٨ .

ألم تر أن الدهر يقدح في الصَّعَا وأن بقائى إن حيتُ قليل<sup>(١)</sup>  
 خليلُك ما قدمت من عمل التَّقَى وليس لأَيَّام المنون خليلُ  
 ففُتس خائفًا للموت أو غير خائفٍ<sup>(٢)</sup>

على كلِّ نفسٍ للجِمام دليلُ  
 وقال الحسن رحمه الله تعالى<sup>(٣)</sup> :

وندمانٍ يرى غيبًا<sup>(٤)</sup> عليه بأن يمضى<sup>(٥)</sup> وليس له انقضاء  
 إذا نبهته من نوم سُكْرِ كفاه مرّةً منك النداء  
 إذا ما أدركته الظهر صلى<sup>(٦)</sup> فلا ظهرٌ عليه ولا عشاء<sup>(٧)</sup>  
 يصلى هذه في وقت هذى فكلّ صلاته أبدأ قضاء

[ ذكر مدينة تفلّيس ]

تفليس : مدينة بأرمينية بينها وبين قالى قلا ثلاثون فرسخا، ومن قالى قلا ابتداء الأنهار للعظام، أولها الفرات - وقد تقدّم - يأخذ من قالى قلا فرسخين، ثم يشق مغرّبا إلى دّيبيل إلى ورتان، ثم يصبّ إلى بحر الخزر، والثاني الكبير يخرج من مدينة قالى قلا، ثم يشقّ إلى مدينة تفلّيس مشرقا إلى مدينة برّدة وأرضها، ثم يقرب من بحر الخزر، فيلتقى مع الرّس ويصيران نهرا واحداً .  
 ويقال : إن خلف الرّس ثلثمائة مدينة خراب، وهى التى ذكرها الله تعالى، وأصحاب الرّس بُعث إليهم حنظلة بن صفوان فقتلوه ، فأهلكوا . وقيل فى أصحاب الرّس غير ذلك .

(١) نقله البارودى فى مختاراته ٤ : ٤٦ (٢) المختارات : « عائف »

(٣) مختار الأغاني ٣ : ٦٦

(٤) ط : « عيبا » ، تصحيف . (٥) المختار : « يلتقى » .

(٦) ط : « حيا » ، وما أثبتته من المختار .

(٧) المختار : « ولا عصر عليه ولا عشاء » .

وإرمينية مقسومة على ثلاثة أقسام ، فالقسم الأول مدينة دَبِيل ، ومدينة  
قَالِي قَلَا ، ومدينة خَلَاط ، ومدينة شَمَشَاط ، ومدينة السَّوَاد ، والجزء الثاني مدينة  
بَرَدْعَة ، ومدينة البَيْلُفَان ، ومدينة قَيْلَة ، ومدينة الباب والأبواب والثالث  
مدينة خَزْوَان ومدينة تَفْلَيْس . والمدينة التي تعرف بمسجد ذى القرنين ،  
وافتححت إرمينية في خلافة عُثْمَان ، وافتتحها سُلَيْمَان بن ربيعة الباهلي في سنة  
أربع وعشرين .

عُصْبَة : جماعة . مُفَالِيس : فقراء ، وأفلسَ الرجل : صار صاحبُ فلوس بعد  
أن كان صاحب دنائير . أزمعنا الانفلات : عزمنا على الخروج . اللقوة : داء  
يأخذ في الوجه ، والفؤاق : ما بين الحلبتين . درّ العصبية : لبن الحمية ، وهو  
مَثَل . نفثة : كلمة . البذل : العطاء . والردّ : المنع . الحبا : عقد اليدين على  
الركبتين . رَسَوْا : ثبتوا . الرّبا : الكدّ .

\* \* \*

فَلَمَّا آتَسَ حُسْنَ إِنْصَاتِهِمْ ، وَرَزَانَةَ حَصَاتِهِمْ ، قَالَ : يَا أُولِي  
الْأَبْصَارِ الرَّائِقَةِ ، وَالْبَصَائِرِ الرَّائِقَةِ ؛ أَمَّا يُغْنِي عَنْ الْخَبْرِ الْعِيَانُ ،  
وَيُنَبِّئُ عَنِ النَّارِ الدِّخَانُ ؛ شَيْبٌ لَا تُحْ ؛ وَوَهْنٌ فَادِحٌ ، وَدَاءٌ  
وَاضِحٌ ، وَالْبَاطِنُ فَاضِحٌ .

ولقد كنتُ واللهِ ثَمَنَ مَلَكٍ وَمَالٍ ، وَوَلِيَّ وَآلٍ ، وَرَفَدٍ  
وَأَنَالٍ ، وَوَصَلَ وَصَالٍ ؛ فَلَمْ تَزَلِ الْجَوَائِحُ تَسْحَتُ ، وَالتَّوَابُ  
تَنْحَتُ ؛ حَتَّى الْوَكْرُ قَفْرٌ ، وَالْكَفُّ صِفْرٌ ، وَالشُّعَارُ ضَرْ ،  
وَالْعَيْشُ مَرْ ؛ وَالْعَبِيَّةُ يُتَضَاعُونَ مِنَ الطَّوْرِ ، وَيَتَمَنُّونَ

مُصَاصَةُ النَّوَى وَلَمْ أَقُمْ هَذَا الْمَقَامَ الشَّائِنَ ، وَأَكْشِفُ لَكُمْ  
الدَّفَائِنَ ؛ إِلَّا بَعْدَ مَا شَقِيت وَلَقِيت ، وَشَبْتُ مِمَّا لَقِيت ؛  
فَلَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ بِقِيْتُ . ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوَّهَ الْأَسِيفِ ، وَأَنْشَدَ  
بصوتٍ ضَعِيفٍ . . . . .

\* \* \*

آنس : أبصر . إِنْصَاتِهِمْ : سَكُونُهُمْ . رِزَانَةُ حَصَاتِهِمْ : رِجَاحَةُ عَقُولِهِمْ ،  
وَالْحَصَاةُ يَكْنَى بِهَا عَنِ الْعَقْلِ ، قَالَ طَرْفَةُ :  
وَإِنْ لَانَ الْمَرْءُ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوَزَانِهِ لِلدَّلِيلِ (١)  
الْأَبْصَارُ الرَّامِقَةُ : الْعَيُونُ النَّاطِقَةُ . الْبَصَائِرُ : جَمْعُ بَصِيرَةٍ وَهِيَ الْمَعْتَقِدُ .  
الرَّائِقَةُ : الْمَعْجِزَةُ . الْعَيَانُ : الْمَعَايِنَةُ ، يَقُولُ : مَعَايِنْتُكَ الشَّيْءَ تُغْنِي عَنْ خَبَرِهِ  
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ الْخَبَرُ  
كَالْمَعَايِنَةِ » .

يَنْبَى : يَنْخَبِرُ . لَانَحَ : ظَاهَر . وَهَنَ : ضَعُفَ . فَادَحَ : مَثَقَلَ بَيْنَ . فَاضَحَ :  
أَيُّ صَاحِبِهِ فِي شَهْرَةٍ وَفَضِيحَةٍ . مَلَكٌ : كَانَ مَلِكًا أَوْ مَلِكِ الْأَمْوَالِ الْعِظَامِ فَصَارَ  
ذَا مَلِكٍ : مَالٌ : صَارَ ذَا مَالٍ . وَلِيٌّ : صَارُوا لِيَا . آلٌ : سَاسَ ، أَيُّ صَارِيَسُوسِ  
النَّاسِ ، أَيُّ يَكُونُ عَلَيْهِمْ أَمِيرًا ، قَالَ هَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَلْنَا وَإِيلَ عَلَيْنَا .  
رَفَدَ : وَهَبَ الرِّفْدَ . أَنَالَ : أَعْطَى التَّنْيِيلَ وَالتَّنْوَالَ ، يُقَالُ : مِنْهُ نَاتَهُ وَأَنْلَتَهُ .  
وَصَلَ : أَعْطَى صِلَةً ، وَلِلرَّفْدِ وَالتَّنْوَالِ : الْعَطَاءُ . وَالْإِيَالَةُ : السِّيَاسَةُ ، آلَ الْأَمِيرُ  
رَعِيَّتَهُ أَحْسَنَ سِيَاسَتِهِمْ ، وَآلَ مَا لَهُ يُوْلُهُ : أَصْلَحُهُ . صَالَ : بَطَشَ وَهَدَّدَ ، وَصَالَ

(١) لَمْ أَجِدْهُ فِي دِيْوَانِ طَرْفَةِ ، وَابْتِغَايَ فِي الْقِسَامِ (حَمَى) ، وَنَسَبَهُ مَعَ بَيْتِ قَبْلِهِ إِلَى  
كُتُبِ بْنِ سَعْدِ الْفَرُوزِيِّ .

الفعل : هَدَّرَ فِي قَطِيعِهِ . الجَوَاحِمُ : المصائب . تَسَحَّتْ : تستأصل الأموال .  
 تَنَحَّتْ : تنجس وتأخذ . النَوَائِبُ : النوازل . الوَكْرُ : قعر المنزل : صِفْرُ : خالية  
 من الدرّاهم . الشُّعَارِ : اللباس : يتضاغون : يصيحون ، والضَّغَاءُ صياح الذئب  
 إِذَا جَاعَ ، والضَّغَاءُ : البكاء بذلّ وخشوع . الطَّوَى : الجوع . مصاصة : ما يمصّ  
 منه . الشَّائِنُ : العائب صاحبه . شَقِيتُ : أدركني الشقاء . لُقِيتُ : أصابني  
 لقوة . تَأَوَّهَ : توجع ، وقال أَوَّه . الأَسِيفُ : الحزين .

\* \* \*

أَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ مُبْجَعَانَهُ      تَقَلَّبَ الدَّهْرُ وَعُدْوَانَهُ  
 وَحَادِثَاتٍ قَرَعَتْ مَرْوَتِي      وَقَوَّضَتْ نَجْدِي وَبُنْيَانَهُ  
 وَاهْتَصَرَتْ عُودِي وَيَأْوِيلَ مَنْ  
 تَهْتَصِرُ الْأَحْدَاثُ أَغْصَانَهُ

وَأَنْحَلَمْتُ رَبْعِي حَتَّى جَلَّتْ      مِنْ رَبْعِي الْمَجْلِ جِرْدَانَهُ  
 وَغَادِرْتَنِي حَائِرًا بَائِرًا      أَكْبَدُ الْفَقْرَ وَأَشْجَانَهُ  
 مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ أَخَانَرُوهُ  
 يَسْحَبُ فِي النُّعْمَةِ أُرْدَانَهُ

يَخْتَبِطُ الْمَافُونُ أَوْرَاقَهُ      وَيَحْمَدُ السَّارُونَ نِيرَانَهُ  
 فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ      أَعَانَهُ الدَّهْرُ الَّذِي عَانَهُ  
 وَازْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا !  
 وَعَافَ عَافِي التَّرَفِ عِرْفَانَهُ

فهل فتى يحزنه ما يرى من ضر شيخ دهره خانه  
فيخرج الهم الذي هم — ويصلح الشأن الذي شأنه

\* \* \*

عدوانه : ظله . قرعت مروني : ضربت صغرتي ، وأراد بها نفسه .  
قوّضت : نقضت وهدمت . اقتصرت : كسرت وحتقت ، وهضر الفصن :  
تقطعه وانحناؤه ، وضرب بالمرؤة والعود أمثالا وهو يريد جسده وماله . أمحلته :  
جعلته محلاً . جلت : طردت . المحل : الذي لا نبات فيه ولا رزق . جردانه :  
فترانه ، وقد تقدم فائدة هذا المعنى . باثرا : هالكا . أكابد : أقاسى . أشجانه :  
أحزانه . أخاثروة : صاحب غنى . يسحب . يجرّ . أردانه : أذباله . يختبط :  
يطلب . العافون : الطالبون للرزق ، وخبطت الورق : ضربتها بالعصا ، فقتط  
فتعلمها الإبل ، فيضرب بها المثل لمطية الكريم ، وأنشد زهير<sup>(١)</sup> :

وليس مانع ذي قرّبي وذى رحيم<sup>(٢)</sup> يوما ولا ممدما من خابط ورقا  
السارون : الماشون بالليل . عانه : أصابه بالعين . ازورّ : انقبض . عاف :  
كره . عافى العرف : طالب المعروف . عرفانه : معرفته . هته : أذابه .  
وشانه : عابه .

[ من كلام الأعراب ]

ومن كلام العرب في هذا الباب ، ما حكى الأصمعي رحمه الله : أن الأعراب  
أصابهم سنوات كثيرة جذبة ، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم  
أعرابي يقول : أيها الناس ، إخوانكم في الدين ، وشركاؤكم في الإسلام ،

(١) ديوانه : ٥٢ .

(٢) الديوان : ٥ وذى نسب .

(٨ - شرح مقامات الحريري ج ٤)

عابرو سبيل وفلال بؤس ، وصَرَعى جَذَب ، تتابعت علينا سنون ثلاث غيَّرت النِّعم ، وأكلت النِّعم ، فأكلنا ما بقي من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نعلل بذلك نفوسنا ، ونعنى بالغيث قلوبنا ، حتى هاد مختاراً ، وعاد إشرافنا ظلاماً ، فأقبلنا إليكم بصراعنا الوعر ، وينكينا السهل ، وهذه آثار مصائبنا لائحة في قَسَمَاتِنَا . فرحم الله متصدّقاً من كثير ، أو مواسياً من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسِفَ البال ، وبلغ الجهود ، والله يجزى المتصدقين .

وقف أعرابي على مَلَقَةِ يونس النحوي ، فقال : الحمد لله ، وأعوذ به أن أذكّر به وأنساه ، إنا أناس قد قدمنا هذه المدينة : ثلاثون رجلاً ، لاندفن ميتاً ، ولا نتحول عن منزل ، وإن كرهناه ، فرحم الله عبداً تصدّق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، وفلّ سنّة ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله . ولا عمل بعد الموت ، يقول الله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضاعفه له ﴾ ، إن الله لا يستقرض من عوزٍ ، ولكن ليبلوا أخبار عباده .

قال الأصمعي رحمه الله : وقف أعرابي علينا ، فقال : تتابعت علينا سنون ، بتغيير وانتقاص ، فاتركت لنا ضيماً ولا رَيْماً<sup>(١)</sup> ، ولا نافطة ولا عافطة<sup>(٢)</sup> ، ولا ناغية ولا راغية<sup>(٣)</sup> ، فأمانت الضرع وأفنت الزرع ، وعندكم من فضل الله نعمة فأعينوا من عطية الله إياكم ، وارحوا أبا أيتام ، وأنصاء زمان ، فلقد خلفت أقواما لا يمرضون مريضهم ، ولا يكفون ميتهم ، ولا ينتقلون من المنزل وإن كرهوه ، ولقد مشيت إليكم حتى انتهت الدماء ، وجُفت حتى أكلت النوى الحارقة .

وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فقالت :

(١) الضيع جمع ضيعة ، وهي المقار . والريع : سبيل الوادي من كل مكان مرتفع .

(٢) العافطة : النجعة ، وكذلك النافطة .

(٣) النغاء : صوت الغنم ، والرهاء : صوت البعير أو الذقة .

إِنِّي أَتَيْتُ مِنْ أَرْضِ شَاسِعَةٍ ، تَهْبِطُ هَابِطَةً ، وَتَرْفَعُ رَافِعَةً ، فِي مَلَحَاتٍ مِنْ  
الْبَلَايَا ، بَرَيْنَ لَحْمِي ، وَهَضْنٍ عَظْمِي ، وَتَرَكْتَنِي وَالْهَةَ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ ،  
بَعْدَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَكَثْرَةِ الْمَدَدِ ، لَا قَرَابَةَ تُؤْوِيَنِي ، وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِيَنِي .  
فَسَأَلْتُ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ : مَنْ الْمَرْجِي سَيِّبُهُ ، الْمَأْمُونُ عَيْبُهُ ، السَّكْنِيرُ نَائِلُهُ ، الْكَفَى  
سَائِلُهُ ، فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، فَقَدْتُ الْوَالِدَ وَالرَّافِدَ ، فَاصْنَعْ  
فِي أَمْرِي وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ تَحْسِنَ صَفْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيمَ أَوْدِي (١) ،  
وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، فَقَالَ : بَلْ أَجْمَعُنَّ لَكَ فَعْلَ بِهَا ذَلِكَ .

خَرَجَ الْمَهْدِيُّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ بَعْدَ هَذَاهُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَسَمِعَ أَمْرًا بَيِّنَةً مِنْ جَانِبِ  
الْمَسْجِدِ ، وَهِيَ تَقُولُ : قَوْمٌ مَتَظَلِّمُونَ ، نَبَتْ عَنْهُمْ الْعِيُونَ ، وَفَدَحَتْهُمْ الدُّبُونُ ،  
وَهَضَّتْهُمْ السُّنُونُ ، بَادَتْ رِجَالَهُمْ ، وَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ ، أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْصَاءُ  
طَرِيقٍ ، وَصِيَّةُ اللَّهِ وَوَصِيَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ بِخَيْرٍ كَلَّاهُ  
اللَّهُ فِي سَفَرِهِ ، وَخَلَّاهُ فِي أَهْلِهِ ، فَاسْرُحْ لَهَا مِخْمَاسَةَ دَرَاهِمٍ .

وَمَا جَاءَ فِي ذِمِّ السُّؤَالِ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَأَنْ يَأْخُذَ  
أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ فِيهِ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ دَجْلًا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ،  
فَيَسْأَلَهُ : أَعْطَاهُ أَوْ مِنْهُ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابًا مِنَ السُّؤَالِ ، فَتَحَ اللَّهُ  
عَلَيْهِ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفَقْرِ » .

وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي : كُلَّ سُّؤَالٍ وَإِنْ قَلَّ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ نَوَالٍ  
وَإِنْ جَلَّ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : الْمَسَاكِينُ لَا يَمُودُونَ مَرِيضًا ، وَلَا يَشْهَدُونَ  
جَنَازَةً ، وَلَا يَحْضُرُونَ جَمْعًا ، وَإِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي أَعْيَادِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ يَسْأَلُونَ

(١) الصَّدَدُ : السَّاءُ . وَالْأَوْدُ : الْأَمْوَالُ .

الله من فضله ، اجتمعوا يسألون الناس ما بأيديهم .

سأل سائل بمسجد الكوفة فلم يُعْطَ شيئاً ، فقال : اللهم إنك بحاجة عالم لا تعلم ، أنت الذي لا يعوزك نائل ، ولا يلحقك سائل ، ولا يبلغ مدحك قائل ؛ أسألك صبراً جميلاً ، وفرجاً قريباً ، وبصراً بالهدى ، وقوة فيما تحب وترضى . فتبادروا إليه بالمعطية ، فقال : لا والله لا أرزؤكم الليلة شيئاً ، ثم خرج وهو يقول :

ما نال باذلٌ وجهه بسؤاله عوضاً ولو نال الغنى بسؤال  
وإذا التوال مع السؤال وزنته رَجَحَ السؤال، وخفَّ كل توالٍ  
وإذا بليت يبذل وجهك سائلاً فابذله للمتكرّم المفضل  
وقال بعض الأدباء : الخذولُ مَنْ كان له إلى اللئام حاجة .

وأنشد الجاحظ في نوادره لأهرابي :

سير التنوعج بالقبية في الضحى يمشى الدليلُ بها على بلبالٍ  
خيرٌ من الطمع الذي ومجلسٍ بفناء لا طلق ولا مفضلٍ  
فابئتُ حوائجك لليلك فإنه يفنيك قبل تخشع بسؤالٍ

\*\*\*

قال الراوى : فصبت الجماعةُ إلى إن تستنبتَه ، لتستنبحشَ خُبائِه ، وتستنفِضَ حَقِيْبَتَه ، فقالت له : قد عَرَفْنَا قَدْرَ رُبَيْتِكَ ، ورأينا دَرَ مُزْنَتِكَ ؛ فمرقناً دَوْحَةَ شُعْبَتِكَ ، واخسِرِ اللثامَ عن نِسْبَتِكَ . فأعرضَ إفراضَ مَنْ مَنَى بالإغْناتِ ، أو بُشِّرَ بالبناتِ ، وجعلَ يلعنُ الضرُّوراتِ ، ويتأففُ مِنْ تَغْيِضِ المِرْوَعاتِ . ثم أنشد بلفظ صَادِعٍ ، وجَرَمٍ خَادِعٍ :

لَعَمْرُكَ مَا كُلَّ فَرْعٍ يَدُلُّ جَنَاهُ الْأَذِيذَ عَلَى أَصْلِهِ  
فَكُلَّ مَا حَلَاحِينَ تُوْتِي بِهِ وَلَا تَسْأَلِ الشَّهَدَ عَنْ نَحْلِهِ  
وَمِيزٌ إِذَا مَا اغْتَصَرْتَ الْكَرُومَ  
سُلَافَةٌ عَصْرِكَ مِنْ خَلِّهِ  
لِتُعْلِي وَتُرْخِصَ مِنْ خَبْرِهِ وَتَشْتَرِيَ كَلًّا شِرًّا مِثْلِهِ  
فَعَارُهُ عَلَى الْفَطَنِ اللَّوْذَعَى دُخُولُ الْغَمِيزَةِ فِي عَقْلِهِ

\* \* \*

قوله : تَسْتَنْبِئُهُ : تَحْقُقُ مَنْ هُوَ . تَسْتَنْجِشُ ، تَسْتَخْرِجُ ، وَالتَّجَشُّسُ :  
استخراج الشيء المجهول المستور . وقيل : تنفير الوحش ، وهو من الأول ، لأنَّ  
تنفير المظنن كما يظهر الكامن . خَبَاتُهُ : سرته الذي أخبرهم بظاهره حيث  
قال : كَيْتَ وَكَيْتَ .

الحقيية : وعاء يملأه الرجل خلف رَحْلِهِ ، يجعل فيه ما يميز عليه مما يحتاج  
أن يقتنأه متى شاء ، وأراد بها ما هنا موضع سيره . تَسْتَنْفِضُ : تنثر ما فيها .  
رَتَبَتِكَ : قدرك ومنزلتك . دَرَّ مَرْبَتِكَ : ما سعابك ، وأراد ما أبدى لهم  
من البلاغة . دُوْحَةٌ : شجرة . شَمِيتِكَ : فرعك وغصنك . اخْسِرَ : أزل  
واكشف . اللَّثَامُ : ما يُجْعَلُ عَلَى الْأَنْفِ وَالْفَمِ ، يريد هرفنا أصلك ، ومن أين  
أنت . مُنَى : بُيْءَ . الْإِعْنَاتُ : المشقة ، وَعَنْتُهُ وَأَعْنَتُهُ : كَلَفَتُهُ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ .  
وَبُشْرٌ بِالْبَنَاتِ : أَخْبِرْ بَوْلَادَتِهِنَّ ، وقد أخبر الله تعالى أن مَنْ بُشِّرَ بِالْأُنثَى  
خَلَّ وَجْهُهُ مَسْوُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ . وقد  
تقدَّم وأد البنات وهو دسهن في التراب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم من طريق عقبة بن عامر : « لا تَكْرَهُوا  
البنات فإنهنّ المؤمنات الغاليات » . وقال عليه الصلاة والسلام « أَحَبُّوا البنات ،  
فإنّ أبو البنات » ، وإنّ الرجل إذا ولد له ابنةً هبط إليها مَلَكٌ فسحا على  
ظهرها ، وقال : ضعيفة خرجت من ضئيف ، مَنْ أَعَانَ عَلَيْكَ لَمْ يَزَلْ يَصَابُ إِلَى  
يوم القيامة .

قوله : يتأفف ، يقول : أب أف ، وهو من فعل المهموم الملهوف . تغيّض  
المروءات : ذهب الأفعال الحسان . صادع : شديد يشقّ الأذن . جرس :  
صوت . جناه : ما يجتنى منه . الشهد : العسل ، أى كل العسل ، ولا تسل من  
الفعل التي صنعتها ، ولا من أين هو ، ضربه مثلاً لترك سؤالهم عنه ، إذ أقدم .  
سُلَافَة : خمر لم تُعَصَّر . عصرك : تصيرك . خيرة : معرفة وتجربة . الأوذاعى :  
الذكى . التغميزة : ضعف التدبير والنظر ، لأنّ الذى لا يحسن التدبير ، والنظر  
إذا سقط غمزه الناس وعابوه .

\*\*\*

قال : فازدهى القومَ بذكائه ، واختلّبهم بحسنِ أدائه مع دائه ،  
حتى جمعوا له خبايا الخبىن ، وخفايا الثبىن ، وقالوا له : يا هذا ،  
إنك تحمت على رَكِيَّةٍ بَكِيَّةٍ ، وتعرّضت إخليةً خليةً . فخذ  
هذه العصابة ، وهبها لا خطأ ولا إصابة .

فنزّل قَلَمُ مَنْزِلَةِ الْكَثْر ، ووصلَ قبوله بالشكر . ثم  
تولّى يجر شِقَّةً ، وينهبُ بالخبطِ طُرُقَهُ .

قال الخبِرُ بهذه الحكاية : فصوّر لي أَنَّهُ يُحِيلُ لِعَلِّ الْمُسْتَحِيلِ

مَتَمَسَّعٌ فِي مِشْيَتِهِ . فَهَضْتُ أَنَهْجُ مِنْهَاجِهِ ، وَأَقْفُو أَذْرَاجَهُ ؛  
وَهُوَ يَلْعَظُنِي شَزْرًا ، وَيُوسِئُنِي هَجْرًا ؛ حَتَّى إِذَا خَلَا الطَّرِيقَ ،  
وَأَمَّكَنَ التَّحْقِيقَ ، نَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَ مَنْ هَشَّ وَبَشَّ ، وَمَا حَصَّ  
بَعْدَ مَا غَشَّ ، وَقَالَ : إِنِّي لِإِخَالَاكَ أَخَا غَرْبَةِ ، وَرَائِدَ صُحْبَةِ ؛  
فَهَلْ لَكَ فِي رَفِيقٍ يَرْفُقُ بِكَ وَيُرْفِقُ ، وَيَنْفُقُ عَلَيْكَ وَيُنْفِقُ ؟  
فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ أَتَانِي هَذَا الرَفِيقُ لَوَاتَانِي التَّوْفِيقُ . فَقَالَ لِي :  
قَدْ وَجَدْتَ فَاغْتَبِطْ ، وَاسْتَكَرَّمْتَ فَارْتَبِطْ .

\* \* \*

ازدهى : دعاهم إلى الزهو والإعجاب به . ذكائه : حدة ذهنه . اختلابهم :  
خدعهم . الخُبْنُ : أطراف الثوب ، كالكُم وغيره ، والثَّبْنُ : أطراف الرداء  
وشبهه ، والخُبْنَةُ فِي الثَّوبِ الخَيْطُ ، وَقَدْ خُبِنَتْ عَطْفَتُهُ وَكَفَفَتْهُ بِالْخِيَاطَةِ ، وَقِيلَ :  
الْخُبْنُ الْقُبْضُ ، وَالْخُبْنَةُ لِمَا بَلَى مِنْ حُجْرَةِ السَّرَاوِيلِ وَالْإِزَارِ ، وَالْجَمْعُ خُبْنٌ ،  
وَالثَّبْنَةُ مَا بَلَى الظَّهْرَ مِنَ السَّرَاوِيلِ وَالْإِزَارِ . مُحِتٌ : حَلَقَتْ . رَكِيَّةٌ : بَثْرٌ . بَكِيَّةٌ :  
قَلِيلَةُ الْمَاءِ . خَلِيَّةٌ : جَبَّعَ النَّحْلُ حَيْثُ كَانَ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ ، وَقِيلَ الْخَلِيَّةُ  
الْخَشْبَةُ الْمَنْقُورَةُ لَهَا خَاصَةٌ ، وَالْخَلِيَّةُ فِي غَيْرِ هَذَا السَّفِينَةُ ، فَشَبَّهَتْ خَلِيَّةَ النَّحْلِ بِهَا .  
خَلِيَّةٌ : فَارِغَةٌ ، الْعُصْبَابَةُ : الشَّيْءُ الْقَلِيلُ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ بكَثْرَةٍ . الْخَبِطُ : أَرَادَ بِهِ أَخَذَ  
الْأُمُومَالِ بِالسُّؤَالِ ، يُقَالُ : خَبَطَتِ الشَّجَرَةَ خَبْطًا ، نَفَضَتْ وَرَقَهَا ، أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ  
يَجْرُ جَانِبَهُ الْمَلْءُ ، فَسَكَلَ مَنْ مَرَّ بِهِ وَسَالَهُ رَحِمَهُ . مَحِيلٌ : مُغَيِّرٌ . حَلِيَّتُهُ : خَلْقَتُهُ  
وَصِفَاتُهُ . نَهَضْتُ : تَقَدَّمْتُ لِلشَّيْءِ . أَنَهْجُ مِنْهَاجِهِ : أَمَشَى فِي طَرِيقِهِ . أَقْفُو  
أَذْرَاجَهُ : اتَّبَعَ آثَارَهُ . يَلْعَظُنِي : يَنْظُرُنِي .

شَزْرًا ، أَى فِي جَهَةِ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ . قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ : نَظَرَ إِلَى شَزْرَاءِ أَى  
نَظَرَ إِلَى مَنْ جَانِبَ عَيْنِهِ مِنْ شِدَّةِ الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، يُقَالُ : شَزَرَ يَشْزُرُ ، إِذَا نَظَرَ

من جانب عينه من العداوة أو من الفرق . ويُسعنى هجرأ ، أى يكثّر تجنّبه ومباعدته . هَشَّ : خَفَّ واهتزَّ . بَشَّ : حسن اللقاء ، ويقال : بَشَّ فلان بفلان ، إذا سرَّ به وفرح وانبسط إليه ؛ ويقال : تبشّش به بمعنى بَشَّ به ، والبشاشة والمشاشة الطلاقة والتبشُّم . ماحض : أخلص وذه . غَشَّ ، ضد أخلص ، ويقال : غَشَّه ، أى عمل فيما يحبه شيئاً قليلاً وخلطه بما يسوءه ، أخذ من الغشش ، وهو الشراب الكدر . إخالك : أحسبك . رائد : طالب . يرفق بك : يلاطفك ويكون بك رفيقاً . يرفق : يوليكَ مرافقة ، أى يعينك بماله حتى يجد معها الرفق . لو اتانى : لواقتنى . اغتبط ، أى كن به مقتبطاً أى محبباً في بقائه ، والغبطة : حسن الحال . استكرمت فارتبط ، أى اتَّخَذت كريماً ، وجاء هذا اللفظ في حكاية ذكرها أبو علي ، وهى أن فتى من العرب جاء إلى أمّه ، وقد عميت فقال لها : يا أمّه ، إني اشتريت فرساً ، فقالت : صفه لى ، قال : إذا استقبل فظبى ناصب ، وإذا استدبر فمقل<sup>(١)</sup> هاضب ، وإذا استعرض فسّيد<sup>(٢)</sup> قارب ، موالى السمعين ، طامح الناظرين ، مدعاق الأطباء ، قالت : أجدت إن كنت أعربت ، قال : إنه مشرف التليل ، سبط الخصيل ، وهواه الصهيل ، قالت : أكرمت فارتبط<sup>(٣)</sup> .

...

نَمَّ ضَحِكَ مَلِيّاً ، وَتَمَثَّلَ لى بَشْراً سَوِيّاً ؛ فَإِذَا هُوَ شَيْخَنَا السَّرُوجَى ، لَا قَلْبَةَ بِجَسَمِهِ ، وَلَا شَبَهَةَ فى وَصْمِهِ ؛ ففَرَحْتُ بِلُقَيْتِهِ ، وَكَذِبَ لِقَوْتِهِ ، وَهَمَمْتُ بِمَلَامَتِهِ ، عَلَى سَوْءِ مَقَامَتِهِ ، فَشَحَا فَاةً ، وَأَنْشَدَ قَبْلَ أَنْ أُلْهَاهُ :

ظَهَرْتُ بِرَثٍ كَيْمًا يَقَالُ      فَقِيرٌ يُرْجَى الزَّمانَ الْمُزَجَّى

(١) المقل : الفتى من النعام ، والهضب : نوم من السير .

(٢) السيد : الذئب ، والقرب : نوم من السير .

(٣) جمع الأمثال ٢ : ١٤١

وَأُظْهِرْتُ لِلنَّاسِ أَنْ قَدْ فُلِحْتُ

فَكَمَّ نَالَ قَلْبِي بِهِ مَا تَرَجَّى

وَلَوْلَا الرِّثَاءَةُ لَمْ يُرَثَ لِي وَلَوْلَا التَّفَالُجُ لَمْ أَلْقَ فُلْجًا

نَمَّ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي بِهِذِهِ الْأَرْضُ مَرْتَعٌ ، وَلَا فِي أَهْلِهَا  
مَطْمَعٌ ؛ فَإِنْ كُنْتَ الرِّفِيقُ ، فَالطَّرِيقَ الطَّرِيقَ . فَسِرْنَا مِنْهَا  
مُتَجَرِّدِينَ ، وَرَافَقْتُهُ عَامِنِينَ أَجْرَدِينَ . وَكُنْتُ عَلَى أَنْ أَصْحَبَهُ  
مَا عِشْتُ ، فَأَبَى الدَّهْرُ الْمُسْتِ .

\*\*\*

قوله : ملئًا ، أى طويلاً . قُلبه : مِلة . قال الكسائي رحمه الله : مابه قُلبه ،  
أى شئ يقلقه فينقلب من أجله على فراشه لفته . وقال الفراء رحمه الله : مابه  
من وجع يُخاف عليه منه ، من قولهم : قلب الرجل إذا أصابه وجع في قلبه ،  
فلا يكاد ينقلب منه . قال الأصمعي رحمه الله : معناه مابه داء ، مأخوذ من القُلاب ،  
وهو داء يصيب الإبل في ردوسها فيقلبها إلى فوق . شبهة : التباس وتغيير . وسمه :  
صفاته . اللقية : المرة الواحدة من اللقاء . وقال في الدرة <sup>(١)</sup> : العرب تقول :  
لقية ولقاءة ولقاية ، إذا أردوا للمرة الواحدة ، فإن أرادوا المصدر ، قالوا : لقيته لقاء  
ولقي ولقيًا ، هذا وأنشد :

وإن لقاءها في المنام وغيره وإن لم تجد بالبدل عندى لراح  
وخطأ من يقول : لقيته لقاءة واحدة ، وأغفل أن سيويه قال في كتابه :  
أنيته لإنهائة ، ولقيته لقاءة واحدة .

والقوة : استرخاء الأعلى وعوّجه . مقامته : مجلسه الذى كدى به  
شحاتاه : فتحه قال جرير :

وَضِعَ الخَزِيرُ قَعِيلَ أَيْنَ بِمَاجِعٍ فَشَعَا جَعْفِلَهَ جُرَافَ هَبْلَعٍ<sup>(١)</sup>  
الخزير، ينقط الخاء ثم زاي : دقيق يلبك بشحم ، وجراف الشيء سخونة.  
ألماء : ألزمه . يزجي : يسوق . المزجي : اللقيل الخير ، وهذا كما قال : لبست  
الحميصة أبني الحبيصة . فُلجت : أصبت بفالج . الرثانة : سوء الحال . التفالج : استعمال  
الفالج ، وهو خدرٌ يصيب الجسد . فلجاً : فوزاً وظفراً . مَرَّتَع : موضع يرعى فيه .  
مُنَجَّر دَيْن : مُشرعين ، وانجرد الرجلُ في سببه ، إذا جدّ في الذهاب . أجردين :  
تامنين كاملين ، وسرتُ يوماً وشرّاً وحولاً أجرد ، وجريداً أى تاماً ، قال  
سويد بن كراع :

وَجَشَنِي خَوْفَ ابْنِ عَفَانَ رَدَّهَا فَتَقَقَّتْهَا حَوْلًا جَرِيدًا وَمَرَبَا<sup>(٢)</sup>  
للشت : المفرق .

## المقامة الرابعة والثلاثون وتعرف بالزبيدية

أخبر الحارث بن همام ، قال : لما جبتُ البيدَ إلى زبيد ،  
صحبتني غلامٌ قد كنت ربيته إلى أن بلغ أشده ، وثقفته حتى  
أكمل رُشدَه .

وكان قد أنسَ بأخلاقى ، وخبرَ مجالِبَ وِفاقى ؛ فلم يكن  
يتخطى مرامى ، ولا يُخطئُ في المرامى ؛ لا جرم أن قُربَه  
التأطت بصَفَرى ، وأخلصته لحَفَرى وسَفَرى ، فالوى به الدهرُ  
المبيدُ ، حين صَدَّتْنا زبيد .

\* \* \*

جُبت : قطعت . البيد : الصحارى .

زبيد : بلدة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخا ، وليس في اليمن بعد  
صنعاء أكبر منها ، ولا أغنى من أهلها ، ولا أكثر خيرا ، واسعة البساتين ،  
كثيرة المياه والفواكه من الموز وغيره ، وهى برية لا ساحلية .

وبلغ أشده : أى بلغ الحلم ، وقيل ثلاثين سنة . قال الأزهري رحمه الله تعالى :  
الأشد في كتاب الله تعالى على ثلاث معان : أما قوله تعالى فى قصة يوسف عليه  
السلام ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ <sup>(١)</sup> فبلوغه مبلغ الرجال ، وكذا  
فى اليتيم ، حكمه أن يحفظ عليه ماله حتى يبلغ أشده ، وبلوغه أشده أن يؤنس  
الرشد منه مع أن يكون بالغاً .

(١) سورة يوسف ٢٢

وأما قوله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾<sup>(١)</sup> فقرن بلوغ الأشد بالأستواء وهو أن تجتمع قوته ، ويكتهل وذلك من ثمان وعشرين إلى ثلاث وثلاثين سنة ، وذلك منتهى الشباب . وأما قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾<sup>(٢)</sup> فهي نهاية بلوغ الأشد ، وعندها بُعِثَ محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد اجتمعت حكمته وتمام عقله ، فبلوغ الأشد محصور البداية محصور النهاية ما بين ذلك .

تفتته : قوته وحذقته . خبر : أى جرب وعرف . مجالب وفاق : أى عرف من أين يُجلب ما يوافقني . يتخطى : يتجاوز . مرامى : مرادى ومقصدى . لاجرم ، أى لاحالة ولا بد ، ثم صارت بمعنى حقاً . قُرْبَة : ما يُتقرب به إلى من المثرة . التاقت : لصقت . بصفري : بنفسى وقلبي ، والصَفَر دود في البطن ، إذا جاع الإنسان عضت شراسيفه ، وهى رقيق البطن ، قال أعشى باهلة :

\* وَلَا يَعْصِ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّفَرُ \*<sup>(٣)</sup>

فيريد أن هذا الغلام مهذب يأتى بمحاولاته على الوفاق ، ويقرب الطعام من مولاه وقت الحاجة ، ومن حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نعمًا للمملوك أن يتوفاه الله ، بحسن عبادة ربه ، وطاعة سيده نعماله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجران » .

أخلصته : أفردته . ألوى : ذهب به وأهلكه . المبيد : المهلك . ونشد هنا أبياتا لابن الخضرى في غلام هلك للمتوكل ببطليوس :

غالته أيدي المنايا وكن في مقتلته

(١) سورة القصص ١٤ (٢) الأحقاف ١٥ (٣) الكامل ٤ : ٦٥ ، وصوره :

\* لَا يَفْغِرُ السَّانُ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَهَبِ \*

وكان يَسْقِي الندامى بطرفه ويدَّيه  
غُصْن ذَوَى وهلالٌ جاء الكسوفُ عليه

وَبُسْتَحْسَن لابن همام أن ينشد في وصف هذا الغلام :

حين نَمَتْ آدَابُهُ وتردَّى برداء من الشَّبابِ جَدِيدِ  
وسقاه ماء الشَّبِيبة فاهْتَزَّ اهْتِزَازَ الْغُصْنِ الْفَدَى الْأُمْلُودِ  
وسمى نحوه العيون وما كَانَا عليه لَزَائِدِ من مَزِيدِ  
وكأَنِّي أدعوه وهو قَرِيبٌ حين أدعوه من مكان بعيدِ  
وَأُنْشِدُ بعضهم :

نأى آخر الأيام عنك حبيبٌ فللمن سَحَّ دائمٌ وغروبٌ<sup>(١)</sup>  
كأن لم يكن كالغُصْنِ في مَتِيعَةِ الضُّحَى

سقاه الندى فاهْتَزَّ وهو رطوبُ  
وريحان صدرى كان حين أَشْمُهُ ومونس قَصْرِى كان حين أُغِيبُ  
وكانت يدي ملآنة ثم أصبحتُ بمحمدٍ إلهى وهى منه سَلِيبُ

\* \* \*

فلما شالت نعامته ، وسكنت نأْمُته ، بقيتُ عامماً ،  
لا أَسِيغُ طعاماً ، ولا أُرِيغُ غُلاماً ، حتَّى أَلْجَأْتَنِي شَوَائِبُ الْوَحْدَةِ ،  
وَمَتَاعِبُ الْقَوْمَةِ وَالْقَعْدَةِ ؛ إِلَى أَنْ أَعْتَاضَ عَنْ الدَّرِّ الْخُرْزِ ،  
وَارْتَادَ مَنْ هُوَ سِدَادٌ مِنْ عَوَزٍ ؛ فَقَصَدْتُ مَنْ يَبِيعُ الْعَبِيدَ ،  
بِسُوقِ زَيْدٍ ، فَقُلْتُ : أُرِيدُ غُلاماً يُعْجِبُ إِذَا قُلِّبَ ، وَيُحْمَدُ

(١) لإبراهيم بن المهدي يرثى ابنه ، وهى قصيدة وردت في الكامل ٤ : ٢٣ - ٢٥ ،  
ومنها هذه الأبيات .

إِذَا جُرَّبَ ، وَلَيْكُنْ مِمَّنْ خَرَجَهُ الْأَكْيَاسُ ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى  
السُّوقِ الْإِفْلَاسِ ؛ فَاهْتَزَّ كُلُّ مِنْهُمْ لِمِطْلَبِي وَوَتَبَ ، وَبَذَلَ  
تَحْصِيلَهُ عَنْ كَيْشَبَ . نَمَّ دَارَتِ الْأَهْلَةُ دَوْرَهَا ، وَتَقَلَّبَتْ  
حَوْرَهَا وَكَوْرَهَا ، وَمَا نَجَزَ مِنْ وَعُودِهِمْ وَعَدُّ ، وَلَا سَحَّ لَهَا  
رَعْدُ .

فَلَمَّا رَأَيْتُ النَّخَّاسِينَ ، نَاسِينَ أَوْ مُتَنَاسِينَ ، عَلِمْتُ  
أَنْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ خَلَقَ يَفْرِى ، وَأَنْ لَنْ يَحْكُ جِلْدِي مِثْلُ  
ظُفْرِي . فَرَفَضْتُ مَذْهَبَ التَّفْوِيضِ ، وَبَرَزْتُ إِلَى السُّوقِ  
بِالصُّفْرِ وَالْبَيْضِ .

• • •

شالت نعماته ، أى ارتفع نمشه . ويقال فى المصلوب : شالت نعماته ، أى  
ارتفعت خشبته ، وشالت نعماة القوم ، أى ولّوا منهزمين ، وهو مِثْلُ يُفْرَبُ  
لِلْإِهْزَامِ وَلِلْهَلَاكِ وَلِتَفَرُّقٍ . وَأَنْشَدَ الشَّاعِرُ :

نَلْقَى خِصَامَةً بَيْنَنَا أَرْمَاحُنَا شَالَتْ نِعَامَةً أَبْنَا لَمْ يَفْعَلْ

بِمُخَاطَبِ أَهْدَاءِهِ وَقَدْ وَافَقَهُمْ ، يَقُولُ : هَلَمْ نَلْقَى فِي الْفُرْجَةِ الَّتِي بَيْنَنَا أَرْمَاحُنَا ،  
وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ ، هَلَكَ وَانْهَزَمَ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ، يَدْعُو عَلَيْهِ وَيَنْسِبُ ذَلِكَ لِلنِّعَامَةِ ،  
لَأَنَّ النِّعَامَ مَوْصُوفٌ بِالشُّخْفِ وَالرَّقِّ وَالشَّرَادِ . فَإِذَا قَالُوا : شَالَتْ نِعَامَتُهُمْ ،  
وَحَفَّتْ نِعَامَتُهُمْ ، وَرَقَّ رَأْيُهُمْ ، فَعْنَاهُ إِذَا تَرَكَوْا مَوَاضِعَهُمْ بِجَلَاءٍ أَوْ بِمَوْتٍ .  
وَيُقَالُ : أَحَقُّ مِنْ نِعَامَةٍ ، لَأَنَّهَا تَنْشُرُ لِلطَّعَامِ ، فَرُبَّمَا رَأَتْ بَيْضَةً نِعَامَةٍ أُخْرَى  
وَحَدَّمَا فَحَضُّهَا ، وَتَنَسَّى بَيْضَتَهَا ، ثُمَّ تَجِبُ الْأُخْرَى فَتَرَى عَلَى بَيْضَتِهَا غُورَهَا ،  
فَخَضَى لُوجَهَا ، وَإِيَّاهَا عَنِ ابْنِ هَرَمَةَ بِتَوَلُّهِ :

كثارة بيضها بالمرء وملبسة بيض أخرى جناحا<sup>(١)</sup>

قوله الجاحظ :

وأما أبو عبيدة فقال : عني الحمامة . وقال ابن الأعرابي ، بيضة الجبل التي سار بها النمل هي بيضة النعامة التي تتركها فلا تهتدي إليها فتفسد فلا يقربها شيء . قال الراعي :

لو كنت من أحد يُهَجَى هجوتكم  
يا بن الزقاع ولكن لست من أحد<sup>(٢)</sup>  
تأني قضاة أن ترضى لكم نسبا<sup>(٣)</sup>  
وابنا نزار فأنتم بيضة البلر

قوله : نامته ، أي حركته التي تنمو بحياته . وزعوا أنه القامة بوزن العامة ، عرق اليا فوخ . أسيخ طعاما : اسقميل بقلعه . أربغ غلاما : أطلبه . السداد : اسم ما يصد به الشيء ، مثل سداد القارورة وهو صمامها ، وسداد الفقر ما يذهب ويكتفى به من اللال ، وسداد الثغر ما يذهب خوفه من الخليل والرجال ، والسداد بالفتح : الإصابة في المنطق ، وقال يعقوب : السداد والسداد بمعنى واحد ، وسنميد ذكره في أخبار العرجي .

والعوز : فقد الشيء فإنه أراد عبدا يصد به فقد غلامه الميت . إذا قلب أي إذا قلبت خلقته وجدت كل جزء منها حسا . خرجته : حذقه ورباه . الأكياس : أهل الفطنة والحذق . والإفلاس : الفقر . وثب : قهر وعجل إلى

(١) ديوانه ٨٧ ، قال في شرحه : « يضرب مثلا لمن ترك ما يجب عليه الاهتمام به والجدة فيه ، واعتقل بما لا يلزمه » .

(٢) اللسان - بيض ، والبيت الثاني في المضاف والمنسوب ٤٩٦ .

(٣) اللسان : « تأني لقضاة لم تعرف لكم لبا » .

المشي . بذل : أعطى ، تحصيله : وجوده وحصوله . كَثَبَ : قرب يريد أنه أعطى من نفسه القدرة على حصوله في أقرب مدة . دارت الأهلة دورها ، أى كملت الستة وكمّلت الأهلة فيها بالطلع . كَوَّرَهَا وَحَوَّرَهَا : زيادتها ونقصانها ، وقد تقدّم الكَوَّر والحَوَّر . نجم : حضر . سَحَّ : أمطر .  
 النخاسين : الدالّين للعبيد والهدواب . ثعلب : أخذ من النخس وهو الدفع ، فعنى النخاسين الذين يشترون العبيد لهدمومهم إلى غيرهم . ليس كلُّ مَنْ خَلَقَ يَفْرِى ، مثل ، وخلق قدر ، يقال : خلق المانع الجلد ، إذا قدر ما يقطع منه ، وقيل : الخلق : القطع ، والفرى : القطع أيضاً ، ولكن تقديره ، فبنى المثل : ليس كلُّ مَنْ قَطَعَ شَيْئًا قَدَرَ مَا يَقْطَعُ بِهِ ، ويفرى أيضاً : يُحَسِّنُ القطع على جهة الإصلاح . قال زهير :

وَلَأَنْتَ تَفْرِى مَا خَلَقْتَ وَبِمَنْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ نِمَ لَا يَفْرِى<sup>(١)</sup>  
 ويقال أيضاً : خلق الشيء صنّعه ، وفَرَّاه : أفسده ، وأراد ليس كلُّ الناس يحسن شراء العبيد .

قوله : لَا يَحْكُ جِلْدِي مِثْلَ ظَفْرِي هو مثل يضربُ في ترك الانتكال على الناس ، قال الإمام الشافعى رضى الله عنه :  
 مَا حَكَ جِلْدُكَ مِثْلَ ظَفْرِكَ فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكَ  
 وَإِذَا قَصَدْتَ لِحَاجَةٍ فَاقْصِدْ لِمَعْرِفِ بَقْدَرِكَ  
 رفضت : تركت . التفويض : أن يتكفل الرجل على غيره ويسلم أمره إليه . الصفر والبيض : الدنانير والدرام .

\*\*\*

فَأِنِّى لَأَسْتَعْرِضُ الْعِلْمَانَ ، وَأَسْتَعْرِفُ الْأَثْمَانَ ، إِذْ عَارَضَنِى  
 رَجُلٌ قَدْ اخْتَطَمَ بِلِثَامِهِ ، وَقَبَّحَ عَلَى زَنْدِ غُلَامٍ ، وَقَالَ :

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي غُلَامًا صَنَعًا  
فِي خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ قَدْ بَرَّعًا  
بِكُلِّ مَا نُطِيتَ بِهِ مُضْطَلَعًا

يَشْفِيكَ إِنْ قَالَ وَإِنْ قُلْتَ وَعَى  
وَإِنْ تُصِيبَكَ عَثْرَةٌ يَقُلْ لَهَا

وَإِنْ تَسْنُهُ السَّعَى فِي النَّارِ سَمَى  
وَإِنْ تُصَاحِبُهُ وَلَوْ يَوْمَ رَعَى وَإِنْ تُقْنَعُهُ بِظُلْفٍ قَنِعًا  
وَهُوَ عَلَى الْكَيْسِ الَّذِي قَدْ جَمَا

مَا فَاهِ قَطُّ كَاذِبًا وَلَا ادْعَى  
وَلَا أَجَابَ مَطْمَعًا حِينَ دَعَا وَلَا اسْتَجَازَنْتَ سِرًّا أَوْ دَعَا  
وَطَالَمَا أُبْدِعَ فِيمَا صَنَعَا وَفَاقَ فِي النَّشْرِ وَفِي النِّظَمِ مِمَّا  
وَاللَّهِ لَوْ ضَنْكُ عَيْشٍ صَدَعَا وَصِيبَةُ أَضْحَوْا عُرَاةَ جَوْعَا  
\* مَا بَعَثَهُ بِمُلْكٍ كَسَرَى أَجْمَعَا \*

قال : فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ خَلْقَهُ الْقَوِيمَ ، وَحُسْنَهُ الصِّمِيمَ ، خِلْتُهُ  
مِنْ وَلَدَانِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ، وَقُلْتُ : مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا  
مَلَكٌ كَرِيمٌ .

• • •

أستعرض : أطلب أن يُمرض عليّ ، وعارضني : قابلني . أستمرف : أطلب  
معرفة . اختظم : جعل اللثام على طرف الأنف - وهو الخُطْمُ والخُرطوم للسباع -  
واللثام : ما كان على الأنف من النقاب . والزَّند : طرف عظم الساعد المتصل  
( ٩ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )

بالسكف ، فهو قد قبض على أرق موضع في الذراع . الصنم . الحاذق بالصناعة ، والمرأة صناع . برع : فضل وفاق غيره . نُطت : عَلِمَتْ . مضطاماً : مكتفياً قوياً عليه . وعى : حفظ . لماً ، كلمة تقال للعائر - بمعنى : أقال الله عثرتك ، وسلمك الله - تَسَمَّه السَّعَى : تكلفه المشى . رعى : حفظ الصحبة . الظلف للشاة بمنزلة الحافر للذابة . الكَيْس الحاذق . فاه : تكلم .

ثم قال : لم يدعه الظمع قط فأجابه . استجاز : استحل . نث : نشر ، أبدع : أغرب وأنى بما لم يسبق إليه . ضنك : ضيق . صدع : كسر ، وأنشدوا في هذا المعنى :

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يا أُمَّ مالِكٍ علائقَ من ربِّ بهنٍ ضنينٍ

خلقه القويم : المعتدل القامة . الصميم : الخالص ، وهو فعيل ، من صم الشيء إذا لم يكن فيه فُرْجة ولا خلل . خِلْتُهُ : حسبته .

[ ذكر الغلمان وأخبار عشاقهم ]

ونشد في هذه المقامة في الغلمان ماله سبب وتعلق بذكر يوسف عليه السلام ، أو يكون الغلام مملوكاً حتى يوافق غرض المقامة .

كان شفيئ غلام المتوكل أحسنَ الفتيان وأظرفهم ، وكان المتوكل يُجَنِّ به جنونا ، فأحبَّ يوماً أن ينادم حسين بن الضحاك ، وأزى يرى ما بقى من شهوته - وكان قد أسنَّ - فأحضره وسقاه حتى سَكِرَ ، وقال لشفيئ : اسقه ، فسقاه وحيَّاه بوردة ، وكانت على شفيئ ثياب موردة . فدَّ حسين يده إلى ذراع شفيئ ، فقال المتوكل : أتحمش أخصَّ خدِمي بحضرتي ، فكيف لو خلوت به ! ما أحوجك إلى الأدب ! وكان قد غمز شفيئا على العبث به ، فدعا بدواة فكتب :

وكالوردة الحمراء حيَّا بوردة من الورد يمشى في قراطق كالورد<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٤٣ ، والأغاني ٧ : ١٧١ ، وفيه : « وكالوردة البيضاء حيا بعنبر » .

له هَبَنَاتٍ عِنْدَ كُلِّ تَحِيَّةٍ بِكَفِّهِ تَسْتَدْعِي الْحَالِمَ إِلَى الْوَجْدِ<sup>(١)</sup>  
تَمَنَيْتُ أَنْ أُسْقَى بِعَيْنَيْهِ شَرْبَةً تَذَكِّرُنِي مَا قَدْ نَسِيتُ مِنَ الْعَهْدِ  
سَقَى اللَّهُ دَهْرًا لَمْ أَبْتَ فِيهِ لَيْلَةً خَلِيًّا وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدِ

نَمِ دَفَعَهَا لِشَفِيعٍ فَأَعْطَاهَا الْمُتَوَكِّلُ : فَاسْتَمْلَحَهَا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ  
يَا حَسِينَ ! وَلَوْ كَانَ شَفِيعُ تَمَنٍّ تَجُوزُ هَبْتَهُ لَوْ هَبْتَهُ لَكَ ؛ وَلَكِنْ بِحِمَايَ بِاشْفِيعِ  
إِلَّا كُنْتَ سَاقِيَهُ بِقِيَّةِ يَوْمِنَا . وَأَمْرُهُ بِمَالٍ كَثِيرٍ .

وكان لأمير الدولة غلام تركي ، وكان وضيء الوجه ، منهمكًا في الشراب ،  
ولقرط ميل . وولاه إليه جعله رئيس سرية جردها لحرب بني حمدان ، وكان  
المهلب<sup>(٢)</sup> يستظرفه ويستحسنه ، فقال :

ظَهِيَ يَرْوِقُ الْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرْوِقُ عَوْدُهُ<sup>(٣)</sup>  
وَبِكَادُ مَنْ شَبَّهَ الْعَذَا رَى فِيهِ أَنْ تَبْدُو نَهْوُهُ  
نَاطُوا بِمَقْعِدِ خَضْرَاهُ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تَقْوَدُهُ<sup>(٤)</sup>  
جَعَلُوهُ قَائِدَ عَسْكَرٍ ضَاعَ الرَّعِيلُ وَمَنْ يَقْوَدُهُ<sup>(٥)</sup>

فكانت الدائرة على جيش الغلام ، كما أشار إليه ، ولو غزاهم بالسلاح الذي  
أمر به البغواء غلامًا غازیًا وهو :

يَا غَازِيَا أَنْتَ الْأَحْزَانُ غَازِيَةً إِلَى فَوَادِي الْأَحْشَاءِ حِينَ غَزَا<sup>(٦)</sup>  
إِنْ بَارَزَتْكَ رِمَاةُ الرُّومِ فَارْمِهِمْ بِسَهْمِ عَيْنَيْكَ تَقْتُلُ كُلَّ مَنْ بَرَزَا  
لِسُكَّانِ الظَّافِرِ الْغَالِبِ .

وكان<sup>(٧)</sup> بديع غلام عمير<sup>(٨)</sup> للأموري أحسن خلق الله وجهًا ، وكان

(١) الديوان : « بعينه تستدعي الحلي » .

(٢) هو الحسن بن محمد ، من ولد قبصة بن المهلب بن أبي صفرة . له ترجمة في اليتيمة ١٠٢ : ٢ .

(٣) اليتيمة ٢ : ٢٠٣ ، وفيها : « يرق » (٤) يشوده أى يشله .

(٥) الرعيل : الحيش (٦) يتيمة الدهر ١ : ٢٢٤ .

(٧) الخبر والشعر في الأغاني ٢٠ : ٥٦ - ساسي ، ومختار الأغاني ٧ : ٢٨٧ .

(٨) في المختار : « ممر » .

الوزير ابن الزيات مفتوناً به ، فاجتاز عليه راكباً بآلة الحرب ، فقال فيه :

راحَ علينا راكباً طِرفَهُ      أُغِيدُ مثل الرِّشَاءِ الْآنَسِ  
قد لبسَ القرطقَ واستمسكتُ      كفاه من ذِي بَدَنٍ مائِسِ  
وقلَّدَ السيفَ على غُنَجِهِ      كأنه في وقعة الدَّاحِسِ  
أقول لَمَّا أن بدا مقبلاً :      ياليني فارسُ ذا الفارِسِ !

وقال ابن الزقاق :

ومهندٍ عَضْبٍ براحةٍ أُغِيدِ      في جفنه عَضْبٌ يَقْدُ مفاصِلِي<sup>(١)</sup>  
يسطو بذلك وذا فيغدو قِرْنُهُ      بهما صريعَ لواحظٍ ومناصِلِ  
ماضٍ كلا السَّيفينِ لَكِنْ لحظه      أمضى وإلا فاسألنِ مَقَاتِلِي

وكان لأبي عيسى بن الرشيد غلام اسمه يُسر<sup>(٢)</sup> ، وكان آيةً في الجمال ، وكان صالح أخوه يتعشقه ، فبلغت لأبي عيسى قصةٌ جرت بينهما ، فحجبه ومنعه أن يخرج من داره إلا بمحافظ ، وكاد حسين بن الضحاك يموت فيه عِشْقاً ، فقال فيه :

ظنَّ من لا كان ظنّاً      بحبيبي فحَمَاهُ<sup>(٣)</sup>  
أرصد البابَ رقيبِي      ن ه فاكتنفاهُ  
فإذا ما اشتاق قربي      ولقائي منَعاهُ  
جعل الله رقيبِي      من السَّوءِ فدَاهُ

وقال فيه :

إنَّ مَنْ لا يرى وليس لا يراني      نُصِبَ عيني ممثلاً بالأمانِي<sup>(٤)</sup>

(١) ملحق ديوانه : ٢٩٧ .

(٢) الخبر والشعر في الأغاني ٧ : ٢٢٠ ، وديوانه ١٢١ ، وقط : د بشر .

(٣) الأغاني ٧ : ١٨٧ ، ديوانه ١١٢ .

(٤) الأغاني ٧ : ١٩٢ ، ديوانه ١٢٢ .

بِأَبِي مَنْ ضَمِيرُهُ وَضَمِيرِي أَبْدَا بِالْغَيْبِ يَنْتَحِيَانِ  
نَحْنُ شَخْصَانِ إِنْ نَظَرْتَ وَرَوْحًا نَ إِذَا مَا اخْتَبَرْتَ مَمْتَزَجَانِ  
فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالْأَمْرِ أَوْ هَمَّ بِشَيْءٍ بَدَأْتُهُ وَبَدَأَنِي  
كَانَ وَقَفًا مَا كَانَ مِنْهُ وَمَعِي فَكَأَنِّي حَكِيمُهُ وَحَكَايِي  
خَطَرَاتُ النَفُوسِ مَتَا سِوَا سِوَا وَتَحْرُكُ الْأَبْدَانِ

وجاءه يوما فتحدث معه ، فأشار لتقبيله ، فقال له بشير : إياك والتعرض  
لي وانجُ بنفسك ، وكانت فيه عَرَبِيَّةٌ ، فقال فيه حسين :

أَيُّهَا التَّفَاتُ فِي الْعَمَدِ أَنَا مَطْوِيٌّ عَلَى الْكَعْدِ  
إِنَّمَا زَخَرْتُ لِي خُدَعًا قَدَحْتُ فِي الرُّوحِ وَالْجَسَدِ  
مَا لِلْأَنْسِ كَانَ مَبْتَدَلًا مِنْكَ لِي بِالْأَمْسِ لَمْ يَبْدُ<sup>(١)</sup>  
يَوْمَ تَعْطِي وَتَأْخُذُهَا دُونَ نَدْمَانِي يَدًا بَيِّدِ  
ذَاكَ يَوْمٌ كَانَ حَاسِدُنَا فِيهِ مَعْذُورًا عَلَى الْحَسَدِ

\* \* \*

نَمْ اسْتَطَقْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ ، لَا لِرَغْبَةٍ فِي عِلْمِهِ ؛ بَلْ لِأَنْظَرِ  
أَنْ فَعَمَّاحْتُهُ مِنْ صَبَاحَتِهِ ، وَكَيْفَ أَهْجَتُهُ مِنْ بَهْجَتِهِ ؛ فَلَمْ يَنْطِقْ  
بِجُلُوءٍ وَلَا مُرَّةٍ ، وَلَا فَاهَ فَوْهَةً ابْنِ أُمِّهِ وَلَا حُرَّةٍ . فَضَرَبْتُ  
عَنْهُ صَفْحًا ، وَقُلْتُ لَهُ : قُبْحًا لِمَيْكَ وَشُقْحًا ، فَغَارَ فِي الضَّحْكَ

(١) ديوانه ٤٨ الأغاني ٧ : ١٩٢ ، وبعده في الأغاني والديوان :

هَاتِ بِأَخْدَاعٍ وَاحِدَةً مِنْ كَثِيرٍ قُلْتَهُ وَقَدِي  
لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ حَلْفِكَ لِي بِوَفَاءِ الْعَهْدِ بَعْدَ غَدِ  
مَا الَّذِي بِاللَّهِ صَيَّرَهُ بَعْدَ قُرْبٍ فِي مَدَى الْأَبَدِ

وأنجد ، ثم أنفض رأسه إلى وأنشد :  
 يا مَنْ تَلَهَّبَ غِيظُهُ إِذْ لَمْ أُبَيِّحْ  
 بَانِي لَهُ ، مَا هَكَذَا مَنْ يُنْصِفُ  
 إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا كَشْفُهُ  
 فَاصْبِخْ لَهُ ، أَنَا يَوْسُفُ أَنَا يَوْسُفُ  
 وَلَقَدْ كَشَفْتُ لَكَ الْغِطَاءَ فَإِنْ تَكُنْ  
 فَطِنًا عَرَفْتَ وَمَا إِخْلَاكَ تَعْرِفُ  
 قَالَ : فَسَرَّيْ عَنِّي بِشَعْرِهِ ، وَاسْتَبَي لُبِّي بِسُخْرِهِ ؛ حَتَّى  
 شُدَّ هَتْ عَنْ التَّحْقِيقِ ، وَأُنْسِيَتْ قِصَّةُ يَوْسُفَ الصَّدِّيقِ ؛ وَلَمْ  
 يَكُنْ لِي هَمٌّ إِلَّا مَسَاوِمَةَ مَوْلَاهُ فِيهِ ، وَاسْتِطْلَاعَ طَلْعِ الثَّمَنِ  
 لِأَوْفِيهِ . وَكُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّهُ سَيَنْظُرُ شَرًّا إِلَى ، وَيُعْطِي السَّيِّئَةَ  
 عَلَيَّ ؛ فَأَحَلَّقَ إِلَى حَيْثُ حَلَقْتُ ، وَلَا اعْتََلَقَ بِمَا بِهِ اعْتَلَقْتُ ؛  
 بَلْ قَالَ : إِنَّ الْغَلَامَ إِذَا نَزَرَ نَمْنَهُ ، وَخَفَّتْ مُؤَنَّهُ ، تَبَرُّكَ بِهِ  
 مَوْلَاهُ ، وَالتَّحَفَ عَلَيْهِ هَوَاهُ ، وَإِنِّي لَأَوْثِرُ تَحْيِيْبَ هَذَا الْغَلَامِ  
 إِلَيْكَ ، بَأَنْ أَخَفَّفَ نَمْنَهُ عَلَيْكَ ، فَزَنْ مَائِي دَرَاهِمَ إِنْ شِئْتَ ،  
 وَاشْكُرْ لِي مَا حَيَّيْتُ . فَتَقَدَّتْهُ الْمُبْلَغُ فِي الْحَالِ ، كَمَا يُتَقَدُّ فِي  
 الرَّخِيصِ الْحَلَالِ ، وَلَمْ يَخْطُرْ لِي بِيَالٍ ، أَنْ كُلَّ مُرْخَصٍ غَالٍ .

\*\*\*

قوله : استنطقته ، أى سأله أن ينطق . صَبَّاحَتُهُ : حُسْنُهُ . لَمَجَّتْهُ : لَفَظَهُ ،  
 وَأَصْلُهَا طَرَفُ اللِّسَانِ ، فَكُنِيَ بِهَا عَنْ حَلَاوَتِهِ . بَهَجَّتْهُ : حَسَنَتْهُ وَنَضَارَتُهُ ،

وأصلها حسن اللون . لم ينطق بحلوة ولا مرقة ، أى بكلمة جيدة ولا رديئة .  
 فاه : نطق . ضربتُ عنه : أعرضت عنه . صفحاً ، أى أوليته ، صفحة وجهي ، وهي  
 جانبه . شُفَعَا ، إنباع لقبح ، وقيل : هي من شَفَحَ البُسر ، إذا تغيّرت خضرته  
 بحمرة أو صفرة ، وهو أقبح ما يكون في رأى العين ، وقيل : هو من شَفَحْتُ  
 العود إذا كسرته ، وقال : هو من أشقاح الكلاب ، وهي أديارها ، ويقال :  
 قُبِحَا وشُفَعَا بضم أولهما وفتح ه . غارَ : أتى الغور ، وهو المنخفض من الأرض .  
 أنجد : أتى نجداً ، ومعناه بالغ في الضحك وذهب في جهاته . أنفض رأسه ، أى  
 حرّكه ؛ كأنه يهدّد ويستخفّ به . تَلَهَّب : اشتعل . أبُخ : أنكلم . أصيخ :  
 استمع . أنا يوسف ، أى أنا حرّمثل يوسف صلوات الله عليه ، إذ باعه إخوته .  
 سرّى عَتْبِي : أزال لومي استبى لبي : أى تملك عقلى بسِخره وحلاوة كلامه .  
 شدّهت : تغيّرت ، وهو مقلوب دهشت . التحقيق : التمييز ، وهذا كما قال الشاعر :

والله ما فتنتُ نفسي محاسنه إلا وقد سحرت ألفاظه أذني  
 ما تُصدِرُ العينُ عنه لحظةً ملاً كأنه كلّ شيء مرتضى حسن

استطلاع طلعه : استخبار خبره ، والسؤال عن قدره . لأَوْفِيّه : لأعطيه  
 كاملاً وافيّاً . شزراً : نظار فيه إعراض . التسمية : السؤوم ، وهو السؤال عن  
 الثمن . ما حلق إلىّ حيثُ حلّقت ، أى ما دار إلىّ حيثُ دُرّت ، أى ما كان  
 عنده شيء مما ظننت به من طلبه سوماً غالباً . نَزُرُ : قل . مؤنه : لوازمه وما يحتاج  
 إليه . تبرّك : رآه مباركاً ، والبركة : الكثرة والسمة . التحف : انضم . هواه :  
 حبه . أوثر : أفضّل .

\* \* \*

فَلَمَّا تَحَقَّقَتِ الصَّفَقَةُ ، وَحَقَّتِ الْفُرْقَةُ ، هَمَلَتْ عَيْنَا الْغَلَامِ ،  
 وَلَا هُمُولَ دَمْعِ الْغَنَامِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى صَاحِبِهِ وَقَالَ :

لِحَاكَ اللَّهُ هَلْ مِثْلِي يَبَاعُ      لِكَيْمَا تَشْبَعُ الْكَرِشُ الْجِيَاعُ  
 وَهَلْ فِي شِرْعَةِ الْإِنصَافِ أُنَى      أَكُلْفُ خَطَّةٍ لَا تُسْتَطَاعُ  
 وَأَنْ أُبْلَى بِرَوْعٍ بَعْدَ رَوْعٍ      وَمِثْلِي حِينَ يُبْنَى لَا يُرَاعُ  
 أَمَا جَرَّبَتْنِي فَخَبِرْتَ مِنِّي      نَصَائِحَ لَمْ يَمَازِجْهَا خِدَاعُ  
 وَكَمْ أَرَصَدْتُ نِيَّ شَرِّكََا لَصِيدٍ      فَعَدْتُ وَفَى حَبَائِلِي السَّبَاعُ  
 وَنُلتَ بِنِي الْمَصَاعِبِ فَاسْتَقَادْتُ  
 مَطَاوِعَةً وَكَانَ بِهَا امْتِنَاعُ

\*\*\*

تَحَقَّقَتِ الصَّفَقَةُ : تَمَّ الْبَيْعُ . هَمَلْتُ : سَأَلْتُ . الْغَمَامُ : السَّحَابُ . لِحَاكَ اللَّهُ :  
 لَعَنَهُ وَأَبْعَدَهُ ، وَلَحِيتَ الرَّجُلَ : لَمَسْتُهُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ لَحَوْتُ الْعُودَ أَلْحَوْهُ وَلَحِيتُهُ أَلْحَاهُ ،  
 إِذَا قَشَرْتَهُ ، وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي نَوَادِرِهِ :

لَحَوْتُ سُتْمَاسًا كَمَا تُلَحَّى الْعَصَا      سُبًّا لَوْ أَنَّ السَّبَّ يُدْمِي لَدَمِي<sup>(١)</sup>  
 وَيُقَالُ : لِأَحَاةٍ مَلَا حَاةً وَلَحَا ، أَصْلُهَا الْمُبَالَغَةُ ، ثُمَّ كَثُرَتْ حَتَّى جُمِلَتْ كُلُّ  
 مَمَانَةٍ وَمَدَافَعَةٍ مَلَا حَاةً . الْكَرِشُ : الْعِيَالُ ، وَكَرِشَ الرَّجُلُ عِيَالَهُ وَصَغَارَ وَلَدَهُ ،  
 وَيُقَالُ فِي الْمَعِيلِ : عَلَيْهِ كَرِشٌ مَشْتُورٌ ، وَإِذَا أَكْثَرَتِ الْمَرْأَةُ أَوْلَادَهَا قِيلَ : نَثَرَتْ  
 كَرِشَهَا ، وَقَدْ قَدَّمَ أَنْ صَبِيَّتُهُ جَوَّعَ . الشَّرْعَةُ : الطَّرِيقُ . وَالْخَطَّةُ ، مِثْلُ الْقِصَّةِ :  
 الْأَمْرُ يَقَعُ بَيْنَ الْقَوْمِ . أُبْلَى : أُمْتَحَنَ . الزَّرْعُ : الْفَرْعُ ، لِأَنَّهُ يَصِيبُ الزَّرْعَ وَهُوَ  
 الْقَلْبُ . يَمَازِجُهَا : يَخَالِطُهَا . أَرَصَدْتُ نِيَّ : جَمَلْتُ نِيَّ رَصْدًا ، وَالرَّصْدُ : مَنْ يَرْقُبُكَ  
 وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ فَإِذَا جِئْتَهُ هَجَمَ عَلَيْكَ . وَالشَّرْكُ : آلَةُ الصَّيْدِ . حَبَائِلِي : شِبَاهِي  
 نَطَلْتُ : عَلَّقْتُ . الْمَصَاعِبُ : الْأُمُورُ الشَّاقَّةُ . اسْتَقَادْتُ : انْقَادْتُ .

(١) الْبَيْتُ فِي الْأَسَانِ - لَحَا . وَفِي ط : لَحِيتُ ، وَمَا أَنْبَتَهُ مِنَ الْأَسَانِ .

وَأَيُّ كَرِيهَةٍ لَمْ أَبْلِ فِيهَا      وَغُفْمٌ لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ بَاعٌ  
وَمَا أَبَدْتُ لِي الْآيَامَ جُزْماً      فَيُكْشَفُ فِي مَصَارِمَتِي الْقِنَاعُ  
وَلَمْ تَعَثْرَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مِنِّي      عَلَى عَيْبٍ يُكْتَتَمُ أَوْ يُذَاعُ  
فَأَتَى سَاعَ عِنْدِكَ نَبْذُ عَهْدِي      كَمَا نَبَذْتُ بُرَايَتَهَا الصَّنَاعُ  
وَلَمْ سَمَعْتَ قَرَوْنُكَ بَامْتِهَانِي

وَأَنْ أُشْرَى كَمَا يُشْرَى الْمُتَاعُ

وَهَلَّا صُنْتُ عَرِضِي عَنْهُ صَوْنِي

حَدِيثُكَ يَوْمَ جَدِّ بَنَّا الْوَدَاعُ

وَقُلْتُ كَمَنْ يُسَاوِمُ فِي هَذَا      سَكَابٍ فَا يُعَارُ وَلَا يُبَاعُ

فَمَا أَنَا دُونَ ذَلِكَ الطَّرَفَ لِيَكُنْ

طِبَاعُكَ فَوْقَهَا تِلْكَ الطَّبَاعُ

عَلَى أَنِّي سَأَنْشِدُ حِينَ يَبْعِي      أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتَى أَضَاعُوا

\*\*\*

أَبْلُ: أْبَالَعُ وَأَجْهَدُ نَفْسِي فِيهِ . غُفْمٌ: غَنِيمَةٌ . جُرْمٌ: ذَنْبٌ . مَصَارِمَتِي: مَقَاطِعِي ، وَكُشِفَتْ فِي الْأَمْرِ الْقِنَاعُ ، إِذَا جَاهَدْتَ فِيهِ وَبَالَغْتَ . تَعَثَّرَ: تَطَلَّعَ : يَكْتُمُ : يَسْتَرُ . يَذَاعُ: يَفْشَى وَ« بِحَمْدِ اللَّهِ » فِي الْبَيْتِ ، وَقَعْتَ اعْتِرَاضًا بَيْنَ الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ ، كَمَا وَقَعْتَ فِي التَّاسِعَةِ وَالْأَرْبَعِينَ اعْتِرَاضًا بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَخَبْرِهِ فِي قَوْلِهِ: « وَأَنْتَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - وَلِيَّ عَهْدِي » وَتَعَلَّقَ بِهَا بِحَذُوفِ تَقْدِيرِهِ : أَبْتَدَى بِحَمْدِ اللَّهِ ، أَوْ أَفْتَتَحُ بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَلَصَنِي مِنْ عَيْبٍ يُعْتَرَّلِي عَلَيْهِ ، أَوِ الَّذِي جَعَلَكَ وَلِيَّ عَهْدِي ، وَمِنْهُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، مَعْنَاهُ أَنْزَلَ اللَّهُ وَابْتَدَى بِحَمْدِهِ ، أَوْ أَفْتَتَحُ بِحَمْدِهِ ، وَدَخَلْتَ الْوَاوَ هُنَا لِفِعْلِ مَعْنَى الْمَغْطَفِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَحَمْدُهُ ، لَكَانَ الْمَعْنَى :

أسبغته تسبيحًا وأحده حدًا ، هكذا يقتضى ما جاء من المصادر منصوبًا في هذا الباب ، وفي قولنا : وبحمده لا يكون المعنى ماتقدم في المنصوب ، ولكن الباء أذنت بمعنى ابتدأت ، أو أبدأ بحمد الله ، كأنك قلت : حمدت الله على إلهامه إياي تسبيحه ، وتأمل قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ .

قوله ساغ : أى سهل . نبذ : ترك . البراية : ما يتساقط من العود إذا نُجِر ، ومن القلم إذا بُرِيَ ، وكذا يأتي في مثل البرادة والثحانة ونحوها . الصَّنَاع : الحاذقة بالصنعة ، والرجل صَنَعَ بغير ألف . قرورك : نفسه . سمحت : جادت . أشرى : أباع . عنه ، أى عن البيع . صوفى حديثك ، أى صيانتى للحديث الذى أحدثت من بيعى وأنا حر . يوم جدّ بنا الوداع ، أى في هذه الساعة التى تريد أن تودعنى فيها . سكّاب : اسم فرس لرجل من العرب من بنى تميم ، سأله بعض الملوك أن يبيعها منه ، فأبى عليه وقال :

أَيَّتَ اللَّعْنِ إِن سَكَّابٍ عَلِقَ كَرِيمٌ لَا يُعَارَ وَلَا يُبَاعُ<sup>(١)</sup>  
مَفْدَاةً مَكْرَمَةً عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تَجَاعُ

الطرف : الفرس الكريم ، يقول : لست أنا دون الفرس ، لكن طباع مالكه أفضل من طباعك ، حيث كان يجمع عياله ويشبعه ، ولم يهنه بالبيع كما أهنتنى به .

[ ذكر العرجى وإيراد بعض شعره ]

وعَجَزُ البَيْتِ الأخير صدر بيت لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهم ، وهو العرجى ، سُمِّيَ بذلك لأنه وُلِدَ بالعرج<sup>(٢)</sup> من مكة ، وقيل : بل كان له بها مال ، وكان يُكثر الاختلاف إليه ، فُنُسِبَ إليه . يكنى أبا عمرو ، وهو شاعر

(١) البيت الأول في اللسان ، والصحاح وتاج العروس - مكب .

(٢) ياقوت : العرج : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف .

مطبوع بالفرز مجيد ويشبه في غزله ومقصده بامر بن أبي ربيعة ، وكان يهوى  
جنداء أم إبراهيم بن هشام الخزومي ، ولها يقول :

أبصرتُ وجهاً لها في جِده تلَعَّ      تحتَ العقود وفي القرطين تشمير<sup>(١)</sup>  
وجهٌ تحير فيه الماء في بشير  
صافٍ له حين أبدته لنا نورُ  
ولها يقول :

إلى جنداء قد بشئوا رسولاً      ليخبرها فلا صحبَ الرسول<sup>(٢)</sup>  
كانَ العام ليس بعام حجٍّ      تغيّرتِ المواسمُ والشكولُ  
ولها يقول :

عوجى علينا ربّة المودجِ      إنك إن لا تفعلَى تمرجى<sup>(٣)</sup>  
فالحجّ إن حجّجت وماذا منى      وأمله إن هى لم تحجج !  
فما استطاعت غير أن أومات      نحوى بعينى شادنٍ أدعج  
وقال أيضاً :

باتاً بأنعم ليلةٍ حتى بدا      أصبح يلوح كالأغرّ الأشقر<sup>(٤)</sup>  
فتلازماً عند الفراق صبايةً      أخذَ الغريم بفضل ثوب المعسر  
فلما شاع نسيبه بها قبض عليه ابنها محمد عند ولايته الحجاز ، بسبب طلبه  
عليه ، فغضبه بالسياط وألقى الزيت على رأسه ، وأوقفه للناس في الشمس ، حتى  
غشى عليه ، وسجنه بضع سنين حتى مات في سجنه ، فقال في السجن :  
أضاعوني وأىّ فتى أضاعوا ليوم كريمةٍ وسدادٍ ثمر<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ١٠٠ ، وفيه : « تشمير » .

(٢) ديوانه ١٩٠ ، الأغاني ١ : ٣٩٧ . وفيه : « ليجزنها » .

(٣) ديوانه ١٧ ، الأغاني ١ : ٤٠٧ .

(٤) الأغاني ١ : ٣٩٧ ، الديوان ١٧٨ .

(٥) الأغاني ١ : ٤١٣ ، ديوانه ٣٤٥ .

وخلَوْنِي ومَعَرَكِ النِّسَايَا      وقد شرعتُ أَسْتَهْمُ لِنَحْرِي  
كأَنَّي لم أَكُنْ فِيهِمْ وسيطاً      ولم تَكُ نَسْبِي فِي آلِ عَمْرُو  
أَجَرَّرَ فِي الْجَامِعِ كُلِّ يَوْمٍ      فيسألُ اللهَ مَظْلِمَتِي وَقَمَرِي !  
عَمَى الْمَلِكُ الْحَبِيبَ لِمَنْ دَعَاهُ      يَنْجِيْنِي وَيَعْلَمُ كَيْفَ شَكَرِي  
فَأَجْزِي بِالْكَرَامَةِ أَهْلَ وَدِّي      وَأَجْزِي بِالتَّدَاوَةِ أَهْلَ وَتَرِي

فلما أفضت الخلافة إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، قبض على محمد بن هشام وأخيه إبراهيم ودعا لهما بالسَّياط ، فقال له محمد : أسألك بالقراءة ! قال : وأيِّ قراءة بيني وبينك ؟ قال : فأسألك بصهر عبد الملك ! فقال : لم تحفظه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يضرب قرشيٌّ إلا في حدٍّ ، فقال : ففي حدٍّ أضربُك وقودٍ ، قال : وما ذاك ؟ قال : أنت أولُ من سنَّ ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فما رعيت [حق] <sup>(١)</sup> جدّه ولا نسبته بهشام من قبل أمّه ، اضربهما <sup>(٢)</sup> يا غلامُ ، فضربهما ضرباً مبرِّحاً ، وأُنْقِلَا بالحديد ووجهيهما إلى يوسف بن عمر ، وأمره بتعذيبهما ، فضربهما حتى ماتا .

وغنى إسحاق الموصلي الرشيد قوله :

• أضعاعوني وأَيَّ فتى أضعاعوا •

فسأل عن سبب هذا الشعر ، فأخبره بمحدث العرجي ، قال إسحاق : فرأيتُه يتغيّظ ، فلما أخبرته بما فُعل بابني هشام ، جمل وجهه يُسفر وغيظه يسكن ، ثم قال : يا إسحاق ، لولا ما حدثتني به من فعل الوليد ، لما تركت أحداً من أمثال <sup>(٣)</sup> بني مخزوم إلا قتلته بالعرجي .

ومن جيد شعر العرجي :

فهل أنت آتٍ أهل ليلى فناظرٌ      لذنوب جفوني ، أم جفوني تجرّما <sup>(١)</sup>

(١) من الأغاني      (٢) الأغاني : « اضرب يا غلام »

(٣) كذا في الأغاني ، وفي ط : « أمثال » (٤) ديوانه ٣٦ ، وفيه : « تمرما » .

فَإِنْ يَكُ مِنْ ذَنْبٍ <sup>(١)</sup> فِي ذَلِكَ حَكْمُهُمْ وَحَسَبَ أَمْرِي فِي حَقِّهِ <sup>(٢)</sup> أَنْ يُحَكِّمَكُمْ  
كَمِثْلِ شَهَابِ النَّارِ فِي كَفِّ قَابَسٍ <sup>(٣)</sup> إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ وَهُوَ كَالْبِأْسِ أَضْرَمَا

وَمِنْ جِيْدِهِ :

أَخْبِرْتُ أَنَّكَ قُلْتَ نَقْلُهُ لَا تَفْعَلِينَ ، فَدَنَيْتُكُمْ نَفْسِي <sup>(٤)</sup>  
وَاللَّهُ لَا آتِي لَكُمْ سَخَطًا حَتَّى أَغْيِبَ فِي شَرِّ رَمْسِي  
وَاللَّهُ لَا أُنْسَى تَطَوُّفَهَا تَهْتَزُّ بَيْنَ كَوَاعِبِ خَمْسِ  
كَالْبَدْرِ صُورَتَهَا إِذَا انْتَقَبَتْ وَإِذَا سَفَرَتْ فَأَنْتَ كَالشَّمْسِ

وَمِنْهُ :

حُورٌ بَعَثْنَ رَسُولًا فِي مَلَاظِفَةٍ ثَبَتْنَا إِذَا أَسْقَطَ النَّسَاءُ الْوَهْمَ <sup>(٥)</sup>  
فَجِئْتُ أَمْشِي عَلَى هَوْلٍ أَجْشَمُهُ تَجَشَّمُ الْمَرْءَ هَوَلًا فِي الْهَوَى كَرَمُ  
أَمْشِي كَمَا حَرَكْتُ رِيحَ يَمَانِيَةِ غَصَنًا مِنَ الْبَانِ رَطْبًا طَاهَهُ الرَّهْمُ <sup>(٦)</sup>  
حَتَّى جَلَسْتُ لِإِزَاءِ الْبَيْتِ مَكْتَتِمًا <sup>(٧)</sup> وَطَالِبُ الْحَاجِّ تَحْتَ اللَّيْلِ يَكْتُمُ  
فَبِتْ أَسْقَى بِأَكْوَاسٍ أَعْلَى بِهَا مِنْ بَارِدٍ طَابَ مِنْهُ الْقَطْعُ وَالنَّسَمُ

وَفِي مَعْنَى قَوْلِهِ : أَمْشِي كَمَا حَرَكْتُ . . . الْبَيْتَ يَقُولُ ابْنُ دَعْبَل :

قَالَتْ لَقَدْ أَعْيَيْنَا حُجَّةً فَأَتِ إِذَا مَا هَجَّعَ السَّامِرُ <sup>(٨)</sup>

(١) الديوان : « فِي ذَنْبِي » .

(٢) الديوان : فِي « حَقِّهِ » .

(٣) كَذَا فِي الدِّيَّانِ ، وَفِي ط : « فَارِس » (٤) دِيَّانُهُ ١٤٨ وَفِيهِ : قُلْتُ : نَهَجَرَهُ .

(٥) دِيَّانُهُ ٢ ، وَفِيهِ : « ثَقْنَا »

(٦) الدِّيَّانُ : « طَلَّةُ الرَّهْمِ » . وَالرَّهْمُ . الْمَطَرُ الْخَفِيفُ .

(٧) الدِّيَّانُ :

• لَمَّا بَلَغْتُ إِزَاءَ الْبَابِ مَكْتَتِمًا •

(٨) كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي يُنْسَبُ إِلَى عُمَرَ بْنِ أَبِي رِيْعَةَ ، مُلْحَقٌ بِدِيَّانِهِ • ٤٩

واسقط علينا كسوط الندى ليلة لانام ولا أمر

وقال الواثق :

قالت إذا الليل دجاً فأننا نجفها حين دجا الليل  
خفي وطء الرّجل من حارس ولو دنا حل به الويل  
ومن ظارف العرجى ، أنه وعدهوى له أن تزوره في منتزه ، فجاءته على أتان  
ومعها جارية لها ، وجاء العرجى على عيرٍ ومعه غلام ، فواقمها العرجى ، ثم  
خرج فرأى الغلام يواقع الجارية والعير على الأتان ، فلما نظر الحال قال : هذا يوم  
غاب هذآله .

\* \* \*

### [ فصل في التضمين ]

ويسمى أخذ الحريرى شطر بيت العرجى التضمين ، وليس بسرقة .  
والتضمين يكون في بيت وفي شطر بيت ، والشعراء تتولّع به كثيراً ، وهو من  
صنعة البديع ، فمن الثانى قول الأخطل :

واقذ سما للخرمى فلم تقل بعد الونى لكن تضايق مقدى<sup>(١)</sup>  
ومثله قول الآخر :

وجزئت على باب الأمير كأنى  
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزّل

ومن تضمين بيت بكاله قول الحسن بن هانى :

إنى عجنبت وفى الأيام معتبر والدهر يأتى بألوان الأعاجيب

(١) البيت فى المبدعة ٢٥ : ٧٨ والبديع لابن المعتز ١١٤ ، ونسبه إلى الأخطل ، ولم  
أجد فى ديوان الأخطل .

من صاحبٍ كان دنيائى وآخرتى      مدّا علىّ جهازاً عدوّة الذّيبِ  
قد كان لى مثلٌ لو كنتُ أعقلُه      من رأى غالب أمرٍ غير مغلوبِ  
لا تمّدحنّ امرأً حتى تجرّبهُ      ولا تذمّنه من غير تجريبِ  
فضمن هذا البيت .

قال ابن حجاج :

قد قلت لما أن رجعتُ مؤلّياً      ومعى مدائيرٌ من الكتّابِ<sup>(١)</sup>  
نحن الذين لهم يقال وكلفا      قلّ العصا وطريدة الحجاب  
قومٌ إذا قصدوا الملوك لمطلبِ      تُفتت شواربهم على الأبواب  
وقال ابن رشيق : سألنى بعض أصحابى أن أضمن له قول الشاعر :  
فإن فخرتَ بأباه لهم شرفٌ      قلنا صدقت، ولكن بئس ما ولدوا<sup>(٢)</sup>  
ولا أزيد على بيت واحد ، قلت :  
أصبحت من جملة الأشراف إن ذكروا  
كواحد الأس لا يزكو له عددُ  
والتضمن كثير .

\* \* \*

[ خبر للنضر بن شميل مع المأمون ]

وعلى بيت المرجى :

\* أضاعونى وأنى فتى أضاعوا \*

حديث النضر بن شميل، قال: <sup>(٣)</sup> كنتُ أدخل على المأمون فى ممره فدخلتُ

(١) بئيمة الدهر ٣ : ٧٩ . (٢) التنف ٢٤

(٣) نزعة الألباء ٨٥ - ٨٧ ، درة القواسم ٦٤ مجمع الأدباء ١٩ : ٢٣٩

ذات ليلة وعلى أطمار أخلاق ، فقال : يا نضر ، ما هذا التقشف ! تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلجان ؟ قلت : أنا شيخٌ ضعيف ، وحرٌّ مرَّو شديد ، فاتَّبرد بهذه الخلجان ، قال : لا ، ولكنك قشيف ، فيحمل منك هذا على التقشف . ثم أجرينا الحديث ، فقال : حدَّثنا هشيم ، عن مجاهد ، عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها ولجمالها وكالها ، كان فيها سدادٌ من عوز » فأورده بفتح السين ، قلت : يا أمير المؤمنين ، حدَّثنا عوف بن أبي جميلة الأعرابي ، عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها ولجمالها وكالها كان فيها سدادٌ من عوز » ، وكان المأمون متكئاً فاستوى جالسا ، وقال : كيف قلت يا نضر « سداد » ؟ قلت : سداد لأنَّ « السداد » هنا الحن ، قال : أو تاجتني ! قلت : إنما لحن هشيم - وكان لحانة - فبيع أمير المؤمنين لنظفه ، فقال : فما الفرق بين السداد والسداد ؟ قلت : السداد القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة في الشيء ، وكلٌّ ماسدوت به شيئا فهو سداد ، قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم هذا العرجي من ولد عثمان ، يقول :

أضاعوني وأتى فتى أضاعوا ليوم كريبه وسداد تفر

ثم أطرق مليا ، وقال : قبيح الله من لا أدب له ! ثم تجارنا الحديث ، فقال : كيف روايتك للشعر ؟ قلت : قد رويت الكثير منه ، قال : فأنشدني أحسن ما قاله العرب في الحلم فأنشدته :

إذا كانت دُونِي مَنْ بُليتُ بِجمله  
أَيْتُ لِنَفْسِي أَنْ أَقَابِلَ بِالْجَهْلِ

وإن كان مثلي في محلٍّ من الملا هويت إذا حلما وصفحا عن المثل

وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجبا رأيت له حق التقدم والفضل  
 قال : ما أحسن ما قال ! فأنشدني أحسن ما قالته العرب في الحزم  
 فأنشدته :

على كل حال فاجعل الحزم عُدَّةً لِمَا أنت باغيه وعودنا على الدهر  
 فإن نلتَ أمراً نلتَهُ من مزينة وإن قصرت عنه الحقوق فن عُدْر  
 قال : فما أحسن ما قال ! فأنشدني أحسن ما قالته العرب في إصلاح العدو  
 حتى يكون صديقاً ، فأنشدته :

وذى غيلة ساء لته قهرته فأوقرته متى بمبء التحمل  
 ومن لا يداق سيئات عدوه بإحسانه لم يأخذ الطول من عل  
 ولم أرفى الأشياء أسرع مهلكاً لضغنٍ قديمٍ من ودادٍ معجل  
 قال : ما أحسن ما قال ! فأنشدني أحسن ما قالته العرب في السكوت  
 فأنشدته :

إني لهجرني الصديق تجنباً فأريه أن لهجره أسباباً  
 وأراه إن هانبتة أغربته فيكون تركي للكتاب عتاباً  
 وإذا بليتُ بجاهلٍ متحكماً يجد الحال من الأمور صواباً  
 أوليته متى السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جواباً  
 قال : ما أحسن ما قال ! ثم قال : ممالك بانضر ؟ قلت : أريضةٌ بمروالزو  
 أنصاتها<sup>(١)</sup> وأتمزها ، قال : أفلا نفيدك مالا معها ؟ قلت : إن رأى ذلك  
 أمير المؤمنين ، فإني لذلك لاحتاج .

فأخذ القراطيس وكتب وأنا لا أدري ما يكتب ، ثم قال : كيف تأمر إذا

(١) انصاها ، أى اشرب صبايتها .

أردت أن تُتْرَبَ الكتاب، قلت: يا غلام أتُرَبَ الكتاب، قال: فهو ماذا؟  
قلت: مترب، قال: فن السَّحاة، قلت: يا غلام اسحُ الكتاب، قال: فهو  
ماذا؟ قلت: مسحى<sup>(١)</sup>، قال: فن الطين، قلت: يا غلام طين الكتاب، قال:  
فهو ماذا؟ قلت: مَطِين ومُطَان، فقال: هذه أحسن من الأولى، ثم قال: يا غلام  
أتُرَبه واسحه وطنه. ثم صلى بنا العشاء، ثم قال لفلانة: امضي معي إلى الفضل بن  
سهل بهذا الكتاب، فلتا قرأه قال: بيم استأملت أن يأمر لك أمير المؤمنين  
بمئسرين ألف درهم؟ وما سبب ذلك؟ فأخبرته الحديث على جهته، فقال: لحنت  
أمير المؤمنين، قلت: كلاً إنما لحن هشيم - وكان لَحَّانَةً - فتبع أمير المؤمنين  
ألفاظه، وقد تتبع ألفاظه الفقهاء ورواة الأخبار. فمَجَّل لي ما في الكتاب، وأمر  
لي من عنده بأربعين ألف درهم، فانصرفت بتسعين ألف درهم بحرف  
استفاده مني.

وهذا الخبر جاء في أخبار النحويين. وذكره الحريري في درة الفواص  
بأخصر مما ذكرناه، ثم قال يثر الخبر: وقد أذكرني هذا المثل أيبانا أنشدنيها  
أحد أشياخي رحمهم الله لأبي الهيثم:

لي صديق هو عندي عَوَزٌ	من سداد لا سداد من عَوَزٌ
وجيءُ بذكرني دار البلى	كلما أقبل نحوى وضَمَزُ <sup>(٢)</sup>
وإذا جالس جَرَعْنِي	غصص الموت بكربٍ وعَلَزُ <sup>(٣)</sup>
بصف الود إذا شاهدني	وإذا غاب وثى بي وهَمَزُ
كحمار الشوهِ يبيدي مرحاً	فإذا سيق إلى الحمل غَمَزُ
ليتي أعطيتُ منه بدلاً	بنصبي شرَّ أولاد المَعَزُ

(١) مجالس العلماء: «و» مسحو.

(٢) ضمز: سكت ولم يتكلم.

(٣) العلز: عركة: القلق والملمح.

قد رَضِينَا بِيَضَّةَ فَاسِدَةٍ عَوْضًا مِنْهُ إِذَا الْبَيْعُ نَجَزَ

• • •

[ حكاية أبي حنيفة والإسكاف ]

وكان لأبي حنيفة رحمه الله جارية إسكاف بالكوفة ، يعمل نهاره أجمع ، فإذا أجهت الليل رجع إلى منزله بالخمر ولحم أو سمك ، فيطبخ اللحم أو يشوى السمك ، حتى إذا دبّ الشراب فيه رفع حقيرته يُنشد :

أضاعوني وأتى فتى أضاعوا ليوم كريبه وسداد فقر

فلا يزال يشرب ويردّد هذا البيت ، حتى يفلته النوم .

وكان أبو حنيفة رحمه الله يصلّي الليل كله ، ويسمع جلسته وإنشاده ، فقدد صوته ليالي ، فسأل عنه فقيل له : أخذته العسس منذ ثلاث ليال ، وهو محبوس ، فصلّى الفجر وركب بقلته ، ومشى فاستأذن على الأمير ، قال : ائذّنوا له ، وأقبلوا به راكباً ، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ، ففعل به ذلك ، فوسّع له الأمير مجالسه ، وقال له : ما حاجتك ؟ قال : لي جارية إسكاف أخذته العسس منذ ثلاث ليال ، فتأمر بتخليتي ؟ قال : نعم ، وكلّ مَنْ أَخَذَ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِتَخْلِيَتِهِمْ أَجْمَعِينَ . فركب أبو حنيفة وتبعه جاره الإسكاف ، فلما أوصله داره ، قال له أبو حنيفة : أترانا يا فتى أضعناك ؟ قال : لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن محبة الجوار ورعاية الحق ، والله على ألاّ أشرب الخمر أبداً ، فتاب ولم يمد إلى ما كان عليه <sup>(١)</sup> .

[ من حكايات الجوارى والعلماء ]

ومما يوافق هذا الموضع في المقامات من ظرف الحكايات التي تضمنت بيع

المالِك عند الضرورات ، وما للأجواد من جزيل الهبات ، مما ذكروا من أحسن  
أخبار الفلمان أن جعفر بن يحيى عرض عليه في بعض متوجّهاته مملوك من ممالك  
رجل جفاه السلطان ، فقَبِضَ ماله ، وأمر ببيع ممالكه ، فمَرَضَ عليه من جملتهم  
غلام كما طرّ شاربه ، أجل الناس ، يدبّر بين فكّيه لسانا أبين من الصبح .  
قال جعفر : قُلتَ له : ما اسمك ؟ قال : ماهر ، قُلتَ له : وما صنعتك ؟ قال :  
الأدب والغناء والشعر وما شئت من بعد ، فسألته من ثمنه ، فقال : خمسمائة دينار  
للضرورة ، قال : فأدبت ثمنه ، وصألته أن يُسمِعني شيئاً من غنائه ، فأخذ  
العود وغنّى :

حُلُتْ جبالُ الحبِّ فوقِ وإِني لأعجزُ من حلِّ القميصِ وأضعُفُ  
ظفرتُمُ بكتّانِ اللسانِ فن لَكُمُ بكتّانِ العينِ دُمُها الذمُّ يذُرِفُ !  
فأطربني غناؤه ، وشجاني فأجزته ، ووهبت له وخامت عليه ، وأمرته  
بمادنتي . فلما اجترتُ منزل مولاة بمقدار ميل ، أنشأ يقول :

وما كنتُ أخشى مبعداً أن يبيّتي بشيءٍ ولو أضعفتُ أناملُهُ صِفْراً  
أخوهم ومولاهم وحاملُ صرّهم ومن قد ثوى فيهم وعانثهم دهرًا  
أشوقاً ولنا تمض لى غير ساعةٍ فكيف إذا خبّ المطى بناشهرًا !

قُلتَ : يا غلام ، أتعرف منزل مولاك من ها هنا ؟ فقال : هيّات ، وهل  
تخفى معالم الصبِّ ! قُلتَ : اذهب فأنت حرّ لوجه الله تعالى ، ووهبت له ألف  
دينار ، فقال لى زميلى : أمثل هذا يُعتق ؟ قُلتَ : أوَمثلُهُ يُمَلِّك ! فوالى  
وهو يقول :

لا يوجدُ الخبيرُ إلّا فى معادنه والشرّ حيث طلبتُ الشرَّ موجودُ  
وحدث ابن عائشة قال : كان لرجل من قيس عيلان جارية ، وكان

بها معجباً ، ولها مكرماً فأصابته حاجة وجهد ، فقالت له : لو بعثني فإن نلت  
طائلا عدت به عليك ، فعرضها للبيع ، فعرضت على عمر بن عبد الله بن معمر  
المدحجي ، فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم ، فلما مضت لتدخل القصر ودعت  
مولاهما وأنشدته :

هنيئاً لك المال الذي قد أصبته      ولم يبق في كفي إلا تفكري  
أقول لنفسي وهي في كرب غشية      أقل قد بان الحبيب أو اكثري  
إذا لم يكن للوصول عندك حيلة      ولم نجدى بداً من الصبر فاصبري  
فأجابها مولاهما :

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن      لفرقتنا شيء سوى الموت فاعذري  
أدوبُ بحزنٍ من فراقك موجع      أناجي به قلباً طویل التفكير  
عليك سلام لا زيارة بيننا      ولا وصل إلا أن يشاء ابنُ معمرٍ

قال ابن معمر : قد شئت ، خذ بيدها فهي لك ونمناها .

• • •

قال : فلما وهي الشيخ آياته ، وعقل مناعاته ، تنفس  
المُعَمِّدَاء ، وبكى حتى أبكى البُعَدَاء ؛ ثم قال لي : إني أحل هذا الغلام  
محل ولدي ، ولا أميرُهُ عن أفلاذ كيدي ؛ ولولا خلوُ مُراجي ،  
وخبوُ مضاجي ؛ لما درَجَ عن عُشي ، إلى أن يُشيعَ نعشي ،  
وقد رأيتُ ما نزل به من لوعةِ البين ، والمؤمن هينُ لين ،  
فهل لك في تسليمة قلبه ، وتسرية كربه ؛ بأن تعاهدني على  
الإفالة فيه متى استقلت ؛ وألا تستثقلني إذا ثقلت ؛ فني الآثار

الْمُتَّقَةِ ، الْمَرْوِيَةِ عَنْ الْمُتَّقَةِ : مَنْ أَقَالَ نَادِمًا يَبْعَثُهُ ، أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ .

قال الحارثُ بن همام : فَوَعَدْتُهُ وَعَدًا أَبْرَزُهُ الْحَيَاءُ ، وَفِي الْقَلْبِ أَشْيَاءُ ، فَاسْتَدْنِي حِينَئِذٍ الْغَلَامَ إِلَيْهِ ، وَقَبَلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَأَنْشَدَ وَالْدَمْعُ يَرْفَضُ مِنْ جَفْنَيْهِ :

خَفَضُ فَدَتِكَ النَّفْسُ مَا تَلَا فِي

مِنْ بَرْحَاءِ الْوَجْدِ وَالْإِشْفَاقِ

فَمَا تَطَوَّلَ مَدَّةُ الْفِرَاقِ وَلَاتِنِي رِكَابُ التَّلَاقِ

• بِحُسْنِ عَوْنِ الْقَادِرِ الْخَلَّاقِ •

• • •

قوله : هفل مناغاته ، أى فهم كلامه ، والمناغة تكليم الطفل بما يهوى ويفرح به ، فإذا ردّد الصبي كلامك أو حاكك فقد ناغاك. الضمّاء : ارتفاع نفس المهموم . أفلاذ : قطع ، يريد أولاده ، والفلذة : قطعة من الكبدة ، ولقرط الإشفاق به والحبة فى الولد ، يخاطبه أبواه بقاى وكبدى . وقالوا : أولادنا أ كبادنا ، وقال الشاعر :

وإنما أولادنا يبتنا أ كبادنا تمشى على الأرض

مُراحى : موضع إبل ودواب ، وكنى بخلو المراح عن الفقر وذهاب المال . درج : مشى . لوعة البين : حرقة الفراق . هين لين ، هاهنا مع الازدواج مخفقتان ،

فإن أفرِدنا شددتنا . قوله : لِمَا دَرَجَ عن عُشَى ، يقول : لولا الفقر ما بعته مادمتُ  
حيًا . ونسرية كربه : لإزالة همه . المنتقاة : المختارة . المدونة : المكتوبة المجموعة ،  
والحديث معروف من طريق أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَقَالَ نَادِمًا يَبِيعُهُ أَقَالَه الله عَثْرَتَهُ » ، أى عفا من زلته .  
أبرزه : أظهره ، ويريد بقوله : وفى القلب أشياء : أنه أضمر ألا يقيله أبدا .  
يرفض : يسقط متفرقا . خَفَضَ : سَكَنَ . بُرَحَاء : شدة . الوجد : الحزن .  
الإشفاق : الخوف . تَنَى : تَفَتَّرَ .

• • •

ثم قال له : أَسْتَوْدِعُكَ مَنْ هُوَ تَعَمُّ المولى . وشمرَ ذنبه  
وَوَلَّى . فلبثَ السَّلامُ فى زفيرٍ وعويلٍ ، رَيْشَمًا يَقْطَعُ مَدَى  
ميل . فلما استفاق ، وكفكف دَمْعُهُ المَهْرَاقَ ، قال : أَتَذْرى لِمَ أَغَوَلْتُ  
وعَلَامَ عَوَلْتُ ؟ فقلتُ : أَظُنُّ فِرَاقَ مَوْلَاكَ ، هو الذى أَبْكَاكَ .  
فقال : لِمَنْ لَبِى وَاِدٍ ، وَأَنَا فى وَاِدٍ ، وَلَكُمْ بين مُرِيدٍ ومُرَادٍ ،  
ثم أنشد :

لَمْ أَبْكِ وَاللهِ عَلَى الْفَرْحِ  
وَلَا عَلَى فَوْتِ نَعِيمٍ وَفَرَحٍ  
وَأِنَّمَا مَدَمْعُ أَجْفَانِي سَفْعٌ عَلَى غَبِيٍّ لِحْظُهُ حِينَ طَمَعُ  
وَرَطُهُ حَتَّى تَعْنَى وَاقْتَضَى  
وَضَبَّعَ الْمَنْقُوشَةَ الْبَيْضَ الْوَاضِحَ

وَيْدِكَ أَمَّا نَاجَتُكَ هَاتِيكَ الْمَلَخَ  
بَأَنِّي حُرٌّ وَيَمِي لَمْ يُبَسِّحْ  
• إِذْ كَانَ فِي يُوسُفَ مَعْنَى قَدْ وَضَحَ •

• • •

زَفِير: أنفاس مرتفعة . عويل: بكاء . ريث: قَدَر. مَدَى: غاية . والمِيل:  
قَدَر مَدَّ البَصَر من الأرض ، ويقال إنه ألف خطوة من خطا البعير ، والفرسخ:  
ثلاثة أميال ، والبريد أربعة فراسخ . استفاق: استراح وخف ما يجده . كفسكف:  
رد وأذهب . المَهْرَاق: المصبوب . أعولت : بكيت بصوت عالٍ ، وأعول  
إعوالاً : صاح ، ورفق صوته ، وعولت على كذا أنكلت عليه ، وعلى الله  
معولاً أنكالى ، وقال الشاعر :

• وَلَيْسَ عَلَى رَبِّبِ الزَّمانِ مَعُولٌ •

كم بين مُريد ومُراد ، يريد أنهما متقاربان في اللفظ ، متباعدان في المعنى ،  
لأن المرید في الشيء الحب فيه ، والمراد الشيء المطلوب ، وهو المحبوب ، فأنت  
قد تُريد الشيء فتُمنعه، وغيرك قد يراد له فيأباه ولا يريده ، فاللفظان متضادان ،  
فيقول: التبس عليك سرّ بكأني فظننت أنه على فراق مولاي . فتظن الآن أنه  
على سُخف عقلك ، كما التبس اللفظان على غير ناقد ، فإذا تظن لهما تباعدا عليه ،  
والمرید عند أهل الإرادة المبتدى ، والمراد المنتهى ، فالمرید هو القدى نُصب للتعجب  
والتعاسة ، والمراد الذي لقي الأمر من غير مشقة ، فهو مرفوق به مرفقة ، وقيل :  
للمريد متحمّل والمراد : محمول .

الجنيد: المرید تتولاه سياسة المعلم ، والمراد تتولاه رعاية الحق ، لأن المرید يسره ،  
والمراد بطيره ، فتى يلحق السائر الطائر ا

القشيري : كل مرید في الحقيقة مُراد، لأنه إذا أراد الحق للخصوصية ، وفقه للإرادة ، ولكنهم فرقوا بينهما .

قوله : إلف ، أى صاحب . نَزَح : بَعُد . سَفَح : جرى . غَيَّ : جاهل .  
لَحَظَه : نظره . طَمَح : ارتفع . وَرَطَه : أنشبه ، والوَرَطَه : أهوية تكون في رأس  
الجبل يشق على مَنْ وقع فيها الخروج منها . وتورطت الماشية : وقعت في الورطه ،  
قال طُفيل :

تهابُ طريقِ الحقِ نحسبُ أنه      وُعُورٌ ورِاطٌ وهو بَيْدَاهُ بَلَقَعُ<sup>(١)</sup>  
وقيل : الورطه : الوحل تقع فيه الغنم ، فلا يمكنها التخلص ، ثم ضرب مثلاً  
في كل شدة يقع فيها الإنسان ، وأورطت فلانا فتورط هو ، أى وقع فيما يمسر  
التخلص منه .

أبو عمرو : الورطه الملسكة ، قال الزجاج :

إن تأت يوماً مثلَ هذى الخطَّة      تلاقى من ضَرْبِ نَمِيرٍ وَرَطَه<sup>(٢)</sup>  
قوله : نَعَى ، أى تعب . افترض : اشتهر ، والوَضَح : الشديدة البياض النقية ،  
أى ضيَع الدرام المنقوشة البيض ، والوَضَحُ : البيان والضوء والغرة والفضة  
والدرم الصحيح ، وقيل : لأنه وصف الدرام بالمصدر ، كما يقال : امرأة زُورٌ  
وكَرَم . ويك : عَجَباً لك . وقوله : هاتيك ، يقال للمذكَّر : ذا ، وهو للقريب ، وذاك  
لما هو أبعد ، وذلك لأبعد الثلاثة ، وللمؤنث ذه وذى وبلايا ، وتاونى وهى  
للقريبة ، وتيك التى هى أبعد منه ، وتلك وتالك لأبعدهن ، وتدخلها التنبيه على  
كل ما ليس فيه لام ، لأن اللام موضوعة للبعيد ، وهما موضوعة للقريب ، فلا يجمع

(١) البيت في السائق - ورط .

(٢) اللسان ( ورط ) وق ط « يميز » ، وصوابه من اللسان .

بينهما ، نحو هذا وهذاك وهاتا ، وشاهده :

• وليست دارنا هاتا بدار •

وهذه وهذى وهذ وهاتيك ، وشاهده قول ذى الرمة :

قد احتملت مى فهاتيك دارها بها السحيم تردى والحمائم المطوق<sup>(١)</sup>

قوله : لم يبع ، أى لم يجعل مباحاً .

أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة أنا خصمهم ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل عاهد ثم غدر ، ورجل باع حرّاً ، ورجل استأجر أجيراً فلم يوفّه أجره » . وَضَح : تبين .

...

قال : فتمثلتُ مقالتهُ في مِرْآةِ المَدَائِبِ ، ومعرِضِ المَلَاعِبِ ، فتصلّبَ تصلّبَ المحقِّ ، وتبرأَ مِنْ طينةِ الرّقِّ . فجُلْنَا في مُخَاصِمَةٍ ، واتّصلتْ بملأكمه ، وأفضتْ إلي مُحَاكَمَةٍ : فلما أَوْضَحْنَا لِلْقَاضِي الصُّورَةَ ، وتَلَوْنَا عَلَيْهِ الشُّورَةَ ، قال : أَلَا إِنَّ مَنْ أَنْذَرَ ، فَقَدْ أَعَذَرَ ، وَمَنْ حَذَرَ كَمَنْ بَشَّرَ . وَمَنْ بَصَّرَ فَا قَصَّرَ ؛ وَإِنْ فِيمَا شَرَحْتُمَاهُ لَدَلِيلًا عَلَى أَنَّ هَذَا الْغَلَامَ قَدْ نَبَهَكَ فَا ارْعَوَيْتَ ، وَنَصَحَ لَكَ فَا وَعَيْتَ . فاستترّ داءُ بَلَهِكَ واكْتُمَهُ ، وَلَمْ تَفْسَكْ وَلَا تَلْمُهُ ، وَحَذَارٍ مِنْ اغْتِيلَاقِهِ ، وَالطَّمَعِ فِي اسْتِرْفَاقِهِ ، فَإِنَّهُ حُسْرُ الْأَدِيمِ ، غَيْرُ مَعْرُوضٍ لِلتَّقْوِيمِ .

(١) ديوانه ٣٩٠ . قال في شرحه : « السحيم : السود ، يعنى الغرابان . تردى ، أى تذهب .

والغراب لا يستطيع المشى . ويروى : « بها السحيم فوضى » .

وقد كان أبوه أخضره أمس، فَبَيَّلَ أَقُولِ الشَّمْسِ، واعتَرَفَ  
بأنه فرغهُ اللّٰهِي أَنشأهُ، والآ وارث سِوَاهُ، فقلت للقاضي :  
أو تعرفُ أباه، أخزاه الله !، فقال : وهَلْ يُجَهِّلُ أَبُو زَيْدٍ الَّذِي  
جُرْحُهُ جُبَارٌ، وعند كُلِّ قاضٍ له أخبارٌ وإخبارٌ، فتحرقتُ حينئذٍ  
وحولّقتُ، وأفقتُ ولَكِنِ حِينَ فَاتِ الْوَقْتِ، وأيقنتُ أَنَّ  
لِثَامِهِ كَانَ ثَرَكٌ مَكِيدَتِهِ، وبيتَ قَصِيدَتِهِ. فنكّسَ طرفي مَا لَقِيتُ،  
وَأَلَيْتُ إِلَّا أَعَامِلَ مَلْثَمًا مَا بَقِيتُ .

• • •

تمثلت : تصوّرت . الداعب : المازح . والمعرّض بفتح الميم : الموضع الذي  
تُعَرِّضُ فيه الأشياءُ، والمعرّض الثوب تُعَرِّضُ فيه الجارية . تصلّت : تقوّى، وهو  
« تَفَقَّلَ » من الصَّلابة وهي للشدة . والأرض الصُّلْبَةُ : القوية . ولا أعلمُ أحداً خالف  
في هذه الرواية إلا ابنَ ظُفَرٍ فإنه رواه : « تصلّت » بالتاء بنقطتين، وفسره بتجرّد  
وجدّ، وكل جادٌ مجاهدٌ مسرعٌ في أمره : فهو مُتَصَلَّتٌ فيه، فذكروا أنه تصحّف  
عليه اللفظ، فشرحه على تصحيفه . الحق : صاحب الحق . الرّق : العبوديّة : وذكّر  
الطينة لأنها أصل الخلق . وتبرأ منها، تباعد . جُلْنَا : تصرّفنا . ملاكمة : مدافعة  
ومُضَارَبَةٌ، واللّكم : الضرب بمُجْمَعِ الكف . أفضت : انصلت . أوضحنا :  
بيّنا . الصّورة : القصة . نَلَوْنَا : قرأنا . وذكّرناها له . أنذر : أعلم . أعذر : أُنِي  
بُعْذَرٌ، ويقال : قد أعذر من أنذر، أي قد بلغ أقصى العذر من أنذك، وهُدْرٌ  
الرجل فهو معذّر، إذا اعتذر ولم يأت بمذر . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ  
مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ . ارعويت : رجعت عن جهلك وانكففت . بلّك ، غفلتك  
وجهلك . حدّارٍ، أي احذر أن تتعلّق به . استرقاقه : تملّكه وتعبّده، ومنه

قولهم : سوق الرقيق ، ومنه سُمِّيَ العبد رقيقاً ، لأنهم يرقون لمالكهم ويخضعون له ويذلّون : والأديم : الجلد . للتقويم : لمعرفة قيمته . أقول : غروب . أنشأه : أحده وولده . جُبَّار : باطل . إخبار : إعلام . وأخبار : جمع خبر ، وأخبره : أعلمه . تهرّقت : عضضت أسناني حتى صوتت من شدة الغيظ . حوّلت : قلت : لاحول ولا قوة إلا بالله . أقت : انتبهت ، وأنشد الفنجدية في معنى هذا :

بفتضحُ الجاهلُ لكتُّهُ من بعد ما غرب به الناصحُ  
ويصلح ابنُ السوء لكتِّهِ من بعد مامات الأبُ الصالحُ

قوله : وأيقنت أن لثامه كان شرك مكيدته ، أي شبكة حيلته . وبيت القصيدة : أحسن بيت فيها ، فأراد أن حيلته كانت لثامه ، نكس طرفي : أي كسر عيني ، وأمال نظري .

• • •

وَلَمْ أَزَلْ أَتَأَوَّهُ تُحْسِرُ صَفْقَتِي ، واقتضاحي بين رَفْقَتِي . فقال لي القاضي ، حينَ رأى امتناعي ، وتبينَ حرَّ ارتِمَاضِي : يا هذا ، ما ذهب من مالك ما وعظك ، ولا أجرمَ إليك من أيقظك . فاتعظ بما نابك ، وكاتم أصحابك ما أصابك ؛ وتذكرْ أبداً مادهمك . لتقيَ الذِّكْرِي دَرَاهِمَك ، وتخلقُ بتخلق من ابْتَلِي فصبر ، وتجلت له العبر فاعتبر .

قال الحارث بن سَهم : فودعته لابساً ثوبَ الحجل والحزَن ، صاحباً ذيلي الغبن والغبن ، ونويتُ مكاشفة أبي زيدٍ بالهجر ، ومصارمته يدَ الدهر . فجعلتُ أتسكَّبُ عَنْ ذَرَاه ، وأتجنبُ أَنْ

أَرَاهُ ؛ إِلَى أَنْ غَشِيَنِي فِي طَرِيقٍ ضَيِّقٍ ، فَحَيَّانِي تَحِيَّةَ ضَيِّقٍ ، فَأَزِدْتُ عَلَى أَنْ عَبَسْتَ وَمَا نَبَسْتُ ، فَقَالَ لِي : مَا بِالْكَ شَمَخْتَ بِأَنْفِكَ عَلَى الْفِكَ ! فَقُلْتُ : أُنْسَيْتَ أَنَّكَ اخْتَلْتِ وَخَتَلْتَ ، وَقَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الَّتِي فَعَلْتِ ! فَأَضْرَطُّ بِي مُتَهَازِيَا ، ثُمَّ أُنْشِدُ مُتَلَفِيَا :

• • •

أَنَاوَهُ : أَنْوَجَعَ . رَفَقَتِي : أَحْبَابِي . امْتَعَاظِي : تَوَجَّعِي . ارْتِمَاظِي : حَرَقَةٌ قَلْبِي مِنْ شِدَّةِ الْهَمِّ ، وَلَا يَكُونُ الْمَتَعِظُ كَاطْطًا ، فَلَا يَدُّ مِنْ ظُهُورِ الْكَرْبِ عَلَيْهِ ، وَأَمْرٌ بِمَعْضٍ وَمَاعِضٍ ، أَيْ بِمَعْضٍ كَارِبٍ .

قوله : مَا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ ، هُوَ مَثَلٌ ، وَمَعْنَاهُ إِذَا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ شَيْءٌ حَذَرْتُ أَنْ يَحْمَلَ بِكَ مَثَلُهُ ، فَتَأْدِيبُهُ إِيَّاكَ عَوَظٌ مِنْ ذَهَابِهِ . أَجْرَمَ : أَذْنَبَ . نَابَكَ : نَزَلَ بِكَ . دَهَمَكَ : غَشِيَكَ . تَجَلَّتْ : ظَهَرَتْ . الْعَبَرُ : الْعَلَامَاتُ الْخَوْفَةُ ، وَاعْتَبَرْتَ بِالشَّيْءِ إِذَا اتَّعَظْتَ بِهِ . الْحُجْلُ : الْحَيَاءُ . سَاحِبَا : جَارَا . الْغَبْنُ : بِسُكُونِ الْبَاءِ فِي الْبَيْعِ ، وَبِفَتْحِهَا فِي الرَّأْيِ ، يُرِيدُ أَنَّهُ غَبِنَ فِي رَأْيِهِ وَبَيْعِهِ ، قَالَ فِي الدَّرَةِ : الْغَبْنُ بِإِسْكَانِ الْبَاءِ فِي الْمَالِ ، وَبِفَتْحِهَا فِي الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ . نَوَيْتَ : أَضْمَرْتُ . مَصَارِمَتُهُ : مَقَاطَعَتُهُ ، وَصَرَمْتُ فَلَانًا : قَطَعْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ الْمَوَدَّةِ . وَالصَّرِيمُ : الْقَطْعُ ، وَقِيلَ لَلَّيْلٍ صَرِيمٌ ، لِانْقِطَاعِهِ عَنِ النَّهَارِ ، وَهُوَ فِي تَأْوِيلٍ مَصْرُومٌ أَيْ مَقْطُوعٌ ، وَكَذَلِكَ الصَّرِيمُ مِنَ الرَّمْلِ ، وَهُوَ الَّذِي انْقَطَعَ مِنْ مَعْظَمِهِ .

يَدُ الدَّهْرِ : أَيْ أَبَدُ الدَّهْرِ .

أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَحْمَلُ لِلْمَسْلَمِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَالسَّابِقُ السَّابِقُ إِلَى الْجَنَّةِ » .

دَرَاه :جهته . غَشِيَنِي : قصدني وأتاني على غفلة . شَتِيق : شديد الحب ،  
حَانِيسَتْ : مانسكّمت . شَمَعَتْ : رفعت أنفك كبراً ، وشمخ : تكبر . خَنَلَتْ :  
خدعت ، وخانل في معنى خنل ، وأصل الخنالة المشي للصيد قليلاً قليلاً خفية لئلا  
يُسمع حسك ، ثم جُمِلت مثلاً لكل شيء ورُئى به وسّتر على صاحبه . متلافياً :  
مقداراً كاللآلئة .

• • •

يَا مَنْ نَدَا مِنْهُ صُدُو دَ مُوحِشٌ وَتَجْهُمُ  
وَعَدَا يَرِيشُ مَلَاوِمَا مِنْ دُونِ الْأَسْهَمِ  
وَيَقُولُ : هَلْ حُرٌّ يُبَا عُ كَمَا يُبَاعُ الْأَدَمُ  
أَقْصِرْ فَمَا أَنَا فِيهِ بِذِ عَا مِثْلُ مَا تَتَوَمُّ  
قَدْ بَاعْتَ الْأَسْبَاطُ قَبْلِي يَوْسُفَا وَهُمْ هُمْ  
هَذَا وَأَقْسِمُ بِأَلَّتِي يَسْرِي إِلَيْهَا الْمُتَمِّمُ  
وَالطَّائِفِينَ بِهَا وَهُمْ شَعَتْ النُّوَاصِي سَهْمُ  
مَا قَتَ ذَاكَ الْمَوْقِفَ الْ مُخْزِي وَعِنْدِي دِرْغَمُ  
فَاعْذِرْ أَخَاكَ وَكَفَّ عَنْهُ مَلَامَ مَنْ لَا يَفْهَمُ

• • •

تَجْهَمُ : عُبُوس . مَلَاوِمَا : جمع مَلَامٍ أو مَلَاوِمَةٍ ، وهى اللوم والعتاب ،  
يريد أن لومه أنفذ من السهام . الْأَدَمُ ، قيل : أراد به الفرس وقصد لونه للقافية ،  
وقيل : أراد العبد الأسود . بِذِ عَا ، أى أولاً أى ما أنا أول من فعل ذلك . الْأَسْبَاطُ :

إخوة يوسف عليه السلام . وهم م : أى وهم أنبياء لم يتغيروا عن مراتبهم ،  
ويقال : هو هو ، أى هو كما عهدته لم يتغير .

### [ قصة يوسف عليه السلام ]

وقد جرى ذكرُ يعقوب والأسباط في المقامات في مواضع ، وبقي هذه المقامة  
على ذكر يوسف وجهه وبيع إخوته إياه . ونريد أن نلمّ بطرف من أخبارهم  
على شرط الكتاب .

ذكر أهلُ الأخبار أن يعقوب - وهو إسرائيل عليه السلام - تزوج بنت  
خاله ليا بنت ليان بن بتوبل ، فولدت له رؤيل وشمعون ولاوى ويهوذا وغيرهم ،  
ثم توفيت وخلفَ على أختها راحيل ، فولدت له يوسف وبنيامين . وكان  
يوسفُ وأمه قد قُسم لهما من الحسن شطره ، فكفلت يوسفَ عمتُه . وكانت  
أكبر ولد إسحاق ، وكانت عندها مِنطقة لإسحاق بتوارثونها على قدر أسنانهم .  
فلما ترعرع يوسف أراد يعقوب أخذه منها ، وقال لها : والله لا أقدر على الصبر  
عنه ، فقالت له : والله لا أقدر على صَرفه إليك . فلما رأت عزمه على أخذه ، حزمت  
للمنطقة تحت ثياب يوسف وهو نائم ، ثم ادّعت فقدّها فطلب فوجدت عنده ،  
وكان من سذمتهم أن من سرق شيئاً أخذه فيه ، فتركه لها حتى ماتت . فلما  
رجع إلى أبيه شغل به عن سائر بنيهِ ، فحسدوه ، فسألوا أباهم إرساله معهم للزَّهة ،  
بعد أن ضمّنوا حفظه ، فأخرجوه إلى البرية ، وأخذوا يضربونه ، وكلّما ضربه  
واحدٌ استغاث بآخر ، فيضربه الآخر . فلما كادوا يقتلونه منعهم يهوذا ،  
وذكّرهم بما ضمّنوا لأبيه من حفظه ، فانطلقوا فأدّوه في الحب ، وهو يقول :  
يا أباه لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الآباء ! وكان بعض إخوته لأمه ، فجعل يتعلق  
بشفير الحب ، فربطوا يديه ، وألقوه فيه ، فقالوا له : ادع الشمس والقمر والأحد  
عشر كوكباً ينجّوك . ثم أرادوا أن يرَضّوه بصخرة ، فنعمهم يهوذا ، وكان  
يأتيه بالطعام خفيةً منهم .

ثم مَرَّتْ سيارَة فادلى وارْدُهم دَلْوَه فَنطَلَقَ به ، فلما رآه بَشَر به السَّيَاوَة .  
وقال السُّدِّي: إِنَّ الَّذِي أَخْرَجَهُ إِنَّمَا دَعَا صَاحِبًا لَهُ اسْمُهُ بَشَرَى ، فَأَتَى إِخْوَتَهُ الَّذِيْنَ  
أَخْرَجُوهُ وَقَالُوا: إِنَّهُ عَبْد لَنَا ، فَبَايَعُوهُ مِنْهُمْ بِمَشْرِيْنِ دَرْهَمًا عَلَى أَنْ يُخْرِجُوهُ مِنْ  
أَرْضِ الشَّامِ ، فشرطوا لِإِخْوَتِهِ أَنْ يَغْرِبُوهُ ، وَيَذْهَبُوا بِهِ إِلَى مِصْرَ ، فَعَيْنِئْذَ رَجَعُوا  
إِلَى آبِيهِمْ عِشَاءً يَبْكُونَ .

فهذه قصة بيع الأسباط يوسف على اختصار .

ثم إِنَّهُ لَمَّا بَلَغَ مِصْرَ مِنَ الْعَزِيزِ ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ - وَهُوَ الرِّبَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ -  
قَدْ وَلَّاهُ خَزَائِنَهَا ، فَكَانَ مِنْ قِصَّتِهِ مَعَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ وَمِنْ حُبِّهَا فِيهِ وَمِنْ دَعَائِهَا  
إِيَّاهُ لِنَفْسِهَا ، وَمِنْ تَأْتِيهِ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتِنْزَالِهَا إِيَّاهُ ؛ حَتَّى مَمَّ بِهَا ، وَرُؤْيَتِهِ بِرَهَانَ  
رَبِّهِ - وَهُوَ رُؤْيَتُهُ صُورَةً يَعْقُوبُ يَمْضِي عَلَى إصْبَعِهِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ رَأَى فِي الْخَائِطِ  
مَكْتُوبًا : « وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا - وَمُبَادَرَتِهِ الْبَابَ فَارْأَمْنَهَا ، وَقَدْهَا قَيْصَةً مِنْ دُبُرِ ،  
وَوُجُودِهِ الْعَزِيزِ عَلَى بَابِ الدَّارِ جَالِسًا مَعَ ابْنِ عَمِّ لَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ مِنْ أَهْلِهَا - وَقِيلَ :  
إِنَّهُ كَانَ صَبِيًّا فِي الْمَهْدِ - وَاشْتَهَارَ أَمْرُهَا بِمِصْرَ ، حَتَّى تَحَدَّثَتْ بِهِ نِسْوَةٌ فِي الدِّينِيَّةِ ،  
وَقُلْنَ : امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُزَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِحْضَارَهَا لَهَا وَإِعْدَادَهَا لَهَا مَا يَتَكَلَّمْنَ  
عَلَيْهِ - وَقِيلَ : اللَّتَّسَكَّنَا الْآتِرَجُ - وَأَمْرُهَا أَنْ يُخْرِجَ عَلَيْهِنَّ ، وَإِعْظَامُهَا إِيَّاهُ حَتَّى  
شَطَلْنَ بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِنَّ ، وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ : حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ، تَنْزِيهَا لَهُ  
مَنْ أَنْ يَأْتِيَ - مِثْلُهُ رَيْبِيَّةٌ ، فَكَانَ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ مَا قَصَّ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ وَنَطَقَتْ بِهِ  
التَّفَاسِيرُ وَالْأَخْبَارُ .

ثم إِنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ قَالَتْ لِلْعَزِيزِ: إِنَّ عَبْدَكَ فَضَحَنِي فِي النَّاسِ فَلَمَّا سَجَنَتْهُ ،  
وَلَمَّا بَرَزَتُْ لِلنَّاسِ أَهْتَذَرْتُ عَنْ نَفْسِي ، فَحَبَسَهُ ، فَدَخَلَ مَعَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا خَبَّازُ  
الْمَلِكِ وَالْآخَرُ نَدِيمُهُ . وَكَانَ لَمَّا بَلَغَ الْحُلُمَ أَنَا اللَّهُ حُكْمًا وَعَلَامًا مِنَ الْعِبَارَةِ ، فَكَانَ

في السجن يفسر الرؤيا للمسجونين ، ويمرض مرضاهم ، ويوسع على من ضاق عليه مكانه ، قال أحد الفتيتين لصاحبه : هلم نجرب هذا العبد . فسألاه من غير أن يريا شيئا ، وقال له : إنا نراك من الحسنين في معاشرتك أهل السجن ، فقال لهما : أما أحدكما فينادم الملك ، وأما الآخر فوصلب ، فقال له : مارأينا شيئا ، فقال لهما : قضي الأمر فيكما . ثم قال للذي ظن أنه ناجح منهما : اذكُرني عند ربك ، وأخبره أني محبوب ظلمًا . فأوحى الله تعالى إليه : إن اتخذت من دوني وكيلًا لأطيلن سجنك ، فوقف بالسجن حيث همّ بامرأة العزيز ، وباطالته حيث انكل في أمره حل غير ربه .

ثم كان من رؤيا الملك وجنّاه أهل دولته وتفسير يوسف لهما ، وقول الملك : انتفوني به وتأبّيه الخروج حتى يسأل النسوة عن شأنه وشهادتهن عند الملك بتبرئه واعتراف امرأة العزيز بأنها راودته ، وقوله في العزيز : ﴿ لَيْتَ لِمَ أَنَّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ .

ويقال إن جبريل قال له عند ذلك : ولا يوم هممت بما هممت به ! فقال : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي .. ﴾ الآية . واستخلاص الملك إياه لنفسه ، وجعله على خزان أرضه ؛ ما اشتهر قرآنًا وتفسيرًا .

ويقال إن العزيز مات في تلك الليلة ، وإن يوسف تزوجها ، وقال لها : أليس هذا خيرًا ؟ فقالت : لا تلهي ، كنت امرأة حسنة في ملك ودنيا ، وكان صاحبي لا يأتني النساء ، وكنت كما جعلك الله في حُسنك ، ففلبتني نفسي على ما رأيت . فيزعمون أنه وجدها عذراء ، وأنها ولدت له ابنتين .

ثم أجدبت الأرض ، فأناه إخوته منتجمين ، فكان من أمرهم معهم ، وإحسانه إليهم في الكيل ، وطلبه لهم أن يأتوه بشقيقه بنيامين ، ورجوعهم موقرين ، ورغبته إليهم في إرساله معهم ، وأخذه بسرقة الصواع وتأذيتهم بذلك ، ورجوعهم إلي ( ١١ - شرح مقامات الحريري ج ١ )

أبيهم وتوالى الحزن على يعقوب بفقد ابنه ، وأمره لبنيه أن يرجعوا طالين ليوسف وأخيه ، ودخولهم على يوسف أذلاء صاغرين ، وتعريفه لإيام بمكانه ، وبعثه بالقميص إلى أبيه ، وجمع شملهم بعد طول مدة الفراق ما نص الله تعالى أنه عبرة لأولى الألباب . ولولا أن الأمر في كتب التفسير أشهر من أن يحتمل ، لفترناه فصلاً فصلاً .

\*\*\*

قوله : وأقسم بالتي يسرى إليها المؤمن - بمعنى مكة - والمؤمن الآتي بهامة ، وبهامة اسم مكة ، قال الأصمعي : سمعت العرب تقول : إذا احدثت من ذات عرق فقد أنهت . شئت سئهم : أى متغيرة ألوانهم وشعورهم .

قوله : اعذر أخاك ، قال زيد بن علي : ثلاثة لا يجتمعن إلا في كريم : حسن الحضر ، واحتمال زلات الإخوان ، وقلة الملاة للصدق .

\*\*\*

ثم قال : أمّا مَعذِرَتِي فَقَدْ لَاحَتْ ، وَأَمّا دَرَاهِمُكَ فَقَدْ طَاحَتْ ؛ فَإِنْ كَانَ اقْشَعَرَاكَ مِنِّي ، وَازْوَرَاكَ عَنِّي ، لَفَرَطِ شَفَعَتِكَ عَلَى غُبَرِ تَقَقَّتِكَ ، فَلَسْتُ بِمَنْ يَلْسَعُ مَرَّتَيْنِ ، وَيُوْطِي عَلَى جَمْرَتَيْنِ . وَإِنْ كُنْتَ طَوَيْتَ كَشْحَكَ ، وَأَطَمْتَ شَحْكَ ، لَتَسْتَنْقِذَ مَا عَلِقَ بِأَشْرَاكِ ، فَلَتَبْنِكَ عَلَى عَقْلِكَ الْبَوَاكِ .

قال الحارث بن همام : فاضطرتني بلفظه الخالب ، وسخره الغالب ، إلى أن هدت له صفياً ، وبه حفيّاً ، ونبذت فعلته ظهريّاً ، وإن كانت شيئاً فريّاً

لاحت : ظهرت . طاحت : هلكت . اقشعرارك : انقباضك .  
والقشعريرة : رعدة وانقباض . ازورارك : انقباضك وميلك . لفرط شفقتك ،  
لكثرة خوفك . غبر نفقتك : أى تخاف على ما بقي من نفقتك وإن أخذها .  
بوطي ، أى يجعل غيره بطاً الجمر ، أى لا أضرت مرتين . والكشع : انطعن ،  
وقيل : الجنب ، وقيل : هو اسم لما بين الأضلاع ، ورأس الورك ، وكلها مقاربة ،  
وطوى كشحه على أمر ، استمر عليه ، وطوى كشحه ، مثل يضرب للجانبة  
والسكامة ، قال الشاعر :

طوى كشعاً خليلك والجناحا لبين منك ثم غداً وراحاً<sup>(١)</sup>  
والشع : البخل مع الحرص ، واضطرنى : ألجأنى ، الخالب : الخادع .  
صفياً : صاحباً مخاصماً ، حفيئاً : معيناً . كريماً : مكرماً ، نبذت : رميت . وطرح  
ظهيراً ، أى خلف ظهري ، واتخذ ظهرياً ، أى عدة يستظهر بها ، أى يجعلها  
خلف ظهره حتى متى احتاجها استعملها فرياً : عجباً ومذكراً ، والفرى :  
الأمر العظيم ، والفرى الكذب .

ومما جاء فى الشعر على أخبار يوسف عليه السلام

قال ابن الزقاق :

بأبى وغير أبى أغن مؤفف مؤفف  
لبس الزواد فزقته جفونه  
مهموم ماخلف الوشاح تخيصه<sup>(٢)</sup>  
فأنى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضاً :

وسافر عن قر مبسم عن درر<sup>(٣)</sup>

(٢) ديوانه ١٩٦ ، والخيمي : الضامر البطن .

(١) اللسان (كشع)

(٣) ملحى ديوانه ٢٩٣

لولا حور وقد سل حُسام الحور  
لقد منه شغفا قميصه من دُبُر

ومن الملح في ذلك قول ابن حجاج في مختيار :

فدبت وجه الأمير من قمر  
إن زلينا لو أبصرتك لما  
بل وحياتي لو كنت يوسفها  
فإنني عالم بأنك لو  
سبقها واندلقت تتبعها  
ولم تزل بالكدين تنقرها<sup>(٢)</sup>  
طبعك كالماء في سهولته  
إن الملوك الشباب ما خلّفوا  
يجلو القذى نورَه عن البَصْرِ<sup>(١)</sup>  
ملت إلى الحشر لذة النّظر  
لم نك من تهمة العزيز برى  
شمت ربّا نسيها العطر  
من بين تلك البيوت والحجر  
من قبل وقت العشا إلى السّحر  
لكن أبو الزُّرقان من حَجَرٍ  
إلا صلاب الفياش والكمَرِ

وقال آخر :

قميص يوسف لما قد من دُبُر  
وفي قميصك لما قد من دُبُر  
وقال آخر في الحسن بن وهب :

إذا لقيت بنى وهب بمنزلة  
مؤدّبون على الفحشاء من صغر  
قميص أنشأهم ينشق من قبل  
معذكون ولم تقطع مرارهم  
لم تدر أيهما الأنقى من الذّكر  
مدربون على الفسكراء من كبير  
وقص ذكراهم تنفذ من دُبُر  
بين الحواضين والدايات بالكمَرِ

(٢) البيتية : « تقصرها » .

(١) البيتية ٣ : ٤٠

## المقامة الثالثة والثلاثون وتعرف بالقليسيّة

حكى الحارث بن همام قال : مَرَزْتُ فِي تَطَوَا فِي بِشِيرَاز ، عَلَى نَادٍ  
يَسْتَوْقِفُ الْمُجْتَاز ، وَلَوْ كَانَ عَلَى أَوْفَازٍ ؛ فَلَمْ أَسْتَطِعْ تَعَدِّيهِ ،  
وَلَا خَطَّتْ قَدَمِي فِي تَخَطُّيهِ ؛ فَمَجَّتُ إِلَيْهِ لِأَسْئُوكَ سِرَّ جَوْهَرِهِ ؛  
وَأَنْظُرُ كَيْفَ ثَمَرُهُ مِنْ زَهْرِهِ ، فَإِذَا أَهْلُهُ أَفْرَادٌ ، وَالْمَائِجُ إِلَيْهِمْ مُفَادٌ .  
وَيَنْمَانَحْنُ فِي فَكَاهَةِ أَطْرَبَ مِنَ الْأَغَارِيدِ ، وَأَطْيَبَ مِنْ حَلَبِ  
الْعَنَاقِيدِ ؛ إِذَا اخْتَفَ بِنَاذِرُ طَمَرَيْنِ ، قَدْ كَادَ يُنَازِلُ الْعُمَرَيْنِ ، فَحَيًّا  
بِلِسَانِ طَلِيقٍ ، وَأَبَانَ لِإِبَانَةِ مِنْطِيقٍ ، نَمَ احْتَبَى حُبُورَةَ الْمُتَتِدِينَ ،  
وَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ . فَازْدَرَاهُ الْقَوْمُ لِطُمَرِيهِ ، وَنَسُوا  
أَنَّ الْمَرْءَ بِأَصْغَرِيهِ

• • •

التطواف : مصدر طوّفت حول الشيء ، إذا أكرّثت المشى حوله ،  
وقد طافتُ به وأطفتُ ، وإذا درت وأكرّثت ذلك قلت : طوّفت .

وشيراز : مدينة فارس العظمى ، وهي مدينة جليلة عظيمة ، ينزلها الولاة ،  
ولها سمعة حتى إنه ليس فيها منزل ، إلّا وفيه لصاحبه بُستان فيه جميع الثمار  
والرياحين والبُقول ، وكلّ ما يكون في البساتين . وشُرْب أهلها من عيون  
تجرى في أنهار تأتي من جبال يسقط عليها الثلج .

قوله : ناد : مجلس . يستوقف : يحبس ويجعله يقف . المجتاز : خاطر الطريق  
المارة عليه .

أوفاز : انخفاز وعجلة ، ومنه قولهم : قعد مستوفزاً ، معناه قعد على وفز من الأرض ، والأوفاز : جمع وفز وهو ألا يطمئن في قعوده . قال الجوهري رحمه الله تعالى : تقول نحن على أوفاز ، ولاتقول على وفز ، ومعناه ألا تلقاه مُعَدّاً . الأزهري : الوفزة : الوثبة بعجلة ، وقعد مستوفزاً ، إذا رفع اليدين ووضع ركبتيه ولم يطمئن .

نعتيه : تخطيه وجوازه . وخطت : مشت . عجت : ملت . أسبك . أجرب سرّ جوهره : أراد باطن أهله إذ كانوا في الظاهر ذوى مناظر ، فأراد أن يعرف : هل هم أهل علوم وآداب ، حتى يكلوا في الظاهر والباطن ، أم أمرم على خلاف ذلك . وبين ذلك بقوله : كيف ثمره من زهره ، فكنى بالزهر عن ظاهرهم ، وبالثمر عن سرهم الباطن ، وسر كل شيء : باطنه وخالصه ، وقال المعري :

فلا يفرّتك بشر من سواه بدا      ولو أنار ، فكم نورٌ بلا ثمر<sup>(١)</sup>

قوله : أفراد ، أى كبراء لانظير لهم ، فن مال إليهم استفاد ، وأفراد : نجوم الدرارى . والعائج : المائل . فكاهة : حديث مطرب . الأغاريد : أصوات الطير ، ويطلقون على ما كان فيه حنان ورقة منها اسم التفريد والغناء ، إلا الحمام فإنهم يسمون أصواتهم غناء وتفريدا وبكاء ونياحاً ، يأخذونه من حال السامع لها . وقرئ على أبى الحسن بن السراج قول سويد بن الأعم :

لقد تركت فؤادك مستجناً      مطوّقةً على فنّ تفتى  
يميل بها وتركبه بلحن      إذا ما عن للمحزون أنا

(١) سقط الزند ١٣٩ ، وفي ط : « سر » موضع : « بسر » .

قَالَ : إِنَّمَا تَكُونُ أَصْوَاتُ الْحَمَامِ عَلَى مَا فِي نَفْسِ السَّمْعِ ، فَإِذَا سَمِعَهَا مَنْ  
يَطْرِبُ سَمَاهَا غَنَاءً ، وَإِذَا سَمِعَهَا مَنْ يَحْزَنُ سَمَاهَا بَكَاءً .

وَقَالَ ابْنُ قَاضِي مِيلَةَ مَصْدُقًا لَمَّا قَالَ ابْنُ التَّرَاجِمِ :

لَقَدْ رَعَضَ الْحَمَامُ لَنَا بِسَجْعٍ إِذَا أَصْنَى لَهُ رَكْبٌ تَلَاخَى  
شَجَا قَلْبَ الْخَلَى قَالَتْ غَنَى وَبَرَحَ بِالشَّجَى قَالَتْ نَاخَا<sup>(١)</sup>

وَسَبَقَهُ الْمَعْرَى بِقَوْلِهِ :

بَارِضٍ لِلْحَمَامَةِ أَنْ تَفْنَى بِهَا وَلَنْ تَأْسَفَ أَنْ تَفْوَخَا<sup>(٢)</sup>

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي شَرْحِ الْمَصْدَرِ فَصْلًا لِلْحَمَامِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْبَحْتَرِيِّ :

حَيَّةُكَ حَمَّا شَمَالَ طَافَ طَائِفُهَا فِي جَنَّةٍ نَفَعَتْ رَوْحًا وَرِيحَانًا  
غَنَّتْ سُحَيْرًا فَنَاجَى الْفَصْنَ صَاحِبَهُ مِرًّا بِهَا ، وَتَدَاعَى الطَّيْرُ إِعْلَافًا  
وَرُقٌّ تَفْنَى عَلَى غَصْنٍ مَهْدَلَةٍ تَسْمُو بِهَا وَتَمْسُ الْأَرْضُ أَحْيَانًا  
تَحَالُ طَائِرُهَا نَشْوَانٌ مِنْ طَرَبٍ وَالْفَصْنُ مِنْ هَزَقٍ عِطْفَيْنِهِ نَشْوَانًا

وهذه ديباجة أبي عبادة . وحلب المناقيد : المحرر . احتف : انتظم .  
طمرين ، أي ثوبين خلفين . يناهز : يقارب . الثميرين : ثمانين سنة ، وذلك  
أن الإنسان من الشبيبة إلى الأربعين في نماء وزيادة وقوة ، ومن الأربعين إلى  
الثمانين في نقص ، فالبالغ الثمانين قد استوفى عمره في الزيادة والنقص . وسئل  
ذو الرمة عن سنه ، فقال : بلغت نصف عمر الهرم أربعين سنة ، وقيل : العمر  
سعون سنة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين » .

(٢) سقط الزند ٢٤٥ .

(١) تار الأزهار ٧٩ ، ونسبه للمنازى .

(٣) من زيادات ديوانه .

ومن حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم :  
« مَنْ أَتَى عَلَيْهِ سِتُونَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ » ، فالعمران على هذا مائة وعشرون  
سنة . والحكماء يزعمون أنه منتهى ما يبلغه عمر ابن آدم ، والأظهر من سواد  
المقامة أنه أراد الأول ، لأن مَنْ قارب مائة وعشرين سنة لا يلتذ بخمر ولا بغيره  
وهو يزعم في المقامة أنه يحاول شربها لفناء وغير ذلك .

قوله : أَبَانَ : بَيَّن . مِنْطَلِق : فصيح . احتبى حبوتهم ، أى جلس مثل  
جلوسهم المنتدين : أهل المجلس . ازدراه : احتقره .

أصغريه : قلبه ولسانه ، وقيل لهما الأصفران لصغر حجمهما من بين الأعضاء  
لنضلهما وشرفهما على الأعضاء ، قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه :  
ولكنى مدرّب الأصفرين ، ولجلبهما القيام والكمال ، كأنه قال : المرء يقوم أموره  
بلسانه وقلبه ، ويكمل المرء بهما ، قال الأصمعى رحمه الله تعالى : كان ضمرة بن  
أبى ضمرة قصيرا ، وكان يقول : للمرء بأصغريه ، بقلبه ولسانه .

• • •

وأخذوا يتداعونَ فَصَلَ الخطاب ، ويعتدون عودَهُ من  
الأخطاب ، وهو لا يُفِيضُ بِكَلِمَةٍ ، ولا يُبَيِّنُ عن سِمَةٍ ، إلى أن  
سَبَرَ قَرَائِمَهُمْ ، وخَبَرَ شَائِلَهُمْ وراجِحَهُمْ . فحين استخرج دَفَائِنَهُمْ ،  
واستنثَلَ كَنَائِنَهُمْ ، قال : يا قوم لو عَلِمْتُمْ أَنَّ وراءَ الْفِدَامِ ، صَفْوَ  
الْمُدَامِ ، لَمَا احْتَقَرْتُمْ ذَا أَخْلَاقٍ ، وَقُلْتُمْ مَا لَهُ مِنْ خَلَاقٍ . نَمَّ فَجَّرَ مِنْ  
يَتَابِعِ الأدبِ ، وَالتَّسَكَّتِ النَّخْبُ ، مَا جَلَبَ بِهِ بَدَائِعَ الْعَجَبِ ،

وَاسْتَوْجَبَ أَنْ يُكْتَبَ بِذَوْبِ الذَّهَبِ . فَلَمَّا خَلَبَ كُلَّ خَلْبٍ ،  
وَقَلَبَ إِلَيْهِ كُلَّ قَلْبٍ ، تَحَلَّحَ ، لِيَرْحَلَ ، وَتَأَقَّبَ ، لِيَذْهَبَ ،  
فَعَلِقَتِ الْجَمَاعَةُ بِذَيْلِهِ ، وَعَاقَتِ مَسْرَبَ سَيْلِهِ ، وَقَالَتْ لَهُ : قَدْ  
أَرَيْنَا وَسَمَ قَدْحِكَ ، فَخَبَّرْنَا عَنْ قَيْضِكَ وَمُحْكٍ . فَصَمَتَ صُوتُ  
مَنْ أَفْجَمَ ، نَمَ أَغْوَلَ حَتَّى رُجِمَ .

قال الراوى : فَلَمَّا رَأَيْتُ شَوْبَ أَبِي زَيْدٍ وَرَوْبَهُ ، وَأَسْلُوبَهُ  
الْمَالُوفَ وَصَوْبَهُ ، تَأَمَّلْتُ الشَّيْخَ عَلَى سُهُومَةِ مُحْيَاهُ ، وَسُهُوكِ رِيَاهُ ،  
فَإِذَا هُوَ إِبَاهُ .

\*\*\*

بِدَاعُونَ : يدعو بعضهم بعضاً إلى ذكر الفصاحة ، والأشبه أن يكون من  
الأدعية ؛ وهى الأحجية والأغلوطة ، كأنهم يتعاجزون . وفصل الخطاب ، كناية  
من الفصاحة . يمتدّون : يحسبون ، الأخطاب : جمع خطب ، ولا يقال للعود  
خطب حتى يحفّ ماؤه ويبس ، فأراد أنهم حسبوا أبا زيد من جنس الخطب  
لا نضارة فيه ، كأنه لا علم عنده . وقال الشاعر :

إذا العود لم يثمر وإن كان شعبةً من المثمرات اعتدّه الناس للخطب

بُفَيْض : يتكلم ويندفع فى القول ، وفاض لسانه وأفاض ، أى أبان . يبين :  
يبين . سمة : علامة . سبر : قاس وجرب . قرأهم : أذهانهم . خبر : جرب .  
شائلهم : ناقصهم . راجعهم : وافهم ، والشائل من الدراهم : الناقص الذى يشول  
به الميزان ، أى يرتفع ، والراجع ضده . وقال فى الدرة : الشائل المرتفع ، وأنشد :

ياقوم- مَنْ يَعدِر في عَجَرٍ القاتِل المَرءِ على المَأتَقِ (١)  
لَمَّا رَأَى مِيزانَه شَـائِلًا وجاءَ بينَ الأذنِ والمَأتَقِ

استنثل كنانهم : استخرج ما عندهم ، والكنانة : جمعة السهام . الفِدام :  
خرقة تُجمل على فم الإبريق ليصفو الخربها . أخلاق : ثياب بالية . خَلَّاق :  
نصيب وافر من الخير . ينابيع : مخارج الماء من العيون . التفتت : المعاني  
الغامضة ، والتفتت : نقطة في شيء تخالف لونه ، فإذا كانت في الكلام فهي عيونه .  
الْفُخْب : المختارة ، بدائع : غرائب . ذوب الذهب : ما ذاب منه ، ولو أنشدهم  
شعراً يوافق مجلسهم لم يكن إلا أبيات الناشئ :

كَأَنَّهُمْ في صدورِ الناسِ أَفئدةٌ      تُحسِّسُ ما أخطروا فيها وما اعتمدوا  
يُبْذَوْنَ للناسِ ما تخفى ضمائرُهم      كأنهم وجدوا منها الذي وجدوا  
دَلُّوا على باطنِ الدنيا بظاهرها      وعلم ما غاب عنهم بالذي شهدوا  
مطالع الحق ما من شبهة غسقت      إلا ومنهم لديها كوكبٌ يقدُّ

أو أبيات ابن شهيد حيث قال :

وفتية كالنجوم حسًا      كأنهم شاعرٌ نبيلٌ (٢)  
مقعد الجانبين ماضٍ      كأنه الصارم الصقيلُ  
راموا انصراحي (٣) عن المعالي      والقرب من دونها كليلُ  
فاشدت في إثرها مسحٌ      كلٌّ كثير به قليلُ

(١) حرة الفواس ٨٥ ، ٧٦ .

(٢) ديوانه ١٣٩ .

(٣) الديوان « انصراحي » .

في مجلس شانه التصافي تطيش في وصفه القبول<sup>(١)</sup>

قوله : خَلَبَ ، أى خدع . وإِنْخَلَبَ : الحجاب الذى بين سواد القلب وسواد البطن . تَحَلَّلَ : تحرَّك ، وأصله للبعير إذا حرَّكته للقيام تقول له : حل حل . هَاقَتْ : منعتْ وَحَبَسَتْ . مَسْرَب : طريق مَسِيل الماء ، وسرب يسرُب سروباً : مضى على وجهه في سفر بعيد ، وسرب الماء يسرُب مَرَباً ومسرَباً فهو مَسْرَب : سال ، والمعنى منعت المشى . وَسَمَ قَدْحِك : علامة سهمك ، والقِدْحُ السهم قبل أن يُرَاش ويركَّب نصله . وَأَرْوَيْتَنَا من نضحك ، أى أسقيتنا من بَدَلِك ، والنضح : الرش الخفيف : قَيْضُكَ وَتُحْك ، أى ظاهرك وباطنك ، لأنَّ القَيْض قشرة البيضة العليا وقلبها الأصفر هو المَح ، بحاء غير منقوطة .

الفنجديهى : عن قَيْضِكَ وَتُحْك أى عن نسبك وبلدك . صَمْتُ : سكنت . أُنْعِم : غلبَ وقطع عن الكلام . أَعُول : بكى . وَشَوَّبَ أبى زيد وَزَوَّيه ، أى تخاطبه في حَيْلِه ، والشَوَّب : الخلط ، تقول : شُبَّتِ الماء باللبن ، أى خلطتهما والرَّوَّب : اتخاذ الرائب ، والشَوَّب : اللبن المذزوج بالماء هنا ، والرَّوَّب : الخالص . ويقال : ما عنده شوب ولا روب ، أى لا مرق ولا لبن ، وقيل : الشوب العسل ، والرَّوَّب اللبن : وفلان يشوب ويرُوب ، أى يخلط ويصفي ، وأصله يَرِب ، فلبت « يروب » طلباً للزدواج ، يضرب مثلاً لمن يخلط في القول والعمل والشوب والرَّوَّب جميعاً : الخلط ، وراب الرجل روباً : اختلط عقله ورأيه . أسلوبه : طريقه . المألوف الملتزم . صَوَّبَه : قصده وجانبه وصوابه . سهومة محيائه : تغير وجهه . سُهوكه رياه : نتن رائحته من النحر وغيره . وقوله : فإذا هو إياه :

(١) البيت في الديوان :

في مجلس شابه التصافي وطاردت وصفه القبول

استعمل إياه ، وهو ضمير منصوب في موضع الرفع ، وهو غير جائز عند سيبويه ، وجوزته الكسائي في مسألة مشهورة جرت بينهما :

### [ ذكر مسألة نحوية ]

قال الفجديسي : سألت شيخنا العلامة إمام النحاة جمال العلماء ، أبا محمد عبد الوهاب بن برّي بن عبد الجبار المقدسي عن شرحها ، فقال أيده الله : سألت شرح الله صدرك ، وأعلى في منازل الشرف قدرك ، عن المسألة التي جرت بين سيبويه والكسائي ، وهي قوله : « كنت أظن أن العقب أشد لسمعة من الزنبور فإذا هو إياها » ، وسألت عن وجه النص في « إياها » عندهم أن أجاز ذلك . فاعلم أن مذهب النحويين البصريين في مثل هذه المسألة أن يكون ما بعد إذا مرفوعاً بالابتداء والخبر ، فيقال : فإذا هو هي ، على حذف ما في الكتاب العزيز : ﴿ فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ فإذا هي ثمان مابين ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فإذا هنا ظرف مكان وليست كالزمانية ، وسأفرق بينهما . وتقديرها في نحو : خرجت فإذا زيد قائم : خرجت فبالحضرة زيد قائم ، والعامل في إذا ، قائم ، وإن شئت نصبت قائماً على الحال ، وجعلت الخبر في إذا ، كما تقول : خرجت فإذا زيد قائم فالقائم بالرفع على الخبر والنصب على الحال ، ومذهب الكوفيين في الحال أن تكون نكرة ومعرفة ، ومن هنا منع سيبويه من إياها في المسألة ، لأن المضمر لا يقع حالاً لتعريفه وعدم الاشتقاق فيه ، والحال تكون نكرة مشتقة ، والكوفيون يميزون النص على معنى : خرجت فإذا زيد قائماً . والأقرب عندي أن يريدوا فإذا هو موجود إياها ، فحذف الخبر وهو موجود لدلالة الكلام عليه ، ومثل هذا عندهم : لئن ضربته ليضربته السيد الشريف ، فينصبون السيد بإضمار ، فإذا حملته على هذا تخرج .

(١) سورة الأعراف ١٠٨ .

(٢) سورة الفراء ٢٢ ، الأعراف ١٠٧ .

وحكى عن أبي زيد أنه سمع هذه المسألة من العرب ، بنصب «إياها» ، فإن صح أنه سمعها فهذا وجه ، ويجوز في قياس قولهم : أن يكون على إسقاط الكاف ، وهم يروون في الخبر : « ذكاة الجنين ذكاة أمه »<sup>(١)</sup> ، بنصب « ذكاة » يقدرون كذكاة أمه ، فتقديرها فإذا هو كذا ، أى فإذا الزنبور كالعقرب ، وهم يميزون إدخال الكاف على الضمير ، وسيبويه يمنعه إلا في الشعر كقول المعجاج :

• وأم أوعالٍ كها أو أقربا •

وقال رؤبة :

فلا أرى بعلًا ولا حلائلًا<sup>(٢)</sup> كهم ولا كمنٍ إلا حافظلا

وأجاز بعض النحويين أن يكون «إياها» كناية عن الجملة ، التقدير : فإذا هو لسمعه كلسمتها ، فكفى عن الجملة بقوله : «إياها» وينصب على الحال ، لأنها كناية عن الجملة ، وهي نكرة فتصير في حكم النكرة ، كما صارت الماء في : ربة رجلاً نكرة في المعنى ، لكونها كناية عن نكرة ، ولذا دخلت «رُب» هايتها ، وهى لا تدخل إلا على نكرة ، فهذا ما يقتضيه وجه النصب في «إياها» على ما ذكره الكوفيون ، والفرق بين إذا الزمانية والمكانية من أوجه :

أحدها أن الزمانية تقتضى الجملة الفعلية لما فيها من معنى الشرط ، والمكانية تقع بعدها الجملة الابتدائية أو المبتدأ وحده .

والثانى : أن الزمانية تقتضى جوابا والمكانية لا تقتضيه .

والثالث : أن الزمانية مضافة إلى الجملة التى بعدها ، والمكانية ليست مضافة إلى ما بعدها ، بدليل خرجت فإذا زيد ، فزيد مبتدأ وإذا خبره .

(١) الخبر في النهاية لابن الأثير ٢ : ١٦٤ . قال : والتذكية الذبح والنحر . . .

(٢) ديوانه ١٢٨ .

والرابع : أن الزمانية تكون في صدر الكلام ، نحو إذا جاء زيد فأكرمه ،  
والمكانية لا يُبتدأ بها إلا أن تكون جواباً للشرط ، كالفاء في قوله : ﴿ وإن  
نُصِبْهُمْ سَيِّئَةً بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ .

والخامس : أن الزمانية تقتضي الاستقبال والمكانية تقتضي معنى الحضور ،  
لأنها للفاجأة ، والمفاجأة للحاضر دون المستقبل .  
انقضى الكلام عليهما على جهة الاختصار .

• • •

فكتمتُ سِرَّهُ كما يُكتمُ الدَّاءُ الدخيلُ ، وسترتُ مكرهه وإن  
لم يكن يُخيلُ ؛ حتى إذا نَزَعَ عن إغواله ، وقد عَرَفَ عُثُورِي  
على حاله ، رمقني بعينٍ مضحاكٍ ، ثم طفق يُتَشَدُّ بِلِسَانِ  
مُتَبَاكِ .

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَعُوذُ لَهُ مِنْ فَرَطَاتِ أَثْقَلَتْ ظَهْرِيَّةِ  
بِأَقْسَمِ كَمِ مِنْ عَاتِقِ عَانِسِ

تمدوحة الأوصاف في الأنديّة

قَتَلَهَا لَا أَتَّقِي وَارِنًا يَطْلُبُ مِنِّي قَوْدًا أَوْدِيَّةِ  
وَكَلَّ مَا اسْتَذْنَبْتُ فِي قَتْلِهَا أَحَلَّتْ بِالذَّنْبِ عَلَى الْأَفْضِيَّةِ  
وَلَمْ تَزَلْ تَفْعِي فِي غِيهَا وَقَتْلِهَا الْأَبْكَارِ مُسْتَشْرِيَّةِ

قوله : الدَّاءُ الدخيلُ ، هو الذي لا يُتَكَلَّمُ به استقباحاً له أو لحله . يُخِيلُ :  
يشبه ويشكل ، وخال يُخِيلُ : اشتبه . نَزَعَ : كَفَّ ، إغْوَالِهِ : بكائه . عُثُورِي :  
اطلاعي . رمقني : نظر إلي . بعينٍ مضحاكٍ ، أي كثير الضحك . مُتَبَاكِ :

مستعمل للبكاء بشكّاف . أعنو : أذلّ . فرطات : سقطات وزلاّت . عاتق : شابة قد أدركت ولم يبن بها زوجها ، بل هي بكر ، ويريد بها الخمر التي لم يفض أحد خاتمها . وعانس : طالت إقامتها في بيت أبيها . الأندية : المجالس . القود : قتل النفس بالنفس . استذنبت : نسبت إلى الذنب : الأفضية : جمع قضاء ، أي كلما قيل لي : فعلت هذا الذنب ؟ قلت : إنما هو قضاء الله وقدره ، وأخذ هذا المعنى من قول الحسين بن الضعّاك :

واتركي العذل على من قاله وانسي جوري إلى حكم القضا<sup>(١)</sup>

ولهذا البيت حكاية أدبية ، قال الحسين : كانت لي نوبة في دار الوائق ، فبينما أنا نائم ذات ليلة ، إذ جاءني خادم من خدام الحرم ، فقال لي : إن أمه المؤمنين بدعوك ، فقلت له : وما الخبر ؟ قال : إنه كان نائماً إلى جنب حظيته فقام وهو يظنها قائمة ، فلم يجاريه أخرى ، وعاد إلى فراشه ، ففضبت حظيته وتركته حتى نام ، ثم قامت ، ودخلت حجرتها فانتبه وهو يظنها عنده ، فطلبها فلم يجدها ، فقال : من اختلس كريمتي ، ويحكم أين هي ؟ فأخبرناه أنها قامت فغضبني ومضت إلي حجرتها . فدعأ بك ، قال : فضيت مع الرسول وروبت أيبانا في طريقي ، فلما جئته خبرني القصة ، وقال لي : قل في هذا شيئاً ، ففكرت هنيئة كأنني أقول شعراً ، ثم أنشدته الأبيات :

غضبت أن زرتُ أخرى غضبةً      فلها العُتي علينا والرُضا<sup>(١)</sup>  
يا فدنك النفس كانت هفوةً      فاغفريها واصفعي همّا مَعِي  
واتركي العذل على من قاله      وانسي جوري إلى حكم القضا  
فلقد نبتني من رقدتي      وعلى قلبي كثيران الغضي

فقال : أحسنتِ بحياتي ، أعدّها عليّ يا حسين ، فأعدتها عليه حتى حفظها .  
وأمر لي بخمسمائة درهم . فقام ومضى إلى الجارية فأنشدّها الأبيات فتراضيا ، فكان  
بعدُ إذا رأيته تبتسم لموقع الأبيات ونجحها عند الجارية ، والإحالة على القضاء  
بالذنب هو مذهب الجبّرية فمن فعل منهم ذنبا قال : لا ذنب لي ، إنما قُدر  
عليّ ومذهب القدرية خلافه ، قال الشاعر في رده :

إذا أذنبوا قالوا مقاديرُ قُدرتُ وما العار إلا ما تجرهُ المقاديرُ

وقوله : غيها ، أي فسادها . مستشرية : لاحتية مصممة ، واستشرى الشيء :  
انتشر ، واستشرى في أمره : لج فيه .

### [ وَأَدَّ الْبَنَاتُ ]

والقتل الذي ذكره للبنات هو الوأد الذي كانت تفعله الجاهلية ، قال الله  
سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾

والمؤودة : التي تُدفن حية ، فتنقل بالتراب ، والوَأَدُ : القتل .  
وورد قيس بن عاصم المِفْرَیّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له :  
بعض الأنصار عن وأد البنات ، فقال قيس : ما ولدت لي بنتٌ إلا وأدتها ،  
وما رحمت منهن إلا واحدة ولدتها أمها ، وأنا في سفرٍ ، فدفعتها إلى أخوالها ،  
وقدِمتُ فسألت عن الحمل ، فأخبرت أنها ولدت ميتاً . ومضت سنون ، حتى  
ترعرعت ، فزارت أمها ذات يوم ، فدخلتُ فرأيته قد صَفَرَتْ شَعْرَهَا ، وجعلت  
في قرونها خيئاً من الخُلُوق ، ونظمت عليها ودعاً ، وألبستها قلادة ، وجعلت في  
عنقها محفظة ، فقلت : مَنْ هذه الصبية قد أعجبتني حسنُها ؟ فسكت ثم قالت : هذه  
ابنتك ، كنت خبّرتك أنّي ولدت ميتاً ، وهذه التي ولدت ، فجعلتها عند خالها ،  
وبلغت لهذا المبلغ . فأمسكتُ عنها حتى اشتغلت أمها ، ثم أخرجتها يوماً ، فغفرتُ

حفرة فجعلتها فيها ، وهى تقول : يا أبت أنفطىنى بالتراب ا حتى واريتها وانقطع صوتها ، فراحمت واحدة منهن ممن وأدت غيرها . فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إِنْ مَنْ لَا يَرْحَمَ لَا يَرْحَمُ »<sup>(١)</sup> .

وذكر<sup>(٢)</sup> أن قيساً وأد بيده بضع عشرة ابنة ، وكان السبب فى وأد البنات أن المشمرج<sup>(٣)</sup> اليشكرى أغار على قوم قيس ، فسبى نساء فيهن ابنته وابنة أخيه ، فدخل قيس إليهم فسألهم أن يهبوها له ، فوجد المشمرج قد اصطفاهما لنفسه ، فسأله إياها ، فقال : قد جعلت أمرهما إليهما ، فإن اختارتاك فخذها ، فاختارتا المشمرج ، فانصرف فوآد كل ابنة له خوفاً من الفضيحة ، فاقترنت به العرب فى ذلك .

قال المهيم : إن الواد كان مستعملاً فى قبائل العرب قاطبة ، وكان يستعمله واحد ويتركه عشرة ، فجاء الإسلام ، وقد قلّ إلا فى تميم .

وقيل : كان الواد فى تميم وقيس وبكر وهوازن وأسد ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اشدّد وطأتك على مُضَرّ واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » ، فأجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم ، ولهذا جاء تحريم الدم ، وهذا خبر بين أن الواد كان للحاجة لا للأنف ، وبه نزل القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَا يَتْلُنَ أَوْلَادُهُمْ ۖ ﴾ .

ومن ذكر أنه كان أنفة وأنه كان فى تميم ، ومن جاورهم فيحتاج بحديث أبى عبيدة ، أن تيمما منعت النعمان الإتاوة ، فوجه إليهم أخاه الريان ، وجل من معه من بكر بن وائل ، فاستاق النعم وسبى الدارارى . وفى ذلك يقول المشمرج اليشكرى :

(١) الخبر فى الأغاني ١٤ : ٦٩ ، ٧٠ (٢) الخبر فى الكامل ٢ : ٨٢ (٣) طه : المستخرج ، تصحيف ، وفى الأغاني ونهاية الأرب ٤ : ١٢٧ « عمرو بن المشمرج » .

( ١٢ — شرح مقامات الحريرى ج ١ )

لما رأوا راية النعمان مُقْبِلَةً      قالوا ألا لثيت أدنى دارنا عدنُ  
يأليت أم تميم لم تسكن عَرَفَتُ      مَرًّا<sup>(١)</sup> وكانت كمن أودى به الزَّمنُ  
وقال النعمان في جوابه :

لله بكرٌ غداة الرِّوْع لو بهم      بُرُحَى ذُرَا حَضَنٍ زالت بهم حَضَنُ  
إذ لا أرى أحدًا في الناس يُشبههم<sup>(٢)</sup>      إلا فوارس خامت عنهم الينُ  
فوفدت إليه تميم ، فأناب إليهم ، وأحب البُقيّا . وقال :

ما كان ضرر تميّا لو تعمدها      من فضلنا ما عليه قَيْسُ عَيْلانِ

فسألوه النساء ، فقال : كل امرأة اختارت أباهَا رُدَّتْ إليه ، وإن اختارت صاحبها تُرِكَت عنده فكلهن اخترنَ آبَاءَهُنَّ إِلَّا ابنة قيس بن عاصم ، اختارت صاحبها عمرو بن المشرح ، فنذر قيس : ألا تولد له ابنة إلا قتلها . فهذا شيء يَغْتَلِّ به من وأد البنات ، ويقول : فعلناه أُنْفَةً ، وقد كَذَّب بما أنزل الله تعالى في القرآن المجيد . وأين فعل قيس في الوأد وقساوة قلبه من فعل مصمصمة بن ناجية بن عقال جدّ الفرزدق ! فإنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني كنت أعمل عملا في الجاهلية لنفسى ، أبنفعى ذلك اليوم ؟ قال : وما عمالك ؟ قال . أضللتُ نائفتين عَشْرًا وَبْنَ<sup>(٣)</sup> ، فركبت جملا ومضيت في بُغائهما ، فرُفِع لي بيت فقصدته ، فإذا شيخ جالس بفناء الدار ، فسألته عنهما ، فقال : هما عندي ، وقد أحيا الله تعالى بهما قوماً من أهلِكَ مُعَرَّ ، فجلستُ عنده لِيُخْرِجَا إلى ، فإذا عجوز قد خرجت من كِئْسَر البيت ، فقال لها : ما وَضَعْتُ ؟ فإن كان ذَكَرًا شاركناه في أموالنا ، وإن كان أنثى وأدناها !

(١) ط : « مروا » تصحيف . (٢) الكامل : « أشبههم » .

(٣) العشراء : الناقة التي أتى عليها مذحلت عشرة أشهر .

فقلت : وضعت أنتي ، فقلت : أتبيعنيها ؟ فقال : وهل تبيع العرب أولادها ؟ قال : فقلت : إنما أشتري حياتها لارقمها ، فقال : بكم ؟ فقلت : احتكم ، قال : الناقتين والجل ، قلت : ذلك لك ، على أن يبلغني وإياها الجل ، ففعل . فأمنت بك يا رسول الله ، وقد صارت لي سنة في العرب ، أشتري كل مؤودة بناقتين وجل ، فمندی إلى هذه الغاية ثمانون ومائة مؤودة ، قد أنقذتها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينفعك ذلك ، لأنك لم تبغ وجه الله ، وإن عمل في إسلامك عملاً صالحاً تَنَبَّ عليه » .

وقال الفرزدق يفتخر بفعل جده على جرير :

ألم تر أنا بنودارمِ زُرارة منّا أبو مَعْبِدٍ<sup>(١)</sup>  
ومنا الذي منع الوائداتِ وأحيا الوئيد فلم تَوُدِ  
أبطل مجد بني دارمِ عطية كالجمل الأسود  
قرّبي يحكّ قفا مُقْرِفٍ لثيم مآثره قُفْدُ  
ومجد بني دارمِ دونه<sup>(٢)</sup> مكان السماكين والفرقد

وعطية هو أبو جرير ، ويأتي في الأربعين .

وجاء في الحديث الترغيب في إكرام البنات ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ ابْتُلِيَ بشيءٍ من هذه البنات ، فأحسن إليهن كن له ستراً من النار » . وفي طريق آخر « مَنْ كان له ثلاث بنات ، وثلاث أخوات أو بنتان ، أو أختان ، فأحسن صحبتهن والله انتهى فيهن ، فله الجنة » .

ولبهضهم تهنئة بمولودة : اتصل بي خير المولودة ، كرم الله غرضها ، وأنبتها نباتاً حسناً ؛ وقد علمت أنهن أقرب إلى القلوب ، وإن الله عز وجل قد بدأ بهن

(١) ديوانه : ٢٠٥

(٢) الديوان : « فوقه » .

في القريب، فقال سبحانه: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكُورَ﴾<sup>(١)</sup> وما سئاه الله تعالى هبة فهو بالشكر أولى، وبمحسن التقبل أخرى.

وقال بعض الشعراء :

أَحِبَّ البناتِ وَحُبَّ البناتِ فَرَضَ على كلِّ نفسٍ كَرِيمَةٍ  
فَإِنَّ شَعِيْبًا مِنْ أَجْلِ ابْنَتَيْهِ أَخَذَهُ اللهُ مُوسَى كَلِمَةً  
وفي الحديث : « دَفَنُ البناتِ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ » .

هزى رجلٌ يحيى بن خالد في حرمة له ، فقال : أيها الوزير دَفَنُ الْحُرَمِ مِنَ النِّعَمِ ، ثم قال :

تَبَرَّزْتُ إِذَا رُزِنْتَ فَخَيْرُ دَرْعٍ بِسَرَبَلٍ لِمَصَائِبِ دِرْعٍ صَبَرٍ  
فَلَمْ أَرْ نَمَةً شَمَلَتْ كَرِيمًا كَمُورَةٍ مُسَلَّمٍ سَتِيرَتِ بِقَبْرِ  
وقال عمر بن أبي علقمة المري :

إِنِّي وَإِنْ سَيِّقَ إِلَى الْمَهْرُ أَلْفَ وَعَبْدَانِ وَذَوْدَ عَشْرٍ  
• أَحَبُّ أَصْهَارِي إِلَى الْقَبْرِ •

وقال إسحاق بن جَلَف :

لَوْلَا أُمِّيَّةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ التَّدَمُّرِ وَلَمْ أَجُبْ فِي اللَّيَالِي حِنْدَسَ الظُّلَمِ<sup>(١)</sup>  
نَهَوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحُرَمِ<sup>(٢)</sup>

(١) ط : « أبو اسحاق » ، وهو خطأ .

(٢) ديوان الحماسة بشرح التبريزي ١ : ٢٧٤ ، وبمده هناك :

وزادني رغبة في العيش معرفتي ذلَّ اليقينة ينفوها ذوو الرِّجَمِ  
أحاذِرُ الفقرَ يوماً أَنْ يُسَلِّمَ بها فيهلك السُّتْرَ عن اللحمِ على وَضَمِ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلّ أبى بنتٍ براعى شئونها      ثلاثة أصهارٍ إذا ذُكِرَ الصَّهرُ  
فبيتٌ يغطُّها وبعْلٌ بصونها      وقبرٌ يوارِيها وخيرُهم القبرُ

وقال آخر :

لأنّاسٍ منها فقد زوجتُها      كفوا وضمّنت الصّدّاق مليمكا

• • •

حتى نهاني الشَّيبُ لَمّا بدَا      فى مفرقى عن تذكُّمِ التَّغصِيَةِ  
فلم أرقْ مذْ شاب فوْدِي دَمًا      من عاتقِ يَوْمًا ولا مُضْيِيَةِ  
وهأنذا الآنَ على ما يُرى      منى ومن حِرْفَتِي المُكْدِيَةِ  
أربُّ بِكْرًا طَالَ تَغْنِيْسُهَا      وحجَّيْهَا حتى عن الأهْوِيَةِ  
وهى على التَّغْنِيْسِ مَخْطُوبَةٌ      كخِطْبَةِ الغَانِيَةِ الْمُغْنِيَةِ  
وليسَ يكفِينِي لتجهيزِها      على الرِّضا بالدُّونِ إلّا مِيَةِ  
واليدُ لا تُورِكي على دِرْهِمٍ      والأَرْضُ قُفْرٌ والسَّمَاءُ مُضْجِيَةِ  
فهلْ مَعِيْنٌ لِي على نَقْلِهَا      مصْحُوبَةٌ بِالْقَيْنَةِ الْمُلْهِِيَةِ  
فيفْسِلُ الهمُّ بَصَابُونِهِ      والْقَلْبُ من أَفْكَارِهِ الْمُضْيِيَةِ  
ويقتنى منى الثَّنَاءِ الَّذِي      تَضُوعُ رِيَاءٍ مع الأَدْعِيَةِ

• • •

قوله : فوْدِي ، أى ناحية رأسى . مُضْيِيَةِ : لها صَبْوَةٌ ، أو بصبو إليها  
مَنْ رآها ، وجعل الحجر مُضْيِيَةً ، لأنها تغلب شرابها فتصيرهم سكارى ، عقولهم

مقول الصبيان ، فهي تلعبُ بهم كما تلعبُ الأمُ بصبيانها . حِرْ : فتى : صنعى  
للكدية : الصعبة ، وأكدى الحافرُ : بلغ كدية ، فرفع عن الحفر آيساً من الماء .  
ثم استعير لغير ذلك أُرْب : أصليح . تعفيسها : إقامتها بغير زوج .

قال عمر رضى الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مكروب  
فى القوراة : مَنْ بلغت ابنته اثنتى عشرة سنة ، فلم يزوجها فأصاب إثمًا فإثم  
ذلك عليه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ بلغ له ولد النكاح وعنده ما ينكحه به فلم  
ينكحه ، فأصاب إثمًا فلا إثم بينهم » . ويعنى بها خيراً قديمة حجتها عن الأهوية ، لئلا  
يفسدها الهواء .

قوله : مخطوبة : مطلوبة . الغانية : البارعة الجمال التى غنيت بحسنها عن  
الزينة ، قال الرستمى : أصلها فى ذات الزوج التى استغفت بزواجها ، ثم قيل  
فى غير ذات الزوج . قال عماره : هى الشابة التى تعجب الرجال ويعجبونها . المغنية :  
التي نشأت فى النقي ، وأغنى بمعنى استغنى ، والمغنية أيضاً : التى تغنى زوجها عن  
غيرها لكمال خصالها . نوكا : تُشد وتربط ، والوكاء : الخيط يشد به فم الوعاء .  
وراود عبدٌ فى الجاهلية ابنة سيده عن نفسها ، فأمكنته حتى بلغ أربه  
منها ، ثم عمدت إليه فحبته . فقال لها أبوها فى ذلك ، فقالت : مَنْ ورد غير مائه ،  
صدّر بمثل حاله ، إن العبد لمن نوكة قد ابتذل إناء لم يوكه ، فقال أبوها : يابنتي  
لا شلأ ولا مى .

ومتيه : محذوفة اللام ، ولا يدرى أو لا أمها أم ياء ، قاله صاحب العين .  
وقال ابن الأعرابي : اثأيت القوم ، وأمايتهم : صاروا بى مائة ، نفى مآبت  
دليل قاطع على أن اللام ياء .

وقال الفراء رحمه الله تعالى وكُراع : أصلها مئبة ، وأنشد :

قلتُ والرَّكبُ قد تُخطِبه منيَّته أدنى عطيات آباي ميثات

قوله : قَفَر : غير هامة . مُصححة : زال سحابها ، ضربه مثلاً للخُلُق من المال ،  
فلان في أرضه خصب فتعمر من أجله ، ولا في سمائه سحاب فيرجى خيرها . وقد  
تقدّم لغيري مطر .

الفينة الماهية : الجارية المغتية ، وهي في كلام العرب الأمة ، مغتية كانت أو  
غير مغتية ، قال زهير :

• ردّ القيانِ جمالَ القومِ ناحتلوا<sup>(١)</sup> •

واشتقاقها من قُنْتُ الشيء أقينته قينًا ؛ إذا لمته ، قال الشاعر :

ولى كبدٌ مجروحةٌ قد بدا بها صدوعُ الهوى لو أن قينًا يقيّمها<sup>(٢)</sup>

ولهذا سُمِّي الصّواع والحداد قينًا ، والماشطة قينة .

قوله : فيفضل اللهم بصابونه : يعنى فينقى همى بالخمر لأنها تنفى الهم والحزن  
والغم كما يفضل الصابون وسخ الثوب . المضنية : المرّضة . يقتنى : يكتسب .  
نضوع رياه : تتحرك راحته ، يريد أنه يكتسب منه السامع الدعاء فيثنى عليه  
ثناء حسنًا في الدنيا ويدعوه بالآخرة ، ويقال : ضاع المسك بضوع ، أى انتشرت  
رائحته ، وقال الشاعر :

وما هو إلا المسكُ عند ذوى الحمى

بضُوعٍ وعند الجاهلين بضُوعٍ

(١) ديوانه ١٦٤ ، وبيته :

• إلى الظهيرة أمرٌ بينهم لِيكُ •

(٢) اللسان - فبن

قال الراوى : فلم يَبْقَ فى الجماعة إلا مَنْ نَدِيتْ له كَفُهُ ،  
وابتاعَ إليه عُرْفَهُ فَمَّا نَجَحَتْ بُغْيَتُهُ ، وَكَمَلَتْ مِثْنُهُ ، أَخَذَ يُثْنِى  
عليهم بِصَالِحِ ، وَيُسَمِّرُ عن ساقِ سَارِحِ ؛ فَتَبِعْتَهُ لَأَسْتَعْرِفَ رَيْبَةَ  
خِذْرِهِ ، وَمَنْ قَتَلَ فى حَدَثَانِ أَمْرَهُ ، فَكَأَنَّ وَشَكَ قِيَامِى ، مَثَلُ له  
مَرَامِى . فَازْدَلَفَ مِنِّى ، وَقَالَ : نَافَقَهُ عَنِّى .

قَتَلَ مِثْلَى يَا صَاحِبِ مَزْجِ الْمَدَامِ لَيْسَ قَتْلِي بِلَهْذَمٍ أَوْ حُسَامِ .  
وَالَّتِى عُنُسْتُ هِىَ الْبِكْرُ بِنْتُ الْكَرَمِ لَا الْبِكْرُ بِنْتُ الْكِرَامِ .  
وَلتَجْهِزْهَا إِلَى الْكَأْسِ وَالطَّاءِ سِ قِيَامِ الَّذِى تَرَى وَمُقَامِى  
فَتَفْقَهُمْ مَا فَانُسَهُ وَتَحْكُمُ فى التَّغَاضِىِ إِنْ شِئْتُ أَوْ فى الْمَلَامِ .  
ثم قال : أَنَا عَرِيدٌ ، وَأَنْتَ رِغْدِيدٌ ، وَبَيْنَنَا بَوْنٌ بَعِيدٌ . ثُمَّ  
وَدَّعْنِى وَأَنْطَلَقَ ، وَزُوِّدْنِى نَظْرَةً مِنْ ذِى عَمَقٍ .

\*\*\*

نَدِيتْ : كَرَمْتُ . ابْتَاعَ : سَالَ . عُرْفُهُ : مَعْرُوفُهُ . نَجَحَتْ : انْقَضَتْ وَتَمَّتْ ،  
بُغْيَتُهُ : طَلِبَتُهُ . طَفِقَ : أَخَذَ وَجَعَلَ . سَارِحَ : ذَاهَبَ ، يَرِيدُ أَنَّهُ شَمْرٌ لِّلْسِيرِ ،  
وَأَضَافَ سَاقًا لِّسَارِحَ ، وَهُوَ يَرِيدُ : مِنْ سَاقِ رَجُلٍ سَارِحَ ، أَيْ ذَاهَبَ . رَيْبَةُ  
خِذْرِهِ ، أَيْ آتَى رِبَاهَا فى بَيْتِهِ ، وَرَيْبَةُ الرَّجُلِ بِنْتُ امْرَأَتِهِ مِنْ غَيْرِهِ ، قِيلَ لَهَا  
ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَرَيْبُهَا فَهِيَ «فَعِيلَةٌ» بِمَعْنَى مَفْعُولَةٌ ، فَأَصْلُهَا مَرْبُوبَةٌ ، وَيُقَالُ : رَبَّ فُلَانٍ  
فُلَانًا وَرَبَّاهُ وَرَبَّيَّهِ وَتَرْبِيَّتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . حَدَثَانٌ : أَوَّلٌ . وَشَكَ : سَرَعَةٌ .  
مَرَامِى : مَرَادِى وَمَطْلَبِى . اَزْدَلَفَ : قَرَّبَ ، وَيُقَالُ : قَتَلْتُ الْخَمْرَ ، إِذَا مَزَجْتُهَا ،  
وَقَدْ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ : مَزْجِ الْمَدَامِ .

## [ حكايات وأشعار حول الحجر ]

قال الأخطل :

قُتِلَتْ أَقْتَلُوهَا عَنْكُمْ بِمَزَاجِهَا وَأُخْبِبَ بِهَا مَقْتُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ<sup>(١)</sup>

وكان الأخطل خليماً ، فأُتِيَ هنا على الممزوجة . وقال في التي لم تمزج :

وَكَأْسٍ مِثْلَ هَيْنِ الدَّبَكِ صَرَفٍ تُنْسَى الشَّارِبِينَ لَهَا الْعُقُولَا<sup>(٢)</sup>  
إِذَا شَرِبَ الْفَتَى مِنْهَا ثَلَاثًا بَغِيرِ الْمَاءِ حَاوِلَ أَنْ يَطُولَا  
حَشَى قُرْشِيَّةً لَأَشْكُ فِيهَا وَأَرْخَى مِنْ مَآزِرِهِ الْفُضُولَا

• • •

وأصبح عبد الملك يوما في غداةٍ باردة ، فأنشد هذه الأبيات ، ثم قال :  
كَأَنَّ الْأَخْطَلَ الْآنَ فِي حَانُوتِ خَارِ مُحَلَّلِ الْإِزَارِ ، مُسْتَقْبِلَ الشَّمْسِ . ثُمَّ بَعَثَ  
مَنْ يَطْلُبُهُ بِدِمَشْقَ ، فَوَجَدَهُ كَمَا وَصَفَ .

وقال له يوما : أَلَا تُسَلِّمُ فَتَفْرِضُ لَكَ فِي الْفَيْءِ وَنَعْمَتِكَ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ؟  
قال : فَكَيْفَ بِالْحَجَرِ ؟ فقال له عبد الملك : وَمَا تَصْنَعُ بِهَا ، وَإِنْ أَوَّلَهَا مَرَّةً وَآخِرَهَا  
سُكْرًا ! قال الأخطل : وَفِيَا بَيْنَ هَاتَيْنِ مَنْزِلَةٌ مَا يَسِرُّ لَكَ بِهَا .

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه وقد أُعْطِيَ كَأْسُ خمر ممزوجة :  
إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ - قُتِلَتْ - فَهَاتَاهَا لِمُتَقَتِّلِ<sup>(٣)</sup>  
كِلْتَاهَا حَكَبَ الْعَصِيرَ فَمَا طِئِي بِزُجَاجَةٍ أَرْخَاهَا لِلْمَنْفَصَلِ  
فَدَعَاهَا بِالْقَتْلِ عَلَى الَّذِي أَعْطَاهَا لَهْ مِمَزُوجَةٍ .

(١) ديوانه ٤ ، وروايته : « فَأُطِيبَ بِهَا » .

(٢) ديوانه ٣١١

(٣) ديوانه ٣٧١

وذكر الحريري في الدرة<sup>(١)</sup> البيتين ، وقال في قوله : « أرخاها » القياس : أشدّها إرخاءً لفصل ، لأن أصل هذا الفعل أرخى ، فبناؤه ليس مقيساً كما قالوا : « ما أحوجه إلى كذا فبنوّه من حوج ، وإن كان قياسه : ما أشدّ حاجته .  
ولهذين البيتين حكاية يحسن أن نعيها بروايتها ، ونضوع نشرها بنشر مُلَحِّها ، وهي ما رواه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبيه ، قال : حدّثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال : حدّثنا أحمد بن عبد الملك بن السّمّاك السعدي قال : حدّثنا أحمد بن ظبيان الحائز ، قال : اجتمع قوم على شراب لهم ، ففهم مفتهم يشعر حسان : « إن التي » البيتين . فقل بعضهم : امرأتي طالق إن لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضي عن علّة هذا الشعر ، لم قال : « إن التي » ، فوحّد ، ثم قال : كلتاها ، ففتى ؟ فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ، ومضوا يتخطّون القهائل ، حتى انتهوا إلى بني شُقرة وعبيد الله ابن الحسن يعلّو ، فلما فرغ من صلاته قالوا : قد جئناك في أمرٍ قد دعّتنا إليه ضرورة ، وشرحوها له خبّرهم ، وسألوه الجواب ، فقال :

• إِنْ أَلَّتِي نَاولَتْنِي فَرَدَدْتُهَا •

هَتَفَ بِهَا الْمَرْزُوجَةُ بِالْمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : مِنْ بَعْدِ : كِلْتَاها حَلَبُ الْعَصِيرِ ، يَرِيدُ الْحَمْرَ الْمُحْتَلِبَةَ مِنَ الْعَنْبِ ، وَالْمَاءَ الْمُتَحَلِّبَ مِنَ السَّحَابِ ، الْمَكْنَى عَنْهَا بِالْمُعْصِرَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ ، قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ الْأَوْحَدُ الْعَالِمُ أَبُو مُحَمَّدٍ أَدَامَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ : فَهَذَا مَافِسرُهُ بِهِ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ .

وقد بقي في الشعر ما يحتاج إلى كشف سرّه ، وتبيان نُكْتِهِ ، أما قوله :

إِنْ أَلَّتِي نَاولَتْنِي فَرَدَدْتُهَا فقلت فقلت ...

فإنه خاطب به السّاقى الذي كان ناوله كأساً ممزوجة ، لأنه يقال : قُلْتُ الْخمر إِذَا مَزَجْتَهَا ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ فُطِنَ لِمَا قَدْ فعله ثم ما اقتنع منه بذلك

حتى دعا عليه بالقتل في مقابلة المزج . وقد أحسن كل الإحسان في تجنب اللفظ ،  
ثم إنه عقب الدعاء عليه بأن استعطي منه ما لم تقتل - بمعنى العُرف - لئلا لم يمزج .

وقوله : أرخاها للفصل ، يعني اللسان ، ومُسمى مِفْصَلًا بكسر الميم ، لأنه به  
يفصل بين الحق والباطل ، وليس فيما اعتمده عبید الله بن الحسن من الإسماح  
وخفض الجناح ، ما يقذف في نزاهته أو بغض من نُبله وبراعته .

ويضارع هذه الحكاية في وطأة القضاة المتقشفين المستغنين وتلايئهم في  
مواطن الآين ، ما يحكي أن حامد بن العباس ، سأل علي بن عيسى في ديوان  
الوزارة عن داء الخُجَر ، وعن دوائه ، فأعرض من كلامه ، وقال : ما أنا وهذا  
للسألة انخجل حامد منه ، ثم التفت إلى قاضي القضاة أبي عمرو ، فسأله عن ذلك  
فتنصحه القاضي لإصلاح صوته ، ثم قال : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ تَرْسُولُ  
نُحَذِّوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام :  
« استمعينوا على الصناعات بأهلها » . والأعشى هو المشهور في الجاهلية بهذه  
الصناعة ، قال :

وكلسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَوَّيْتُ مِنْهَا بِهَا <sup>(٢)</sup>  
لَكَ يَلْمُ النَّاسُ أَنِّي أَمْرُو أُنَيْتُ الْمُرُوَّةَ مِنْ هَاهُنَا

ثم تلاه أبو نواس في الإسلام ، فقال :

دُعْ هُنَاكَ لَوْ مَيَّ فَإِنَّ الْأَوْمَ إِغْرَاهُ وَدَاوَنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ <sup>(٣)</sup>

فأسفر حينئذ وجه حامد ، وقال لعلي بن عيسى : ما ضرك يا بارد أن نجهب

(١) سورة المائدة ٤١

(٢) دايونه ١٧٣

(٣) ديوانه ٢٣٤

بعض ما أجاب به قاضي القضاة ؛ وقد استظهر في جواب المسألة بقوله سبحانه  
 أولا ، ثم يقول الرسول عليه الصلاة والسلام ثانياً ، وبين الفنيا وأدى المعنى ،  
 ونفعي من المهدة . فكان خجل علي بن عيسى من حامد بهذا الكلام  
 أكثر من خجل حامد منه ، لما ابتداء بالمسألة وتبع حسان مسلم بن الوليد ،  
 فقال وأحسن :

إذا شئتُ أن نَسْقِيَا مُدَامَةً      فلا تَقْتُلَاهَا كُلَّ مَيِّتٍ مُحَرَّمٍ<sup>(١)</sup>  
 خَلَطْنَا دَمًا مِنْ كَرَمِهِ بِدَمَانِنَا      فَأَظْهَرَ فِي الْأَلْوَانِ مَنَا الدَّمَ الدَّمَ  
 وقال أبو نواس في العُصْرَف :

وَكُمَيْتٍ أَرَقَّتْهَا وَهَجُ الشَّمْسِ      وَصَيْفٌ يَفِي بِهَا وَشَتَاءُ  
 لَمْ يَشْنِهَا الطَّاهِي بِطَبِخٍ وَلَا غَيِّبَ      رَهَا عَنْ طَبِيعَةِ الْكَرَمِ مَاءُ  
 وقال فيه أيضاً :

تَوَارَتْ عَنِ الْأَبْصَارِ مِنْ عَهْدِ آدَمَ      حِذَارًا لِكُنُوفِ الْمَاءِ بِوَمَا قَرِينُهَا<sup>(٢)</sup>  
 فَصْنَمُهَا عَنِ الْمَاءِ الْقَرَارِ وَأَسْقَى      فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَسْقِ مَيِّتَ دُونَهَا  
 على أنه القائل :

أَلَا دَارَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى تَلِينَهَا      فَلَنْ نَكْرَمَ الدَّمَّ بِهَا حَتَّى تَهَيِّفَهَا  
 وقال أبو نواس لإخوانه في مرض موته : إياكم والخمر صرِفًا فَإِنَّهَا أُحْرِقَتْ  
 كبدي ، قال ابن رشيقي :

قَدَرُ الْمُدَامَةِ فَوْقَ قَدَرِ الْمَاءِ      فَارْغَبْ بِكَ أَسْكَ عَنْ سِوَى الْأَكْفَاءِ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ١٧٩ .

(٢) ديوانه ٣٤٩ .

(٣) التنف .

مالي ومزجَ الرّاح إلّا في في      بالريق من فم غادة حساء  
ذاك المزاج وإن تعدّاني الذي      في لزن من ذى رقّة وصفاء  
أشهى وأبلغ في الفؤاد مسرة      من غيره وأدب في الأعضاء  
لي العرف إن زج القديم ولم أكن      مستأثراً فيها من الندماء

وقال أيضاً :

قلت لمن ناواني مودة      ما بي حبّ الغيد بل حبّها<sup>(١)</sup>  
لا تسقى راحك ممزوجة      واشرب فسا يمكني شربها  
ما راحتي في الرّاح إن غيّرت      دعها كما جاء بها ربّها

ونصل بهذا النمط ، ما قيل في نبذ الزيب ، قال أبو الأسود الدؤلي :

دع الخمر يشربها الفؤاد فإنتى      رأيت أخاها مغنياً بمكائها  
فلن لا يكفها أو تكله فإنه      أخوها غداة أمه بلباها

يقول : إن لا يكن الزيب الخمر أو الخمر الزيب ، فإنهما أخوان غديا باين واحد  
وهي الحبة التي هي أصل العنب والزيب ؛ فأحدهما ينوب مناب الآخر ،  
وأنشد الحامضي :

تركت الحما لتأختر شربها      وما حاجتي في أن أمر الأعدا  
ولكن أخرى من نبذ معق      بمنّيك إن أكثرت منه الأمانيا  
أخو الخمر من عنقودها غير أنهم      إذا قطعوها جفّوه لباليا

قال المأمون : نقلت هذا المعنى بأبيات ملوكية لا تحضر السوق بمثلها :

صَلَّى النَّذْمَانِ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ      بِكَأْسٍ مِنْ مَعْتَقَةِ الدَّانِ  
 بِكَأْسٍ خمرٍ وَإِنِّي عَتِيقٌ      فَإِنَّ الْعَبْدَ عَبْدٌ خَمْرَوَانِي  
 وَجَنَّبَنِي الزَّيْبِيَيْنِ طَرَا      فَشَانَ ذَوِي الزَّيْبِ خِلَافَ شَانِي  
 فَأَشْرَبُهَا وَأَزْعَمُهَا حَرَامًا      وَأَرْجُو عَفْوَ رَبِّ ذِي امْتِنَانِ  
 وَيُشْرِبُهَا وَيَزْعُمُهَا حَلَالًا      وَتِلْكَ عَلَى الشَّقِيِّ حَسَارَتَانِ

سأل رجل شريحاً القاضي : هل النبيذ حلال أم حرام ؟ فقال : حلال ، فقال :  
 قليله خير أم كثيره ؟ قال : قلبه ، قال الرجل : مارأيت حلالاً وقليله خير من  
 كثيره إلا هذا .

وقال قُتَيْبَةُ بْنُ مَسْلَمٍ لقاضي مَرَوْ : بلغني أنك شربت النبيذ ، قال : نعم  
 أصلحك الله ! أشربُ منه ما يسلي العقل ويطيب النفس ، ويُغني عن الماء ، ويهضم  
 الطعام ، قال : فما أبقيت ؟ قال : أبقيت أخْبَثَهُ وأَرْدَاهُ ، الاتسكاه على الشمال ،  
 ومنادمة الرجال ، والاختلاف إلى المبال .

وترك رجل النبيذ فقليل له : لِمَ تركته وهو رسول السرور إلى القلب ؟ فقال :  
 ولكنه بئس الرسول ! يُبْعَثُ إلى الجوف فيذهب إلى الرأس .

• • •

قوله لَمْ نَزِم : هو سِنَانُ الرُّمَح . بنت الكرم : الخمر ، وتجنمبها :  
 حملها . والطاس : إناء الخمر كالإبريق يصب منه الشراب في الكأس ،  
 وجمعه طاسات ، قال النابسي :

وَكُنَّا طَاسَاتٍ تَمَّا حَزَلْنَا      مِنْ نَوْرِهَا يَسْتَحْجِنُ فِي ضَحَضَاحِ  
 لَوُبُّثْ فِي غَسَقِ الظَّلَامِ ضِيَاؤُهَا      طَلَعَ الْمَسَاءُ بَغْرَةً الْإِصْبَاحِ

[ مما قيل في ذم الغناء ومدحه ]

وقدّم في المقامة أنه لا يجتزمها إلا مصحوبة بالفينة، أي لا يشربها إلا بالغناء .

وقد ذموا الغناء ومدحوه ، فأما ذمه ، فقال السكندى : الغناء يرُسّام حادّ ، لأن المرء يسمع فيطرب ، يسمح فيفتقر ، فيغمّ فيمرض فيموت .

وقال يزيد بن الوليد : إياكم والغناء فإنه يُسقط المروءة ، وينقص الحياء ، ويبدى العورة ، ويزيد في الشهوة ، وإياه ليتنوب عن الخمر ، ويصنع بالعقل ما يصنع به السكر وإن كان ولا بد فجنّبوه النساء ، فإن الغناء داعية الزنا .

وأما مدحه فقال ربيعة بن عبد الرحمن : السماع مطربة ، وهو من نتيجة العقل ، فمن كره السماع ، دلّ بذلك على قلة عقله .

وقال بعض الفلاسفة ، جعلت اللذات خمسا في خمس ، فجعل الملس لليدين ، والشمّ للمنخرين ، والسمع للأذنين ، والذوق للسان ، واللون للعينين ، وعلى كلّ جارحة تعب من اللذات إلا النّعمة ، فإنه لا تعب هلى الأذنين فيها ، ولذلك صار الناس كلّهم عربّهم وعجميّهم ، صغيرهم وكبيرهم مشتركين في الإصاخة إلى النّعمة الحسنة ، والصوت المستمتع ، متباينين في غير ذلك . وقد يوجد أكثرها في أكثر الحيوان كالخيل يصفر لها عند الشرب ، فتشرب والإبل يحمدى لها فتنفاد ، قال الشاعر :

فليس الشراب إلاّ بالملاهي وبالحرّكاتِ في بتم وزير  
فلا تشرب بلا طرب فإني رأيت الخيل تشرب بالصغير  
وقال آخر :

فانظر إلى الإبل لقي هي - وبك - أغلظ منك طنبما

تُصْنِي إِلَى صَوْتِ الْحَدَا : فَتَقْطَعُ الْفَلَوَاتِ قَطْمًا  
 قَوْلُهُ : التَّفَاضِي أَيْ التَّفَافِلُ - عِرْيِيدُ : سَيِّءُ الْأَخْلَاقِ عِنْدَ مُكْرِمِهِ ، وَهُوَ  
 الَّذِي يُوْذِي يَدَيْهِ وَلِسَانَهُ أَصْحَابِهِ . رِعْدِيدُ : جَبَّانٌ فَرَّاحٌ . بَوْنُ : فَضْلٌ وَمَرْبِيَّةٌ  
 مِنْ ذِي عَلَقٍ ، أَيْ مِنْ صَاحِبِ مَحَبَّةٍ ؛ هُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ مَنْ يَنْظُرُ بَوْدَ وَمَحَبَّةَ  
 ابْنِ طَرِيفٍ : الْعَلَقُ : الْحُبُّ ، وَعَلَقُ فُلَانٍ فُلَانَةً ، أَيْ أَحَبَّهَا . وَاللَّهُ لَإِذَا .

## المقامة السادسة والثلاثون المملطية

أخبر الحارث بن همام قال : أَنخْتُ بِمَلْطِيَّةَ مَطِيَّةَ الْبَنِينَ ،  
وَحَقِيقَتِي مَلَأَى مِنَ الْآمِينَ ؛ جَعَلْتُ هَجِيرَايَ ، مُذْ أَلْقَيْتُ بِهَا عَصَايَ ؛  
أَنْ أَتَوَرَّدَ مَوَارِدَ الْمَرْحِ ، وَأَتَصَيَّدَ شَوَارِدَ الْمِلْحِ ؛ فَلَمْ يَفْتِنِي بِهَا  
مَنْظَرٌ وَلَا مَسْمَعٌ ؛ وَلَا خَلَا مِنِّي مَلَمَبٌ وَلَا مَرْتَعٌ ؛ حَتَّى إِذَا لَمْ  
يَبْقَ لِي فِيهَا مَأْرَبٌ ، وَلَا فِي الثَّوَاءِ بِهَا مَرْغَبٌ ، تَعَمَّدْتُ لِإِنْفَاقِ  
الذَّهَبِ فِي ابْتِياعِ الْأَهَبِ . فَلَمَّا أَكْمَلْتُ الْأَعْدَادَ ، وَهَيَّيْتُ الظَّمَنُ  
فِيهَا أَوْكَادَ ، وَجَدْتُ بِهَا تِسْعَةَ رَهْطٍ قَدْ سَبَتُوا قَنَوَةَ ، وَارْتَبَتُوا  
رَبْوَةَ ، وَدَمَّائَتُهُمْ قَيْدُ الْأَلْحَاطِ ، وَفُكَاةَتُهُمْ حُلُوءُ الْأَلْفَافِ ،  
فَنَحَوْتُهُمْ طَلِبًا لِنَادِمَتِهِمْ لَا لِمُدَامَتِهِمْ ، وَشَغَفًا بِمَازَجَتِهِمْ  
لَا بِزُجَاجَتِهِمْ .

• • •

أَنخْتُ الْمَطِيَّةَ : صَيَّرْتُهَا بَارَكَةً بِالْأَرْضِ .

[ ذكر مملطية ]

مَطَايِيَّةٌ : بِلَادُ الْجَزِيرَةِ ذَاتِ أَنْظَارٍ وَقُرَى ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرِّقَّةِ خَمْسُونَ  
فَرَسَخًا ، وَالرِّقَّةُ : أُمُّ قُرَى الْجَزِيرَةِ ، وَذَكَرَهَا الْمَسْعُودِيُّ فِي شِعْرِهِ فَقَالَ :

وَلَمْ يَحْلُبُوهَا مِنْ وَرَاءِ مَلْطِيَّةٍ نَصْدَعُ أَجْبَالٍ بِهَا وَأَكَامُ

(١) ضَبَطَهَا يَاقُوتُ : « بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَثَانِيهِ وَتَخْفِيفِ الْيَاءِ » قَالَ : وَالْعَامَّةُ تَقُولُ بِتَشْدِيدِ  
الْيَاءِ وَكَسْرِ الطَّاءِ .

(١٣ - شرح مقامات الحريري ج ٤)

وقيل : مَلَطِيَّةٌ فِي نَهْرِ الشَّامِ .

قال اليعقوبي : مَلَطِيَّةٌ هِيَ الْمَدِينَةُ الْعَظْمَى ، وَكَانَتْ قَدِيمَةً فَأَخْرَبَهَا الرُّومُ ، خَبَنَاهَا الْمَنْصُورُ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا سُورًا وَاحِدًا ، وَنَقَلَ إِلَيْهَا عِدَّةَ قَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ ، قَالَ : وَهِيَ فِي مَسْتَوٍ مِنَ الْأَرْضِ يَحِيطُ بِهَا جِبَالُ الرُّومِ ، وَمَاوَاهَا مِنْ عَيُونٍ وَأَوْدِيَةٍ مِنَ الْفَرَاتِ ، وَخَفَّفَهَا الْمُنْجَبِيُّ ضَرُورَةً فَقَالَ :

وَكُرَّتْ فَذَرْتُ فِي دِمَاءِ مَلَطِيَّةٍ مَلَطِيَّةُ أُمِّ لِلْبَنِينَ تَكُولُ<sup>(١)</sup>

قوله : مَطِيَّةُ الْبَيْنِ ، يَرِيدُ نَاقَةَ السَّفَرِ ، أَيْ أَقَامَ بِهَا وَتَرَكَ السَّفَرَ . الْحَقِيقَةُ : وَمَاءُ الرَّحْلِ . وَالْعَيْنُ : الْفُضَيْيَّةُ . هَجِيرَايَ : عَادَتِي . وَأَتَى بِهَا عَصَاهُ ، أَيْ أَقَامَ بِهَا وَتَرَكَ السَّفَرَ . أَنْوَرَدَ : أَطْلَبُ وَأَدْخُلُ ، وَتَوَرَدَتِ الْإِبِلُ الْمَاءَ : دَخَلَتْهُ قِطْعَةٌ قِطْعَةً . وَالْمَرْحُ : الْفُضَيْيَّةُ . شَوَارِدُ : نَوَافِرُ ، وَأَرَادَ أَنَّهُ أَنْبَغَ نَفْسَهُ جَمْعَ الْفُضَيْيَّاتِ بِمَلَطِيَّةٍ وَشَاهَدَهَا . مَرْتَعٌ : مَوْضِعٌ خَصِيبٌ كَثِيرُ الطَّعَامِ . مَارَبٌ : حَاجَةٌ . التَّوَاهُ : الْإِقَامَةُ . عَمِدَتْ : قَصَدَتْ . ابْتِيعَ الْإِهَابُ : اشْتَرَا الْمُدَّ لِلسَّفَرِ . الظَّمَنُ : الْارْتِمَالُ . الرَّهْطُ : الْجَمَاعَةُ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ . سَبَّحُوا قَهْوَةً : اشْتَرَوْا تَارْتِيْمُوَارِبُوتَ : طَاعُوا كَذِبَةً ، وَقَالَ الْحَسَنُ :

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ قَدْ صَرَفْتُ مَطِيَّةَهُمْ إِلَى بَيْتِ خَمَارٍ نَزَلْنَا بِهِ مُظْهِرًا<sup>(٢)</sup>

أَتَيْنَا يَهُودِيَا تَجَمَّلُ ظَاهِرًا

وَيُضْمِرُ فِي الْمَكْنُونِ مِنْ مِرَّةِ الشَّرَا

فَجَاءَ بِهَا زَيْنَبَةُ ذَهَبِيَّةٌ فَلَمْ نَسْتَطِعْ دُونَ السُّجُودِ لَهَا صَبْرًا

خَرَجْنَا عَلَى أَنَّ الْمَقَامَ ثَلَاثَةٌ فَطَابَتْ لَنَا حَتَّى أَقْنَا بِهَا شَهْرًا

(١) ديوانه ٣ : ١٠٢ .

(٢) ديوانه ٢٧٢ مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات .

وقال في شراء الخمر بثيابه :

نَجَوْتُ مِنَ اللّصِّ الْمَغِيرِ بِسَيْفِهِ إِذَا مَارَمَاهُ بِالْتَّجَارِ سَبِيلٌ<sup>(١)</sup>  
وَاصَلْتُ<sup>(٢)</sup> خَارًا عَلَى بَخْمَرَةٍ فَرَّاحٌ بِأَنْوَابِي<sup>(٣)</sup> وَرُحْتُ أَمِيلٌ

وقال الأمير تميم بن المعز :

شَرَبْنَا عَلَى نَوَاحِ الْمَطْوِقَةِ الْوُرْقِ وَأَرْوَدِيهِ الرَّوْضِ الْمَلْفَقَةِ الْبُلْقِ<sup>(٤)</sup>  
مَعْتَقَةً أَفْنَى الزَّمَانِ وَجُودَهَا لَخَاءَتِ كَفَوْتُ اللَّحْظِ أَوْ رَقَّةَ الْعَشْقِ  
كَانَ السَّحَابُ الْفَرَّ أَصْبَحْنَ أَوْ كُؤُسًا

لَنَا وَكَانَ الرَّاحَ فِيهَا سَنَا الْبَرْقِ  
فَبَقْنَا نَحْتُ الْكَأْسَ حُثًا وَإِنَّا لَنَشْرِبُهَا بِالْحَثِّ صِرْفًا وَنَسْتَسْقَى  
إِلَى أَنْ رَأَيْتِ النَّجْمَ وَهُوَ مَغْرَبٌ

وإقبال<sup>(٥)</sup> رَايَاتِ الصَّبَاحِ مِنَ الشَّرْقِ

كَانَ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرِ طَالِعٌ

بَقِيَّةُ لَطْنِ الْكُحْلِ فِي الْأَعْيُنِ الزَّرْقِ<sup>(٦)</sup>

وأحسن في هذا المعنى ما شاء ، إلا أنه جعل شربنا في الروض على نوح الحمام ،  
ولو عوض من لفظ « النوح » لفظ الغناء أو التزويد لكان أنتم للذاته ، كما  
قال ابن الرومي :

وَأَذْكِي نَسِيمَ الرُّوْضِ رِيْمَانَ ظِلِّهِ وَغَى مَعْنَى الطَّيْرِ فِيهِ فَرَجَمًا<sup>(٧)</sup>

(١) ديوانه ٣٢٣ (٢) ديوانه : « وسلطت »

(٣) الديوان : « بأسلابي »

(٤) ديوانه ٢٩٦ وفيه : « الملقوفة » .

(٥) الديوان : « وأقبل »

(٦) الديوان : « بقايا مجال الكحل في الأعين الزرق » .

(٧) نقله البارودي في مختاراته ٤ : ٧٥ .

وكانت أهازيج الذباب هنا كمُ على شدوات الطير صوتاً موقماً  
وقال آخر :

وكأسٍ كريقٍ الإلف شَغَشَمَهَا به

وعيشي من هذا الشراب المُشَغَم

إذا ما ثمرِ بنا كأسها صبّ فضلها على رَوْضِنَا للمُسمع المُتخَلع

المسمع : المتغنى ، بمعنى به الذباب الذى ذكره عنقرة فى قوله :

فقرى الذباب بها يُغْنَى وحده هَزِجًا كفعل الشارب المترنم<sup>(١)</sup>

وإنما ذكر الحريرى الرّبوّة ، لأنّ الثّبات فيها أحسن وأسلم من نبات  
الانخفاض ، لأنّ نبات الانخفاض وَخِم ، قال الله تعالى : ﴿ كَثَلْ جَنَّةٍ  
بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلهَا ضَعْفَيْنِ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقال المتغنى<sup>(٣)</sup> :

• نحنُ نَبَتْ الرُّبَا وأنت الغمام •

قوله : دماثهم قيداً للألحاظ ، أى سهولة أخلاقهم تؤيد عيون الناظرين إليهم ؛  
حتى لا ينظروا إلى غيرهم ، قال ابن المعتز :

مَنْظَرُهُ قَيْدُ عُيُونِ الْوَرَى فليس خَلَقَ يَتْلَقُهُ

نحوتهم : قصدتهم . شفقاً : حُبّاً .

• • •

(١) من المعلقة ص ١٨١ - بشرح التبريزى ، ورواية البيت هناك .

وَحَلَا الذَّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِيَارِحٍ غَرِدَ كَفِعَلِ الشَّارِبِ الْمَتَرْنِمِ

(٢) سورة البقرة ٢٦٥ (٣) ديوانه ٣ : ٣٤٣ ، وصدّره :

أَيْنَ أَرَمَنْتَ أَيُّهَا الْهَامُ

(٤) ديوانه

فَلَمَّا انتَظَمْتُ عَاشِرَهُمْ ، وَأَصْنَعْتُ مَعَاشِرَهُمْ ، أَلْفَيْتُهُمْ أَبْنَاءَ  
عَلَاتٍ ، وَقَذَائِفَ فَلَوَاتٍ ؛ إِلَّا أَنَّ لُحْمَةَ الْأَدَبِ ، قَدْ أَلَفَتْ شَمْلَهُمْ  
أَلْفَةَ النَّسَبِ ؛ وَسَاوَتْ يَدَهُمْ فِي الرُّتَبِ ؛ حَتَّى لَا حُومًا مِثْلَ كَوَاكِبِ  
الْجُوزَاءِ ، وَبَدُّوا كَالْجَمَلَةِ الْمُتَنَاسِبَةِ الْأَجْزَاءِ ، فَأَبْهَجَنِي الْاهْتِدَاءُ إِلَيْهِمْ ،  
وَأَتَّخَذْتُ الطَّالِعَ الَّذِي أَظْلَمَنِي عَلَيْهِمْ ، وَطَفَفْتُ أُفَيْضُ بِقَدْحِي مَعَ  
قِدَاحِهِمْ ، وَأَسْتَشْفِي بِرِيَا حِيهِمْ لِابْرَاحِيهِمْ ، حَتَّى أَدْنُوْنَا شُجُونُ الْمَفَاوِضَةِ ،  
إِلَى التَّحَاجِي بِأَلْمِ قَايِضَةِ ، كَقَوْلِكَ إِذَا عَنَيْتَ بِهِ الْكَرَامَاتِ : مَامِثْلُ  
النُّومِ فَاتِ ؛ فَانْشَأْنَا نَجْلُو السَّهَابَ وَالْقَمَرَ ، وَنَجْنِي الشُّوْكَ وَالثَّمَرَ .

• • •

انتظمت : مرت معهم في نظام واحد ، والنظام الجوهر . معاشرهم :  
مصحابهم . ألفتهم : وجدتهم . أبناء علاتٍ ، أى غرباء من بلاد مختلفة ،  
وبنو العلات : الذين أبوم واحد وأمهاتهم شتى . قذائف فلوات ، أى قد رمت  
بهم القنار ، والطرق المختلفة واحدها قذيفة ، وهى التى يُقذف أى يرمى بها .  
لحمة ، أى قرابة . ألفت شملهم : أى جمعت متفرقهم ، وجعل للأدب لحمة مجازاً ،  
وجعل الأدب يجمعهم كما يجمع بنى العلات الأب ، والبلاد تفرقهم ، كما تفرق  
بنى العلات الأمهات .

[ مما قيل فى المودة بين الشعراء ]

وهذا نحو ما يُحكى<sup>(١)</sup> أَنَّ دِعْبِلَاذَ كَرَّ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَكَفَّرَهُ وَلَعَنَهُ ،  
وَقَالَ : كَانَ يَظْهَرُ عَلَى أَبِي تَمَامٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، دِينًا وَشِعْرًا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ  
مَنْ حَضَرَ : لَوْ أَنَّ أَبَا تَمَامٍ أَخُوكَ مَازِدَتْ عَلَى مَدْحِكَ لَهُ ، فَقَالَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ

(١) الخبر فى أخبار أبي تمام للصولى ٦١ ، ٦٢ .

أخى فى النسب ، فهو أخى فى اللوة والأدب ، أما سمعت ما خاطبني به «  
وأنشد لأبى تمام :

إن كان يجمعنا الإخاء فإننا      نفدو ونسرى فى إخوان تاليد<sup>(١)</sup>  
أو يفتقر نسبٌ يؤلف بيننا      أدب أقمناه مقامَ الوالد  
وكرر أبو تمام هذا المعنى ، فأحسن بقوله :

ذو الودى وذو القربى بمنزلة      وإخوتى أسوةً عندي وخيلاني<sup>(٢)</sup>  
عصابة جاورت آدابهم أدبي      فهم وإن فرقوا فى الأرض جيرانى<sup>(٣)</sup>  
أرواحنا فى مكانٍ واحدٍ وغدت      أجسامنا فى عرقٍ أو خراسان  
وأنشد إسحاق الموصلى :

يقولون لى هل من أخٍ أو قرابة      فقلت لهم إن الشكول أقاربُ  
نسيبى فى رأى وهزى ومذهبي      وإن باعدتنا فى الولاء المناسبُ  
وليس أخى إلا الصحيح وداده      ومن هو فى وصلى وقرنى راغبُ  
وكان لسليمان بن وهب نديم يأنس به ، فمرَّ به ليلةً فطرحه وجفاه  
فوقف له بالطريق ، فلما مرَّ به وثب إليه ، ثم قال : أيها الوزير ، لانتكُن فى  
أمرى إلا كما قال على بن الجهم :

القوم أخذانُ صديقٍ بينهم نسبٌ      من المودة لم يعدلَ به نسب<sup>(٤)</sup>  
تراضعوا دِرَّةَ الصَّهْبَاءِ بينهم      فأوجبوا الرضيع الكأس ما يجبُ  
لا يحفظون على السَّكران زَلَّتْهُ      ولا يربيك من أخلاقهم ريبُ  
فقال : قد رضيت عنك رضا صحيحا ، فعدّ لشانك .

(١) ديوانه ٨٦ ، وبعده :

أو يختلف ماهِ الوصالِ فإونا      عذبٌ تحدّر من غمامٍ واحدٍ  
(٢) وفيه : « وإخوانى » ..  
(٣) الديوان : « بشام أو خراسان ،  
(٤) ديوانه ١٠٠ ، ١٠٦ ، الأهاني ١٠ : ٢٤٣

قوله الرنب : أى للنازل الرفيعة . مثل كواكب الجوزاء ، أى فى الإضاءة والرفعة . والجملة المتناسبة الأجزاء ، أى المتَّفَقَّة ، بمعنى مقاديرهم فى الفضل وغيره . متساويةً لاتفاضل بينهم ، كالجملة التى لامزية لبعضها على بعض ، وأقل جملة حسابية أجزاؤها متناحبة لا كسر فى بعضها ولها النصف والثلث والربع والخمس والسادس والسبع والثمن والتسع والعشر هى ألفان وخمسمائة وعشرون ، نصفها ألف ومائتان وستون وثلاثمائة وأربعون ، ورابعها ستمائة وثلاثون ، وخمسها خمسمائة وأربعة ، وسدسها أربعمائة وعشرون وسبعها ثلثمائة وستون ، وثمنها ثلثمائة وخمسة عشر ، وتسعها مائتان وثمانون وعشرها مائتان واثنان وخمسون .

قوله : أبهجنى ، أى أفرحنى أُنحَدَّتْ : وجدته محمودا . الطالع : النجم الذى يسعد به صاحبه وينحس على زعمهم . طفقت : أخذت . أفيض بقدحى : أضرب بسهمى ، وهذا من فعل الميسر . وأراد أنه يمشى كلامه مع كلامهم ويدخل مداخلهم . أدتنا : أوصلتنا . شجون المفاوضة . طارق المراجعة فى الكلام ، والشجون فى الكلام ، تداخله ، واختلاط بعضه ببعض ، والتفاوض : الاندفاع فى الحديث ، وفى المثل : الحديث ذو شجون ، أى ذو فنون وأصله من الشجر المشجون ، وهو الشجر الذى التفَّ بعضه ببعض . التجاجى : التفاوض . المفاوضة : المقارضة . السكرى : النوم . فات ، بمعنى مات ، وأراد أن هذا النوع من الألفاظ هو أن يؤتى بلفظ عوضا من لفظ آخر يتوارد معه على معنى واحد ، والمائلة التى بينهما إنما هى موافقة المعنى . نجلو : نكشف . السها : نجم خفى ، وقرن السها فى خفائه مع القمر فى ظهوره ، وإنما يشير إلى قولهم فى المثل : أريها السها وترينى القمر ، وأواد أهما بأنون بأفظة ظاهرة المعنى ، وأخرى خفية ، فلا يتم لهم شئ .

• • •

وبينا نحنُ نَنْشُرُ الْقَشِيبَ وَالرِّثَّ ، وَنَنْشُلُ السَّمِينَ وَالْمَتَّ ،  
وَعَلَ عَلَيْنَا شَيْخٌ فَذَهَبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ ، وَبَقِيَ خُبْرُهُ وَسَبْرُهُ ؛ فَثَلَّ  
مُثُولَ مَنْ يَسْمَعُ وَيَنْظُرُ ، وَيَلْتَقِطُ مَا تَنْثُرُ ، إِلَى أَنْ نَفِضَتِ  
الْأَكْيَاسُ ، وَحَصَّصَ الْيَاسُ .

فَلَمَّا رَأَى إِجْبَالَ الْقَرَائِحِ ، وَإِكْدَاءَ الْمَاتِحِ وَالْمَاتِحِ ، جَمَعَ  
أُذْيَالَهُ ، وَوَلَّانَا قَذَالَهُ ، وَقَالَ : مَا كُلُّ سَوْدَاءِ تَنْمَرَةٍ ، وَلَا كُلُّ  
صَهْبَاءِ خَمَرَةٍ ، فَاعْتَلَقْنَا بِهِ اعْتِلَاقَ الْحِرْبَاءِ بِالْأَغْوَادِ ، وَضَرَبْنَا دُونَ  
وِجْهَتِهِ بِالْأَسْدَادِ ، وَقُلْنَا لَهُ : إِنَّ دَاءَ الشَّقِّ أَنْ يُحَاصَّ ، وَإِلَّا  
فَالْقِصَاصُ الْقِصَاصُ ؛ فَلَا تَطْمَعُ أَنْ تَجْرَحَ وَتَطْرَحَ ، وَتُنْهِرَ الْفَتْقَ  
وَتُسْرَحَ . فَلَوَى عِنَانَهُ رَاجِعًا ، ثُمَّ جَثَمَ بِمَسْكَانِهِ رَاصِعًا ، وَقَالَ :  
أَمَّا إِذَا اسْتَبْرَأْتُمُونِي بِالْبَحْثِ ، فَلَا أَحْكُمُ حُكْمَ سُلَيْمَانَ فِي الْحَرْثِ .

\* \* \*

القشيب : الثوب الجديد. الرث : الخلق . نشل : نخرج النشيل ، وهو  
لحم يطبخ بلا نابل ثم يُنشَل ، أى يُخرج بالنشَل ، وهو حديدة معقمة . ذهب  
حبره وسبزه : هيئته ولونه ، قال الفراء : من قولهم : جاءت الإبل حسنة الإخبار  
والإسبار ، قال الأصمعي رحمه الله : هي الجمال والبهاء وآثار النعمة ، يقال : فلان حسن  
الحبر والسبر ، إذا كان جميلًا حسن الهيئة ، وفي الحديث : يخرج من النار رجل  
قد ذهب حبره وسبزه ، أى قد ذهب جماله وبهاؤه ، وسمى الحبر حَبْرًا لأنه يزين  
الكتابات ، ويحسن القرطاس ، وحبرت الشيء زينهته ، وقيل إنه سُمي حَبْرًا لأنه  
يؤثر في القرطاس ، فيكون علامة فيما يقع فيه ، ويقال للأثر : حبرة وحبار ،

والسَّيْر: الأصل واللون والهيئة والمنظر، والسَّيْر ما يدلُّ به على لون الدابة وكرمها، ويروى حَبْرُه وسَيْرُه، بكسر أو لهما وفتح، فإذا كسرا كانا اسمين، وإذا فتحا كانا مصدرين، وحَبْرُه علمه، وسَيْرُه قياسه. مثل: تَمَثَّل قائماً. الأكياس: أوعية الدرام، ونفضت: ألقى ما فيها، وأراد فراغ كلامهم. وحَضَنَص: تبَيَّن، اليأس: ضد الرجاء. إجبال القرائح: انقطاعها عن الكلام. إكداء: صعوبة، وأصل هذا في البئر، فأول ما يرشَّع من ماءها هو القريحة، ثم نقل إلى الطبيعة والذهن، وأجبل الحافر: إذا حال بينه وبين الماء جبل، وأكْدَى: حال بينه وبينه كُدْية، والجبل والكدية حجارة وصلابة تعرِّض في البئر، لا يمكن حفرها معها، ثم يقال: أكَدَى أى قَلَّ حَبْرُه وأجبل الشاعر، أى انقطع شعره. وأكْدَى فلان عطائى، أى قطعه وقَلَّ خيرُه، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾<sup>(١)</sup>. والماتح: المستسقى على فم البئر. والماتح: النازل إلى قعرها ليلاً الدَّلاء ويفرِّق بينهما بنقطة الحرف الذى قبل آخرهما، فماتح كاننا فوق الحرف، فالمستسقى فوق البئر لكثرة الماء، وماتح كاننا تحته فالمستسقى في قعر البئر ليلاً الدَّلاء بيده، وذلك لقلة الماء، وإذا تكاثرت الدَّلاء عليه، وكثُر صياح الناس عليه من رأس البئر، وكل يرغب ليلاً دلوه، فيأخذ دلوً مَنْ لآماله فيضرب به رجا البئر، أى جانبه ليرتدع الناس عنه، ثم يضرب مثلاً للمُهان، قال الشاعر:

فلا يُرَمَى بى الرَّجَوَانِ إِنْى أَقَلَّ القومَ مَنْ يُغْنِي مَكَانِي<sup>(٢)</sup>

وقالت جارية من العرب تستعطفه:

يأتيها الماتحُ دلوً دُونَكَ إِنْى رأيتُ النَّاسَ بِمَحْدُونِكَ<sup>(٣)</sup>

(١) سورة النجم ٣٤.

(٢) اللسان - رجا

(٣) اللسان - مبيح.

ومن أمثالهم : أبصر من المائع ياست للمائع .

وأنشد الفنجدية :

يا مائع العين حُدِمَتْ الرَّذَى

من حوض هذى العين كم تستقي

من شيمة الماء انحدار فم ماء جفوني أبدا يرقي

قوله : جمع أذياه : شمر ثيابه للقيام . قذاله : قفاه .

ما كل سوداء تمر ، مثل . والسوداء تستعمل للتمر والفحمة فيقول :  
ما كل الكلام سهل فتعاطونه وما كل ما جئتم به بفاق فيدخل في باب المقايضة ،  
وهو مثل يضرب في موضع التهمة .

والصهباء : من أسماء الخمر ، والصبية أن تعلق الحرة شقرة وأصوله سود .

[ الحرباء وما ورد فيها من الشعر ]

الحرباء : دويبة تستقبل الشمس بوجهها إذا استوت في كبد السماء ،  
وإن لم يأت لها الفرصة بوجهها تملكت وتقلبت ، ولم تزل في قلق حتى تميل  
الشمس ، فستقبلها - أعنى قُرْصها - بوجهها حتى تغرب وهي في طول يومها ،  
لاتأكل شيئا ، فإذا جاء الليل ذهب تبنى مانأكل ، والأثني منها حرباء .

وقال أبو عبيدة : الحرباء تستقبل الشمس برأسها أبدا ، يقال : إنما تفعل  
ذلك لتتقى جسدَها برأسها ، وقيل : الحرباء ذكر أم حُبِين ، وفي صدره استرخاء  
وقُرب من الأرض ، فإذا حيت الأرض بالشمس خاف على صدره أن تحرقه  
الأرض لازوقه بها ، فيصعد على عود شجرة ، فليتزمه بهديه ، ويجعله بينه وبين  
الشمس ، ويضرب به المثل في الذشب بما تعلق به ، وذلك أنه إذا تعلق بعود  
الزئمه ، وقبض عليه فلا يفارقه ، حتى يستوثق من آخر ، فيضرب المثل به ،  
فيقال : أحزم من الحرباء . وقال قيس بن الحداية :

بانت سعاداً فأمسى القلبُ مشتاقاً وأفلقتها نوى الإزماح إقلاقاً<sup>(١)</sup>  
واحترت حاديهُمُ بزلاً مخيصةً كُوم الذرا مدد الأعضاء أفيافاً  
أننى أتبيح لها حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا مُمسكا ساقاً

والساق : ساق الشجرة ، والتنضب : شجر يتعلق بأعواده الحرباء ،  
فيقال حرباء تنضبه ، كما يقال : ذئب غضى . وقال الأزهرى رحمه الله تعالى :  
الحرباء دويبة على خِلقةٍ سام أبرص ، ذات أربع قوائم دقيقة الرأس مخططة  
الظهر ، وأكثر الشعراء من ذكر الحرباء وتشبيهها ، ومن جَيد ذلك قول  
ذى الرمة :

ودويبةٍ جرّاء جِداء خيتم

بها هفوات الصنيف من كل جانب<sup>(٢)</sup>  
كان يدي حرباءها مقشمةً يداً مذنب يستغفر الله نائب  
وقال آخر :

وقد جعل الحرباءُ بصفرَ لونه ويخضرّ من لفح المعجير غباغبه<sup>(٣)</sup>  
وبشبح بالكفّين حتى كأنه أخو نجوة عالى به الجذع صالبه<sup>(٤)</sup>  
وقال أيضاً :

يظلّ بها الحرباء للشمس مائلًا على الجذل إلا أنه لا يُكبر<sup>(٥)</sup>  
إذا حول الظلّ العشي رأيتُه حنيفًا وفي قرن الضحى يفتصر

(١) البيت الثالث ، من أبيات ثلاثة في ديوان أبي دواد الإيادي ٣٢٦ .

(٢) ديوانه ٧٨ .

(٣) ديوانه ٤٧ ، وفي ط : « عباغبه » ، وصوابه : من الديوان ، والقباهب : الجلد ، واحده غنقب .

(٤) يشبح : يعد كفيه ، كأنه مصلوب .

(٥) ديوانه ٢٢٥ ، وحاسة ابن الشجرى ٢٢٦ ، وفي ط : « الجذع » ، وما أنتهـ

من الديوان .

غدا أكهب الأعلى وراح كأنه

من الضحّ واستقبله الشمس أخضر<sup>(١)</sup>

أخبر أنه يدور مع الشمس في وقت الزوال ، حتى تكون الشمس في  
هذاه القبله ، فكأنه باستقباله لها في ذلك الوقت مُسَلِّمٌ يصلّي لها ، وفي الضحى  
تكون في وجه المشرق ، فكأنه نصرانيّ فيستقبلها بصلاته .

قال ابن الرومي :

ما بألها قد حسّنت ورقبها أبداً قبيحٌ قبح الرّقبا

ماذاك إلا أنها شمس الضحى أبداً يكون رقيبها الحربا

قوله : وجهته ، أى جهته . والسدّ : الحاجز بين الشينين . يحاص : يحاط ،  
ويقال : حاص ثوبه وعين صقره وشقوق رجلينه حوصاً وحياسة : خاطها ،  
وقيل : الحوص : الخياطة بعد رقعة ، ولا يكون إلا في جلد ، وأنشد يعقوب :

ترى برجلينه شقوقاً في كلّغ من باري حيص ودام مُنسلخ<sup>(٢)</sup>

الكلّغ : الوسخ ، ومنسلخ : متشقق . القصاص : أخذ الحق في الجنائيات .  
وتنهر : توسّع فترده كالنهر . الفتق : الخرق . وتشرّح : تذهب . لوى  
عنانه : أماله وعطفه . جثم : برك . راصما : لاصقاً بالأرض والرّصع : تباعد  
ما بين الركبتين ، ورصع بالشئ يرصع رُصوعاً إذا لازمه . استترتموني :  
طلّبتموني واستخترجتم ما عندي . والبحث : المناقشة في السؤال ، وأصله الصيد  
تقول : استترت الصيد ؛ إذا بحثت عليه حتى تقيمه من مرقده .

[ قصة سليمان في الحرث ]

قوله : حكم سليمان في الحرث . كان سليمان عليه السلام ، فيما ذكروا

(١) أكهب : أغبر إلى السواد . والضح : الشمس ، وقيل الضح : ما طامت عليه الشمس

(٢) اللسان - كلم ، ونسبه وآخر إلى حكيم بن معية الربيع .

أبيض ، وضيئاً ، جسيماً كثير الشعر ، يلبس من الثياب البياض . فلما بلغ مبلغ الرجال ، كان أبوه في أيام مُلكه يُشاوره في أموره ، وكان هذا الحكم - فيما ذكر من ابن عباس رضى الله عنهما - أن رجلين دخلاً على داود عليه السلام ، أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث : يا نبي الله ، انفلتت غنم هذا في زرع ليلا ، فرثت في حرثي ، فلم تستبق منه شيئاً ، فقال له داود : اذهب ، فإن الغنم لك ، فلكه رقابها بما أكلت من حرثه ، فلما خرجا من عنده خطرا على سليمان عليه السلام ، فأخبراه بقضاء أبيه ، فقال : لو وليتُ أمركا لفضيت بغير هذا . فأخبر داود عليه السلام ، فدعاه وقال له : كيف كنت تقضى بينهما ؟ فقال : أدفع الغنم إلى صاحب الحرث ، فيكون له رسلها ونسلها وصوفها ، ويبذر صاحبها لصاحب الحرث مثل حرثه ، فإذا صار الزرع كهيئته يوم أكل ، أخذ غنمه . فقال داود : القضاء ما قضيت به ، وحكم بقضاء سليمان عليهما السلام .

وقال ابن مسعود وشريح ومقاتل : أراد بالحرث السكرم ، وأن الغنم أكلت قضبانه ، فأفسدته ، فحكم بها داود لصاحب السكرم ، ولم يكن بين الغنم والسكرم تفاوت ، فرثوا بسليمان عليه السلام ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فقال : يعمل الراعى في إصلاح السكرم حتى يعود كهيئته ، ثم يأخذ غنمه .

ومن عجائب حكم سليمان عليه السلام ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : بينا امرأتان معهما ابناهما ، إذ جاء الذئب ، فذهب بأحدهما ، فقالت : هذه إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك ، فاختصما إلى داود عليه السلام ، ففضى به للسكرى فرثا على سليمان ، فأخبرته ، فقال عليه السلام : « اثنياني بسكين أشقه بينكما ، فقالت الصغرى :

لا ويرحمك الله ، هو ابنها ، قضى به للضغري » قال أبو هريرة رضي الله عنه :  
والله إن كنت سمعت بالسكين قبل ذلك ، ما كنت أقول إلا المذبة .

قوله : الشائل : الخلائق والطباع . والشمول الذهبية : الخمر الحمراء .

\*\*\*

[ من وصف الشعراء للخمر ]

وذكر في هذه المقامة أنهم سبئوا قهوة ، وذكر هاهنا أنها في لونها حمراء ،  
والدرب تتمدح بشرب الخمر السبيئة ، ونصفها بالحمرة ، كقول الأعشى ، وهو في  
أوصافها في الجاهليين ، كالحسن في الإسلاميين ، وحبّه فيها صدّه عن الإسلام :

وَسَبَيْتِي مِمَّا تَعْتَقُ بَابِلُ كَدَمِ الدَّبِيحِ سَابِئُهَا جِرْيَالُهَا<sup>(١)</sup>  
وقوله :

فَقَمْنَا وَلَمَّا يَصْنَحُ دِيكُنَا إِلَى خَمْرٍ عِنْدَ حَدَادِهَا<sup>(٢)</sup>  
فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ هَاتِيهَا بِأَدْمَاءٍ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا<sup>(٣)</sup>  
فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً تَسْكُنُنَا بِمَدِّ إِرْعَادِهَا  
كُمَيْتٌ تَكْشِفُ عَنْ خُمْرَةٍ إِذَا ضَرَبَتْ بَعْدَ إِزْبَادِهَا<sup>(٤)</sup>  
فَجَالَ عَلَيْنَا بِإِرْيَقِهِ مَخْضَبُ كَفِّ بَفْرِ صَادِهَا<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ٢٧ . والجريال : صبغ أحمر .

(٢) ديوانه ٦٩ ، ٧١ وفيه : « إلى جونة » ، وهي خاية الخمر . والحداد صاحب الخمر ،  
يحد الناس عنها لنفاسها .

(٣) الأدماء : صادقة اليلبس .

(٤) كيميت : تضرب إلى السواد ، فإذا مزجت ذهب سوادها وصارت حمراء . صرحت :  
ذهب زبدتها .

(٥) الفرصاد : الثوب ؛ إذا كان أحمر اللون .

حَفَرُحْنًا نَفَعْمَنَا نَشْوَةً تَجُورُ بِنَا بَعْدَ إِفْصَادِهَا<sup>(١)</sup>

وقال أبو ذؤيب :

ولا الرّاح راحُ الشّامِ جاءت سَدَبِيَّةٌ لها غايَةٌ تهْدِي الكَرِيمَ عُمَاهُ<sup>(٢)</sup>  
عَفَارُهَا كَمَا التَّبَرُّ لَيْسَتْ بِخَمَطَةٍ ولا خَلَّةٌ يَكْوِي الشُّرُوبَ شَهَاهُ<sup>(٣)</sup>

وقال الحسن :

وَتَحَارَّ أُنْحَتُ عَلَيْهِ لَيْلًا قَلَانُصَ قَدْ تَعَبِنَ مِنَ السَّفَارِ<sup>(٤)</sup>  
فَجَمَجَمَ وَالكَرَى فِي مُقَلَّتَيْنِي كَمَعْمُورٍ شَكَا أَلَمَ الْحُمَارِ  
أَبْنَى لِي كَيْفَ سِيرْتَ إِلَى حَرَمِي وَثُوبُ اللَّيْلِ مَصْبُوغٌ بِقَارِ  
قُلْتُ لَهُ تَرَفَّقْ بِي فَإِنِّي رَأَيْتُ الصُّبْحَ مِنْ خَلَلِ الدِّيَارِ  
فَكَانَ جَوَابُهُ أَنْ قَالَ كَلَّا وَمَا صُبْحٌ سِوَى صُبْحِ الْعُمَارِ  
وَقَامَ إِلَى الدَّانِ فَسَدَّ فَاهَا فَعَادَ اللَّيْلُ مَسْدُولَ الْإِزَارِ

وقال عبد الصمد :

وخِيمةٌ نَاظُورٌ تَعَفُّ بِرَوْضَةٍ يُحْيِيكَ مِنْهَا وَرَدُّهَا وَالبَيْتُ فَتَسْجُ  
وَأَشْمَطُ أَعْلَى وَسَطِهَا بَعْدَ هَجْمَةٍ تَرَاهُ مِنْ قَرِهِ يَفْشَنُجُ  
دَعْوَتُ فُلْبِي وَهُوَ بِالصَّوْتِ عَارِفٌ وَأَقْبَلَ نَحْوَ الْبَابِ يَزْهُو وَيَهْرَجُ

- (١) تجور : تميل . وفي ط : « قصادها » تحريف ، والصواب ما أثبتته من الديوان .  
(٢) ديوان المهديين ٧٢ والطّاب : الرّاية . وفي الديوان : « تهدي الكرام » .  
(٣) في الديوان : كما التي « ، قال في شرحه : أراد في صفاتها ، وهو ما قطر من اقمم .  
والخطة : التي أخذت ريحاً ولم تترك . وفي ط : « ليست بمحضة » ، تصحيف ، والخلة : الحامضة .  
وقوله : يكوي الشرّوب ، أي لها ومنش شديد مثل النار . والشرّوب : الندى .  
(٤) ديوانه ٢٧٥

فقلت له المصباح إن كنت مسرّجاً فقال: قفوا فالجر في السكّاس تُسرجُ

• • •

اعلموا يا ذوى السّمائلِ الأدبيّة ، والشُّوعِ الذهبيّة ، أن وضع  
الأخبيّة ، لامتحان الألميّة ، واستخراج الخبيّة الخفيّة ، وشرطها  
أن تكون ذات مُمائلةٍ حقيقيّة ، وألفاظٍ معنويّة ، ولطيفةٍ أدبيّة ؛  
فتى نافت هذا النمط ، ضاهت السّقط ، ولم تدخل السّفط ؛ ولم  
أركم حافظتم على هذه الحُدود ، ولا ميزتم بين المقبول والمرذود ،  
فقلنا له : صدقت ، وبالحقّ نطقت ؛ فكلّ لنا من لبابك ،  
وأفيض علينا من عبايك ؛ فقال : أفل لثلاث يرتاب المبطّلون ،  
ويظنّوا بي الظنون .

• • •

قوله : « لامتحان الألميّة » ، أى لاختبار الفطنة . نافت : باعدت . السّفط :  
النوع ، يقال : الزم هذا النمط ، أى هذا المذهب والفنّ والطريق . ضاهت :  
شابهت . السّقط : ردى المتاع ومالاً يعبأ به . والسّفط : وعاء لجميع الثياب  
الرفيعة ، وسقط العلوم : السكتب ، أى لم تسكتب ولم تدوّن فى السكتب . ميزتم :  
فرقتم . لبابك : خالص ما عندك . أفيض : صبّ . عبايك : بحرك ، وعبّ البحر  
عباباً حاج واضطرب : يرتاب : يشكّ .

• • •

ثم قَابِلَ ناظورة القوم ، وقال :

يا مَنْ سَمَاءَ بِذِكَاءٍ      في الفضل وَارَى الزَّناذِ  
ما ذا يَمائِلُ قولي :      جُوعٌ أَمِـدٌ بَزَادِ  
ثم ضحك إلى الثاني وأنشد :

يا ذا الَّذِي فَاقَ فَضْلاً      ولم يُدَسِّسْهُ شَيْنُ  
ما مِثْلُ قولِ المحاجي :      ظَهَرَ أَصَابَتُهُ عَيْنُ

ثم لحظ الثالث وأنشأ يقول :

يا مَنْ نَتائِجَ فِكْرِهِ      مثل النقود الجائِزة  
ما مِثْلُ قولِكَ لِلَّذِي      حاجِيتَ : صادفَ جائِزة

ثم أتلع إلى الرابع وقال :

أَيَا مُسْتَنْبِطَ الغامِ—ضٍ مِنْ لُغْزٍ وإِضْمارِ  
أَلَا اكشِفْ لي ما مِثْلُ :      تناوَلْ أَلْفَ دينارِ

ثم رمى إلى الخامس ببصره ، وقال :

يَا هَذَا الْأَلْمِيعِى أَخُو الذِّكَاةِ المنجلى  
ما مِثْلُ أَهْمَلِ حَلِيَّةٍ      بَيْنَ هُدَيْتَ وَعَجَلِ

\*\*\*

ناظورة القوم : كبيرهم الذى ينظرون إليه . سما : ارتفع . ذكاء : جودة  
الذهن . وارى : مبدى النار ، أى زنده متى ضرب أوزى نارا . فاق : فضل  
غيره . النتائج : ما بولده الفكر من الكلام . النقود : الدراهم . أتلع : متهد  
( ١٤ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )

عنقه ونصبه ، وتلع الرجل يقلع تلمأ : أخرج رأسه من شيء كان فيه . مسقبط : مستخرج . الفامض : الخفي ، وغض غموضاً : دق وأحوج إلى النظر ، والألمى : هو الذكي ، أى صاحب الفطنة .

• • •

ثم التفت لفت السادس وقال :

يا مَنْ تَقْصِّرُ عن مدا هُ خطأ مجاريه وتضْمِف

ما مثل قـ \_\_\_\_\_ لَكَ الَّذِي

أَضْحَى يَحَاجِيكَ : اكْفِفِ اكْفِفِ

ثم خَلَجَ السابعَ بحاجبه وقال :

يا مَنْ لَهُ فِطْنَةٌ تَجَلَّتْ وَرُتْبَةٌ فِي الذَّكَاءِ جَلَّتْ

بَيْنَ فَا زِلْتَ ذَا بِيَانٍ مامثل قولي : الشَّقِيقُ أَفْلَتَ

ثم اسْتَنْصَتَ الثَّامِنَ وَأَنشَدَ :

يا مَنْ حَدَاتِقُ فَضْلِهِ مَطْلُولَةُ الْأَزْهَارِ غَضَّةٌ

ما مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحَاجِي ذِي الْحِجَى : ما اخْتَارَ فَضْلَهُ

ثم حُدِجَ التاسعَ بصره ، وقال :

يا مَنْ يَشَارُ إِلَيْهِ فِي الْقَلْبِ الذِّكْرُ فِي الْبِرَاعَةِ

أَوْضِحْ لَنَا ما مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحَاجِي : دُسْ جَمَاعَهُ

قال الراوى : فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ، هَزَّ مَنِكَبَيْ ، وقال :

يا مَنْ لَهُ الثُّكْتُ الَّتِي يُشْجِي الْخُصُومَ وَيَنْكُتُ

أَنْتَ الْمُبِينُ فَقُلْ لَنَا مامثل قولي : خَالِي اسْكُتْ

الفت لفت ، أى قصد قصده بالنظر ، ولفت عنقه إلى ، أى لواها ناظرًا إلى .  
 حدهاء : غايته . خليج : غمر ، وقال الراجز .

\* قد خلجت بحاجب وعين \*

تجلت : ظهرت . جلّت : عظمت . واستنصت : سكت . حدائق : بساتين .  
 مطولة : أصابها الطل . غضة : ناعمة . الحيجا : العقل . حدّج : رمى . البراعة :  
 الفصاحة ووفور العقل . يشجى : يفصّ ، والفصص : الاختناق . ينكت : يقبلهم  
 على رؤوسهم ، وطعنه فذكته : ألقاه على رأسه ، وعند القضاء يشجى ، وينكت ،  
 أى يسكت على ذلك .

\* \* \*

ثم قال : قد أنهلتكم وأمهلتكم ، وإن شئتم أن أعلكم  
 علالتكم .

قال : فألجأنا لهب الغل ، إلى استسقاء الغل ؛ فقال : لست  
 كمن يستأمر على نديعه ، ولا يمن سمنه في أدعيه . ثم كرّ على  
 الأول وقال :

يا من إذا أشكل المعنى جلته أفكاره الدقيقة  
 إن قال يوماً لك المحاجي : خذ تلك ما مثله حقيقة

ثم أتى جيده إلى الثانى ، وقال :

يا من بدا بيانه عن فضله مينا  
 ماذا مثال قولهم : حار الوحش زيناً

ثم أوحى إلى الثالث بِلَحْظِهِ ، وقال :

يَا مَنْ غدا في فضله      وذكاؤه كالأصمعي

ما مثل قواك الذي      حاجاك : أنفق تقمع

ثم خلق إلى الرابع وأنشد :

يا من إذا ما عويص      دجا أنار ظلامه

ماذا يماثل قولي :      استنش ريح مدامه

ثم أوحى إلى الخامس ، وقال :

يا من تنزه فمه      عن أن يروى أو يشكا

ما مثل قولك للذي

أضحى يحاجي : غط هلكي

\*\*\*

أنهلكم : أستهلككم ، والنهل : الشرب الأول ، والمعلل : الشرب الثاني  
 أملكم : أمتكم عللاً . لبُ الغال ، أى حرّ العطش . يستأثر ، أى يخصّ  
 نفسه بشيء دون أصحابه . سمّته في أدبه : أى خيّره موقف عليه ، والأديم  
 هنا : زق السم ، وأصل المثل : سمكم هربق في أدبكم ، أى خيركم موقف  
 عليكم ؛ قاله أبو عبيدة . وخطأ البكري في تفسير الأديم بالزق ، وقال :  
 إنما الأديم هنا طعامكم المأدوم ، فعيل بمعنى مفعول ، أى خيرهم راجع إليهم ،  
 وهو قول الأزهري رحمه الله ولم ينكر الأول ، وهو مثل يضرب للبخيل ولن  
 لا يتعداه خيرُهُ ، وينفق على نفسه دون غيره . وقعه بقمعه : ضربه بالمقعة ،  
 أى قهره وكفه ، وقع الشراب وأقع : مرّ في الحلق مرّاً بنير جرّع . كرّ :

عطف . جیده : عنقه . أوحى : أشار . حلق : أحدَ النظر . عویص : صعب .  
دَجَا : اسودَّ . أنار : جمل فيه النور . تنزه : تباعد . يروى : يفكر ، وقد روت  
الحديث ، إذا دبرته وهياته .

\* \* \*

ثم أقبل إلى السادس ، وأنشد :

يا أخا الفطنة التي بانَ فيه كماله  
سار بالليل مُدَّةً أي شيء مثاله

ثم تحا بصره إلى السابع ، وقال :

يا مَنْ تحلَّى بفهمٍ أقام في الناسِ سُوقَه  
لك البيان فبين مامثل : أحب فرُوقَه

ثم قصَّد قصَّد الثامن ، وأنشد :

يا مَنْ تبوأ ذُرْوَةً في المجدي فأت كلَّ ذُرْوَةٍ  
مامثل قولك : أعط إِيَّ

ثم ابتسم إلى التاسع ، وقال :

يا مَنْ حوى حسن الدِّرا به والبيان بغير شكٍّ  
ما مثل قولك للمُحَا جى ذي الذكاء : الثور مُلْكِي

ثم قبض بجمعه على رُذْيِي ، وقال :

يا مَنْ سما بثقوبِ فِطنتِهِ في المُشكلاتِ ونور كوكبِهِ  
ماذا مثال صَفِير جَحْفَلَةٍ يَبْنُو تَبْيَانَا يَنْمُ بِهِ

\* \* \*

بان : تبين . تملى : تزين . تبوأ : نزل . والذروة : أعلى الشئ .  
تقوب : نفوذ .

\* \* \*

قال الحارثُ بن همام : فلمَّا أطربنا بِمَا سمعناه ، وطألبنا مكاشفةً  
مَعْنَاه . قلنا له : اسنا من خيلِ هذا الميدان ، ولا لنا بحلِّ هذه المُقدِّ  
يَدَان ، فإنَّ أبنتَ مننت ، وإن كُتبتَ غممت . فظلَّ يُشاورُ  
نَفْسِيهِ ، ويُقَابُ قَدَحِيهِ ، حتى هان بذل الماعون عليه .

فأقبل حينئذٍ على الجماعة وقال : يا أَهْلَ الْبَلَاغَةِ والبراعة ،  
سَأَعْلَمُكُمْ مَا لم تكونوا تعلمُونَ ، ولا ظننتم أَنكم تُعلمُونَ .  
فاوَكُوا عليه الأوعية ، وروَّضوا به الأندية . ثم أخذ في تفسيرِ  
صَقَلِ بِهِ الأذهان ، واستفَرَّغَ مَعَهُ الأردان ، حتَّى آضتِ الأفهامُ  
أنور من الشمس ، والأكامُ كأنَّ لم تنف بالأمس .

\* \* \*

أبنت : بَيَّنَّت . مننت : أفضلك علينا . نفسيه : أراد أنه يردِّد  
رأيه : هل يفعل أولاً يفعل ؟ فكان له نفسين ، يردِّد المشورة عليهما حتى يظا  
لها الرأي الأرجح فيهما فيبنى عليه . وقال حويرث العبدى :

لكلِّ امرئٍ نفسانِ نفسٌ كريمةٌ ونفسٌ فيعصياها الفتى أو يطعمها

وقد تقدَّم معنى يَلْبُ قَدَحِيهِ . الماعون : المعروف ، وقال يونس :

الماعون في الجاهلية : كل عطية ومنفعة ، وفي الإسلام الزكاة والطاعة . وقال ابن عباس : الماعون المعروف كله حتى ذكر القدر والقصة والفأس .

وحكى الفنجدي عن ابن عباس : الماعون العارية ، وقال الماعون : اسم جامع لمنافع البيت ، كالقدر والفأس والماء والملح ونحوها ، وقال الأعشى :

بأجود منه بماعونه إذا ما سماؤهم لم تنم<sup>(١)</sup>

والأظهر فيه ، أنه من العون ، وأصله مموون بوزن « مفعول » ، فقدمت الواو التي بعد العين ، فصار موعون ، ثم قلبت ألفا كما قيل : يا جل<sup>(٢)</sup> . وحكى الغراء عن بعض العرب : الماعون الماء ، فيكون على هذا مفعولاً من العين ، ويُقلّ كما علّ من العون ، أو يكون فاعولاً ، من مَعَن الماء ، إذا سال . وهو أيضاً قول من اشتقه من قولهم : مُنِعَ هرباً ، أو من قولهم : عين مَعِين . قال قطرب : ماعون فاعول من المن ، وهو الشيء اليسير ، ومنهم من قال : أصله معونة ، والألف بدل الماء .

قوله : أو كُؤا : أي شدوا . روضوا : زينوا ، واجملوها مثل الرياض . الأردن : الأكام . آصت : رجعت أذهانهم مضية بالفهم وزال عنها الالتباس . تَغَنَ بالأمس ، يريد أن أكامهم كانت بالأمس ممثلة بالدرام ، ففترغت اليوم إذ وهبوا له ما فيها .

• • •

ولما تمّ بالمفرّ ، سُئِلَ : أين المفرّ ؟ فتَنَفَّسَ كما تَنَفَّسُ الشَّكُولُ ، ثم أنشأ يقول :

(٢) ياجل ، أصله يوجل .

(١) ديوانه ٣٩ .

كُلَّ شِعْبٍ لِي شَيْبٌ      وَبِهِ رَبِّي رَحْبٌ  
 غَيْرَ أَنِّي بِسُرُوجٍ      مُسْتَهَامُ الْقَلْبِ صَبٌ  
 هِيَ أَرْضِي الْبِكْرُ وَالْجَوْ      الَّذِي مِنْهُ الْمَهْ  
 وَإِلَى رَوْضَتِهَا الْفَنَاءُ      دُونَ الرُّوضِ أَصْبُو  
 مَا حَلَا لِي بَعْدَهَا حُلُوٌّ      وَلَا اعْذُوبَ عَذْبُ

قال الراوي : «قلت لأصحابي : هذا أبو زيد السُّروجي ، الذي  
 أَذْنِي مُلَحِّهِ الْأَحَاجِي ، وَأَخَذْتُ أَصِفُ لَهُمْ حُسْنَ تَوْشِيَّتِهِ . ثُمَّ  
 التَفْتُ فَإِذَا بِهِ قَدْ طَمَرَ ، وَنَاءَ بِمَا قَمَرَ ؛ فَمَجِئْنَا مِمَّا صَنَعَ إِذْ وَقَعَ ، وَلَمْ  
 نَذَرِ أَيْنَ سَكَعَ وَصَقَعَ .

\* \* \*

المقرّ : المهرب . المقرّ : المنزل والبلد . الشكول : المرأة الثكلى  
 الفاقدة لأحبائها . شغب ، أى طريق ، أى كل بلد لى بلد . ربى رَحْب ،  
 أى منزلى متسع . المستهام : الذى غلب الحب على قلبه فخرج هائما على وجهه  
 لا يدري أين يتوجه ، وهام بهيم : ذهب عقله فخرج فى غير الطريق ، وقيل :  
 الهائم : العليل القلب ، الذى يجد فى قلبه هياما ، وهو وجمٌ يجده البعير ،  
 فلا يروى من شرب الماء : قال عروة بن حزام :

بِ الْيَاسِ أَوْ دَاءِ الْهُيَامِ أَصَابَنِى      فَأَيَّاكَ عَنَى لَا يَكُنْ بِكَ مَا بِيَا<sup>(١)</sup>

(١) اللآلى ٢٢٦ .

أو يكون من التهويم ، وهو هجوم النوم ، وهو في الأوجه الثلاثة اسم مفعول ، وكان قياسه مستهيمًا إلا أنه لما كان كأنه مغلوب على ذلك ، جاء على هذا وحذف « به » دلالة المعنى . والعصب : العاشق . البكر : التي ولدت بها . الجوّ : اسم لنواحي السماء . مهبّ الريح : موضع هبوبها من الجوّ ، وأراد بلمته التي يحى منها ويخرج عنها للبلاد : الغنّاء : السكينة الأشجار ، وتقدّمت علّتها . أصبو : أمول . أدنى : أقل . توشيته : تزيينه كلامه . مشيته : لإرادته . طمر : وثب ، وهو من الأضداد يقال : طمرت الشيء : سترته ، وطمر الجرح سفل وعلاً أيضاً ، ومنه قيل لبرغوث طامر ، لنزوه وارتفاعه . ناء : نهض . قمر : حازه بالقمار . سكع : مشى مشى المتعسف . صقع : ذهب ، وقيل : لم يدر أين ذهب . والسكع : الذهاب على غير هداية ، والصقع : الناحية من الأرض ، وما أدرى أين صقع ، أى أى ناحية قصد من الأرض .

• \* •

### [ فصل في تفسير الأوامر ]

إذا أردت أن تعرف المائلة في هذه الأحاجي فننظر « جوعٌ أمدٌ بزاد » فتقابل به بطوامير ، فتقسم هذه اللفظة ، فتقابل القسم الأول وهو « طوا » بقولك : « جوع » فتجده مثله في المعنى ، وتقابل بالقسم الثانى ، وهو « مير » قولك : « أمد بزاد » ، فتجده مثله في المعنى ، والمير الإمداد بالزاد ، ومير الرجل : أعطى نفقة وقوتا لعياله ، فهذه المائلة الحقيقية التي قدّم ، وكذلك تقابل « ظمٌ أصابته عين » بقولك : « مطاعين » ، فتجد المطأ الظهر ، وعين الرجل : أصيب بالعين ، وكذلك صادف جائزة ، هى أنفى صلة ، وأنفى هى : صادف ، والجائزة هى الصلة ، تصل

بها مَنْ قصدك . وإن تركت الألفاظ منظومة بغير تقسيم ، ينتج منها معنى آخر فيقال لك : ما الطوامير ؟ فتقول : السكتب ، الواحد طُومار ، والمطامير : جمع مِطْطَان ، وهو السكثير للظمن ، والفاصلة ، التي تقع بين شيئين فتفصل هذا من هذا والفاصلة في العروض : توالى أربعة أحرف أو ثلاثة متحركة بعدها ساكن ، وهكذا هي المقايضة في هذه المقامة ، تصل اللفظة فيكون لها معنى ، وتفصلها فيكون لها معنى آخر .

وأنا أفسر معنى المتصلة إذ المنفصلة قد وقع تفسيرها في المقامة . قوله : هادية ، أى مرشدة ، تقول : هدّني الطريق فهى هادية . والفاشية : ما يغشى القلب ، أى يغطيه من الهم والسقم ، والفاشية أيضاً القوم يمشونك ، أى يقصدونك ويوزرونك ، والفاشية : القيامة ، والفاشية : المرأة تفشاك وتزورك ، والفاشية غشاء القلب ، والفاشية : غشاء السرج .

والمهمه : القفر ، والأخطار : جمع خطر ، وهو الفرر ، والأخطار : المنازل الشريفة . والأبارقة : جمع إبريق ، وهو إناء معروف ، والأبارقة أيضاً : الشيوخ الصقيلة ، واحداً إبريق ، والطافية : الجيفة تطفو على وجه الماء ، أى تطلع عليه .

الفرازين : وزراء الفرّس الواحد فرزان ، ومنه فرزان الشطرنج ، القى تسميه العامه « فرزا » ، لأنه وزير الشاه ، والشاه في كلام الفرّس الملك . وقمت : معناه كفت .

والمنتقم : الفرّح بمصيبة غيره . والرّخّاح من الأواني : الواسع القصير الحديد ، ورّخّاح : موضع معروف . والصنّبور : النخلة الطويلة العنق القليلة الحمل ، والصنّبور أيضاً : الغاص الذي يجعله السقاء في فم القربة ، ويشدّ

عليه ويفرغ منه الماء ، والصُنْبُورُ أيضاً : اللثيم ، والصُنْبُورُ من الناس مَنْ  
ليس له نسل .

والمُتَرَاكِينَ : الذئاب الواحدين حان . الأسكوب : المطر الكثير الصبّ  
والأسكوب والأسكاب : قطعة خشب فيها قرص يُجْمَلُ في خرق الزق .  
والمقلع : آلة يُقْلَعُ بها الشيء . والله الموفق .

### تفسير الأحاجي المودعة هذه المقامة

أما جوعٌ أمدٌ بزادٍ ، فنثله طوامير ، وأما ظَهْرٌ أصابته عين ، فنثله  
مطاعين ، وأما صَافٍ جائزة فنثله الفاصلة . وأما تناول ألف دينار ، فنثله  
هادية . وأما أهمل حَلِيَّةُ فنثله الفَاشِيَّة .

وأما اكُفَّ اكُفَّ ، فنثله مَهْمَه ، وأما الشقيق أفلت فنثله أخطار .

وأما ما اختار فضة فنثله أبارقة ؛ لأن الرقة من أسماء الفضة ، وقد نطق  
بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « الرقة ربع العشر » .

وأما دس جماعة فنثله طافية . وأما خالى اسكت فنثله خالصة ؛ لأنك إذا  
ناديت مضافاً إلى نفسك جاز لك حذف الياء ، وإثباتها صا كنة ومتحركة ؛  
وقد حُذِفَ هاهنا حرف النداء ، كما حذفه في أصل الأحيّة . وصَهْ بمعنى اسكت ،  
وأما خُذْ تلك فنثله هاتيك .

وأما حمار وحش زُبْنَا ، فنثله قَرازين ، لأن القراء حار الوحش ، ومنه  
الحديث : « كلّ الصيد في جوف القرا » .

وأما قوله : « أنفق تقم ، فنثله منتقم ؛ لأن الأمر مَنْ مانَ يَمُونُ مَنْ .  
ومضارع وَفَتِ تَقِم .

وأما استنفس ربيع مدامه ، فنثله رَحْراح ؛ لأن الأمر مَنْ من استدعاء الراحمة  
رُحْ . وأما غَطَّ هَلَكي فنثله صنبور ؛ لأن البورهم الهلّكي ، وفي القرآن  
﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ .

وأما سارَ بالليل مدة ؛ فنثله سَراحين .

وأما أحب فروقة؛ فثله مقلّاع، لأن الأمر من ومق يبق مق. واللاع:  
الجبان؛ يقال: فلان هاعّ لاعّ؛ إذا كان جبّاناً جزّوعاً.

وأما أعط أبريقاً يلوح بغير عروة، فثله أسكوب؛ لأن الأوس الإطواء  
والأوس منه أس. والكوّب: الأبريق بغير عروة.

وأما الثور ملكي، فثله اللآلي؛ لأن اللآي على وزن القنا هو نور الوحش.

وأما صفيح جحفلة، فثله مكاشفة؛ لأن المكاء الصفيح؛ قال تعالى:  
﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾، والأصل في المكاء  
المدّ؛ ولكنه قصّره في هذه الأحجية، كما حذف همزة الفراء في أحجيته، وكلا  
الأمرين من قصر المدود، وحذف همزة المهموز جائز.

## المقامة السابعة والثلاثون وتعرف بالصعدية

حكى الحارث بن همام قال: أضعدتُ إلى صعدة، وأنا ذو شَطاظٍ يحكى الصَّعدة، واشتدادِ يبدُرُ بناتِ صعدة ؛ فإلما رأيتُ نُضرَّتها، ورغيتُ خُضرَّتها، سألتُ نَحاريرَ الرُّواة، عمّا تحويه من السَّراة، ومعادِنِ الخيرات ؛ لأتَّخذَه جَدْوَةً في الظُّلمات، ونَجْدَةً في الظُّلَّامات. فُنِيتَ لى قاضٍ بها رحيبُ الباع، خَصِيبُ الرِّباع، تيمى النَّسبِ والطَّبَّاع ؛ فلم أزلُ أَتَقَرَّبُ إليه بالإلَّام، وَأَتَنَفَّقُ عليه بالإجَّام ؛ حتَّى صرتُ صَدَى صَوْتِه، وسَلَمَانِ بَيْتِه.

\* \* \*

أصعدت : طلعتُ وارتفعتُ، قال يعقوب : الإصعاد إلى نجد واليمن والحجاز، والانحدار إلى العراق والشام وعمَّان. وقال الأخفش : أصعد في البلاد : سار فيها ومضى، وأصله الذهاب في الصعود وهو الارتفاع، ثم توسَّعوا في ذلك. قال الفراء رحمه الله في ابتداء الأسفار والخارج، تقول : أصعدنا من مكة إلى بغداد، وأصعدنا من بغداد إلى خراسان، فأما في السَّلم فتقول : صعدت فيه لا أصعدت. قال يعقوب رحمه الله : صعد في الجبل وأصعد في البلاد : انحدر فيها، وصعد : ارتقى.

وصعدة : مدينة عظيمة باليمن، بينها وبين صنعاء ستون فرسخاً، وتحكمُ

فيها صنعةُ الجلود ، والجلد الصمديّ في غاية الجودة ، ويضرب المثل  
بحسن نساها .

الشَّطَّاط : طول القامة . والصَّعْدَةُ : الرمح . اشتداد : جرى . يبدر :  
يسبق . بنات صَعْدَة : حمر الوحش . نُضِرْتَهَا : خصبها ونعمتها ، والنفسرة : صفاء  
اللون وبريقه . نَحَارِير : علماء ، والنَّحْرِير ، الماهر ، والحاذاق الَّذِي جَرَّبَ الأمور  
وعرفها ، وهو اسم يجمع وجوها من المدح ، فيفتر النحرير بالعالم والمفلح  
والحاذاق والماهر والعاقل . والسَّرَّاء : السادة ، وهو جمع سَرِيّ ، وهو السيد  
الشريف ، وجمع فَعِيل على فَعَلَة عزيز لا يُعرف غير هذا . الْجَذْوَة : الجرة  
الغليظة العظيمة ، وجيها بثلاث حركات ، ويجمع ثلاثتها ، نحو جَذَا وجَذَا وجَذَا  
نَجْدَة : قوّة وعونا . الظَّلَامَات : جمع ظُلَامَة ، وهو ما يشعك به المظلوم ، رَحِيب  
الباع : واسع العطاء ، فَسَكَنِي بالباع عن ذلك . والعرب إذا وصفت الرجل  
بالسَّخَاء ، قالوا : هو رَحِيب الباع ، وطويل الباع ، وكريم الباع ، والباع والبوع  
بَسَطَ اليد بالمعروف ، وقد باع ببوع منه ، ويقال للبخیل : قصير الباع . خَصِيب  
الرُّبَاع ، أى هو كثر المال فجُمع له كرمه كثرة ماله ، فالتَّامَسَ يحدون في  
كَتْفِهِ الخَصْب وقد يراد بخصيب الرباع نافق سوق الأحكام فالمتعلق به يحد  
الخصب .

تميميّ النسب ، أى من بنى تميم وشرك الطباع مع التَّسَب ، وهو يريد  
أنه كامل تام في خلقه ، فنسب قبيلته لتميم ، وطباعه للتَّمام والكمال فقلب  
أحدهما ، وشرك بينهما للتَّرب . قال ابن شرف : فيما يُلَمَّ بهذا القشريك ، وبحسن  
أن يمدح قاضى القامة به لجوده :

جَارِرٌ عَلِيًّا وَلَا تَحْفِلُ بِحَادِثَةٍ إِذَا أَدْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَسْلِ (١)

(١) نقله في التنف ١٠٩ .

اسم حكاة المُسَمَّى في الفَعَال فَقَدْ      حاز العَلَيْنَيْنِ من قولٍ ومن مَحَلٍ  
فالمُاجِد السَّيِّد الحَرَّ الكَرِيم له      كالتنعت والعطف والتوكيد والبدل  
زَانَ العُلا وسواه شَانَهَا ، وكذا      تَمَيَّز الشَّمْسُ في المِيزَانِ والحَمَلِ  
وربَّمَا عَابَهُ مَا يَفْخَرُونَ بِهِ

يُشْفَا من اَلْخَضِر مَا يُهَوَّى من الكَفَلِ  
سَلَّ عَنْهُ وَاِنطَقَ بِهِ وَاِنظُرْ اِلَيْهِ تَجِدُ      مَلَأَ المَسَامِعَ ، وَالْأَفْوَاهِ وَالْمَقَلَّ

فإنه أراد بقوله : « حاز العَلَيْنَيْنِ » ، أى حاز عليّين بالاسمية ، والعلو بالفعلية ،  
وهذا مثل ما تقدم للحريرى :

جَاد بِالْعَيْنِ حِينَ أَهَمَى هَوَاهُ      عَيْنَهُ فَانثَى بِلَا عَيْنَيْنِ

فقد أوقع التشبيه على شيئين ، يتفقان في اللفظ ، ويختلفان في المعنى . وقد  
أشدنا فيما تقدم لبعض المتأخرين :

فَكَيْفَ أَصْبَرَ عَنْهَا الْيَوْمَ إِذْ جَمَعَتْ  
طَيْبَ الْهَوَايِنِ مَمْدُودٍ وَمَقْصُورِ

فالمقصود هوى النفس ، والممدود الهواء الذى بين السماء والأرض ، وقد  
قدّمنا في تفسير قول الحريرى ، وحيّا المسجد بالتسليمتين ، أنّ السلام الواحد  
على مَنْ فى المسجد عند دخوله ، والثانى تحليل الصلاة .

وقوله : هنا تيمى النسب والطباع من هذا القبيل ، وأكثره في كلام  
المولدين ، وهو مستعمل في كلام العرب ، ولا يبعد أن يكون من هذا قولهم :  
اللقى الثريان ، فإنهم يريدون بذلك كثرة المطر ، وأنه يبلغ فى الأرض إلى التراب  
الندى ، فالترى الواحد المطر ، والثانى التراب الندى ، على أنه يحتمل أن يريد

بذلك أن التراب اليابس لمَّا بَلَّه المطر ، حتى لحق بالتراب الندى ، صار اليابس منهما يسمى « ثرى » ، فقيل : التقى الثريان ، وقال النابغة :

وقد أبقتْ صُروف الدهر منى كما أبقت من السيف الجمانى<sup>(١)</sup>  
بصمِّم وهو مأثور جُرازٌ إذا نُجمت بقائمِ اليَـمـانِ

فسره أبو عبيد البكري<sup>(٢)</sup> وغيره : بأنه أراد بذلك الجارحة ، والأيد الذى هو القوة ، فجمع على الأخف ، فهذا من قبيل ما قدمناه ، ولا يحضرني الآن غير هذا من كلام العرب .

قوله : الإلام ، أى تخفيف الزيارة . أنفق ، أنخرج ، والخفاق ضد الكساد . الإجم : الزيارة . صدى صوته ، أى متى دعاه وجده حاضراً مجيئاً له ، والصدى : صوت الجبل الذى يرد عليك إذا صحت .

وابن همام فى هذا المقامة شُرطى القاضى .

[ ذكر مناقب سلمان الفارسى ]

وسَلَمَان الذى ذكره ، هو سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه ، ويعرف بسلمان الخير ، قالت عائشة رضى الله عنها : كان لسلمان رضى الله عنه مجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفرد به فى الليل ، حتى كاد يقلبنا عليه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أمرنى ربى بحُبِّ أربعة ، وأعلمنى أنه يحبهم : على ، وأبو ذر ، والمقداد ، وسَلَمَان » ، رضى الله تعالى عنهم .

وأنى أبو سفيان على سلمان وصهيب وبلال ، فقالوا : ما أخذت سيوفُ الله من عُنقِ عدوِّ الله مأخذها ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أتقولون هذا لشَيْخ قريش

(١) هو النابغة الجعفى والبيتان فى أمالى القالى ١ : ٧١ . والآلى ٢٤٦ والخزانه ١ : ٥١٣ . والمأثور : الباقي أثره ، والجراز : الماضى النافذ .

(٢) فصل المقال ١٤٨ .

( ١٥ — شرح مقامات الحريري ج ٤ )

وسيدهم ! وأنى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : يا أبا بكر ، لعلاك أغضبتهم ، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فقال : يا أخوتاه ، أأغضبتكم ؟ فقالوا : لا ، وبخبر الله لك .

وكان من أبناء أساورة فارس ، وأصله من رأمهرمز ، وقيل : كان من أصبهان ، وكان يطلب دين الله ويتبع من يرجو ذلك عنده ، فدأ بال نصرانية وغيرها ، وقرأ الكتب ، وصبر في ذلك على مشقات نالته ، وكلها مذكورة في إسلامه في كتب السيرة .

وقيل : تداوله في ذلك بضمة عشر رباً ، حتى أفضى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاشتراه من قوم من اليهود .

وأول مشاهد الخندق ، وهو الذى أشار بحفره ، فقال أبو سفيان وأصحابه : هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدوها .

وسئل على عنه فقال : علم العلم<sup>(١)</sup> الأول ، بحر لا ينزف ، هو من أهل البيت ، وفي رواية : هو مثل لثمان الحكيم ، وكان فاضلاً حنبلاً زاهداً عالماً متقشفاً .

وتعلم حمل الخوص ، فقيل له : لم نعمل هذا وأنت أميراً وقد أجرى عليك رزق ، فقال : إني أحببت أن آكل من عمل يدي . وكان يتصدق بما يرزق من بيت المال ، وكانت له عيادة يفرش بعضها ويلبس بعضها .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو كان الدين في الثريا لناه سلمان » .

أبو هريرة رضى الله عنه ، كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ سورة الجمعة ، فلما قرأ : « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم »<sup>(٢)</sup> - وفيها سلمان - وضع يده على سلمان ، ثم قال : « لو كان الإيمان عند الثريا لناه رجل من هؤلاء » .

(١) ط : « علم » وما أثبتته من الاستيعاب ص ٦٢٧ .

(٢) سورة الجمعة ٣

ونوفى في آخر خلافة عثمان رضى الله عنه ، ومات ترك شيئا يورث منه .  
وفضائله كثيرة .

وعلى قولهم لأبى بكر « لا ، وبغفر الله لك » . قال أبو محمد فى الدرة :  
وربما أجاب المستخبر بلا النافية ، ثم عقبها بالدعاء له ، فيستحيل الكلام إلى  
الدعاء عليه ، كما روى أن أبا بكر رضى الله عنه رأى رجلا ، بيده ثوب ، فقال :  
أتبيع هذا ؟ فقال لا عافاك الله ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : لقد علمتم لو تعلمون !  
فهل قلت : لا وعافاك الله !

قال أبو محمد : والمستحسن ما قال يحيى بن أكرم للأمامون ، وقد سأله عن أسر ،  
فقال : لا ؛ وأبى الله أسر أمير المؤمنين .

وحكى أن الصحاب بن هباد لما سمع هذه الحكاية ، قال : والله لهذه  
الواو أحسن من واوت الأصداغ ، فى حدود المزد الملاح .

• • •

وكننت مع اشتيار شهيد ، وانتشاق رنديه ، أشهد مشاجر  
الخصوم ، وأسفير بين المعصوم منهم والموصوم . فبينما القاضى  
جالس للإسجال ، فى يوم المحفل والاحتفال ؛ إذ دخل شيخ  
بالى الرّياش ، بادى الارتماش ؛ فتبصر الحفل تبصر نقاد ،  
ثم زعم أن له خصما غير منقاد ؛ فلم يكن إلا كضوء شرارة ،  
أو وصى إشارة ؛ حتى أحضر غلام ، كأنه ضيرغام فقال الشيخ :  
أبى الله القاضى ، وعصمته من التغاضى ؛ إن ابى هذا كالقلم  
الردى ، والسيف الصدى ، يجهل أوصاف الإنصاف ، ويرضع  
أخلاف الخلاف ، إن أقدمت أحجم ، وإذا أغربت أعجم ،

وَإِنْ أَذَكَيْتُ أَخَذَ ، وَمَتَى شَوَيْتَ رَمَدَ ؛ مَعَ أَنِّي كَفَلْتُهُ مَذْ  
دَبَّ ، إِلَى أَنْ شَبَّ ، وَكُنْتُ لَهُ الْطِفَّ مِّنْ رَبِّي وَرَبِّ .  
فَأَكْبَرُ الْقَاضِي مَا شَكَا إِلَيْهِ ، وَأُطْرَفَ بِهِ مِّنْ حَوَالِيهِ ، ثُمَّ قَالَ :  
أَشْهَدُ أَنَّ الْمُتَوَقَّعَ أَحَدُ الثُّكَلَيْنِ ، وَارُبُّ عُمْمٍ أَقْرُ لِلْعَيْنِ .

\*\*\*

قوله : اشْتِيَارُ شَهْدِهِ ؛ أى استخراج عسله ، وأراد اجتناء منفعته . انشاق :  
شم ، يقال : نشق الريح الطيبة نشقاً وانشَقَّ : وتَشَقَّ : شَمَّهَا . الرَّندُ : شجر طيب  
الرائحة ، قال ابن دريد رحمه الله : هو الآس ، وقال الجوهري رحمه الله : ربما  
سُمِّيَ المودُرُندا . مشاجر الخصوم : مواضع الخصام التي يتشاجر فيها الخصمان ؛  
أى يمتزج كلام هذا بكلام هذا ، من الشَّجَر ، واحداً مَشَجَر ، وقد يراد بها  
المصدر ، وجميع لاختلاف أنواعه . أسفر : أمشى بينهم بالصلح المصوم : المحفوظ  
من الوقوع فيما يحذر ، وأصل العصمة فى كلامهم المنع ، وعصمته من كذا ،  
إذا منعه . (وَاللَّهُ يَفْصِلُكَ مِنَ النَّاسِ) <sup>(١)</sup> ، أى ينفك . الموصوم : ذو الوضم ،  
وهو العيب ، فأراد أنه يصلح بين أهل الخير والشر . للإسجال : للحكم ،  
وأسجل القاضي على نفسه بالحكم ، وسجَّل ، إذا كتب على نفسه ، فأراد أنه جلس  
للعلم فى العقود والسجلات . ومحفل القوم : مجتمعهم . والاحتفال : كثرة الناس  
 واجتماعهم ، ومعنى احتفل الرجل : جمع ، وأراد : يكثر من الشيء الذى قصد ،  
وجمع المحفل محافل ، ومنه الشاة المحفلة ، وهى التى يحبس لبثها أياماً فى ضرعها  
لا تحلب . الرياش : الثياب . تبصّر الحفل : نظر الجمع وشخص فيهم . نقاد :  
مفكش ، كأنه ينفد ببصره الرجال ، ويريد أنه نظر من شرط القاضي أهل الحزم

(١) سورة المائدة ٦٧ .

والجراءة، فأخبرهم بقصة ابنه، فأنطلقوا فأنوابه، ونقاد الدرام: الذي يُمكن النظر فيها والتقلب لها، ليميزَ جيدها من رديها. وحى إشارة، ويريد إشارة العين، إذا غمزت مَنْ تريد أن يفهم إشارتك دون غيره، والوحى: الإيماء الخفى. ضرب غام: أسد في عظم خلقته وشدة. النفاض: التفاؤل والسكوت عن الظالم. الصدى: الذى علاه الصدا، وهو وسخ السيف. والأخلاف جمع خاف، وهو ما يجلب منه اللابن ويقبض عليه الحالب. قال ابن دريد: وقيل: الخلف للناقة كالضرع للبقرة. أحجم: تأخر. أمربت: أوضعت. أعجم: أبهم وأبس. أذكيت: أوقدت. أخذ: أطفأ، وخمدت النار: طفيء لها. كفلته: رببته. دب: مشى مشى صغير على يديه ورجليه. شب: صار شاباً. ألطف: أشفق وأرق. رب: أصلح، يريد أنه أصلح أحواله، وأحسن تربيته تميزاً من أن ينسبه القاضى إلى تقصير. أكبر: رآه كبيراً. أطرف: أعجب، وجعلهم يستطرفون خبره. الشككين: الفقدين، يريد أن الرجل إذا عمه ولده ولم يبره فسكانه قد فقدته.

### [ ذمّ العقوق ]

ومما جاء فى العقوق: كان جرير الشاعر أعقّ الناس بأبيه، وكان بلال ابنه كذلك، فراجع جرير بلالاً فى الكلام، فقال له بلال: الكاذب بينى وبينك ناك أمه، فأقبلت أمه عليه، وقالت: يا عدو الله، تقول هذا لأبيك! فقال جرير: دعيه، فسكانه سمعها منى وأنا أقولها لأبى.

ومن شهر عنه العقوق بوالديه الخطيئة الشاعر، قل يهجو أباه:

لحاك الله ثم لحاك حقاً أباً ولحاك من عمه وخال<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ١١٩

فبئس الشيخ أنت لدى الحازي وبئس الشيخ أنت لدى المعالي  
جمعت اللؤم لاحتمالك ربي وأبواب السماعة والضلال  
وقد تقدم هجو نفسه وأمه .

ومن هجا أباه وغيره على بن بسام ، وما سلم من هجائه أمير ولا وزير ،  
ولا كبير ولا صغير ، ومما قال في أبيه :

هيك عُمرت عُمرَ عشرين نَسْرًا أنرى أنى أموت ونبقى<sup>(١)</sup>  
فلئن عشتُ بعد موتك يوما لأشقن جيب مالك شقا  
وقال فيه أيضا :

بمئتُ لأسمدك عَيْرًا ولم أكن عَلِمْتُ بأن التير صار لنا صِهْرًا  
فوجهُ به كي نشترك في ركوبه فتركه بطنًا وأركبُه ظهرًا  
وقال فيه أيضا :

شدت دارًا خلقها مكرمة ساط الله عليها الفرقا  
وأرانيك صريعًا وسقطها وأرانيها صعيدا زلقًا  
وقال فيه أيضا :

بني أبو جعفر دارًا فشيدها ومثله لظهور الدور بناء  
فالجوع داخلها والذل خارجها وفي جوانبها بؤس وضراء  
ما ينفع الدار من تشييد حائطها وليس داخلها خبز ولا ماء

وكذب ، كان أبو جعفر محمد بن نصر بن منصور بن يسام في نهاية  
السودد والمروءة والنظافة ، رجل مترف نبيل المركب ، مالمح الملبس ، ظريف  
العلمان ، له همة في تشييد البنيان ، ومارثاه ابن الرومي به بدل على كذب ابنه ،  
قال ابن الرومي فيه :

(١) ابن خالكان ١ : ٣٠٢ .

أَوْدَى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بَعْدَمَا ضُرِبَتْ بِهِ فِي جُودِهِ الْأَمْثَالُ<sup>(١)</sup>  
 مَلِكٌ تَنَافَسَتْ الْعَلَا فِي عَمْرِهِ وَتَنَافَسَتْ فِي مَوْتِهِ الْأَجَالُ  
 مَنْ لَمْ يَبَايِنَ سَيْرَ نَعْمِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تُسِيرُ الْأَجْبَالُ  
 وَدَخَرَتْهُ لِادِّهْرِ أَعْلَمُ أَنَّهُ كَالْحَصْنِ فِيهِ لِمَنْ يَثُولُ مَالُ  
 وَتَمَتَّتْ نَفْسِي بِرُوحِ رَجَائِهِ زَمَنًا طَوِيلًا وَالتَّمَتُّعَ مَالُ  
 وَرَأَيْتُهُ كَالشَّمْسِ إِنْ هِيَ لَمْ تُنْزَلْ فَالرَّقُّقُ مِنْهَا وَالضُّيَاءُ يَنْالُ  
 لَمْ فِي لَفْقِكَ بِأَعْمَدٍ إِنَّهُ فَقِدْتُ بِكَ النِّفْعَاتِ وَالْأَنْفَالُ  
 بِاللَّهِ أَقْسَمُ إِنْ هَمَّكَ مَا انْقَضَى حَتَّى انْقَضَى الْإِحْسَانُ وَالْإِجْمَالُ

وَلابن بسام يمزى أبا القاسم بن وهب في ابن مات له :

قُلْ لِأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ وَهْبٍ أَنِّي بِكَ الدَّهْرُ لِلْمَجَائِبِ<sup>(٢)</sup>  
 مَاتَ لَكَ ابْنٌ وَكَانَ زِينًا وَعَاشَ ذُو الشَّيْنِ وَالْمَعَائِبِ  
 حِمَاةٌ هَذَا كَوْتُ هَذَا فَلَيْسَ تَخْلُو مِنْ الْمَصَائِبِ

وَقَدْ تَقَدَّمَ هَجْوُهُ فِي أَخِيهِ .

وَمِنْ حَسَنِ التَّمَطُّفِ عَلَى الْإِبْنِ الْمَاقِ ، قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ الصَّابِرِ ، وَكَانَ ابْنُهُ يَمُتُّهُ :

أَرْضَى عَنْ ابْنِي إِذَا مَا عَقَنِي حَذَرًا عَلَيْهِ أَنْ يَفْضُبَ الرَّحْمَنُ مِنْ غَفَقِي  
 وَلَسْتُ أَدْرِي بِمِ اسْتَحَقَّقْتُ مِنْ وَلَدِي إِسْخَانًا عَيْنِي وَقَدْ أَقْرَرْتُ عَيْنَ أَبِي !

• • •

قَوْلُهُ : وَلَرُبَّ عَقْمٍ ، الْعَقْمُ الْأُ تَلْدُ الْمَرَاةَ .

(١) مختارات البارودي ٣ : ٣٢٤

(٢) خاص الخامس ١٠٩

فقال الغلام ؛ وقد أمتعه هذا الكلام : والذي نصب  
 القضاة للمدال ، ومدكهم أمانة الفضل والفضل ، إنه مادعا قط  
 إلا أمنت ، ولا ادعى إلا آمنت ، ولا لبي إلا وأخرمت ،  
 ولا أوري إلا وأضرمت ؛ بيد أنه كمن ينبغي بيض الأنوق ،  
 ويطلب الطيران من النوق . فقال له القاضي : وبم أغنتك ،  
 وامتحن طاعتك ؟ قال : إنه منذ صفر من المال ، ومني  
 بالإحمال ، يسومني أن أتلمظ بالسؤال ، وأستمطر سغب  
 التوال ؛ ليفيض شربه الذي غاض ، وينجبر من حاله ما انهاض ،  
 وقد كان حين أخذني بالدرس ، وعلمني أدب النفس ،  
 أشرب قلبي أن الحرص متعبة ، والطمع مغتبة ، والشره متخمة ،  
 والمسألة ملامة .

• • •

أمتعه : أوجمه وأغضبه ، وأمعض من ذلك وامتعض : غضب وشق عليه  
 وأوحعه . ادعى : نسب لنفسه ما شاء ، وفلان مدّع وفله الدعوى . آمنت :  
 صدقت ما ادّعاء . لبي : من تلبية الحاج إذا صاح : لبّيك لبّيك . أحرمت : صرت  
 محرماً . أوري : أظهره النار من الزند . أضرمت : أوقدت . بيد : غير الأنوق ؛  
 ذكر الرّخم ولا يبيض له ، فكأنه طلب أمراً لا يكون أبداً ، ومثله : طلب الأبق  
 العقوق ، والأبلى الذكر والعقوق من الخيل : التي امتلأ بطنها من حملها ؛ يقال  
 للأشي : قد أعقت وهي معق وعقوق ؛ فكأنه طلب أمراً لا يكون أبداً ، لأنه  
 لا يكون الأبلق عقوقاً .

وبقال : إن رجلاً سأل معاوية أن يزوجه أمه هنداً ، فقال : أمرها إليها ،  
 وقد أبت أن تنزوج ، قال : فولّى مكان كذا وكذا ، فقال معاوية ممثلاً :

طلب الأباقي العَفوق فلما لم ينله أراد بيضَ الأنوقِ  
والأنُوقُ : طائر أبيض في شواحق الجبال ، فبيضها في حرز لا يطمع فيه ،  
فعناه طلب مالا يكون ، وأما طلب الطَّيْران من النوق فمثل الأول، وهو لا يمكن .  
قوله : أعنتك ، أى أنْعَبَكَ ، وكَلَفَكَ ما يشق عليك ، من عَنَتَ البعير بعِنت عنتاه ،  
إذا حَدَثَ في رجله كَثُرَ بعد الجبر ، فلا يمكنه التَّصَرُّف إلاَّ بمشقة . قال  
أبو عبيد رحمه الله : عنته : أضربه ، والعنت : الضرر ، قال : وأعنته أيضا ، أهلكه .  
وقال أحمد بن عبيد : أعنته : شدد عليه ، والعنت : التشديد .

ابن عزيز : عنت : هلاك ، وأصله المشقة والصعوبة ، ومنه قولهم : أكمة  
عُنوت ، إذا كانت صعبة المسالك ، وقوله تعالى : ﴿لَا أَعْنَتُكُمْ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى  
لأهالككم ، ويجوز أن يكون المعنى لشدد عليكم وتعبدكم بما يصعب أدائه  
عليكم ، كما فعل بمن قبلكم . امتحن : ابتلى . صفر : خلا . مَنَى : بلى .  
الإحمال : الجذب والفقر . يسومى : يكلفى . أتلهظُ بالسؤال ، أى أكثر  
السكلام به ، والتلهظُ : تنصت ما بقى في الفم من الطعام باللسان بعد الأكل . سَحَبَ :  
جمع سَحَابَةٍ . النوال : العطاء ، قال ابن الأنباري رحمه الله : النُّول والنوال :  
المنفعة والحظ ، ونِلت الرجل : إذا نفعته ، وأنلته حظًا ونالني فلان : نفعني ،  
وقولهم : ما كان نَوْلُك أن تفعل كذا ؛ أى ما كان لك منفعة في هذا الفعل ،  
ونولك : منصوب خبر كان وأن فعل اسم كان أو بالمكس . يفيض : يسيل ويكثر .  
شربه : ماؤه ، وأراد به ماله : غَاض : جَفَ . انهاض : انكسر . أشرَب :  
روى وسقى . الحرص : كثرة الطمع والطلب للدنيا ، والشره : الحرص  
الكثير . مَتْنَمَةٌ : مفسدة ، والمسألة : سؤال ما في أيدي الناس . مَلَأْمَةٌ : لؤم .

\*\*\*

ثم أنشدني من فلقٍ فيه ، ونَحَتْ قوافيه :

إَرْضْ بِأَذْنِي الْعَيْشِ وَاشْكُرْ عَلَيْهِ      شَكَرَ مَنْ الْقُلُّ كَثِيرٌ لَدَيْهِ  
وَجَانِبِ الْحَرِصِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ      يَعْطُ قَدْرَ الْمَتَرِاقِ إِلَيْهِ  
وَحَامٍ عَنْ عِرْضِكَ وَاسْتَبْقِهِ      كَمَا يَحَامِي اللَّيْثُ عَنْ لِبْدَتَيْهِ  
وَاصْبِرْ عَلَى مَا نَابَ مِنْ فَاقَةٍ      صَبَرَ أَوْلَى الْعَزْمِ وَأَغْمَضَ قَلْبِهِ  
وَلَا تُرِقْ مَاءَ الْحَيَا وَلَوْ      خَوَّلَكَ الْمَسْتَوِلُ مَا فِي يَدَيْهِ  
فَالْحَرْثُ مَنْ إِنْ قَذَيْتَ عَيْنُهُ      أَخْفَى قَذَى جَفْنَيْهِ عَنْ نَاطِرِيهِ  
وَمَنْ إِذَا أَخْلَقَ دِيْبَاجَهُ      لَمْ يَرِ أَنْ يُخْلِقَ دِيْبَاجَتَيْهِ

• • •

فَلَقَ : شَقَّ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهِ . نَحَتْ : نَجَرَ ، أَرَادَ إِنْشَاءَ قِصَائِدِهِ . وَالْقَوَافِي ، مِنْ قَنُوتِ الشَّيْءِ ، إِذَا تَبَعَتْهُ ، وَسَمَّيْتَ بِذَلِكَ الْإِتِّبَاعَ بَعْضُهَا بَعْضًا الْقُلُّ : الْقِلَّةُ . الْمَتَرِاقُ : الْمُرْتَفِعُ . لِبْدَتِيَّةٌ . شَمَرٌ مُتَلَبِّدٌ عَلَى كَفْلِهِ وَبَيْنَ كِتْفَيْهِ . نَابَ : نَزَلَ . فَاقَةٌ : فَقْرٌ . أَغْمَضَ ، أَيْ اسْتَرَاهُ وَاغْفَلَ عَنْهُ ، وَالْحَيَا : الْوَجْهَ . خَوَّلَكَ : مَدَّكَ . النَّاطِرُ : سَوَادُ الْعَيْنِ ، فَيُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ فِي عَيْنَيْهِ قَذَى وَهُوَ السَّقَطُ عَلَى شِدَّةِ إِذَابَتِهِ ، احْتَمَلَهُ الْحَرُّ الْكَرِيمُ وَصَبَرَ عَلَيْهِ ، وَأَخْفَاهُ مِنْ نَاطِرِيهِ : تَجَلَّدَ ، أَيْ أَخْفَى أَدَى بَعْضَ الْعَيْنَيْنِ مِنْ بَعْضٍ ، وَهَذَا غَايَةُ فِي الْمُبَالَغَةِ . دِيْبَاجُهُ : ثَوْبُهُ ، وَالدِّيْبَاجُ : ثَوْبٌ رَفِيعٌ . دِيْبَاجَتَيْهِ : خَدَيْهِ ، وَقِيلَ دِيْبَاجَةُ الْخَلْدِ حَسَنُ بَشَرَتِهِ ، وَأَخْلَقَ الشَّيْءُ ، وَأَخْلَقَهُ غَيْرُهُ لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ ، يَقُولُ : إِذَا افْتَقَرْتَ وَبَلَ ثَوْبُكَ فَلَا تَبْذُلْ وَجْهَكَ لِأَحَدٍ ، وَلَا تَهِنَنَّ بِالسُّؤَالِ ، وَهَذَا مِنْ قَوْلِ حَبِيبٍ :

ذَلَّ السُّؤَالُ شَجْعًا فِي خَلْقٍ مَعْقِرٍ  
 مِنْ دُونِهِ شَرَقَ مِنْ خَلْفِهِ حَرَضٌ<sup>(١)</sup>  
 مَا مَاءٌ كَفَكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخَلَتْ  
 مِنْ مَاءٍ وَجْهِي إِذَا أَفْنَيْتُهُ عَوَضُ  
 وَقَالَ فِي ابْنِ الزُّبَايَا :

أَعْطَى وَنَطْفَةً وَجْهِي فِي قَرَارَاتِهَا  
 يَصُونُهَا الْوَجَعَاتُ الْفُضَّةُ الْقُشْبُ<sup>(٢)</sup>  
 يَقُولُ : لَمْ يَخْلُقْ وَجْهِي سُؤَالٌ ، فَوْجِئِي غَضَّ جَدِيدٌ ، وَالنَّطْفَةُ : مَاءُ الْوَجْهِ  
 الَّذِي نَهَى الْحَرِيرِيَّ عَنْ إِرَاقَتِهِ حِينَ قَالَ :

وَلَا تُرِقْ مَاءُ الْحَيَا وَلَوْ خَوَّلَكَ الْمَشْوَلُ مَا فِي يَدَيْهِ

[ بَيْنَ أَبِي تَمَامٍ وَعَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ ]

قَالَ الصَّوْلِيُّ : كَانَ حَبِيبٌ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَحْبِيبُ هَاجِيًا ، تَرْفَعًا عَنْهُ ، فَأَمْدَرَ  
 إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَازِ يَمْدَحُ مِنْ بَهْمَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ :

أَنْتَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ تَبْزُرُ لَنَا س<sup>(٣)</sup> بِكَلَّتَيْنِهَا بَوَجْهِ مُذَالٍ<sup>(٤)</sup>  
 لَسْتَ تَنْفَكُ طَالِبًا لَوْصَالٍ مِنْ حَبِيبٍ أَوْ طَالِبًا لِنَسْوَالٍ  
 أَيْ مَاءِ الْحَرِّ<sup>(٥)</sup> وَجْهَكَ يَبْقَى بَيْنَ ذَلِّ الْهَوَى وَذَلِّ السُّؤَالِ  
 فَلَمَّا قَرَأَ الشَّعْرَ قَالَ : قَدْ شَغَلَ هَذَا مَا يَأْلِيهِ ، وَلَا أَرَبَ لَنَا فِيهِ<sup>(٦)</sup> .

وَحَكَى الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ : جَمَعَ مَجْلِسُ أَبِي تَمَامٍ وَعَبْدِ الصَّمَدِ ، وَكَانَ عَبْدُ الصَّمَدِ

(١) ديوانه ١٤٩

(٢) ديوانه ٤٨ .

(٣) في أخبار أبي تمام للصولي : « تفدو مع الناس » .

(٤) المذال : المهان .

(٥) « الصولي : لاء وجهك » .

(٦) أخبار أبي تمام للصولي ٢٤٢، ٢٤١

سريح القول ، وفي أبي تمام بطء ، فأخذ عبد الصمد قرطاسا ، وكتب : أنت بين اثنتين .. الأبيات ، ورمى بها إلى أبي تمام ، فأخذه وخلّا به طويلا ، وجاء وقد كتب فيه :

أفّ تنظّم قولَ الزُّورِ والفَنَدِ وَأنتَ أنزُرُ مِن لا شيءٍ في العدَدِ  
أُشْرِجْتَ قلبك من بفض على حُرَقِي<sup>(١)</sup> كأنها حرّكاتُ الرُّوحِ في الجَسَدِ

فقال له عبد الصمد : يا ماصّ بظُرّ أمه<sup>(٢)</sup> ، أخبرني من « لا شيء » في العدد كيف يكون ؟ وعن قولك : « أُشْرِجْتَ<sup>(٣)</sup> قلبك » ، أعيبة أو خرّج ، فأُشْرِجَ ، عليك لعنة الله<sup>(٤)</sup> .

فانقطع أبو تمام انقطاعاً ماريّ مثله .

وحكاية الصوليّ أوّلَى بالصحة من هذه ، وليس عبد الصمد من رجال أبي تمام ، ولاله من الذصرَف في أنواع الشعر ما لأبي تمام ، وصنمُ البديع وَفَتْ عليه ، ولو صحت الحكاية فلا يحكم بالقدرة ، لكن يحكم بالجملة ، واستعمال ديوان حبيب في مجالس العلماء شاهد على فضله ، على أن ما جمعنا لعبد الصمد في هذا الكتاب غاية في بابه . فلنرجع إلى ما قيل في ذل السؤال .

[ مما قيل في ذل السؤال ]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سأل وعنده ما يفدّيه أو بعشيّه ، فإنما يستكثر من تجرّ جهنّم » .

(١) ط : « أُشْرِجْتَ » بالسّين تصحيف .

(٢) بعدها في الأغاني : « يا فت » . وأُشْرِجْتَ العيبة : أو شدّدتها بخيط أو نحوه

(٣) أُشْرِجْتَ العيبة : شدّدتها بخيط .

(٤) الخبر في الأغاني ١٣ : ٢٥٣ ، ٢٥٤ برويه عن ابن مهرويه . وفي آخر الخبر : قال

أبو الفرج الأصفهاني : « كان في ابن مهرويه تحامل على أبي تمام لا يضر أبا تمام هذا منه ، وما أقل ما يقدح مثل هذا في أبي تمام » .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : حسبك من السؤال أنه يهذف  
لسان المتكلم ، ويكسر قلب الشجاع البطل ، ويوقف الحر الكريم موقف  
العبد الذليل ، وبذهب بفضرة اللون ، ويححو الحسب ، ويحبب الموت ، ويمت  
الحياة .

الأصمعي رحمه الله : سمعت أعرابياً يقول : المسألة طريق المذلة ، تساب  
الشريف عزه والحبيب حسبه .

وقال معاوية لعبد الله بن الزبير : أنشدني ثلاثة أبيات غريبة ، فقال  
أنشدكها بثلاثين ألفاً تدفعها إلي ، فقال : حتى تنشد فأسمع ، فأنشده أبيات  
الأفوه الأودى<sup>(١)</sup> :

بلوتُ الناسَ قرناً بعد قرنٍ فلم أرَ غيرَ خَلٍّ أو فَعَالٍ<sup>(٢)</sup>  
ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ ضرراً وأذىً مِن مُعَاداةِ الرِّجَالِ<sup>(٣)</sup>  
وذقت مرارة الأشمَاء طراً فما شيءٌ أمرُّ من السؤال  
ثم قال له : أسمعك وأنت الحكم ، فحكّم له ، وأمر له بثلاثين ألفاً .  
وينظر إلى ما نسبته ابن المعتز لحبيب من إضافة ذل السؤال ، ما أضافه له  
علي بن الجهم من ذل الاعتذار ، وقال يعقود للمتوكل :

إن ذلَّ السؤال والإعتذارِ خُطَّةٌ صَغْبَةٌ على الأحرارِ<sup>(٤)</sup>  
ليس من باطلٍ تورّدها المرءُ ولكن سوايقُ الأقدارِ  
فأرض للسائل الخضوعَ وللقا رِفَ ذنباً بذلة<sup>(٥)</sup> الاعتذار

(١) ديوانه ٢٢ ( مجموعة الطرائف الأدبية ) ، ميون الأخبار ٣ : ١١٣ .

(٢) الديوان : « غير خلاف وقال » .

(٣) رواية الديوان : « فما طعم الخطوب » .

(٤) ديوانه ١٤٩ .

(٥) الديوان « مضاضة » .

إِنْ تَجَافَيْتَ مِنْهَا كُنْتَ أَوْلَى مَنْ تَجَافَى عَنِ الذُّنُوبِ الْكُبَرِ  
أَوْ تَعَاقَبْ فَإِنَّ أَعْرَفَ بِاللَّهِ وَلَيْسَ الْعِقَابُ مِنْكَ بِعَارٍ

وقال أيضاً :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَعَجَّلُ وَلَقَدْ هَرَأْيَا نَجْوَى وَتَعَدَّلُ<sup>(١)</sup>  
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ بِجَمِيلَةٍ وَأَكْلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّفَضُّلُ  
وَلَا عَارَ أَنْ زَالَتْ عَنِ الْمَرْءِ<sup>(٢)</sup> نِعْمَةٌ وَلَكِنْ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّعَجُّلُ  
وَمَا الْمَالُ إِلَّا حَسْرَةٌ إِنْ تَرَكْتَهُ وَغُفْمٌ إِذَا قَدَّمْتَهُ مَعْمَجُلُ

\*\*\*

قَالَ : فَعَبَسَ الشَّيْخُ وَكَفَهَرَ ، وَانْدَرَأَ عَلَى ابْنِهِ وَهَرَ ،  
وَقَالَ لَهُ : صَهْ بَاعِثُكَ ، يَا مَنْ هُوَ الشَّجِيُّ وَالشَّرْقُ . وَيَكْ ،  
أَتَعْلَمُ أَمَّكَ الْبِضَاعَ ، وَظَنَرَكَ الْإِزْضَاعَ ! لَقَدْ تَحَكَّمَتْ الْقَرَبُ  
بِالْأَفْعَى ، وَاسْتَنْتَ الْفِصَالُ حَتَّى الْقَرْعَى . ثُمَّ كَأَنَّهُ نَدِمَ عَلَى  
مَافَرَطٍ مِنْ فِيهِ ، وَحَدَّثَهُ الْمَقَّةُ عَلَى تَلَاْفِيهِ ، فَرَنَّا إِلَيْهِ بِمَبْنِ  
عَاطِفٍ ، وَخَفَضَ لَهُ جَنَاحَ مُلَاطِفٍ ، وَقَالَ لَهُ : وَيَكْ يَا بُنَى ،  
إِنَّ مِنْ أَمْرٍ بِالقِنَاعَةِ ، وَزُجِرَ عَنِ الضَّرَاعَةِ ، فَمِ أَرَبَابُ الْبِضَاعَةِ ،  
وَأَوَّلُو الْمَكْسَبَةَ بِالصَّنَاعَةِ : فَأَمَّا ذَوُو الضَّرُورَاتِ ، فَقَدْ اسْتَنْتَنِي  
بِهِمْ فِي الْمَحْظُورَاتِ ؛ وَهَبَكَ جَهَاتَ هَذَا التَّأْوِيلِ ، وَلَمْ يَبْلُغْكَ  
مَا قِيلَ ، أَلَسْتَ الَّذِي عَارَضَ أَبَاهُ ، فِيمَا قَالَ وَمَا حَابَاهُ !

قوله : اكفهر ، اشتد هبوسه ، ووجه مكفهر : منقبض كالح ، لا يرى فيه أنزُ بشر ولا فرح . اندرأ : اندفع على ابنه بالشتم . مر : كثر وجهه وحبسه . صه : اسكت . باعقق : بكثير العقوق ، ويقال : عاق أباه بعمقه عقوقا ، فهو عاق ، وُبدل إلى عقق للبالغة ، كما صر وعمر ، وعق أباه : لم يطمه وطمع رحمه . ولما قُتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن عمه ، مر به أبو سفيان ، فطمه بالرمح في شِدْقِه ، وقال : ذق عقق ، أى ذق جزاء قتلِكَ يا عقق ، والعق : القطع والشق .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والدبوث ، ورجلة <sup>(١)</sup> النساء » .

قوله : الشجَا : الاختناق بالطعام ، الشرق بالماء والطعام والشراب ، بهما قوام العيش ، فإذا عرض فيهما ذلك فقد عرضت مشقة وأذية في موضع الالتذاذ ، وكذلك الولد العاق ، وهو أذية في موضع راحة ، وما أحسن قول القائل :

قراءة السوء داء سوء فاحمل أذاهم بعش حمدا  
فن تكن قرحة بفيه يصير على مصه الصديدا

المضاع : الفكاح والجماع . ظنرك : مرضعتك . تحككت : لصقت بها وحلقت حوايلها . استقت : جرت متتابعة في سنن ، وهو الطريق والمذهب ، ومنه فلان بسنن ، أى يجرى على أى أمر شاء ، لا يجره عنه زاجر . وقيل : استقت ، أى سمعت ، من قولهم : سن الراعى لبله ؛ إذا أحسن رعيها فأسمنها ، فكأنه حسننها وصقلها . القرعى <sup>(٢)</sup> : التى يصيبها الفرع فى رأمها ، والقرعى : جمع قريع ، مثل مريض ومريض ، وهذه أمثال تضرب لمن ينشبه بغيره ، ولا يقوى قوته .

(١) الرجل ( بالضم ) من النساء المترجلة ابن الأثير .

(٢) لفظ المثل : استقت الفصل حتى القرعى ، ذكره الميداني في ١ : ٣٣٣ ، وقال : « يضرب »

لذى يتكلم مع من لا ينبغي أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره » .

فرط : سبق . حدثه : ساقته . المقة : الحبة . تلافيه : تداركه بالمعطف عليه .  
 رنا : نظر : عاطف : راحم . ملاطف ، أى رفيق به ، أى حسن كلامه وأمنه .  
 وخض الجناح ؛ يكنى به من لين الجانب وبك : عجباً لك ! زجر : نهى .  
 الضراعة : التذلل ، وضرع ضراعة فهو ضارع ، تضرع : تذلل وتخضع . البضاعة :  
 التجارة . المحظورات : المنوعات ، وأراد بالاستثناء ما أحل الله من المحرمات  
 لأهل الضرائر ، ويروى : سوغوا فى المحظورات ، أى رخصوا لهم فيها . هبك :  
 أحسبك . التأويل : التفسير . ولم ييلفك ما قيل ، يعنى فى إباحة السؤال للمضطر ،  
 وهو قول الناس : الضرورات تبيح المحظورات ، ويصدق قوله تعالى : ﴿ قَمَنَ  
 اضْطُرُّ فِي مَخْصَةٍ ﴾ <sup>(١)</sup> الآية ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما المسألة كدوح يكدح  
 بها أحدكم وجهه إلا مسألة من ذى سلطان أو من أمر لا بد منه » . عارضه :  
 قابله بتقيض ما قاله . حابه : اختصه بهذه الوصية ، أى جعل هذا الشمر وصية  
 لمن سمعه ، ويقال : حابى فلان فلاناً ، إذا مال إليه واتصل به ، أخذ من حبي  
 السحاب ، وهو السحاب الذى يدنو بمضه من بعض وقيل . حباه : خصه  
 باليل ، أخذه من الحبوّة ، وهى العطية يحبوها الرجل صاحبه ، ويخصه بها ،  
 قال اليزيدى : ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك : ابنك ، وزوجك ، وخادمك .

\*\*\*

لا تَقْمُدَنَّ عَلَى ضُرٍّ وَمَسْقَبَةٍ لِكَيْ يَقَالَ عَزِيزُ النَّفْسِ مُصْطَبِرٌ  
 وَانْظُرْ بِعَيْنِكَ هَلْ أَرْضٌ مُعْطَلَةٌ مِنَ النَّبَاتِ كَأَرْضِ حَقِّهَا الشَّجَرُ  
 فَقَدْ عَمَّا تُشِيرُ الْأَغْيَاءُ بِهِ فَأَيُّ فَضْلِ لِعُودٍ مَالُهُ ثَمَرٌ  
 وَارْحَلْ رِكَابَكَ عَنْ رُبْعٍ ظَمِئَتْ بِهِ  
 إِلَى الْجَنَابِ الَّذِي يَهْنِي بِهِ الْمَطَرُ

(١) سورة المائدة ٣ .

وَأَسْتَنْزِلِ الرِّىَّ مِنْ دَرِّ السَّحَابِ فَإِنْ  
 بُلَّتْ يَدَاكَ بِهِ فَلْيَهِنْكَ الظَّفَرُ  
 وَإِنْ رُدِدْتَ فَمَا فِي الرَّدِّ مَنَقَصَةٌ  
 عَلَيْكَ ، قَدْ رُدَّ مُوسَى قَبْلُ وَالْخَضِرُ

\* \* \*

مُسْفِيَةٌ : جوع . حَقَّهَا : حَلَقَهَا ، يَرِيدُ أَنْ الْأَرْضَ فَاتِ الْخَضِرِ تَقْصِدُ  
 لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَرْزَاقِ ، وَالْأَرْضُ الْمُعْطَلَةُ مِنَ الْغَبَاتِ - وَهِيَ الْجَدْبَةُ - يَفْرَغُ عَنْهَا ،  
 وَكَذَلِكَ الْغَنَى يُسَكِّرُ لِمَالِهِ ، وَالْفَقِيرُ يَهْجُرُ وَيَهَانُ .

### [ فضل المال ]

ومما جاء في فضل المال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمجاشعي : « إِنْ  
 كَانَ لَكَ مَالٌ فَلَكَ حَسَبٌ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ خُلُقٌ فَلَكَ مَرُوءَةٌ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ  
 دِينَ فَلَكَ كَرَمٌ » .

وقال حكيم لابنه : يَا بَنِي أَوْصِيكَ ، عَلَيْكَ بِطَابِ الْمَالِ ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا  
 أَنَّهُ عَزَافِي قَلْبِكَ ، وَذُلٌّ فِي قَلْبِ مَدُونِكَ <sup>(١)</sup> .

وقال آخر لابنه : يَا بَنِي أَوْصِيكَ بِأَتْنَتَيْنِ إِنْ تَزَالَ بِخَيْرٍ مَا تَمْسُكْتَ بِهِمَا :  
 دِرْهَمَكَ لِمَعَاشِكَ ، وَدِينَكَ لِمَعَادِكَ .

وكان سعد بن عبادَةَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حِدَاءً وَمَجْدًا ، فَإِنَّهُ لَا مَجْدَ إِلَّا  
 بِفَعَالٍ ، وَلَا فَعَالَ إِلَّا بِمَالٍ .

وقالوا : الْمَالُ آتَةٌ لِلسَّكَامِ ، وَمَعُونٌ عَلَى الزَّمَانِ ، وَمَتَأَنَّفٌ لِلْإِخْوَانِ ، وَمَنْ  
 فَقَدَهُ قَلَّتِ الرِّغْبَةُ إِلَيْهِ وَالرَّهْبَةُ مِنْهُ .

قال سفيان الثوري : الْمَالُ سِلَاحٌ لِلْمُؤْمِنِ فِي هَذَا الزَّمَانِ .

(١) هاشم ط : « قوله : » فَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنَّهُ « جواب لو محذوف ، أي لك ما لك أو نعموه ،  
 ( ١٦ - فرج مقامات الحريري ج ٤ )

وكان لأحيعة بن الجلاح بالزوراء ثمانمائة ناضح ، فدخل بسقاها له ، ففتر بثمره  
فلقطها ، فليم على ذلك ، فقال : ثمرة إلى ثمرة تمرات ، وجعل إلى جعل ذود .  
ثم أنشد يقول :

إني مقسم على الزوراء أعمرها      إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال<sup>(١)</sup>  
استغن أومت ولا يفرزك ذو نسب      من ابن عم ومن عم ومن خال<sup>(٢)</sup>  
كل الغداء إذا ناديتُ بخذلي      إلا الغداء إذا ناديتُ يا مالى  
وقال مروة بن الورد :

ذري للنسي أسمى فإني      رأيتُ الدس شرهم الفقير<sup>(٣)</sup>  
وأدنام وأهونهم عليهم      وإن أسمى له حب وخير  
يُساعده القريب ونزديه      حاملته ويقهره الصغير  
وبلقى ذو النى وله جلال      يكاد فؤاد لاقية بطير  
قليل ذنبه والذنب جم      ولكن لافى رب غفور

ومن أمثال بغداد : المال المال ، وما سواه محال .

قوله : الأغنياء : الجاهل ، وأراد بهم الذين يأمرون بالبخل . ظمئت :  
عطشت . والركاب : الإبل . والجناب : الجانب والناحية . يهيى : يسهل .  
والرئى : الشئع من الماء ، والصوب وقع الماء . ولاظفر : الفوز بالحاجة ،  
يقول : فارق أرضك واغترب في طلب المال ، واسأل الكرماء يعطوك .

وقال الشاعر :

سأعيل نص العيس يوماً ليكني      غنى المال يوماً أو غنى الخدمان  
فللموت خير من حياة يرى بها      على المرء بالإقلال وتسم هوان

(١) الأغاني ١٥ : ٣٧ ، وفيه : « على الإخوان » (٢) الأغاني : « ولاهم »

(٣) البيان والتبيين ١ : ٢٣٤ ، ولم ترد الأبيات في ديوانه .

إذا قال لم يَسْمَعْ الحسن مقالَه وإن لم يقل قالوا عديمُ بيان  
 كَانِ الفى فى أهله يجعل الفى فى لسان ناطقاً بلسان  
 وأشار بقوله : « قد رد موسى قبل والخضر ، إلى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا  
 أَتَيْكَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا ﴾ <sup>(١)</sup> .

وفى نسب الخضر اختلاف ، منهم مَنْ جعله من قابيل بن آدم ، ومنهم من  
 يجعل بينه وبين سام بن نوح خمسة آباء ، ويجعله من ذرية سام ، وقال عليه  
 الصلاة والسلام : « إِنَّمَا سُمِّيَ خَضِرًا لَأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فُرْوَةٍ بَيْضَاءَ ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ  
 خَضِرَةً » . وللفروة : الأرض البيضاء ، وقصته مع موسى مشهورة . وقيل إن  
 موسى صاحبه غير موسى بن عمران . وقال موسى للخضر حين قارقه : عظمى  
 فقال : لا يراك الله حيث نَهَاكَ ، ولا يفقدك حيث أَمَرَكَ ، فكما تذهب بأمل  
 صادق فتغيب ، قد تذهب بأمل كاذب فتصيب ، وتذهب للحقير ، وتترك  
 الجليل . وقد ذهب موسى ليقْتَبِسَ ناراً ، فكلمه ربه . وقد تقدّم هذا .

قال ابن عهده ربه : مما جُبِّلَ <sup>(٢)</sup> عليه الحرّ الكريم ، ألا يقنع من شرف  
 الدنيا والآخرة بشيء مما انبسط له من أمر الدنيا ، بل يكون أملاً فيما هو أسنى  
 درجة وأرفع مرتبة ، ولذلك قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو عامل  
 بالمدينة لدُكَيْنِ <sup>(٣)</sup> الراجز : إن لى نفساً تَوَاقَةً ، فإذا بلغت أنى صرت إلى أشرف  
 من منزلتى فأتنى . فلما صار خليفة أتاه ، فقال : أنا أعلمك أن لى نفساً تَوَاقَةً ،  
 وأن نفسى ناقت إلى أشرف منازل الدنيا منزلة ، فلما بلغتْها وجدتها تتوق إلى  
 أشرف منازل الآخرة منزلة .

ومن الشاهد لهذا المعنى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه تكليماً ساءه ،

(١) سورة الكهف ٧٧ (٢) ط : « الرعين » تحريف (٣) المقدم ٣ : ٢٠ ، ٢١

الغفر إليه إذ كان ذلك - لو وصل إليه - أشرف من المنزلة التي نالها ؛ فالحرّ  
السكرام لا يقنع بمنزلة إلا رجا أشرف منها قال : ومن قولنا في هذا المعنى :

والحرّ لا يكتفى أبداً من نيل منزلة حتى ينال ألقى من دونها العطبُ  
يسعى به أملٌ من دونه أجلٌ إن كَفَّه رهبٌ يدعو به رغبٌ  
لذلك ما سال موسى ربه : أرني أنظرُ إليك وفي تسأله عجبٌ  
يبغى التزيد فيما نال من كرم وهو النجى لديه الوحي والكتب

وقال حبيب :

ذري وأهوال الزمان أقاسها فأهواله العظمى نلها رغبته<sup>(١)</sup>

• • •

قال : فلهذا أن رأى القاضى تنافى قول الفتى وفعله ، وتَحَلَّيه  
بما لَبَسَ من أهله ، نَظَرَ إليه بعينِ غَضَبِي ، وقال : أَتَمِيمًا مَرَّةً وَقَبْسِيًا  
أُخْرَى ! أَفَ لِمَنْ يَنْقُضُ مَا يَقُولُ ، وَيَتْلُوْنَ كَمَا تَتْلُوْنَ الْقَوْلُ .  
فقال الغلام : وَالَّذِي جَمَعَكَ مَفْتاحًا لِلْحَقِّ ، وَفَتَّاحًا بَيْنَ الْخَلْقِ ؛ لَقَدْ  
أَنْسَيْتُ مَذْأَبِي ، وَصَدِيٌّ ذَهْنِي مَذْأَبِي ؛ عَلَى أَنَّهُ أَيْنَ الْبَابُ  
الْفَتْحِ ، وَالْعَطَاءِ الشُّرْحِ ! وَهَلْ بَيْنَ مَنْ يَتَبَرَّعُ بِاللَّهْأِ ، وَإِذَا اسْتَطْعِمَ  
بقول : ها !

قال له القاضى : مَهْ فَمَعَ الْخَوَاطِي سَهْمٌ صَائِبٌ ، وَمَا كُلُّ بَرَقٍ  
حَالِبٍ . فَيَزِرُ الْبُرُوقُ إِذَا شِئْتَ ، وَلَا تَشْهَدُ إِلَّا بِمَا عَلِمْتَ .

(١) ديوانه ٤٤٤ ،

قوله تحلّيه : تزينه ، وقوله : أنميئاً مرة وقيسياً أخرى ، مثل بضرب لمن  
 يفتاقض فيما يقول ، تقديره : أننسب مرة لتميم ونسب مرة لقيس ، وتميم وقيس  
 قبيلتان عظيمتان ، وبينهما أبداً مكائحات ومقاتل ، وتميم هذا ابن مرة بن أذبن  
 طابخة بن إلياس بن مضر ، وقيس ابن إلياس ، قال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه :  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا الدرداء ، إذا فاخت ففاخر بقريش ،  
 وإذا كثرت فسكائر بتميم ، وإذا حاربت فخارب بقيس ، إلا أن وجهها  
 كغفانة ، ولسانها أسد ، وفرسانها قيس ، إلا أن الله فرسانا في سمانه وهم الملائكة ،  
 وفرسانا في الأرض وهم قيس ، وإن آخر من يقاقل على الإسلام حين لا يبقى  
 إلا ذكره ، ومن القرآن إلا رسمه ، رجل من قيس » ، قلت : يا رسول الله ،  
 من أى قيس ؟ قال : من سليم . وفى البديعية :

إن حالى مع الزما ن كحالى مع "نمّسب"<sup>(١)</sup>  
 أنا أصحى مع النبى ط وأميرى مع العرب  
 نسبى فى يد الزما ن إذا سامه اقلب

وقال زفر بن الحارث لعمران بن حِطّان : أزيدياً مرة ، وأوزاعياً أخرى  
 وقال عمران بن حِطّان :

- فامذر أخاك ابن زنباع فإن له فى النائبات خطوباً ذات ألوان<sup>(٢)</sup>  
 يوماً يمان إذا لقيت ذا يمن وإن لقيت مَعْدِيّاً فمعدانى  
 وقال آخر :

أفى الولائد أولادٌ لواحدة وفى العبيادة أولادٌ لعلات  
 قوله : يتلون ، أى بتغير ويتنوع . والقول : ساحرة الجن ، وهو بمصوّر

(١) مقامات الحمادى ١٠٥

(٢) الكامل ٣ : ١٧٠

في صور شقي . وأخذه من قول كعب بن زهير :  
 فما تدوم على حالٍ تكونُ بها إلا كما تلونُ في أنوابها الغول<sup>(١)</sup>  
 وتزعم العرب أنه إذا انفرد رجل في الصحراء ظهرت له في خِلْفَةِ إنسان ،  
 ولا يزال يبعثها حتى يضل الطريق ، فتدنو منه ، وتتمثل في صور مخافة فتهاكـه  
 رَوْماً . وإذا أرادت أن تضل الناس أوقدت نارا فيُبهرها الساري فيقتصدها ،  
 فتفعل ذلك وتروعه ، فإن كان الذي يأتيها شجاعاً مقدّماً تحامل وتبعها ، فإذا  
 رأت ذلك لم تضره ، وجلس يصطلي بفارها وهي معه . وقال تأبط شراً :

وأدهم قد جبتُ جلبابه كما اجتابت الكاعب الخبيلاً<sup>(٢)</sup>  
 إلى ضوء نارٍ تنورُتها<sup>(٣)</sup> فبت لها مدبراً مُقبلاً  
 فأمسيتُ والغول لي جارةً فيما جارنا أنت ما أهولاً  
 فمن يك عن جارتى سائلاً فإن لها باللوى منزلاً

قال أبو عمرو رحمه الله بات تأبط شراً لئله ذات ظلمة ورعد وبرق بواد  
 يقال له : رحى بطن ، فلقية الغول - وهو سبع من سباع الجن - فما زال يقاتلها  
 حتى قتلها ، فقال :

ألا مَنْ مبلغٌ فبيان فَنَمَ - بما لا قيت عند رحى بطن<sup>(٤)</sup>  
 فإني قد رأيت الغول تهوى بسنّب كالصّحيفة صَحْصَحان<sup>(٥)</sup>  
 فشدت شدة نحوى فأهوى لها كفى بمصقولٍ يماني  
 لها عينان في رأسٍ قبّيع كراس الهرّ مشقوق اللسان  
 وساقاً مخدج وشواة كلب وثوبٌ من عباء أو شتان<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ٨ (٢) الشعر والفراء ٣١٣ . والحيمل : القرو ، واجتأته : ألبسته .

(٣) الفراء : « على شيم نار » (٤) مختار الألفاظ ٢ : ١٥١ .

(٥) السهيب : الفلاة . والصّحبان : ما استوى من الأرض .

(٦) المخدج : الناقص الخلق . والشواة : قحف الرأس . والشتان : القرية الخلقية .

قالوا : وَخَلَقْتُهَا خَاتَمَ إِنْسَانٍ وَرَجَلَاهَا رَجُلَا حِمَارٍ ، فَإِذَا صَاحَ بِهَا الرَّجُلُ :  
رجلي حمار ! نهقت نهيقاً لا تخطيء السبب والطريق ، وفرت منه .

وانظر في التاسعة والأربعين ذكر القطرب وفيه شيء مستظرف .

قوله : فَتَّاحًا ، أى حاكم . وافتح بيننا ، أى احكم بيننا ، والفتاح : الناصر ،  
والفتح : النصر . والحاكم بنصر المظلوم . أسيت : حزنت . صدى : ذهبى ، أى  
تغلى بالفضة ، من الصدا ، وهو ما يعلوه من الدرّ . وصديت ، غير مهموز  
أصدى صدّى ، وأراد مذ افتقرت علاني الوسخ ، وصحفى النسيان . الفتح :  
الكثير المتفتح الواسع الذى لا يفاق فى وجه قاصده . الشرج : الكثير الذى  
يسرح صاحبه فى أنواع الجود ، والمرح : السهل السريع ، وناقى سرّوح : مصرعة  
فى سيرها . يقبرع : يتفضل بجوده متطوعاً ، وتبرّع : تطوع . اللها : العطايا .  
ها . معناها : خذ وتناول . وذكر أبو محمد هذه اللفظة فى الدرة<sup>(١)</sup> فقال : ويقولون  
لمن يُناول شيئاً ، بقصر الألف ، فيلحنون فيها ، لأن الألف ممدودة كما جاء فى  
الحديث : « الذهب بالذهب رباً إلا هاء وهاء » . ويجوز فيه فتح المدة وكسرهما  
مع المدّ ولا تقصر إلا إذا اتصلت بها كاف الخطاب ، فيقال : هاك ؛ كما يروى  
أن علياً رضى الله عنه آب إلى فاطمة رضى الله عنها من بعض مواطن الحرب ،  
وسينه يقطر دماً ، فقال :

• أَفَاطَمَ هَاكَ السِّيفَ غَيْرَ مَذْمُومٍ •

وعند المحويين أن المد فيها بدل من كاف الخطاب ، لأن أصل وضعها أن  
تقرن كاف الخطاب بها . فساقها أبو محمد هنا مقصورة بغير كاف ، ووقع فيها زعم  
أنه لحن . فإن قيل : ألمّا لها وقعت فى فقرة موقوف عليها ، يحتمل فيها ذلك ،  
فنقول : إنه قد أوردتها على فقرة قبلها مقصورة بإجماع ، وهى اللهم أنسواها معها ؛  
على أن أهل اللغة حكوا فى اللفظة أربع لغات : ها مقصورة كما فى اللقمة ، وهاء

بالدمع فتح الهمة وكسرها . وسمع رجل أبا العناهيم ينشد :  
فانظر بطرفك حيث شئت فان ترى إلا بخيلا

فقال : قد بخلت الناس كلهم ، فقال : كذبى أنت بواحد منهم سغى .  
قوله : مه : اكفف . الخواطر : السهام نخطى الفرض ، وهذا مثل بضرب  
لمن يكثر الخطأ ويأتى أحيانا بالصواب . خالب : خادع شئت للبرق : نظرت  
سحابه أين يطر . أعظم : جملة عظيما .

\* \* \*

فلما تبين للشيوخ أن القاضى قد غضب للسكرام ، وأعظم تبخيلا  
جميع الأنام ؛ علم أنه سينصرف كلمته ، ويظهر أكرومه ، فما كذب  
أن نصب شبكته ، وشوى فى الحريق سمكته ، وأنشأ يقول :

يأيها القاضى الذى علمه وحلمه أرسخ من رضى  
قد ادعى هذا على جهله أن ليس فى الدنيا أوجدوى  
وما درى أنك من مفسر عطاؤهم كالمف والسلى  
فجد بما يثنيه مستخزيا مما افتري من كذب الدعوى  
وأنشئ جذلاف أنى بما

أوليت من جدوى ومن عدوى

\* \* \*

والحريق : ما تحرقه النار من الحشيش والعودان ، وناره ضعيفة لا تدوم .  
السمك : كبش الماء ، فلا يستوى إلا على نار قوية فربما شوى سمكه ما دام  
لهب النار موجودا ، فإذا سكن الهم لم يتمكن من شيئا لعدم الجمر فى الحريق ،  
فيريد أنه حرّض القاضى بالشعر على السكرم ، حين اهتز للسكرام ، وغضب

من تبغيهم . فهزه بهذا الشعر ليجود عليه قبل أن يسكن ، فربما يبدو له ألا  
يجود . أرسخ : أثبت . رضوى : جبل بالمدينة سهل مشتق من الرضوان ، كان  
الذي يصعد راض عنه لقلة المشقة في صعوده . أخو جدوى : صاحب عطية وكرم .  
المن والساوى : طعام كان ينزل على بني إسرائيل ، وقيل : المن الترمجين والسوى  
الدهان ، وهو طائر . يثنيه : يره . مستغزبا : صاغرا خاضعا . وروى  
« مستغذبا » ، والخدية : الاستحياء ، أو يكون بمعنى مهانا ، والخزى : الهوان  
افترى : كذب واستبعد . أنشئ جذلان : أرجع فرحا . أوليت : أعطيت .  
جدوى : إمانة ، أى أرجع بالجدوى ، وابعائك لى عليه حتى يتوب من عقوبه .

\* \* \*

قال : فهش القاضى لقوله ، وأجزل له من طوله ، ثم لفت  
وجهه إلى الغلام ، وقد نصل له أسنم الغلام ، وقال له : أرايت  
بطل زعمك ، وخطأ وهمك ! فلا تمجل بعدها بدم ، ولا تنعت  
عوداً قبل عجم ، وإياك وتأبيك ، عن مطاوعة أيبك ، فإنك إن  
غدت تمقه ، حاق بك منى ما تستحقه ، فسقط الفتى في يده ،  
ولاذ بحقوق والده ، ثم نهض ينفذ ، وتبعه الشئ ينفذ :

من ضامه أو ضاره دهره      فلينفذ القاضى فى صغره  
سماحه أزرى بمن قبله      وعدله أتعب من بعده

\* \* \*

هش : فرح . أجزل : أكثر . طوله : إفضاله وهباته . واقت : رد .  
نصل : جعل له نصلا ، وأنصلها : نزع نصلها ، والنصل : حديدة السهم . بطل  
زعمك ، أى بطلان قولك . وهمك : ظنك . تنعت : تنجس . عجم : اختصار ،

أى حق تعلم : هل هو قوى أو ضعيف ، يقول : لانتخب أحداً حتى تجرب به . قوله : وإياك وتأبيك من مطاوعة أبيك ، أى احذر أن تمتنع عن مطاوعة والدك ، فإنك ومالك لأبيك .

جابر رضى الله عنه : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله ، إن أبى أخذ مالى ، فقال له : اذهب ، فأثقي به ، فأوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الشيخ عن شيء فى نفسه ، قاله فى شأن ابنه . فلما جاء الشيخ ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما بال ابنك يشكوك ؟ أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال : سله يا رسول الله ، هل أنفقته إلا على نفسى أو على إحدى عاتقه أو خالاته ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : دعنى من هذا ، أخبرنى عن شيء قلته فى نفسك ، ما سمعته أذنك ، فقال : يا رسول الله ، ما زال الله يزيدنا بك يقينا ، لقد قلت فى نفسى شيئاً ، ما سمعته أذناى ، وأنشد يقول :

غذونك مولوداً وعائتك يافماً	تعل بما أجنى عليك وتنهل
إذا ليلة ضافك بالسقم لم أبت	لسقمك إلا ساهراً أتمهل
كأنى أنا المطروق دونك بالذى	طرفت به دونى فعمى ساهل
تخاف الردى نفسى عليك ولما	لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما باغت السن والنسابة التى	إليها مدى ما كفت فيك أو مل
جملت جزائى غلظة وفظاظة	كانك أنت المنعم المفضل
فليحك إذ لم تزع حق أبوتى	فعلت كما الجار الجاور بفعل

قال : حينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه ، وقال : « أنت ومالك لأبيك » .

قوله : حاق ، أى نزل ، تقول : حاق به المكروه والشؤم يَحِيقُ حقيقاً ،  
نَزَلَا به .

ابن عرفة : وجبا عليه والأزماء ، قال الأزهرى رحمه الله : الحوق ما يحيط بالإنسان  
من سوء عمله ومكروه فعله ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ  
إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ ، أى لا ترجع عاقبة مكرم إلا عليهم . سَقِطَ فى يده ، يقال ذلك  
لنادام المتحير ، ويقال : سَقِطَ فى يده وأسَقِطَ فى يده ، إذا ندم على فعله ، وتحسّر  
عليه ، واليَد هنا : الندم ، وقوله : سَقِطَ الذئبُ فى يده ، قال جماعة من أهل اللغة :  
صوابه : سَقِطَ فى يده من غير تسمية الفاعل ، لأن الفعل يستند إلى الجرور .  
وقال الأزهرى رحمه الله : إِنَّمَا حَسَنَ سَقِطَ فى يده بضم السين ، غير مسمى فاعله  
الصلة ، وهى فى يده ، ومثله قول امرئ القيس :

\* دَع عَنْكَ نَهْجاً صَبِيحاً فِي حَجَرَاتِهِ \*

أى صاحَ المنهَب فى نواحيه ، وكذلك المراد سقط الندم فى يده . وقال  
أبو القاسم الزجاجى : سَقِطَ فى أيديهم نظم لم يُسمع قبل القرآن ، ولا عرفته للعرب ،  
فيوجد فى أشعارها وخفى على الإسلاميين قال أبو نواس :

\* وَنَشْوَةٌ سَقَطَتْ مِنْهَا فِي بَدَى \*

وأخطأ فى استمالتها ، لأن فعلت لا يُبنى إلا مما يتعدى ، لا يقال : رغبت  
ولا غضبت ، إنما يقال رغبت فى وغضب على . لا ذ : لجأ وتستر ، ولاذ فلان  
بفلان : تستر به ودار حوله ، وبعضهم يقول : أَلَاذ ، والأولى هى الغالبة ، واللواذ  
مصدر لاوَذ ، ولذا أثبتت الواو ، ولو كان مصدر «لاذ ، لكانت لياذاً ، كقمت قياماً .

بحقو : مخضّر ، وجمعه أحقاء وحقاء . وحفد ينفد أسرع . ضامه : أذله .

ضارّه : ضرّة : أزدى : قصر . وتقدم معنى البيت في الرسالة السادسة والعشرين

\* \* \*

قال الراوى : فحرّنت بين تعريف الشيخ وتنكيره ، إلى أن احرورف لمسيره ، فناجيت النفس باتباعه ، ولو إلى رباعه ، لعلّي أظهر على أسرارّه ، وأعرف شجرة ناره ، فمذت الملق ، وانطلقت حيث انطلق ، ولم يزل يخطو وأعقب ، ويبعد وأقترب ، إلى أن تراءى الشخصان ، وحق التعارف على الخلفان ، فأبدى حينئذٍ الاهتشاش ، ورفع الارتعاش ، وقال : من كاذب أخاه فلا عاش . فمرفت عند ذلك أنه السروجى بالأمالة ، ولا حول حالة . فأسرعت إليه لأصافحه ، وأستعرف سانيحه وبارحه ؛ فقال : دونك ابن أخيك البتر ، وتركني ومّر . فلم يمدّ الفتى أن أن افترّ ، ثم فر كما فرّ ، فمذت وقد استنبنت عينيهما ، ولكن أين هما !

\* \* \*

احرورف : مال والمهرف . ناجيت : حدثت . رباعه : دياره . شجرة ناره ، يربد أصل جبلته . أعقب : أمشى خلفه واتبع عقبه . تراءى : ظهر ، وخلفان الرجل : صديقه الذى خلصت له مودته . الاهتشاش : الطرب والبشر . الارتعاش : الرعدة ، يربد أن داه كذب لاحقيقة له محاله : حيله . حول : تعير . أصافحه : أحاطه وأسلم عليه . أستعرف سانيحه وبارحه ، أى أطلب منه

أن يعرفني بخيره وشره . والسانح من الطير والوحش ما مرّ على ناحية يمينك ،  
والبارح ما مرّ على ناحية يسارك . وقيل : السانح ما أولاك ميامنه ، والبارح :  
ما أولاك مهاسره ، وأكثر العرب تتبرك بالسانح وتتشام بالبارح ، وبعضهم  
يتبرك بالبارح ، ويتشام بالسانح ، والسانح : الذي يمر عليك عن مهامك إلى  
مهاسرك ، فيمكن لقطاعن طعنه ، ولراعى رموه ، فالذي يطمئن به يرى أنه رزق  
حاصل ، والذي يُتشام به يرى أنه عاطب وهالك ، والبارح بالضدّ ، فالأول  
يرى أنه فائت ، وراميه خاسر فيتشام به ، والثاني يرى أنه سالم غير عاطب ،  
فيطمئن به ، والذين يقيمتون بالبارح ويتشامون بالسانح أهل نجد ، والذين  
يضادّونهم أهل العالية .

قوله : دونك ، أي خذه واقصده . البرّ : البار : الكثير الإكرام لأبويه .  
افتّر : ضحك . استنبذت : عرفت . حينهما : شخصهما ، وجعله آخر المقامة برّا  
له لموافقة له في الحيل ، وجرت العادة بأن الأب إذا كان نجيباً ، فالابن بالضدّ  
ولهذا قال الشاعر :

إذا أطلع الدهر حرّاً نجيباً      فسكن في ابنه سَيِّئ الاعتقاد  
فلست ترى من نجيب نجيباً      وهل تترك الفار إلا الرماد

\* \* \*

## المقامة الثامنة والثلاثون وهي المروية

حكى الحارث بن همام قال: حُبِّبَ إِلَى مَذْ سَعَتِ قَدَمِي ، وَنَفَثَ قَلَمِي ، أَنْ أَتَّخِذَ الْأَدَبَ شِرْعَةً ، وَالْاِقْتِبَاسَ مِنْهُ نُجْمَةً ؛ فَكُنْتُ أَنْقَبُ عَنْ أَخْبَارِهِ ، وَخَزَنَةُ أَسْرَارِهِ ؛ فَإِذَا أَلَفْتُ مِنْهُمْ بُنْيَةَ الْمَلْتَمَسِ ، وَجَذْوَةَ الْمُقْتَبِسِ ، سَدَدْتُ يَدِي بِغَرْزِهِ ، وَاسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ زَكَاةَ كَنْزِهِ ؛ عَلَى أَنِّي لَمْ أُلْقَ كَالسَّرُوجِيِّ فِي غَزَاةِ الشُّحْبِ ، وَوَضَعَ الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسِيرَ مِنَ الْمَثَلِ ، وَأُسْرَعَ مِنَ الْقَمَرِ فِي النُّقْلِ ، وَكُنْتُ لِهَوَى مُلَاقَاتِهِ ، وَاسْتِحْسَانِ مَقَامَاتِهِ ، أَرْغَبُ فِي الْاِغْتِرَابِ ، وَأُسْتَعَذِبِ السَّقَرِ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ .

\* \* \*

قوله : نفث ، أى كتب ، والنفث ما تلقى من فيك من البصاق الغليظ ، فشبه ما يلقى القلم من المداد بالنفث ، هذا ظاهر اللفظ ، وإنما أراد في المعنى بالقلم ذكره ، ونفثه منيه ، فكأنى عن البلوغ بذلك ، فهو يريد وقت الحلم ، وهو الوقت يقوى فيه على المشى في الأسفار ، والتصرف ؛ كذا فسرنا لنا بعض حذائق أشياءنا ، وفسره الفنجديهي على ظاهره ، فقال : معنى مذ سعت قدمي نفث قلمي ، مذ قدرت على المشى والكتابة والفظم والفتر . شريعة : طريقة وشرعة وعادة ، ومعناه : أصرف همتي إلى علم اللغة والعربية . قال الشافعي رضي الله عنه : مَنْ نَعِمَ الْقُرْآنَ عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْفَقْهِ أَنْبَلْ مَقْدَارُهُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْاَلْفَةَ رَقَّ طَهْعُهُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْحِسَابَ جَزُلَ رَأْيُهُ ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ قَوَّيْتُ حُجَّتَهُ

ومن لم يصن نفسه ، لم ينفعه عمله .

الاعتباس : الاكتساب وهو افتعال ، من القَبَس : نجمة : طلب المرعى ، أى جعلت طلب الأدب لى غذاء ورزقا . أنقَب : أبحث . أخباره : علمائه . ألقيت : وجدت . بغية : حاجة . الملتبس : الطالب لشيء . جَذْوَة : جرة عظيمة . والمفتبس : الطالب للنار ، والفرز : للرجل ، كالزكاب للسرّج ، ومعنى شددت بفرزه ، أى تمسكت بركابه وبالف في خدمته ، روى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَخَذَ بِرَكَابِ رَجُلٍ لَا يَرْجُوهُ وَلَا يَخَافُهُ غَفِرَ لَهُ » .

غزارة : كثرة ، والتعجب : جمع سحابة ، كفى بها من كثرة العلم . الهناء : القَطْران . الثَّقْب : جمع نُقْبَة وهو أوّل ما يبدو من الجَرْب ، وهو مثل لَمَنَ وضع الشيء في موضعه ، أراد أنه ماهر ، أى حاذق يعطى كل طالب ما يستحقه ويشفيه من سؤاله ، لأن الجهل في القلب بمنزلة الداء ، فهذا يوقع بهانه بموضع الجهل ، فيبرأ صاحب ذلك من دائه ، ووضع الهناء مواضع النقب ، عَجَزُ يَت لدريد بن الصمّة ، وكان خرج فرأى الخنساء الشاعرة تهنا ذوداً لها ، ثم نَضَتْ ثيابها واغتسلت وهو يراها ولا تراه فقال :

حَيُّوا تُمَاضِرَ وارَبُعُوا صَحْبِي وَقِفُوا فَنَ وَقُوفُكُمْ حَسْبِي <sup>(١)</sup>  
 مَا إِن رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ طَالَى أَبْنَى جُرْبِ  
 مَتَبَذَّلًا تَبَدُّوْ مُحَاسِنُهُ بَضْعُ الْهِنَاءِ مَوَاضِعِ الثَّقْبِ  
 وتُمَاضِر اسم الخنساء . قوله : أَسِيرُ مِنَ الْمَثَلِ ، أى أنه لا يستقرّ ببلد .

(١) الشعر والشعراء ٣٠٢ والأغانى ١٥ : ٧٦ وبعد هذا البيت هناك :

أَخْنَأَسَ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ وَأَصَابَهُ تَبَلُّلٌ مِنَ الْحَبِّ

الْقَمَل ، يَرِدُ انْتِقَالَهُ فِي الْمَنَازِلِ فَلَا يَقِيمُ بِمَنْزِلَةٍ سِوَى لَيْلَةٍ ، وَيَنْتَقِلُ فِي الثَّانِيَةِ إِلَى أُخْرَى ، فَأَرَادَ أَنْ أَبَا زَيْدٍ لَا يَسْتَقَرَّ بِبَلَدٍ إِلَّا مَا يَسْتَقَرُّ الْقَمَرُ بِمَنْزِلِهِ وَهِيَ لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ ، بَلْ هُوَ أَسْرَعُ مِنَ الْقَمَرِ فِي ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْقَمَرَ بِهِ لِأَنَّهُ أَسْرَعُ السَّكْوَاكِ ثِقَلًا مِنْ رُجْحٍ إِلَى رُجْحٍ ، إِذْ لَا يَمُكُثُ فِي الْبَرَجِ إِلَّا يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، وَالْبَرَجُ مَنْزِلَتَانِ وَثَلَاثُ ، وَالشَّمْسُ تَمُكُثُ فِي الْبَرَجِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَعِطَارِدُ يَمُكُثُ فِيهِ سَبْعَةٌ عَشَرَ يَوْمًا ، وَالْمَشْتَرَى اثْنِي عَشَرَ شَهْرًا وَزُحَلٌ ثَلَاثِينَ شَهْرًا ، وَالْمَرْبِيعُ شَهْرًا وَنِصْفًا ، وَالزُّهْرَةُ سِتَّةٌ وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَالرَّاسُ وَالذَّئْبُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

قوله : وَأَسْتَعِظُ السَّفَرَ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ : هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، رَوَاهُ مَالِكٌ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشِرَابَهُ ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ وَجْهِهِ فَلْيَجْعَلِ الرَّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ . » اللَّهُمَّ . بَلِّغِ الْهَمَّةَ وَالشَّهْوَةَ وَالْحَاجَةَ ، وَرَجُلٌ مِنْهُمْ بِكَذَا مَوَّلَعٌ بِهِ .

\* \* \*

فَلَمَّا تَطَوَّحْتُ إِلَى مَرَوْ ، وَلَا غَرَوُ ، بِشَرَّنِي بِمَلَقَاهُ زَجْرُ الطَّيْرِ ، وَالْقَالَ الَّذِي هُوَ بَرِيدُ الْخَيْرِ ؛ فَلَمْ أَزَلْ أَنْشُدُهُ فِي الْمَحَافِلِ ، وَعِنْدَتْ لِقَى الْقَوَافِلِ . فَلَا أَجِدُ عَنْهُ مُخْبِرًا ، وَلَا أَرَى لَهُ أَنْرَاءَ وَلَا عَمِيرًا ، حَتَّى بَلَغَ الْيَأْسُ الطَّمَعُ وَانْزَوَى التَّأْمِيلُ وَانْقَطَعَ ، فَإِنِّي لِنَدَاتِ يَوْمٍ بِمَحْضَرَةٍ وَالْيَ مَرَوْ ، وَكَانَ مِمَّنْ سَجَعَ الْفَضْلَ وَالسَّرَّوْ ، إِذْ طَلَعَ أَبُو زَيْدٍ فِي خَلْقٍ مِمْلَاقٍ ، وَخَلَقَ مِلَاقٌ . فَحَيَّا الْوَالِيَّ تَحِيَّةَ الْمُخْتَأَجِ ، إِذَا لَقِيَ رَبُّ التَّاجِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

اعلم وقيتَ الدَّم ، وكفيتَ الهمَّ ؛ أن من عُدِقتَ به الأعمال ،  
أعلقتَ به الآمال ، وَمَنْ رُفِعتَ له الدرجات ، رُفِعتَ إليه الحاجات .  
وَأَنْ السعيد مَنْ إِذَا قَدَرَ ، وَآتَاهُ الْقَدَر ، أَدَّى زكاةَ النِّعم ، كما يُوَدَّى  
زكاةَ النِّعم ، والتزمَ لأهل الحَرَم ، ما يُبَازِمُ للأهل والحَرَم . وقد  
أصبحتَ بحمدِ الله عَمِيدَ مِضْرِك ، وعمادَ عَضْرِك ، تَزَجَّى الرَّكائب  
إلى حَرَمِك ، وتَزَجَّى الرغائب من كَرَمِك ، وتُنْزِلُ المطالبُ بِساحتك ،  
وتُسْتَنْزِلُ الرَّاحَةَ من راحَتِك ، وكانَ فضلُ الله عليك عَظِيماً ،  
وإِحسانُهُ لَدَيْكَ عَمِيماً .

\* \* \*

قوله : تطوّحت ، يقال : تطوّح في البلاد : ذهب به هاهنا وهاهنا ، فأراد  
بقوله : تطوّحت : رميت بنفسي إليها .

[ ذكر مرو ]

مَرَوْ : بلدة بخُرَاسان<sup>(١)</sup> ، جليّة لها قرى ومجالات ، وتسمّى أم خُرَاسان ،  
وهي دار خلافة المأمون ، ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة ، يُنسب إليها .  
للتَّوْب مَرَوْي والرجل مَرَوْزِي ، وهو شاذ النسب ، ومن مَرَوْ إلى مَرَوْ<sup>(٢)</sup>  
خمس مراحل ، وعلى مرو نهر قوته بالسَّابِهان ، وهو جبل عظيم الارتفاع ،  
تسيل منه أنهار تخترق بلاد خُرَاسان ، منها وادي خُوارزم ، مسيرته أربعون  
يوماً ، ووادي القندهار مسافته شهر ، ونهر سجستان ، مسافته شهر ، ونهر مَرَوْ ،  
مسافته شهر ، ونهر هرّاة مسافته عشرون يوماً ، ونهر بَلْخ مسافته اثنا عشر

(١) يريد مرو الشاهجان ، ولصبتها نيسابور .

(٢) يريد من مرو الرّوذ إلى مرو الشاهجان ؛ ذكرهما بالقوت .

(١٧ - شرح مقامات الحريري ج ٤)

يوما ، وبلغ هي متوسطة خراسان ، منها إلى فرغانة ثلاثون مرحلة مغربا ، وإلى سجستان مما يلي القبلة كذلك وإلى كابول وقندهار كذلك ، وإلى خوارزم كذلك . وأهل مَرَوَ وطبع الناس على البُخْل ثم أهل خراسان ، قال ثمامة : ما رأيت الهديك بأكل في بلد قط إلا وهو يدعو الحاجة إلى الحب ، ويلفظ الحب إليها ، إلا بَمَرَوَ ، فإنني رأيته يأكل وحده ، فعلمت أن لؤمهم كثير جدا ، وهو فيهم طبع ، ورأيتُ بها طفلا صفها ، بيده بيضة ، فقلت له أعطنيها ، فقال لي : ليست نسما في يدك ، فعلمت أن المنع طبع مركب فيهم .

لا غرو : لا عجب . زَجَر الطير . التفاؤل بها ، وفتر الشافعي رضي الله عنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم « أقرّوا الطير على مكيناتها <sup>(١)</sup> » . لأن الرجل كان في الجاهلية ، إذا أراد الحاجة أتى الطائر في وَكْرِهِ فنقره ، فإن أخذ ذات اليمين مضى لحاجته ، وإن أخذ ذات الشمال رجع . فهي النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال : « لا عدوى ولا طيرة » ، وبمجيئ النّال قيل : وما النّال ؟ قال : « كلمة طيبة » .

### [ العيافة والزجر ]

وزجر الطير القيام بها ، والتشاؤم . وكان عند العرب قوة زائدة وإدراك ، فينظر الزّاجر منهم للطائر ، ولما يفعل ، فيستقرى من ذلك ما بقيامن به وينشأ منهُ ، مثل ما يحكى من أمية بن أبي الصلت أنه كان يشرب مع إخوان له في قصر خَيْلان بالطائف ؛ إذ سقط غراب على شرف القصر ، فنصب نعمة ، فقال له أمية : بئيك الكشكش - وهو التراب ، فقال له إخوانه ما يقول ؟ قال : يقول : إذا شربت الكأس الذي في يدك ميت . ثم نصب نعمة ، فقال أمية نحو ذلك ، فقالوا له :

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية ٤ : ٢٥٠ ، وقال في شرحه : « أي لا تزجروها وأفروها على مواضعها التي جعلها الله لها » .

وما يقول ؟ قال : زعم أن علامة ذلك أن يقع على هذه المزبلة تحت القصر ، فيستنير عظما ، فيشجى به فيموت . فبينما هم يتكلمون ، إذ وقع الغراب على هذه المزبلة ليلتقط ، فاستنار عظما ، فأراد أن يقتله ، فشجى به فأت ، فانسمر أمية ، ووقع الكأس من يده ، وتغير لونه ، فجعلوا يميّرونه عليه ، ويقولون : ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا ، وكان باطلا . فالتحوا عليه ، حتى شرب الكأس ، فقال <sup>(١)</sup> في شق فأغى عليه ، ثم أفاق ، وقال : لا برى فاعتذر ، ولا قوى فأنصهر ، ثم زهقت نفسه <sup>(٢)</sup> .

وحكى المدائني قال <sup>(٣)</sup> : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ، ليزور عزة ، فلما قرّب منها رأى غراباً على شجرة ينتف ريشه ، فتطير من ذلك ، فلتقه رجل من بني لب <sup>(٤)</sup> فقال : يا أخا الحجاز ، مالك كاسف اللون ؟ ذكر له ما رأى ، فقال : إنك تطلب حاجة لا تدري كها . فقدم مصر ، والناس منصرفون من جنازة عزة فقال :

(١) كذا في الأغاني ، وخط : « فبال » .

(٢) الخبر في مختار الأغاني ١ : ٨٧ ، ٨٣ .

(٣) ورد الخبر في ديوان كثير ٤٦١ هكذا : « قيل : وفدت عزة كثير على عبد الملك بن مروان فلما دخلت سلمت ، فرد عليها السلام ، ورحب بها وقال : ما أقدملك يا عزة ؟ قالت : شدة الزمان وكثرة الألوان واحتباس القطر وقلة المطر ، قال : هل تروين لكثير :

وقد زعمت أنني تغيرت بعدها ومن ذا الذي يا عزة لا يتغير ؟ قالت لا ، ولكن أوري له :

كأنى أنا دى صخرة حين أعرضت من الهم لو نمتى بها العضم زلت

فقال : ما كنت لعصيرى إلى حاجة أو تهى نفسك لي فأزوجك منه . قالت : الأمر إليك ، يا أمير المؤمنين ؛ ما كنت لأزهد في هذا العرف الباقى لي مادامت الدنيا ؛ أن يكون أمير المؤمنين ولي . فظن بذلك قدرها عنده ، وأمر لها بال ، وكتب إلى كثير وهو بالكوفة أن اركب البريد وجعل فإني مزوجك عزة ، فأثناء الكفاب وهو مضى من الفوق إليها ؛ فرحل غابلق نحوها ، فلما كان في بعض الطريق . . . وساق بقية الخبر كما هنا .

(٤) بنو لب ، من قبائل العرب الذين اشتهروا بالعبافة والنزجر . وفي الديوان : « بنو نهد » تصحيف .

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ بَانِيَةٍ    يَنْتَفِ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَايِرُهُ  
 قُلْتُ وَلَوْ أَنِّي أَشَاهُ زَجْرَتَهُ    بِنَفْسِي إِلَهِي فَهَلْ أَنْتَ زَاجِرُهُ  
 قَالَ غُرَابٌ لَا غُرَابَ مِنَ النَّوَى    وَفِي الْبَانِيَةِ بَيْنَ مَنْ حَبِيبَ تَجَاوِرِهِ  
 فَا أَعْيَفَ إِلَهِي لَادَرَّ دَرُّهُ    وَأَزْجَرَهُ لِلطَّيْرِ ، لَأَطَارَ طَائِرُهُ <sup>(١)</sup>  
 وَمَنْ زَجَرَ لِنَفْسِهِ بِشَرِّ ذُو الرُّمَةِ فَقَالَ :

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضَبَةٍ    مِنَ الْقَضَبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ خَضِرُ <sup>(٢)</sup>  
 قُلْتُ غُرَابٌ لَا غُرَابَ وَقَضَبَةٌ    لِقَضَبِ النَّوَى ، تِلْكَ الدِّبَاقَةُ وَالزَّجْرُ  
 وَمَنْ زَجَرَ بِخَيْرِ أَبُو حَيَّةٍ ، حِينَ قَالَ <sup>(٣)</sup> :

وَقَالَ صِغَابِي هُدْمَدٌ فَوْقَ بَانِيَةٍ    هَدَى وَبَيَّنَّ بِالنَّجَاحِ يَلُوحُ  
 وَقَالُوا دَمٌ ، دَامَتْ مَوَاتِيْقُ بَيْنِنَا    وَدَامَ لَنَا حُلُو الصَّفَاءِ صَرِيحُ  
 وَقَالُوا حَمَامَاتٌ ، فَحَمَّ لِقَاؤُهَا    وَطَلَحَ فَزِيرَتِ وَالْمَطَى طُلُوحُ

وَمَنْ مَلَحَ الزَّجَرَ زَجَرَ أَبِي نَوَاسٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَخْفَى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَكَانَ  
 لَا يَفَارِقُهُمْ ، وَوَجَّهُوا رَسُولًا إِلَيْهِ ، فَرَمَى لَهُ ظَهْرَ قِرْطَاسٍ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ ، غَيْرِ  
 مَكْتُوبٍ ، وَخَرَمُوهُ بِزِيرٍ ، وَخَتَمُوهُ بِقَارٍ ، وَأَمَرُوا الرَّسُولَ أَنْ يَرِيَّ إِلَهُهُ  
 الْكِتَابَ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ ، فَاسْتَعْلَمَ مَوْضِعَهُمْ ، وَتَعَرَّفَ حَالَهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ :

زَجَرْتُ كِتَابَكُمْ لَمَّا أَنَانِي    بِمَرِّ سَوَانِحِ الطَّيْرِ الْجَوَارِي  
 نَظَرْتُ إِلَيْهِ مَخْرُومًا بِزِيرٍ    عَلَى ظَهْرٍ وَمَخْتُومًا بِقَارٍ  
 فَمِغَتْ الظَّاهِرُ أَهْيَفَ قُرْطُطِيًّا    بِحَارِ الطَّرْفِ مِنْهُ بِاخْوِرَارٍ  
 وَكَانَ الزَّيْرُ ذَا شَدْوٍ مُصِيبٍ    وَقَارُ الْخُتْمِ مِنْ قَارِ الْعُقَارِ

(١) ديوانه : د لاهز ناصره .

(٢) ملحق ديوانه ٦٦٧

(٣) من أسيدة له في الأمل ١ : ٧٠ والآتي ١ : ٢٤٣ ، وأبيات منها في المحاسن

والساوي ٢ : ١٧ .

فَطَرْتُ لِكِسْمُ يَا أَهْلَ وَدَى      بَلَبْتُ مِنْ هَوَاكُمُ مُسْتَطَارِ  
فَكَيْفَ تَرْوُونِي وَتَرْوَنَ زَجْرِي      أَلَسْتُ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الْكِبَارِ  
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ قَاضِي مِيلَةَ<sup>(١)</sup> وَجَمَعَ الْوَصْفَيْنِ :

وَلَمَّا التَقَيْنَا مُحَرِّمِينَ وَسِيرُنَا      بَلَبْتُكَ بِطَوَى وَالزَّكَاثُ نَدَسِيفُ  
فَقُلْتُ لِرَبِّبِهَا أَبْلَغَاها بَأَنِّي      بِهَا مُسْتَهَامٌ قَالَتَا : تَطْلُفُ  
تَفَاءَلْتُ فِي أَنْ بِطَوَى طَارِقُ الْهَوَى      بَأَنَّ عَنْ لِي مِنْهَا الْبَيَانُ الْمَطْرَفُ  
وَأَمَّا دَمَاءُ الْهَدْيِ فَهُوَ تَوَاصُلُ      يَدُومُ وَرَأَى فِي الْهَوَى يَتَأَلَفُ  
وَفِي عَرَافَاتٍ مَا يَجْتَزُّ أَنِّي      بِعَارِفَةٍ مِنْ نَيْلِ وَصْلِكَ أُسَعَفُ  
وَتَقْبِيلِ رَكْنِ الْبَيْتِ إِقْبَالُ دَوْلَةٍ      لَنَا وَزَمَانٌ بِالْمُودَةِ يَمُطِفُ  
وَأَبْلَغُهَا مَا قُلْتُهُ فَتَقَهَّدَتْ      وَقَالَتْ أَحَادِيثُ الْعِيَاةِ زُخْرُفُ  
لَنْ كُنْتُ تَرْجُو فِي مَنَى الْفُوزَ بِالْمَنَى      فَبِالْخَلِيفِ مِنْ أَعْرَاضِنَا تَتَخَوَّفُ  
وَقَدْ أُنْذِرُ الْإِحْرَامَ أَنْ وَصَالَنَا      حَرَامٌ وَأَنَا عَنْ مَرَادِكَ نُصَرِّفُ  
فَهَذَا وَقَدْ نَفَى بِالْخِلَاصِ مَنْذَرُ      بَأَنَّ النَّوَى لِي عَنْ دِيَارِكَ تَقْذِفُ  
فَهَادِرُ نَقَارِي لَيْلَةَ الْفَرِّ إِتَهَ      سَرِيعٌ وَقُلْ مَنْ بِالْعَافَةِ أَعْرِفُ

• • •

قوله : أُنْشُدُهُ ، أى أطلبه . والمحافل : الجموع . والقوافل : الرفاق الرواجع .  
حَنِينًا : غبارا . الهأس : قطع الرجاء . انزوى : انقبض . التأميل : الترتيب ، وهو  
مصدر أمّل الخبير ، أى ترجّاه . انقمع : انكف . السَّرو : السيادة . بملاق : فقير .  
مَلَأَق : متلطف في كلامه . عُدِقت : عُلِقَتْ وشَدَّدَتْ به ، وعُدِقتْ شاتة بعدقها ، إذا  
ربط في صوفها خرقه تخالف لونها . الدرجات : المنازل الشريفة .

وعن ابن حجر رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) ميلة : مدينة صغيرة بأقصى إفريقية ، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام . بالقوت

«خُلِقَانِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ ، وهما السَّخَاءُ والسَّحَابَةُ ، وَخُلِقَانِ يُبْغِضُهُمَا اللَّهُ ، وهما الْبُخْلُ وسوء الْخُلُقِ . وإذا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ » .

وقال خالد بن صفوان : لا تَسْأَلِ الْحَوَائِجَ ثَلَاثَةَ لَا تُسْأَلُهَا : كَذُوبًا ، فَتَقْرَبَ بَعِيدًا وَيَبْعُدَ قَرِيبًا ، وَلَا أَحَقَّ فَإِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ ، وَلَا رَجُلًا لَهُ إِلَى صَاحِبِكَ حَاجَةٌ ، فَإِنَّهُ بِصَيِّرٍ حَاجَتِكَ بَطَانَةَ لِحَاجَتِهِ .  
واتاه : وَاثَقَهُ وَطَاوَعَهُ . أَدَّى : أَعْطَى . زَكَاةَ النِّعَمِ : الْإِبِلَ وَالشَّاءَ ، أَيْ أَعْطَى الصَّفَائِعَ وَالْمَعْرُوفَ .

الْحُرْمَ : جَمْعُ حَرَمَةٍ ، أَرَادَ بِذَلِكَ أَهْلَ الصِّيَانَةِ وَالْعَفَافِ .  
الْفَنَجْدِيَّةُ : الْحُرْمُ أَقْوَامٌ مُحَرَّمُونَ ، وَالْحُرْمُ الثَّانِي : الْأَهْلُ وَالْقَرَابَةُ ، وَمَنْ يَحُرِّمُ عَلَى الْإِنْسَانِ نِكَاحَهُ أَوْ أَتْرَكَ لَضِيَاعِهِ . مَمِيدٌ : سَيِّدٌ .

مَعْرَكٌ : بِلْدٌ ، وَالْمِصْرُ : الْحَدُّ ، وَيَكْتُبُ أَهْلُ نَجْدٍ : اشْتَرَى فَلَانٌ مِنْ فَلَانٍ الدَّارَ بِمُصَوَّرِهَا ، أَيْ بِمَحْدُودِهَا .

قَطْرَبٌ : هُوَ مَا خُوِذَ مِنْ مَصْرَتِ النَّاقَةِ أَمَصَّرَهَا مَصْرًا ، إِذَا حَلَبْتَهَا ، وَجَعَلَتْ ضَرْعَهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ ، فَخَرَجَ مِنَ اللَّبَنِ شَيْءٌ قَلِيلٌ ، فَيُسَمَّى مِصْرًا ، لِأَنَّ النَّاسَ يَجْهَتُونَ إِلَيْهِ نَمَّ يَثْبِتُونَ ، أَوَّلَ فَأَوَّلَ وَقَوْلُ : الْمِصْرُ الْعَلَامَةُ .

الْعِمَادُ : مَا يَقُومُ عَلَيْهِ الْخِلْيَاءُ ، شَبَّهَ فِي قِيَامِهِ بِالْأُمُورِ بِالْعِمَادِ .

تُرْجَى : تَسَاقَى . الرَّكَابُ : الْإِبِلُ . حَرَمُكَ : بِلْدُكَ وَمَوْضِعُكَ . أَتَدَى تَجْمِيهِ . الرِّغَابُ : الْمَطَايَا . سَاحَتُكَ : فَنَاءُ دَارِكَ . رَاحَتُكَ : كَفُّكَ .

ونذكر من الأحاديث ما يوافق هذا الفصل الذي قدّمنا نفسه .

قال النبي صلى الله عليه وسلم «مَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظُمَتْ مَثْوَى النَّاسِ

إليه ، فإن لم يَقُمْ بِتلك للثبوتة مَرَضُ النعمة للزوال .

عمرو بن العاص : والله أَرَجُلٌ ذَكَرَنِي ، ينام على شِقَّةِ مَرَّةٍ ، وعلى الأخرى أخرى ، يرانى موصيا لحاجته لهُوَ أوجب على حقا ؛ إذا سألهما متى أن أفضيها له .  
وقف العتّابي بباب المأمون ، فجاء يحيى بن أكرم ، فقال له : إن رأيت أن تُعلم أمير المؤمنين بموضي ! قال : لست بمحاجب قال : لقد علمتُ ، ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان ، قال : سلكت بي غير طريق ، قال : إن الله تعالى ألحقك بجاه ونعمة فهم مقيمان عليك بالزيادة إن شكرت ، وبالتغدير إن كفرت ، وأنا اليوم لك خير منك لنفسك ، أدعوك إلى ما فيه زيادة نعمتك ، وأنت تأتي ذلك ، ولكل شيء زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعنين .

[ من غرر المدايح ]

وأما قوله : تزجى الركائب إلى حرمك ، فهو كثير في الشعر ، ونذكر منه شيئا يبين حالة القصد لهذا الاسم ، وقال الحسن يمدح الأمين<sup>(١)</sup> :

أقولُ والعميسُ تمرورِي الفلاة بنا	صفر الأزيمة من مَتْنِي وَوُحْدَانِ <sup>(٢)</sup>
يا ناقُ لا تَسَامِي أو تَهْلِي مِلْكَاً	تَقْبِيلُ راحته والركن سِيَانِ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي على قدمِ	يَمْنِ برا الله من أنسي ومن جانِ
مُحَمَّدِ يَنْ أَمَلِكِ تَفْضَلَه	وَلَا دَتَانِ من المنصور ثَنَانِ
تَنَازَعِ الأَحْدَانِ الشُّبُه فاشْتَبَهَا	خَلَقًا وَخَلَقًا كَا قُدُّ الشُّرَاكَانِ
سَيَانِ لا فَرْقَ في العقول بينهما	مَعْنَاهَا واحدٌ والعِدَّة اثْنَانِ

وقال حبيب :

إلى أحمد المدوح أمتُ بَنَى الشَّرَى نَوَاعِبُ في عُرضِ الفَلَا وَرِوَاسِ<sup>(٣)</sup>

(١) هو الحسن بن هاني المروفي بأبي نواس ، والأبيات في ديوانه ٦٥ .

(٢) المرووي : سار في الأرض وحده . والصعر : جم أصغر وصعراء ، من الصعر وهو الجبل .

(٣) ديوانه ٢٨٦ ، وأمت : قصدت . نواعب : مسرعات . رواسم : ترسم الأرض بأخفافها .

إلى سالم الأخلاق من كل مائب  
وليس له مال من الجود سالم  
جدير بالآ يصبح المال عنده  
جديراً بأن يبقى وفي الأرض غارم<sup>(١)</sup>  
وقال آخر<sup>(٢)</sup> :

سأجهد عزمي والمطال فإتني  
أرى العفو لا يمتاح إلا من الجهد  
مررت بنا رهواً ووحداً وإنما  
يظل ويمسى التجمع في كنف الوحد<sup>(٣)</sup>  
قواصد بالسير الخبيث إلى أبي السميت  
فما تنفك ترقل أو تخذى<sup>(٤)</sup>  
إلى مشرق الأخلاق للجود ماحوى  
ويحوى وما يخفى من الأمر أو يبدى  
فنى لم يزل تُنقى به طاعة الندى  
إلى العيشة الفراء والشؤدد الرغد<sup>(٥)</sup>  
وقال فيها معتدراً :

أنا في مع الركبان ظن ظننته  
لَفَتَ له رأسى حياء من المجد<sup>(٦)</sup>  
ومن زمن ألبسته كاته  
إذا ذكرت أيامه زمن الورود  
أمريلُ هجر القول من تو هجرته  
إذا لمجانى عنه معروفه عندي  
كريم متى أمدحه أمدحه والورى  
مى ومتى ماله لقه وحدي<sup>(٧)</sup>  
وقال أبو الطيب :

فلم تلق ابن إبراهيم عنى  
وفيها قوت يوم القراد<sup>(٨)</sup>

(١) غارم : خاسر .  
(٢) هو أبو تمام والأبيات في ديوانه ١٢٨ ، ١٢٩ .  
(٣) في ط : « زهوا » تصحيف . والزهو : السير السهل . والوحد السير السريع .  
(٤) الخبيث : السريم . وترقل : أسرع .  
(٥) في الديوان : « الفوهة المسراء » .  
(٦) ط : « رأسا » .  
(٧) هذا البيت من شواهد البلاغة ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٢٥ .  
(٨) ديوانه ١ : ٣٥٧ . وفي ط . « عيسى » والفس : الناقة الصلبة .

فلما جثته أعلى محلى  
تهلل قبل نسله على  
وألقى ماله قبل الوساد  
وقد طيمت سيوفك من رقاد  
وقد صفت الأسفة من هموم  
فما يخطرن إلا في فؤادي

وقال أبو الهندي :

سألناه الجزيل فما نأى  
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا  
وأعطى فوق منيفتنا وزادا  
فأحسن ثم عدت له فعادا  
مراراً ما قصدت إليه إلا  
تبسم ضاحكاً وثقى الوسادا

وقال أبو الطيب :

ولما قلت الإبل أمتطينا  
مطاباً لا تذلل إمن عليها  
إلى ابن أبي سليمان الخطوباً<sup>(٢)</sup>  
ولا يبنى لها أحد ركباً  
وترتع دون نبت الأرض فينا  
إذا نكبت كنانته استبنا<sup>(٣)</sup>  
بأنصلها لأنصلها ندوباً<sup>(٤)</sup>  
فلولا الكسر لاتصلت قضيباً<sup>(٥)</sup>  
يُصيب ببعضها أفواق بعض

(١) قال شارحه: السبع العداد، يريد السنوات السبع، والعداد هنا: المتقنة الصنع، قال تعالى: (وبلينا قوة -كم سبعاً عداداً)

(٢) ديوانه ١ : ١٤٠ .

(٣) الديوان : « حريباً » .

(٤) نكبت : قلبت هل وأحبا . والكنانة : الجملة . قال الفارح « المعنى : إذا ألقى ماى كنانته رأينا لنصوله آثاراً في فصوله لأنه يرميها على طريقة واحدة، فتصيب النصول بعضها بعضاً » .

(٥) الأفواق من السهم : موضع الوتر والجمع أفواق . قال شارحه : « المعنى يريد أنه حسن الرمي ، وأنه يصيب ببعض نصوله أفواق السهام التي رماها ، وأنه لولا كسر السهام لاتصلت حتى تصير قضيباً مستويّاً ، أي غصناً » .

أَلَسْتُ ابْنَ الْأَوَّلَى سَعِدُوا وَسَادُوا  
وَلَمْ يَلِدُوا أَمْرًا إِلَّا نَجِيبًا<sup>(١)</sup>  
وَنَالُوا مَا اشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْنًا  
وَمَا رِبْحُ قُرْبَاضٍ لَهَا وَلَسْكَنُ كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طَيْبًا

ومن المدح قول للشري في أبي الحصين القاضى :

لَقَدْ أَضَعْتُ خِلَالَ أَبِي حُصَيْنٍ حَصُونًا فِي الْمَلَأَاتِ الصَّعَابِ<sup>(٢)</sup>  
كَسَانِي ذَيْلَ<sup>(٣)</sup> فَأَثَلُهُ وَأَوَى غَرَائِبَ مِنْطَقِي بَعْدَ اغْتَرَبِ  
فَسَكْتُ كَرَوْضَةٍ سَقِيتُ سَعَابًا فَأَنْتَ بِالذِّسِيمِ عَلَى السَّعَابِ

وقال بديع الزمان وشاعر الأوان :

يَا سَيِّدَ الْأَمْرَا فَمَا مِلْكُ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْلَى وَاشْتَهَاكَ أَبَا<sup>(٤)</sup>  
وَكَادِيَحْكِيكَ صَوْبُ الْعَيْثِ مِنْسَكَبًا لَوْ كَانَ طَلَقَ الْحَيَا يُعْطِرُ الذَّهَبَا  
وَالدَّهْرُ لَوْلَمْ يَخُنْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْثُ لَوْلَمْ يَصُدْ<sup>(٥)</sup> وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَّبَا

هذه الجملة كافية وكأنها تفسير ما أجمل من ذكر ممدوحه .

ثم إنى شيخ تَرِبَ بَعْدَ الْإِتْرَابِ، وَعَدِمَ الْإِعْشَابِ، حين شاب .  
فصدُّتُكَ مِنْ مَحَلَّةٍ نَارِحَةٍ ؛ وَحَالَةٍ رَازِحَةٍ ، آمَلُ مِنْ بَحْرِكَ دُفْعَةً ، وَمِنْ  
جَاهِكَ رَفْعَةً . وَالتَّامِيلُ أَفْضَلُ وَسَائِلِ السَّائِلِ ، وَنَائِلِ النَّائِلِ ؛ فَأَوْجِبْ  
لِي مَا يَجِبُ عَلَيْكَ ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْوِي

(١) ديوانه ٧٣

(١) ط : « وجادوا » .

(٢) بليمة الدهر ٤ : ٢٦٦

(٣) الديوان : « ظل نائله »

(٤) ط : « يصل » تحريف .

هَذَاكَ، عَمَّنْ اِزْدَارَكَ، وَأَمَّ دَارَكَ، أَوْ تَقْبِضَ رَاكَ؛ عَمَّنْ امْتَاكَ،  
وَامْتَارَ سَمَاكَ؛ فَوَاللَّهِ مَا مَجِدُ مِنْ جَمْدٍ، وَلَا رَشْدُ مِنْ حَشْدٍ؛ بَلِ  
الْلَبِيبُ مَنْ إِذَا وَجَدَ جَادَ، وَإِنْ بَدَأَ بِعَائِدَةٍ عَادَ؛ وَالْكَرِيمُ مَنْ إِذَا  
اسْتُوْهِبَ الذَّهَبُ، لَمْ يَهَبْ أَنْ يَهَبَ.

ثُمَّ أَمْسَكَ يَرْقُبُ أَكْلَ غَرْسِهِ، وَيَرْصُدُ مَطْيِبَةَ نَفْسِهِ وَأَحْبَبَ  
الْوَالِي أَنْ يَعْلَمَ: هَلْ تُنْفِطُهُ ثَمَدٌ، أَمْ لَقْرِيحَتُهُ مَدَدٌ أَفْطَرَقَ يَرْوِي  
فِي اسْتِيرَاءِ زَنْدِهِ، وَاسْتَشْفَافِ فِرْنَدِهِ، وَالتَّبَسُّ عَلَى أَبِي زَيْدٍ سِرُّ  
صَمْتِهِ، وَإِزْجَاءُ صِلَتِهِ، فَتَوَغَّرَ غَضْبًا، وَأَنْشَدَ مَقْتَضِبًا:

\* \* \*

قوله: تَرَبُّ، افْتَقَرُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ مَا يَقَعْدُ عَلَيْهِ غَيْرَ التُّرَابِ. وَالْإِتْرَابُ:  
الْإِسْفَعَاءُ، وَأَتْرَبَ: صَارَ لَهُ مِنَ الْمَالِ بَكْتَرَةٌ التُّرَابِ. وَالْإِعْشَابُ: إِصَابَةٌ  
لِلْعُشْبِ، وَأَرَادَ بِهِ لِلْمَالِ. تَحَلَّةٌ: مَنْزِلٌ يَحُلُّ فِيهِ.

نازحة: بَمِيدَةٌ. رَاذِحَةٌ: كَالَهُ مِنَ الْهَزَالِ، وَرُزْحٌ رُزْحًا: كُلُّ مِنَ الْعَمَلِ.

ابن الأنباري: رُزْحُ فُلَانٍ: ضَعْفٌ، وَذَهَبَ مَا فِي يَدِهِ، وَأَصْلُهُ مِنْ  
رَزَحْتَ إِبِلَ فُلَانٍ وَكَلَابَهُ، إِذَا ضَعَفْتَ، وَلَزَقْتَ بِالْأَرْضِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ  
الرُّزْحِ، وَهُوَ الْمَطْمِنُ مِنَ الْأَرْضِ، فَكَأَنَّ الرُّزْحَ قَدْ لَزَمَهُ، وَضَعْفٌ عَنِ الِارْتِقَاءِ  
إِلَى الْعُلُوِّ. آمَلٌ: أَرْجُو. جَاهَكَ: مَرْكَ. وَالْوَسَائِلُ: جَمْعُ وَسِيَّةٍ، وَهِيَ  
الْشَّفِيعَةُ، فَجَمَلَ نَامِيَهُ أَفْضَلَ وَسِيَّةٍ. نَائِلٌ: هَظَاءٌ، وَالْفَائِلُ: الْمَطِيُّ، وَنَلْتُ

له بالمطاه أنول وأنت أنول ، ورجل نال<sup>(١)</sup> ورجلان نالان ، ورجال أنوال ،  
ونلته أنوله نولا أعطيته ، قال الأعشى :

ينول المشيرة ما عنده ويفغر ما قال جهم<sup>(٢)</sup>

تلوى هذارك : تعرض بوجهك . اذارك ، بمعنى زارك ، واستعمل  
قصداً . راحك : جمع راحة ، وهى باطن الكف . امتاحك : استنفاك وأراد  
طلب معروفك ، قال الزّاجز :

أفلح ساق يوديك امتاحاً وقرّ هينا ورجا الفـلاحا

قوله : امتارَ : استعجب منك الرزق . سماحك : جودك . مجّد : كرم ،  
وصار ماجداً ، أى شريفاً ، ومجّد يمجّد ، مجداً فهو ماجد ، ومجد مجادة فهو مجيد .  
وقيل : المجد تكرر الآباء خاصة ، وقيل : الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفى .  
وقيل كرم للفعل . جد : بخل . حشد : جمع المال . اللبيب : العاقل . وجد :  
استغنى . جاد : تكرر . عاد : فعلها مرة بعد أخرى ، وقد تقدم مظلوماً .  
لم يهب : لم يخف . أن يهب : أن يعطى ، وهذا كله قصد فيه التعجيب فجاء  
حده بكل بديع .

قوله : نطفته نمد ، أى قليل .

الأزهرى : النطفة فقال للماء القليل والكثير ، ورأيت أهرابيا شرب من  
ركبة غزيرة الماء فقال : والله إنها لنطفة باردة ، والحمد : الماء القليل الذى لا مدد  
له . قريحته : ذهنه . أطرق : أى أمال رأسه لفكرة . فى استبراء زنده : فى  
استعراج ناره ، وأراد طلب ما عنده من العلم والاستشفاف : الاستقصاء فى

(١) فى القاموس : رجل نال : أى جواد كثير النائل .

(٢) ديوانه ١٦٩ .

النظر والتأمل فيما يبهر، واستشف الثوب : جعله طاقا واحدا ، أو رفعه في ظل  
حتى ينظر : أ كثيف هو أم رقيق ، واستشفه : رأى ما وراءه ، والاستشفاف :  
النظر إلى كل شيء صقيل . الفرند : جوهر السيف ، وأراد أن الوالى أعجب  
بكلامه ، فأراد أن يعلم هل كان في حفظه لغيره أو ارتجله لنفسه . صمته :  
صكته . إرجاء : تأخير . توغر : توقد . مقضبا : مرتجلا .

• • •

لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب      لأن بدا خلق السربال سبروتا  
ولا تضع لأخي التأمل حرمة      أ كان ذا لسن أم كان سكبنا  
وانفع بعرفك من وافتك      مختبطا  
وانعش بقوتك من أبيت منكوتا  
غير مال الفتى مال أشاد له      ذكر آتنا قلله الركبان أو صيتا  
وما على المشتري حمداً بموهبة      غبن ولو كان ما أعطاه يافوتا  
لولا المروءة ضاق المذر عن فطان  
إذا شراباً إلى ما جاوز القسوتا  
ليكنه لا بنساء المجد جد ومن      حب السباح ثنى نحو الملا ليتا

• • •

قوله : أبيت اللعن ، تحية ملوك الجاهلية ، قال ابن الأبارى رحمه الله في  
تفسيرها قولان : أحدهما أبيت أن تأتي من الأشياء ما تسعق الآن عليه ،  
فاللعن منصوب ، والآخر - وهو أردأ القولين - أن تكون الألف بمعنى « يا » ،

وبيت من البيوت مضاف إلى اللعن ، لأن بعضهم يخفّض اللعن ، وتقديره :  
يا بيت اللعن : سمعة لذلك ، نقل من الوجه الأول لكثرة الاستعمال ، ألا ترى أنها  
تعطى معنى النداء في البيت ، وتقديره : يا ملك أو يا أمير ، ويتضمن معناه  
الهداء ، أي جعلك الله تَمَن يكره اللعن ؛ ولذا وقع اعتراضا بين اللفظين ؛ الأول  
طالب للثاني ، كما قال ابن محمّد :

إِنَّ الثَّانِينَ - وَبُلَّغَتْهَا - قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَانٍ<sup>(١)</sup>

سَبَرُونَا : فقيرا محتاجا ، والسَّبَرُوت : الفقير الذي لا ثياب له . ذَا لَسَنٍ ،  
أي فصيحاً . سَكَيْتَا : عَيِيَا كثير السكوت . انْفَحْ بُرْفُكَ ، أي ارم بمرورفك .  
انفش بنوثك ، أي ارفع بمطيتك ، والغوث الإغاثة ، وهي المبادرة بالنصرة  
لن جاء يستغيثك . والإنماش أن ترى رجلا قد أهوى لاسقوط فقرمه ، أو افقر  
فنجبره . منكوتا : ملقى على رأسه ، ونُكِت الرجلُ فهو منكوت ، إذا  
خُرب فأسقط على رأسه . قوله أشاد : أي رفع .

[الذكر الحسن]

صبعا : ذكرنا حسنا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أردتم أن  
تعملوا ما للعبد عند الله فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء » .

وقيل لبعض الحكماء : ما أجد الأشياء ؟ قال : أن يبقى للانسان  
أحدونة حسنة .

أكرم بن صئق : إنما أنتم خير ، فطيّبوا أخباركم ، أخذه حبيب فقال :  
وما ابنُ آدم إلا ذكر صالحٍ أو ذكر سيئة يسرى بها الكلمُ

(١) من نصيدة له في أمال القائل : ١ : ٥٠

أما سمعتَ بدهرٍ باد أمتُه جاءت بأخبارها من بعدها أُمُّ  
الأحنف : ما أذخرت الآباء للأبناء ، ولا أبقت الموتى للأحياء شيئاً أفضل  
من اصطناع المعروف عند ذوى الأحساب .

وقيل لمعاوية : أى الناس أحب إليك ؟ قال : مَنْ كانت له عندى يد  
صالحة ، قيل : فإن لم تكن ؟ قال : فَمَنْ كانت لى عنده يد صالحة .

قال بُرْزُ جُمَهر : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تنفى ، وإذا  
أدبرت عنك فأنفق منها ، فإنها لا تبقى . أخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

لا تبخلن بدنياً وهى مقبلةٌ      فليس ينقصها التبذير والسرفُ  
فإن تولت فأحرى أن تجود بها      فالحمد منها إذا ما أدبرت خلفُ

وقال آخر :

إذا جادت الدنيا عليك فاجذبها      على الناس طراً قبل أن تنفقت  
للا الجودُ يُفنيها إذا هى أقبلت      ولا الشحُّ يُبقيا إذا هى ولت

وكان سميد بن العاص يقول على المنبر : مَنْ رزقه الله رزقاً حسناً ، فلينفقْ  
منه سرّاً وجهراً ، حتى يكون أسعد الناس به ؛ فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين ؛  
إما لمصلحة فلا يبل عنه شيء ، وإما لمفسد فلا يبقى له شيء . أخذ الشاعر فقال :

احصدْ بمالكٍ فى الحياة فإنما      يبقى خلاصك مصلحٌ أو مفسدُ  
فإذا جمعتَ لمفسدٍ لم تُنهِدِ      وأخو الصلاح قليله يتزيدُ

[ مما قيل فى الرودة ]

قوله : لولا الرودة ، الرودة هى الأفعال الشريفة ، التى يجب أن يقال

لرجل بها سر ، مثل الرجولة للأفعال التي يستحق الرجل أن يقال له بها رجل .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا دين إلا بمروءة » .

وقال عمر رضي الله عنه : المروءة مروءتان : ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة الرياش والباطنة للعفاف .

قدم وفد على معاوية رضي الله عنه ، فقال لهم : ما تعدون المروءة ؟ قالوا : العفاف وإصلاح العيشة ، قال : اسمع يا يزيد !  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تجاوزوا قدي الروءات عثراتهم ، فوالله إن أحدهم ليعثر وإن يده بيد الله » .

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : إننا معشر قريش ، نعدّ الحلم والجود سؤدداً ، ونعدّ العفاف وإصلاح المال مروءة .

أنوسيروان : المروءة ألاّ تعمل عملاً في السرّ تستحي منه في العلانية .

غيره : المروءة اسم جامع للمعاسن كلها .

وقالوا : للمروءة العفة والخرفة .

قوله : اشرب : تشوف ، والتشوف أن تسمع بالشيء وتطلع أن تراه ، وتمتدّ أن تنظر إليه ، يقول : لولا الأفعال الجميلة كان عذر الفطن الحاذق يضيق عليه إذا سئل . وقيل له : قد جاوز مالك قوتك ، وفضل عن مؤنتك ، فلم تجهّد في طلب المال ، وترغب في الزيادة منه . قال : فالمروءة توسع عليه عذره ، فيقول ذو المروءة . إنما اكتسبه لأنفقه في البرّ ، ويبن هذا بقوله : « ثنى نحو الثني لينا » والليت : صفحة المنق فيقول : إنما ثنى عنقه ، وأمالها حباً في السباح .

وقد سبقه إلى هذا الانتهاء بقوله :

ولولا العطسايا أنها سُنَّةُ له لما قال للدنيا إذا عثرت : لما<sup>(١)</sup>  
 فإن باشر الدنيا فلا جود نالها<sup>(٢)</sup> وإن هجر الدنيا ففنها تردما  
 فزاد بقوله : « وإن هجر الدنيا » معنى حسنا .  
 وقالوا : نعم العون على الروءة المال .

وقال الأحنف بن قيس :

فلو مدَّ مَرَّوِيٌّ بِمالٍ كثيرٍ      لجِدْتُ وَكنتُ له باذلاً<sup>(٣)</sup>  
 فإن الروءة لا تُسْتَطَاعُ      إذا لم يكن مالها فاضلاً  
 وقال آخر :

لولا شجاعة أعداء ذوى حسدٍ      أو أن أُنالُ بنفعٍ مَنْ يَرْجُوهُ<sup>(٤)</sup>  
 لما خطبتُ إلى الدنيا مطالِبها      ولا بذلتُ لها عِرْضِي ولا دِينِي

• • •

رما تنشَقَّ نَشَرَ الشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ  
 إلّا وَأَزْرَى يَنْشُرِ الْمِسْكَ مَقْشُوتاً  
 والحمدُ والبُغْلُ لم يُقَضَّ اجتماعُهما  
 حتى لَقَدْ خِيَلَا ذَا ضَبًّا وَذَا حُوتاً

(١) ديوانه ١٧٣ ، ولما : صوت معناه الدعاء للعائر بأن يرتفع من عثرته .

(٢) ديوانه

• فإن يلجس الدنيا فلا جودٍ لالها •

(٣) البهتان في البيان والتبيين ٣ : ٢٩٢ .

(٤) البهتان في المقادير ٣ : ٤٣٠ ، وفيه : « وإن أُنال » وبمدها :

لكن منافسة الأكفاء تحمِلُنِي      على أمورٍ أراها سوف تُردِّدُنِي  
 وقد خَشِيتُ بَأَن أبقَى بِمَنْزِلَةٍ      لأدبِن عِنْدِي ولأدبِنها توافِينِي

(١٨ - شرح مقامات الحريري ج ٤)

وَالسَّمْحُ فِي النَّاسِ بِحُبِّ خَلَاتِقِهِ  
 وَالْجَامِدُ الْكَفَّ مَا يَنْفَكُ تَمَقُّوتًا  
 وَلِلشَّيْخِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ يَوْمَعْنَهُ أَبَدًا ذِمًّا وَتَبَكُّيتًا  
 فَجَبَدَ بِمَا جَمَعَتْ كِفَاكَ مِنْ نَسَبٍ  
 حَتَّى يُرَى مُجْتَدِي جَزَاكَ مَبْهُوتًا  
 وَخُذْ نَصِيكَ مِنْهُ قَبْلَ رَائِقَةٍ  
 مِنَ الزَّمَانِ تَرِيكَ الْعُودَ مَنُجُوتًا  
 فَالْهَرُ أَنْكَدَ مِنْ أَنْ تَسْتَمِرَّ بِهِ  
 حَالٌ، تَكَرَّرْتَ تِلْكَ الْحَالِ أَمْ شَيْتَا  
 فَقَالَ لَهُ الْوَالِي: تَاللَّهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ، فَأَيَّ وَلَدِ الرَّجُلِ أَنْتَ؟ فَنَظَرَ  
 إِلَيْهِ عَنْ غُرْضٍ، وَأَنشَدَ وَهُوَ مُنْفَضٍ:  
 لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ مِنْ أَبَوَيْهِ وَرُزْ خَلَا لَهُ ثُمَّ صَلِّهِ أَوْ فَاضِرِيهِ  
 فَمَا يَشِينُ السَّلَافَ حِينَ خَلَا مَذَاقُهَا كَوْنُهَا ابْنَةَ الْحِضْرِ.

• • •

قوله: تَنَشَّقُ، أي شم. نشر: رائحة. أَرَى: عاب. مفتوتًا: مدقوقًا،  
 يقول: لشكر المعروف عند أهل الجود أعطر من ربيع المسك إذا فت فانشرت  
 رائحته.

وقال إبراهيم الشيباني: كنت أرى رجلاً من وجوه أهل الكوفة، لا يحفُّ  
 لِبَدُهُ، ولا يستر بحِمْ قَلْبِهِ فِي طَلَبِ حَوَائِجِ النَّاسِ، وَإِدْخَالِ الْمُرَافِقِ عَلَى الضَّعِيفِ،  
 قُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْحَالِ الَّتِي هَوَيْتَ عَلَيْكَ هَذَا الْقَعْبَ فِي الْقِيَامِ بِحَوَائِجِ

الغاس ، ماهي ؟ قال : قد والله سمعت تغريدَ الأطيار بالأسعار في فروع الأشجار ، وسمعتُ خُفُوقَ أوتارِ الميدان وترجيع أصوات القِيان ، فما طربت من صوتٍ قطَّ طَرَبِي من ثناء حسن ، بلسانٍ حسن ، على رجلٍ قد أحسن ، وما سمعتُ أحسنَ من شكر حرّ لرجلٍ حرّ ، ومن شفاعةٍ محتسبٍ لطالبٍ شاكر ، فقلت له : فله أبوك ! لقد حُشيتَ كرمًا ، فلذّة السمع هنا بمنزلة الشم في البيت .  
خيّل : حسب ، والضبّ والحوث قد تقدّما في الثامنة عشر .

قوله : الجامد الكفت : هو البخیل ، وهو ضدّ السّمح . ممقوتًا : مهضوًا .  
هَمَلٌ : أهدار . يُوسِعُهُ ذِمًّا ، أى يكثرن ذمه ، التبكيت : الموان والتوبيخ .  
جُدٌّ : تسكّرتم . نَشَبٌ : مال . مجندى جدواك : طالب عطاياك . مبهوتا : متعجّرا ، يريد أنه يجب من كثرة مانعطيه فيتعجّر وما يدري كيف يشكره !

### [ مدح الكرم وذم البخل ]

ومن مدح الكرم وذم البخل قالوا :  
لو لم يكن في الكرم إلا أنه من صفات الله مزوجل .  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يعحب الجود ومكارم الأخلاق .  
ويذمّ سفاسفها » .

وقيل لقوم من العرب : مَنْ سَيِّدُكُمْ ؟ فقالوا : فلانٌ على بخلٍ فيه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « وأى داءٍ أذوَى من البخل »<sup>(١)</sup> !

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وقال المأمون لمحمد بن عباد : أنت متلاف ، فقال : منَعَ الجود سوء ظن بالمعبود ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا نَقَمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ وَهُمْ لَا يَخْلِفُوهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) النهاية لابن الأثير ٢ : ١٤٣

(٢) سورة المؤمن ٩

(٣) سورة سبأ ٣٩

وقال كسرى : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ؛ فإنهم أهلُ حسن الظن بالله ، ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضررٍ يخلهم ومذمة الناس لهم وإطباقُ القلوب على بغضهم ، إلا سوء ظنهم بربهم في اتخلف لكان عظيمًا ، أخذه محمود الوارق فقال :

مَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ خَيْرًا جَادَ مَبْعَدًا      والبخل مِنْ سَوْءِ ظَنِّ الْمَرْءِ بِاللَّهِ  
وخوفٌ بِخَيْلٍ سَخِيًّا إِمْلَاقٌ وَفَقْرٌ ،      فردَّ عليه السخى ، يقول : (الشَّيْطَانُ  
يَمِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَمِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا) <sup>(١)</sup> .  
وقال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفتَ في بذل المال ،  
فقال : بآبى أنما وأمى ! إن الله عودنى أن يفضلَّ علىّ ، وعودته أن أنفضل  
على عبیده ، فأخاف أن أقطع المادة فيقطع عنى عادته .

قوله : وخذ نصيبك منه قبل رائئة . الرائئة الشيبة ، لأنها تروّع الإنسان  
أى تفرّعه ، وتعلمه أنها تأتيه بالكبر والهرم . والعود المنعوت ، أراد به الجسم  
الهابس لأن الهرم يُذهب نعمة الجسم ، وأصل المنعوت المنجور .  
وأراد بقوله : خذ نصيبك قوله عليه الصلاة والسلام : « يقول ابن آدم : مالى  
مالى ، وماله من ماله إلا ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فأمضى » .  
[ مما قيل فى الشيب ]

وقال الشاعر فى الرائئة :  
أهلاً برائئة للشيب واحدة      تنفى الشباب وتنهانا عن الغزل <sup>(٢)</sup>  
وقال أبو الطيب المتنبي :  
راعتك رائئة المشيب بعارضى      ولو أنها الأولى لراع الأسعم <sup>(٣)</sup>

(١) سورة البقرة ٢٦٨ .

(٢) شرح العكبرى ٤ : ١٢٣ .

(٣) ديوانه ٤ ، ١٢٣ . العارض ، مايل المد والأسعم : الأسود .

لو كان يُمكنني سَفَرْتُ عن الصِّبَا      فالشَّيب من قَبْلِ الأوان يُكْتَمُ<sup>(١)</sup>  
وفي رواية ابن جني: «رائحة البياض»، وقال: هي أول شمرة تطلع من الشيب.  
وأنشد ابن الأعرابي «أهلاً برائحة الشيب» وأنشد غيره «برائحة بهضاء» أي  
بشمرة تطلع من الشيب بهضاء تروع الناظر، وهذا أصوب من الوجه الآخر،  
وقال كثير:

كَذَّبَ العواذل بل أَرَدَنَ خِيَاتِي      وبدت روائح لِمَتِي وقُتُومُ<sup>(٢)</sup>  
وقال الألبيري:

بصُرْتُ بشيبةٍ وخطتِ بِلَيْلِي      فقلت لها تَأْهِبِي لِرَحْمَلِ<sup>(٣)</sup>  
ولا يَهْنِ القليل عليك منها      فالشيب وَيَحْكُ من قليل  
فكم قد أبصرتُ حينك مُزَنًا      أصابك طلبها قبلَ النَّزُولِ<sup>(٤)</sup>  
فلا تحقرِ بنوزِ الشَّيبِ واعلمي<sup>(٥)</sup>      بأنَّ القَطَرُ يَبْعَثُ بالشَّيْبُولِ

وقال أبو بكر البلوي:

نَسِيتُ في شِعْرى وشِعْرى وما      نَفْسِي في صَبْرى بِمَسْكُونَةٍ  
إذا دنتُ بِيضاء مَكْرُوهَةٍ      مَنِي نأت سوداء مَحْبُوبَةٍ

وقال كشاجم فأحسن:

نظرتُ إلى المرأة فروهتني      طلائع شيبتين لَدَى النَّابِ<sup>(٦)</sup>  
فأما شيبة ففزعْتُ منها      إلى المقراضِ من حَبِّ التَّصَابِي  
وأما شيبة فصفعتُ عنها      لنشهد بالبراءة من خِيَابِي

(٢) ديوانه ٢٠٦، والقُتُوم: الشعوب والتخيم.

(٤) الديوان: «الهمول»

(٦) ديوانه ١٠

(١) الديوان: «تَلْتَمُ»

(٣) ديوانه ١٤٧، ١٤٨

(٥) ديوانه: يَنْزُرُ الذهب

فهاك من مشيب قد تبدى أقت به الدليل على شبابي<sup>(١)</sup>  
وقال البعترى :

وأبت تركي الغديات والآ صال حتى قضين بالمقراض<sup>(٢)</sup>  
شمرات أقصهن وبرجة ن رجوع السهام في الأغراض<sup>(٣)</sup>  
وقال ابن المعتز :

ألس ترى شيباً برأى شاملاً ونف حيلتى عنه وضاق به ذرعى  
كان المقاربض التى بعورته مناقير طير تلتقى سنبيل الرزع  
وقال رجل من الأزد :

ولقد أقول لشيبة أبصرتها فى مفرق فنعشها إعراضى  
عنى إليك فليست منها لعدى عمت منك مفارق يباحض  
هللى سوى عشرين عاماً قد مضت مع ستة فى لائهن مواضى  
ولقد أرتاع منك وإنى فجا هويت وإن وزعت لماضى  
فعليك ما استطعت الظهور بلىتى وعلى أن ألك بالمقراض  
وقال أبو نواس :

وإذا عذدت السن كم هى لم أجذ لشيب حذراً أن يلم براسى  
وقال أبو داف :

فى كل يوم أرى بيضاء قد طلعت كأنما نبقت فى ناظر البصر<sup>(٤)</sup>  
لئن قرضتك بالمقراض هن بعصرى لما قرضتك من هى وعن فكرى

(١) الديوان :

فيما عجباً فلك من مشيب أقت به الدليل على الذهاب

(٢) ديوانه ١٢٠٩ ، وفيه « خضبت بالمقراض » (٣) الأغراض : الأهداف .

(٤) أمالى المرتضى ١ : ٦٠٨ ، وفيه : « كأنما طلعت فى أسود البصر »

وقال كشاجم :

أخى قم فعاونني على شعبة بفت  
إذا مامضى المنقاش يأتي بها أتت  
كعان على السلطان يجزى بذنبه

ولأبي الفضل الدارمي :

شعبة نقتصت على شبابي  
قلت ماذا كذا العمر التقصابي  
فأجابت جري من الرسم للسل  
فإن ازددت في الجفاء فلا تند  
وهذا مثل قول الآخر :

وزائرة للشيب لاحت بمارضى  
فقلت على ضمعي استطلت ووحدني  
فلم يك إلا عن قريب فأقبلت  
فوا أسفا لو كان يُغني تأسني  
وقال الرمانى :

وثلاث شيبات طلعتن بمفرق  
طلعت ثلاث في طلوع ثلاثة  
فمزلتني عن صَبَوَتِي فائن ذلا  
وفي معنى قول أبي نواس : « وإذا عدت السن كم هي » قال المعري :  
عجبت هند من تسرع شيبى  
موضعتني بد السقاسف من ميس  
فظننت أن نزولهن رحيلي  
واش ووجه مراقب وهذول  
ت لقد سمعت بذلة الموزول

كَانَ لِي فِي انتِظَارِ شَيْءٍ حَسَابٌ غَالِطِي فِيهِ صُرُوفُ الدُّهُورِ  
وَقَالَ ابْنُ الْمَلْحِ الشُّبْلِيُّ :

طَلَعَ الْمَشِيبُ بَلَمَتِي فَتَمَجَّجُوا مِنْ كَدِّهِ وَتَمَجَّجُوا مِنْ مُهْلَتِهِ  
مَا شَبَتْ مِنْ كَبَرٍ وَلَكِنْ مَنَ بَيْتٌ دَقًّا وَمَشَقًّا يَشِبُّ مِنْ لَهْلَهَةِ  
وَقَالَ أَبُو عُمَانَ الْخَلَالِيُّ :

فَدَيْقُكَ مَا شَبَتْ مِنْ كَبَرَةٍ وَهَذِي سَيِّى وَهَذَا الْحَسَابُ<sup>(١)</sup>  
وَلَكِنْ هَجَرَتْ فِجْلَ الْمَشِيبِ وَلَوْ قَدْ وَصَلَتْ لِحْلَ الشَّبَابِ<sup>(٢)</sup>  
وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٌ .

قوله : فالدهر أنكد ... البيت يقول : إن كنت غنياً أو فقيراً فذاك حال  
لا تدموم، كرهت أو رضيتها .

وقوله : أىّ ولد الرجل أنت ، هذا الكلام إنما يقع في باب النفي ، قال  
يعقوب : تقول العرب : لأدرى أىّ ولد الرجل هو ؟ بمنون بالرجل آدم وولده  
الناس ، فكأنه قال : ما أدرى أىّ الناس هو .

عرض : جانب . مفض : مفضض ميمنه ، يريد أنه لم يعجبه سؤاله ، فلم يقبل  
علمه بنظيره ، ولا بإنشاده . ورز ، بالراء قبل الزاى ، معناه اختبر واطلب . قال  
ابن الأنبارى : رزت ما عنده ، أى طلبته وأردته ، قال الزبيدى : الروز قريب  
من التحقيق ، والروز أن تأخذ الصنجة بيدك ، فترفعها لتختبر ثقلها ، قال الشاعر :  
وإن الله راز حلوم قيسٍ فلما ذاق خِفَّتْهَا قَلَاهَا  
وقال الأعشى :

فمضى ولم يخش الأنياس فرازا وخلا بها  
أصرم : أقطع الصعبة . الشلاف : الخمر الخالصة . الحصرم : الحامض ، لأن

(٢) الديوان : د لمام الشبَاب

(١) ديوانه ١٠٨

عمود العنب حامض ، ويقول عنه شيء قديد ، وتقدم معنى البيتين .  
وأما وجود الأشياء مع أضدادها مثل الحلاوة مع مائله مرةً فله نظائر ،  
قال حبيب :

• والبار قد تُفتَضَى من ناضِرِ السَّلمِ •<sup>(١)</sup>

وقال المتنبي :

فإن الماء يَجْرِي من جادٍ وإن النار تخرج من زناد<sup>(٢)</sup>  
وقد يجرى أيضاً خلاف العادة في الأشياء ، فقد يقشبه الشيطان من جهة ،  
ويقهاعدان من أخرى .

قال المعري :

قد يَيمدُ الشيءُ من شيءٍ يُشابهُه      إنَّ السماءَ نظيرُ الماءِ في الزَّرَقِ<sup>(٣)</sup>  
قال المتنبي وقد سبقه إليه :

وقد يتقارب الوصفان جدًّا      وموصوفا هما مُعبَّعدان<sup>(٤)</sup>  
وما أحسن قول ابن صارة :

يا مَنْ بَعْدَ بِي لَمَّا تَمَلَّكَنِي      ماذا تريد ببعدي وإضراري  
تروقُ حسناً وفيك الموتُ أجمعُ      كالصَّقلِ في السَّيفِ أو كالنورِ في النارِ  
وقال ابن عبدون أستاذ بلنسية :

يا مَنْ مَحْيَاهُ جَنَاتٌ مَفْتَحَةٌ      وهجره لي ذنبٌ غيرُ مغفورٍ  
لقد تَفَاقَضَتْ في خَلْقِي وفي خُلُقِي      تَفَاقَضَ النَّارُ بالتدخينِ والنُّورِ

• • •

قال : فقرَّبه الوالي لبيا نِه الفاتِن ؛ حتى أحلَّه مَقْعَدَ الخاتِن . ثم  
فَرَضَ له من سُيُوبِ نَيْلِه ، ما آذن بطولِ ذَيْلِه ، وقَصَرَ ليلِه . فَنَهَضَ

(١) ديوانه ٢٦٩ . تنقي : لتخرج ، وصدرة :

• أخرجهموه بكره من سَجِيَّةِه •

(٢) ديوانه ٢ : ٣٦٥ (٣) سقط الزند ٦٨٨ (٤) ديوانه ٤ : ٢٥٥ .

عنه بِرُذُنِ مَلَّانَ ، وَقَلْبِ جَذْلَانِ ، وَتَبَعْتُهُ حَازِيًا حَذْوَهُ ، وَقَافِيًا  
خَطْوَهُ ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ بَابِهِ ، وَفَصَلَ عَنْ غَايِهِ ، قُلْتُ لَهُ :  
هُنْتُ بِمَا أُوتِيتَ ، وَمُلِّيتُ بِمَا أُوتِيتَ . فَأَسْفَرَوُجْهَهُ وَتَلَلَا ، وَوَالَى  
شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ خَطَرَ اخْتِيَالًا ، وَأَنْشَدَ اِرْتِجَالًا :

مَنْ يَكُنْ نَالَ بِالْحَافَةِ حَظًّا أَوْ سَمَا قَدْرَهُ لَطِيبِ الْأَصُولِ  
فَبِفَضْلِي انْتَفَعْتُ لَا بِفُضُولِي وَبِقَوْلِي ارْتَفَعْتُ لَا بِقُبُولِي  
ثُمَّ قَالَ : تَمَسَّا لِمَنْ جَذَبَ الْأَدَبَ ، وَطُوبَى لِمَنْ جَدَّ فِيهِ وَدَّابَ ،  
ثُمَّ وَدَّعَنِي وَذَهَبَ ، وَأَوْدَعَنِي اللَّهَبَ .

\* \* \*

قوله : مقدم الختان : كناية عن القرب ، كما أن مزجَرَ السكب كناية عن  
الهدم . سبوب : عطايا ، وأصلها السكنوز والمعادن . تَبَلَّه : ماله الموهوب ، وفي  
كتاب العين : أفلت المعروف ونولته ونولته واسم ما تهب للنوال والفيل . آذن : أعلم .  
طول ذيله : كثرة ماله . قصر ليله : يريد قلة هـ ، لأن المهموم لا ينام فهو طول ليله ،  
ووصف الليل بالطول والقصر ، وله باب مشهور في كتب الأدب تركنا ذكره  
لشهرته وكثرته ، وعلمته راجعة لما ذكر من أن ليل السرور قصير ، وليل  
الهم طويل .

[ مما قبل في طول الاول ]

وحدث إسحاق الموصلي قال : دخلت على الرشيد وهو مُسْتَلْقٍ عَلَى قَفَاهُ  
وهو يقول : أحسن والله فني قریش وظريفها وأشاعرها ، قلت : فبِمَ ذلك بأمره  
المؤمنين ؟ قال في قوله :

لا أسأل الله تغييراً لما فعلتُ  
نامت وقد أَسهرتُ عينيَّ حينها  
فالليل أطولُ شيءٍ حين أنقذها  
والليل أقصر شيءٍ حين أنقأها

ثم قال : أفتعرفه ؟ قلت بصوت ضعيف : لا ، قال : بحق عليك ؟ قلت : نعم  
هو الوليد بن يزيد ، فقال استر ماسمعتَه مني ، وإنه ليستحق أكثر مما وصفته به<sup>(١)</sup>

ولبعضهم وأجاد :

إنَّ الأبيالَ للأَنام مطيَّبةٌ  
تُطوى وتُنشر بينها الأعمارُ  
فقصَّارهُنَّ مع المموم طويِّلةٌ  
وطواهُنَّ مع المرورِ قصَّارُ

وأنشد الفنجديهي للطرافي :

أخوالهوى يستطيلُ الليلَ من سهرٍ  
والليل في طولهِ جارٍ على قَدَرٍ  
كئيلُ الهوى سَنَّةٌ في المجر مدَّةُ  
لكنه سنة في الوصل من قِصرٍ

وأنشد السَّلامى رحمه الله :

لبلى ولبنى سَواءٌ في اختلافهما  
قد صيراني جوهماً في الهوى مثلاً<sup>(٢)</sup>  
يجود بالطول لبلى كلما بنخاتٍ  
بالطول لبلى وإن جادت به بخلاً

وقال ابن أبي دباكل :

بطولُ اليومِ لا أَلَمالكِ فيه  
وحولٌ نلتقى فيه قصيرُ

وتبَّهه بشار ، فقال وأحسن :

(١) الخبز والشعر في شرح المختار من شعر بشار ٢١ ، والشعر أيضاً في زهر الآداب ٧٤٩

لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تقور<sup>(١)</sup>  
 ليلي كما شامت فإن لم تزُر طال وإن زارت فليل قصير  
 تصرف الليل على حكمها فهو على ماصرّفته يدور

وزاد ابن العريف الزاهد على هذا المعنى ، فقال وأحسن :

لست أدري أطال ليلي أم لا كذب بدري بذاك من يتقلّى  
 لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرغبي التجوم كنت مخيلاً  
 إن للماشقين عن قصر الليـ ل وعن طوله من المم شغلاً

قوله : ردن ، أى كم . جذلان : مسرور . حاذباً حذوه ، أى متبعاله  
 جامعاً قدمي موضع قدمه ، فيتسع فيه ، فهقال : حذوت حذوه ، أى فعلت مثل  
 فعله ، وأصله في حذو النمل بالنمل ، وقد تقدم .

قافيا : متبعاً . فصل : زال وخرج . غابه : موضعه ، والغاب للشجر الملتف  
 يتخذ الأسد فيه بيتاً . ملّيت : أطيل لك ومثمت به ، من الملاوة ، وهو الحين .  
 أوليت : أعطيت . أسفر : أضاء ، ومثله تلاًلاً ، إلا أن معناه أبلغ ، وأصل  
 تلاًلاً : ابهض ، فأشبهه بياض الأولو ، وصفاءه ، يريد أنه انبسط وجهه وحسنت  
 خلقته لما دعاه . وإلى : كرّر . خطر اختيالا : جرّ أثوابه إعجاباً بنفسه . مما قدره :  
 ارتفعت منزلته . طيب الأصول : شرف الجود . الفضول : الحلق والداخل  
 فيما لا يعنى . والقيول : من دون الملك ، واحدم قليل ، وأراد بهم الأجداد  
 الأشراف ، وطابق بين الحماقة والفضول ، وبين طيب الأصول والقبول ، وسلخه  
 من قول المتنبي :

(١) لسبب القائل في الأمل ١ : ١٠٠ هذا الشعر لعل بن بسام وكذلك فزهرا الآداب ٨٤٩  
 والنویری ١ : ١٣٥ ، وثمار الأزهار ٢٣ ، وديوان المعاني ١ : ٣٤٩

ما بقومي شرفت بل شرفواي وبفسي ارتفعت لا بجذودي (١)  
أشار إلى نسيبه من ملوك كنده .  
قال آخر :

أيها الفاخر جهلاً بالحسب إنما الناس لأثم ولأب  
إنما النخس بمقل راجح وبأخلاق حسان وأدب  
ذاك من قد فاخر الناس به فاق من فاخر منهم وغلب  
وقال الحكيم بن قنبر :

لاخير فمين له أصل بلا أدب حتى يكون على مانابه حديثاً  
كم من حبيب أخى عي وطعنة فذم لدى القوم معروفاً إذا انتسباً  
في بيت مكرمة أباه نجب كانوا الرءوس فأضحى بدم ذنباً  
وقد تقدمت نظائره .

قوله : تمسا ، أى هلاكاً . جذب : عاب ، وفي الحديث : «جذب ابن الأنهر  
بالسمر بعد العشاء» (٢) أى عابه ، وقال ذو الرمة .

إذا نازعتك لقول مية أو بدأ لك الوجه منها أو نضاً الدرع سألته (٣)  
فمالك من خدر أسيل ومنطق رخم ومن خلق تعلم جادبه (٤)  
قوله : دأب ، أى دام عليه . أودعي : ضمنى ، وجمله في قلبي . اللهم :  
بجور النار .

ومما يمتلئ بما قدمناه من الشعر قول جعظة .

(١) ديوانه ١ : ٣٧٢ . (٢) النهاية لابن الأثير ، وقال : «أى ذمه وعابه»

(٣) ديوانه ٤٢

(٤) أسيل : سهل . رخم : فيه لحن . جادبه : عابه .

أرى الأعياد تتركى وتمغى وأوشك أنها تبقى وأمغى  
 علامة ذاك شيب قد علاني وضعتي عند إرامي ونفغى  
 وما كذب الذى قد قال قبل إذا مامرت يوم مرة بمغى  
 أرى الأيام قد ختمت كتابي وأحبها ستقبه بفض

وعلى قوله : « إذا مامرت يوم مرة بمغى » قال بعض بني حمدان :

السرى وقت له تنامٍ مقدرٌ طوله وعرضه  
 فكلاماً مرة منه يوم فإنسا مرة منه بعضه

وجعظة مطبوع الشعر ، هو القائل فى أبى بكر بن دريد :

فقدتُ بآبن دريد كلَّ قائدةٍ لما غدا ناك الأبحار والتراب<sup>(١)</sup>  
 وكنت أبكى لفقد الجود مجتهداً فصرت أبكى لفقد الجود والأدب

أين هذا من قول الفرزدق برئى سائسا ، أنشده أبو محمد فى الدير :

ليبك أبا الحسناء بزل وبغلة ومخللة وسوء قد أضيع شعيرها<sup>(٢)</sup>  
 وتجرقة مطروحة ومحسة ومقرعة صفراء بال سهو لها

أخذه من قول زبد الخليل برئى عبداً له :

أما تعاورتك الزماح فلا أبكيك إلا لادلو والمرس

وقد قدمنا فصلاً فى التشاؤم بالأدب فى قوله ، فقد دهانى شؤمه وأنى عليه

هنا بقوله : تمسك لمن جدب الأدب ، وطوبى لمن جدب فيه وأدب .

(١) تاريخ بغداد ٢ : ١٩٧

(٢) درة الغواص ٩٧ .

## [ فصل في مدح الأدب ]

ونذكر هنا فصلاً مقنعاً في مدحه ، حسب ما شرطنا من الجرى معه على أغراضه .  
قال الملاء بن أيوب كان يقال : مثلُ الأديب ذى القريحة ، مثلُ دائرة  
تُدار من خارجها ، فهي في كلِّ دائرة تدار تنسع وتزداد عِظْماً ، ومثلُ الأديب  
غير ذى القريحة مثلُ دائرة تُدار من داخلها ، فهي من قلل تبلغ إلى باطنها .  
أوصى بعض الحكماء بنوه ، فقال لهم : الأدب أكرمُ الجواهر طبيعةً ، وأنفسها  
قيمةً ، يرفع الأحساب الوضيعة ، ويفيد الرغائب الجليلة ، ويُبني من غيره عشيرة ،  
ويكثر الأنصار من غير رزية ، فالبسوه حلةً ، وتزينوا به حليةً ، يؤنسكم في  
الوحشة ، ويجمع القلوب المختلفة .

وقال شبيب بن شبة : اطلبوا الأدب فإنه مادة للعقل ، دليل على المروءة  
صاحب في الغربة ، مؤنس في الوحشة ، حلية في المجلس .  
وقال الخليل : مَنْ لم يكتسب بالأدب مالاً اكتسب به جلالاً .

وأنشد الأصمعي رحمه الله :

إن بك للعقل مولود فلست أرى      ذا العقل مستوحشاً من حادث الأدب  
إني رأيتهما كالماء مختلطاً      بالترب تظهر عنه زهرة العُشب  
وقال عبد الملك لبنيه : عليكم بالأدب ، فإنكم إذا احتجتم إليه كان لكم  
مالاً ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جلالاً .

ابن المقفع : إذا أكرمك الناس لمالٍ أو لدنيا ، فلا يمجبتك ، فإن تلك  
كرامة تزول بزوالها ، ولكن لمجبتك إذا أكرموك لدين أو أدب .  
وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كفاك من علم الدين أن تعرف مالاً بسم  
جهل ، ومن علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل .

وقال بُزْرُجْمَهْر : ما ورثت الآباءه الأبناء خيراً من الأدب ، لأن به يكسبون المال ، وبالجهل يثقلونه .

وقال : حسنُ الخلق خير قرين ، والأدب خير ميراث ، والتقوى خير زاد . وقالوا : ثلاث لا غربة معهن . مجانبه للرَّيب ، وحسن الأدب ، وكف الأذى . وقال بُزْرُجْمَهْر : من كثر أدبه كثر شرفه ، وإن كان قبلُ وضهماً ، وبعد صيته ، وإن كان خاملاً ، وسادوا إن كان غريباً ، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيراً .

وقال عمر رضي الله عنه عنه : من أفضل ما أعطيتُه العرب الأبيات ، يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، فيستمطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم . وقالوا : الأدب أدبَان . أدب الفريزة ، وهو الأصل وأدب الرواية وهو الفرع ، ولا يتفرع الشيء إلا عن أصله ، ولا ينمو الأصل إلا بانصال المادة . وقال حبيب فأحسن :

وما السَّيْفُ إِلَّا زَبْرَةٌ إِنْ تَرَكْتَهُ عَلَى الْخِلْقَةِ الْأُولَى لَمَّا كَانَ يَنْقَطِعُ<sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِي هَبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ  
مَهْمَا كَالِ الْفَقِي فَإِنْ فَقِدَا فَقَدَهُ لِلْحَيَاةِ أَحْسَنُ بِهِ

وقالوا : إذا كان الرجل طاهر الأدب ، طاهر المنبت ، تأدب بأدبه ، وصلح بصلاح أهله وولده .

وقال الشاعر :

رَأَيْتُ صَلَاحَ الْمَرْءِ يُصَالِحُ أَهْلَهُ وَيَعْلَمُهُمْ عِنْدَ الْفَسَادِ إِذَا فَسَدَ  
يَعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صَلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ

(١) ديوانه ١٢٨٠ . الزبرة : القطعة من الحديد .

## المقامة التاسعة والثلاثون وهي العمانيّة

حدث الحارث بن قحطام ، قال : لهجتُ مُذِ اخضرَ إزارِي ، وَبَقَلِ  
 هِذَارِي ، بَأَن أَجُوبَ الْبَرَارِي ، عَلَى ظُهورِ الْمَهَارِي ، أَنَجِدُ طُوراً ،  
 وَأَسْئَلُكَ تَارَةً غُوراً ؛ حَتَّى فَلَيْتُ الْمَعَالِمَ وَالْمَجَاهِلَ ، وَبَلَوْتُ الْمَنَازِلَ  
 وَالْمَنَاهِلَ ، وَأَذْمَيْتُ السَّنَابِكَ وَالْمَنَاسِمَ ، وَأَنْصَبْتُ السَّوَابِقَ  
 وَالرَّوَاسِمَ فَلَمَّا مَلَيْتُ الْإِضْحَارَ ، وَقَدْ مَنَحَ لِي أَرْبُ بِصُحَارَ ، مِلْتُ  
 إِلَى اجْتِيَازِ التِّيَّارِ ، وَاجْتِيَارِ الْفُلْكِ السِّيَّارِ ، فَتَقَنَّا لِيْلِهِ أَسَاوِدِي ،  
 وَاسْتَصَحَبْتُ زَادِي وَمَزَاوِدِي ، ثُمَّ رَكِبْتُ لِيْلِهِ رُكُوبَ حَازِرِ نَازِرِ ،  
 عَازِلِ لِنَفْسِهِ عَازِرِ . فَلَمَّا شَرَعْنَا فِي الْقُلْعَةِ ، وَرَفَعْنَا الشَّرْعَ لِلشَّرْعَةِ ،  
 سَمِعْنَا مِنْ شَاطِئِ الْمَرْسَى ، حِينَ دَجَا اللَّيْلُ وَأَغْصَى ، هَاتِفًا يَقُولُ :  
 يَا أَهْلَ ذَا الْفُلْكِ الْقَوِيمِ ، الْمَرْجَى فِي الْبَحْرِ الْعَظِيمِ ، بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ  
 الْعَلِيمِ ، هَلْ أَذْلَسَكُمْ عَلَى تِجَارَةِ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . فَقُلْنَا :  
 أَقْبَسْنَا نَارَكَ أَيُّهَا الدَّلِيلُ وَأَرْشَدْنَا كَمَا يُرْشِدُ الْخَلِيلُ .

\*\*\*

لهجتُ ، أَيْ اخضعتُ ، وأصله في التفصيل إذا رضع أمه ، يقال : لَهَجَ بَضْرَعِ  
 أمه ، إذا لَمَمَ لِرَضْعِهِ . اخضرَ إزارِي ، كُنِيَ بِهِ عَنْ الشَّهَابِ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ  
 إِذَا بَلَغَ مِنْهَا الْفَلَاحَ الْحُلُمَ ، وَأَشْعَرَابِيسَ الْإِزَارِ لَيْسَتْ عَوْرَتَهُ . بَقَلِ هِذَارِي : اخضرَ  
 شَارِبِي ، وَبَدَأَ الشُّغْرَ فِي وَجْهِهِ أَخْضَرَ مِثْلَ الْبَقْلِ .

( ١٩ - شرح مقامات الحريري ج ١ )

## [ مما قيل في العذار ]

ونذكر هنا شيئاً مما قيل في العذار ، قال أبو نواس :

مِنْ أَيْنَ لَارِشًا الْأَغْنَى الْأَحْوَرِ      فِي الْخِدَّةِ مِثْلَ هِذَارِهِ الْمُتَحِيرِ  
قَرَّ كَأَنَّ بِمَارِضِيهِ كُلِّهِمَا      مِسْكَاً تَسَاقُطُ فَوْقَ وَرْدٍ أَحْمَرِ  
وقال أيضاً :

قَدْ كَانَ بَدَرَ السَّمَاءِ حَسْبًا      فَالْنَّاسُ فِي حُبِّهِ سَوَاءُ  
فَزَادَهُ رَبُّهُ عِذَارًا      نَمَّ بِهِ الْحَسَنُ وَالْبِهَاءُ  
لَا تَمْجِبُوا ، رَبُّنَا قَدِيرٌ      يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ  
وقال ابن رشيقي :

حَمَتُ عِذَارَاهُ بِتَقْبِيلِهِ      فَاسْتَلَّ مِنْ عَوْنِهِ سَيْفَيْنِ<sup>(١)</sup>  
نَذَلَكَ الْحَمْرُ مِنْ خِدَّةِ      دَمٌ جَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ  
وقال غيره :

قَرَّ كَأَنَّ قَوَامَهُ      مِنْ قَدْ غَصَنَ مَسْرَقُ  
وَكَأَنَّ قَلَمَ الزَّمَرِ      دَفَى عَوَارِضِهِ مَشَقُّ  
ولأبي الفضل الدارمي :

وَإِذَا أَدَّى خَطَّ الْجَمَالِ بَوَاجِهِ      خَطَّيْنِ هَاجَا لَوْعَةً وَبَلَابِلًا  
مَاصَّحَ عِنْدِي أَنْ لِحْظَكَ صَارَ      حَتَّى رَأَيْتُ بِمَارِضِيكَ حَمَائِلًا  
وقال أيضاً :

قُلْتُ لِلْمُنْقِي طَى الْخَدَّيْنِ مِنْ وَرْدٍ مُخَارَا  
أَسْبَلَ الصَّدْعُ طَى خَدَّيْكَ مِنْ مَسْكِ عِذَارَا

(١) نقله في التنف ٨١

أَمَ أَعَانَ اللَّهُمَّ حَتَّى غَلَبَ اللَّيْلُ النَّهَارَا  
قَالَ مِيدَانُ جَرَى الْحَسَنِ عَلَيْهِ فَاسْتَدَارَا  
رَكَضَتْ فِيهِ هَوْنٌ فَأَثَارَتْهُ غُبَارَا

قوله : أجوب ، أى أقطع . البرارى : الصحارى . المهارى : إبل كرام .  
أنجد : أطلع ، والنجد : المرتفع . والغور : ضده ، وقد أنجد وغار . أصلك :  
أدخل وأمشى . فليت : قطعت . المعالم : الواضع المألومة ، والمجاهل ، ضدها .  
بلوت : جربت . المناهل : مواضع المياه . السبابك : أطراف الخوافر . المناسم :  
جمع منسم ، وهو مقدم خف البعير . أنضيت : أهزأت . السوابق : الخيل .  
الرواسم : الإبل السريعة ، ورسمت الفاقة فهى راسمة ، إذا أثرت فى الأرض  
من شدة وطئها ، قال أبو عبيد رحمه الله : إذا ارتفع السير عن العنق قليلا ، فهو  
التريد ، فإذا ارتفع عن ذلك ، فهو الذميل ، ثم الرسيم . الإصحار : الدخول  
للمصحراء ، يريد مالت من سفر اللبر . صنع : ظهر وعرض . أرب : حاجة .

### [ ذكر صُحَار ]

صُحَار : سوق عُمان ، وهى مدينة كبيرة على ساحل البحر ، مُرساها فرسخ  
فى فرسخ ، وبلاد عُمان ثلاثون فرسخا ، مولى للبحر سهول ورمال ، وماتعاهد  
عنه حزون وجبال ، وهى مدن ، منها مدينة عُمان وهى حصينة على الساحل ،  
ومن الجانب الآخر مياه . تجرى إلى المدينة ، وفيها دكاكين الثجارات مفروشة  
بالنحاس مكان الآجر ، وهى كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه والحنطة  
والشمر والأرز وقصب السكر ، وفى الأمثال : مَنْ تَمَذَّرَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ فَعَلِمَهُ بُمَانٌ ،  
وفى أحوازها مفاص اللؤلؤ . وعُمان من أحواز اليمن تُسميت بهمان بن سها .  
الفنجديسى : صحار اسم بلدة بكورة عُمان وهى قصبتها ثَمًا يلى الجبل .



التَّيَّار : البحر . الْفُلُك : السفينة . التَّسْيَار : الكثير المشى ، والفُلُك يكون  
واحدا وجما ، وبذكر ويؤنث .

أساودى : أمقاعى، لأنها تسود الأرض بظلمها ، وهى جمع أسودة ، وأسودة جمع سواد ، وسواد الأمير تَقْلَهُ . أبو عبيد : كُلَّ شخص سواد ، من متاع أو إنسان أو غيره . الحاذِر : الخائف . ناذر : حالف ، وأراد به الذى ينذر بخبر إن سلمه الله تعالى من هَوَلِ البحر . عاذل وعاذر ، يريد أنه يمدل نفسه من الغرير بدخول البحر ومقاساة أهواله ، ويمدِرُها لكثرة المقاجر . شرَعنا فى القلعة : أخذنا فى قلع المراسى ، ورفع القلع وهى الشرع . قوله : أغشى ، أى أظلم هاتِفًا ، أى صامحًا . القويم : السقيم . المَزَجَى : السوق المسير ، قال الله تعالى : ﴿ رَبُّكُمْ الَّذِى يُزْجِى لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ﴾ أى يسيرها ، وأزجاء : إذا ساقه . أقبسنا : أعطنا أرشدنا : دلنا ، قاله الأزهري رحمه الله .

• • •

فقال : أَلَسْتَضَحِبُونَ ابْنَ سَبِيلٍ ، زَادَهُ فِي زَيْلٍ ، وَظَلُّهُ غَيْرُ ثَقِيلٍ ، وَمَا يَنْبِئُنِي سِوَى مَقِيلٍ . فأجمعنا على الْجُنُوحِ إِلَيْهِ وَالْأَنْبَخِلِ بِالْمَاعُونِ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى الْفُلْكِ ، قَالَ : أَعُوذُ بِمَالِكِ الْمُلْكِ ، مِنْ مَسَالِكِ الثُّلُكِ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّا رَوَيْنَا فِي الْأَخْبَارِ ، الْمُنْقُولَةَ عَنْ الْأَخْبَارِ ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَخَذَ عَلَى الْجُهَالِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا ، حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُعَلِّمُوا ، وَإِنْ مَبَى لَمُودَةٍ ، عَنْ الْأَنْبِيَاءِ مَاخُودَةٍ ، وَعِنْدِي لَكُمْ نَصِيحَةٌ ، بَرَاهِينُهَا صَحِيحَةٌ ، وَمَا وَسِيعَتِي الْكُتْمَانُ ، وَلَا مِنْ خِيَمِي

الْحَرَمَانِ فَتَدَبَّرُوا الْقَــولَ وَتَفَهَّمُوا ، وَاعْمَلُوا بِمَا تُعَلَّمُونَ  
وَعَلَّمُوا .

ثُمَّ صَاحَ صَيِّحَةُ الْمَبَاهِي ، وَقَالَ : أَتَذَرُونَ مَا هِيَ ! هِيَ وَاللَّهِ  
حِرْزُ السَّفَرِ ، عِنْدَ مَسِيرِهِمْ فِي الْبَحْرِ ، وَالْجُنَّةُ مِنَ النَّعَمِ ، إِذَا جَاشَ  
مَوْجُ الْيَمِّ ، وَبِهَا اسْتَعَصَمَ نُوْحٌ مِنَ الطُّوفَانِ ، وَنَجَّاهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ  
الْحَيَوَانِ ؛ عَلَى مَا صَدَّعَتْ بِهِ آيُ الْقُرْآنِ . ثُمَّ قَرَأَ بَعْدَ أُسَاطِيرِ  
تَلَاهَا ، وَزَخَارِفَ جَلَّاهَا ، وَقَالَ : ازْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ حِجْرَاهَا  
وَمُرْسَاهَا . ثُمَّ تَنَفَّسَ تَنَفُّسَ الْمُفْرَمِينَ ، أَوْ عِبَادِ اللَّهِ الْمَكْرَمِينَ .

وَقَالَ : أَمَا أَنَا فَقَدْ قُتْتُ فِيكُمْ مَقَامَ الْمُبْلَغِينَ ، وَنُصِحتُ لَكُمْ  
نُصْحَ الْمُبَالِغِينَ ، وَسَلَكْتُ بِكُمْ حَجَّةَ الرَّاشِدِينَ ، فَاشْهَدِ اللَّهُمَّ  
وَأَنْتَ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ .

\*\*\*

ابن سبيل : هو المسافر الذي انقطع به ، وهو يريد الرجوع إلى بلده ،  
ولا يجد ما يبلِّغ به ، فله سهم في الصدقات . زبيل : قُفَّة من جلود ، والغز به  
بعضهم فقال :

وَذِي أُذُنَيْنِ لَا يَقْتَاتِ قَوْنًا وَجُوفٍ لِحَوَانِجٍ وَاحْتِمَالٍ  
يَكْتَلِفُ شِفْلَ أَهْلِ الْبَيْتِ طُرًّا وَتُحْمَلُ فِيهِ أَقْوَاتُ الْعِيَالِ  
نُسِيرٌ إِلَيْهِ فِي الْأَسْوَاقِ سِيرًا فَلَا يُفْشِيهِ إِلَّا فِي الرُّحَالِ  
ظَلَهُ غَيْرُ ثَقِيلٍ ، أَيْ هُوَ خَفِيفُ الرُّوحِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى اسْتِثْنَائِهِ ظَلَهُ فِي

الثانية والعشرين ، ويريد بظّله شخصه ، كما يسمى الشخص سواداً ، لأنه يستود الأرض بظّله .

قال زياد بن عبد الله : قيل للشافعي رضى الله عنه : هل تمرض الروح ؟ قال : نعم من ظلّ الثقلاء ، قال : فررت به يوماً وهو بين تقيّمين ، قلت كيف الروح ؟ قال : في التزع .

وقال المهتم بن عدى : انظر إلى الثقل حُمى الروح . مقبل : موضع جلوس في القائلة . الجنوح : الميل ، والماعون اسم للمطر . وأنشد أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه :

يَجِّ صَبِيرُهُ الْمَاعُونُ نَجًّا إِذَا نَسَمَ مِنَ الْهَيْفِ اعْتَرَاهُ  
وَالْمَاعُونُ الزَّكَاةُ ، قَالَ الزَّامِيُّ :

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَنَا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيَضْمَعُوا التَّهْلِيلَا

مسالك : طرق ابن عباس رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمان لأمتي من الفرق إذا ركبوا في السفن أن يقولوا : بسم الله الملك ، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ، الآية ﴿ بسم الله تجرأها ومزساها إن ربّي لَغفور رحيم ﴾ .

وقوله : إن الله تعالى ما أخذ على الجمل - ال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا ، قيل : معنى أخذ : أوجب ، وأراد قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ﴾ أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما آتى الله تعالى عالماً علماً إلا أخذ عليه الميثاق ألا يكتمه » . قال الحسن بن عمر : أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث ، فأنقته عن أبيه ، فقلت : إنما أن تحدثني وإملا

أن أحدثك ، قال : حَدَّثَنِي ، فقلت : حَدَّثَنِي الحَكَمُ بن عَهِينَةَ ، عن يَحْيَى بن  
الْجَزَارِ ، قال : سمعتُ مَلِيَّ بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى  
الْجَهَالِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا ، قال : حَدَّثَنِي بَارِعِينَ حَدِيثًا .

قوله : حُوْذَة ، أى ما يَتَعَلَّمُونَ به الإنسان من الْحِرْزِ وشبهه . بَرَاهِمُهَا : حُجْبُهَا .  
خِيَّيْ : طَبِي . الْحَرَمَانُ : مَنَعَ الْفَوَائِدِ . الْبُكَاهِي : الْمَفَاخِرُ الْكَثِيرُ الْإِمَجَابِ .  
السَّفَرُ : الْمَسَافِرُونَ . الْجَلْفَةُ ، السَّيْرُ . جَاشَ : تَحَرَّكَ وَهَاجَ . الْهَمُّ : الْبَحْرُ . اسْتَقْصَمَ :  
اسْتَمْنَعَ . الطُّوفَانُ : الْمَاءُ الْعَامُّ . صَدَعَتْ : نَطَقَتْ . آيٌ : جَمْعُ آيَةٍ ، وَتَقَدَّمت .  
الْأَسَاطِيرُ ، هِيَ الْأَبَاطِيلُ . زَخَارَفُ : أَشْيَاءُ مُزَيَّفَةٌ . الْمَغْرَمِينَ : الْمَغْذِبِينَ ، وَالْمُفْرَمَ  
الْمَوْلُحَ بِالْحَبِّ وَغَيْرِهِ . الرَّاشِدِينَ : الْمَادِينِ لِلطَّرِيقِ .

\*\*\*

قال الحارث بن همام : فَأَعْجَبَنَا بَيَّانُهُ الْبَادِي الطَّلَاوَةُ ، وَعَجَبْتُ لَهُ  
أَصْوَاتُنَا بِالتَّلَاوَةِ ، وَأَنْسَ قَلْبِي مِنْ جَرَسِهِ ، مَعْرِفَةَ عَيْنِ تَمْسِيهِ ،  
فَقُلْتُ لَهُ : بِالَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ الْلَّحْيَ : أَلَسْتَ السَّرُوجِيُّ فَقَالَ لِي :  
بلى ، وَهَلْ يَخْشَى ابْنُ جَلَا إِنْ أَحْدَثْتُ حِينَئِذٍ السَّفَرَ ، وَسَفَرْتُ عَنْ  
نَفْسِي إِذْ سَفَرُ ، وَلَمْ تَزَلْ نَسِيرُ وَالْبَحْرُ رَهْوٌ ، وَالْجَوْهُ صَخَوٌ ،  
وَالْعَيْشُ صَفَوٌ ، وَالزَّمَانُ لَهْوٌ ، وَأَنَا أَجِدُ لِلْقِيَانِهِ ، وَجَدَ الْمُتَرَيِّ بِعَقِيَانِهِ ،  
وَأَفْرَحُ بِمَنَاجَاتِهِ ، فَرَحَ الْفَرِيقِ بِمَنَاجَاتِهِ ، إِلَى أَنْ عَصَفَتْ الْجُنُوبُ ،  
وَعَصَفَتْ الْخُتُوبُ ، وَشَبَّ السَّمَرُ مَا كَانَ . وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ  
مَكَانٍ ؛ فَمِلْنَا لِهَذَا الْحَدَثِ السَّائِرِ ، إِلَى إِحْدَى الْجَزَائِرِ ؛ لَتُرْبِيعِ وَنَسْتَرِيعِ ؛  
رَيْثَمَا تَوَاتَى الرِّيحُ .

فَمَا دَىٰ اعْتِيَاصُ الْمَسِيرِ ؛ حَتَّىٰ نَفَسَ الزَّادُ غَيْرَ الْبَسِيرِ ؛ فَقَالَ لِي  
أَبُو زَيْدٍ : إِنَّهُ لَنْ يَحْرَزَ جَنَى الْعُودِ بِالْقَعُودِ ، فَهَلْ لَكَ فِي اسْتِثَارَةِ  
السُّمُودِ بِالصُّمُودِ أَفَقَلْتُ لَهُ : إِنِّي لَا تَبِيعُ لَكَ مِنْ ظِلِّكَ ، وَأَطْوَعُ مِنْ  
تَغْلِكَ .

\* \* \*

الطُّلَاوَةُ : الْحَسَنُ وَالْقَبُولُ . عُجِثَتْ : ارْتَفَعَتْ . آانسَ : أَحْسَنَ وَأَدْرَكَ .  
جَرَسَهُ : صَوْتُهُ الْخَفِيُّ . عَيْنَ شَمْسِهِ : حَقِيقَةُ نَفْسِهِ وَمَعْرِفَتُهُ الْعَبْثِيُّ : الْعَظِيمُ الْحُجَّةُ  
وَهُى مَعْظَمُ الْمَاءِ .

### [ ذِكْرُ الطُّوْفَانِ ]

وَنَذَكُرْ هُنَا بَعْضَ مَا حَدَّثَ مِنْ طُوفَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ذَكَرَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلُ نَبِيٍّ بُعِثَ ، وَأَنَّ قَوْمَهُ  
كَانُوا أَهْلَ أَوْثَانٍ ، يَمُودُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَبُعِثَ لَهُمْ نُوحٌ فَدْعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ،  
فَكَانُوا يَبْطِشُونَ بِهِ ، وَيَسْتَخْفُونَ بِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اخْطَرِ لِقَوْمِي فَلَنْهُمْ  
لَا يَطْلُمُونَ . فَلَمَّا كَثُرَ اسْتِخْفَاؤُهُمْ بِهِ ، قَالَ : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ  
الْكَافِرِينَ دَبَّارًا ﴾ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ قُلُوبِهِمْ . فَأَقْبَلَ  
عَلَى قَطْعِ الْخَشَبِ وَضَرْبِ الْحَدِيدِ وَتَهْيِئَةِ الْعُودِ بِالْفَأَرْ وَغَيْرِهِ ، فَصَنَعَهُ مِنْ خَشَبِ  
السَّاجِ ، وَجَمَلَ طَوْلَهُ ثَمَانِينَ ذِرَاعًا وَمَرْضَهُ خَمْسِينَ ذِرَاعًا ، وَطَوْلَهُ فِي السَّمَاءِ ثَلَاثِينَ  
ذِرَاعًا . وَكَانَ قَوْمُهُ فِي خِلَالِ صَنْعَةِ السَّفِينَةِ يَأْتُونَهُ أَفْوَاجًا ، يَسْتَخْفُونَ عَنْهُ ،  
وَيَمْدُونُ قَعْلَهُ مِنْ جَنُونِهِ ، وَيَقُولُونَ لَهُ : عَمِلْتَ سَفِينَةً فِي الْبَرِّ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : سَوْفَ  
تَمْلُكُونَ . فَلَمَّا اطْمَأَنَّنُوا فِي الْفُلِ فَارَ التَّنُورِ مِنَ الْمُنْدِ ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ

من الكوفة . وفتحت أبواب السماء بماء منهمر ، وتفجرت الأرض ميوناً ، فكان بين إرسال الماء وارتفاعه أربعون يوماً ، فلما بلغ الماء إليهم أَوْفُوا إِلَى الْجِبَالِ ، فَكَانَتِ الْجِبَالُ تَسْقِيهِمْ بِالْحِجَارَةِ ، وَتَغْرِ قُهُمْ فِي الْمَاءِ ، فَاتُوا غُرُقَ ، وَارْتَفَعَ الْفُلُكُ ، وَجَمَلَ يَجْرِي فِي مَوْجِ كَالْجِبَالِ ، وَدَارَ الْأَرْضُ كُلُّهَا فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرِ لَيَالٍ . وَيُقَالُ : لَأَنَّهُمْ رَكِبُوهَا لَعَشْرَ لَيَالٍ مَضِينَ مِنْ رَجَبٍ ، وَنَزَلُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنَ الْحَرَمِ ، فَلِذَلِكَ صَامَ النَّاسُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَأَتَتِ السَّفِينَةُ الْحَرَمَ فَدَارَتْ بِهِ أَسْبُوعاً ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الْخَلَائِقِ وَلَا مِنَ الشَّجَرِ إِلَّا هَلَكَ ، إِلَّا نُوحٍ وَمَنْ مَعَهُ ، وَإِلَّا هَارُجُ بْنُ عَنقٍ - فَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ - وَانْتَهتْ آخِرُهَا إِلَى الْجُودَى ، وَهُوَ جَبَلٌ بِالْحَصْنَيْنِ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ .

\* \* \*

قوله : ابن جلا ، أى المشهور المعروف ، يقال للرجل إذا كان على الشرف واضح الأمر لا يخفى مكانه : هو ابن جلا ، أى هو الذى الأمور بنفسه ، وأوضحها ، قال سَعْتِمُ بْنُ وَثِيلٍ :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الشَّنَايَا      مَتَى أَضْعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

وكان صاحب غارات ، يطلع فيها من نِيْئَةِ الْجِبَلِ على قومه ؛ قال ثعلب : العمامة تُلبس في الحرب وتوضع في السِّلْمِ ؛ قال ابن الأثير : يقال للاستيد : ابن جلا ، قال سيبويه رحمه الله : جَلَاً فَمَلَّ مَاضٍ ، كَأَنَّهُ يَمْنَى الَّذِي جَلَا ، أى أوضح وكشف .

قوله : أحدث ، أى وجدته محمودة . سَفَرْتُ : كشفت وأزلت الهم . سَفَرٌ : هَرَقْنَا بِنَفْسِهِ ، وَيُقَالُ : سَفَرْتُ عَنْ نَفْسِي كَمَا سَفَرُ ، أى مرتقه شخصى كما حرفنى هو شخصه ونفسه . رهو : ساكن ، ويقال : فعل ذلك رَهْوًا ، أى ساكنًا من غم تشدد ، قال تعالى : ﴿ وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ . والرهو عند العرب الساكن ، يقال : جاءت الريح رَهْوًا ، أى ساكنة ، ويجوز أن يكون رهوًا من

نفت موسى عليه السلام، أى اتركه على حينئذ، أو يكون من نفت البحر، أى  
دفعه باموسى ساكننا واقناً ماؤه وامبره . الجوى : ناحية . السماء صحو : نقى من  
السحاب الثرى : الغنى . والعقيلان : الذهب يثبت نباتاً . عصف الرياح : اشتدت .  
الجنوب : الريح القبلىة . عسفت : جاءت من كل جانب ، والعسف ركوب  
الأسر على جهالة . والخبوب ، بخاء ممجعة ، جمع خب ، وهى الرواية الصحيحة عن  
ابن جهور وغيره ، وهو هيج البحر واضطراب الماء ، وهو الذى صححه الفجديسى .  
كان أباعرو القسطل شاهدة هذه الحالة من هول البحر فوصفه بقوله (١) :

إليك شحنا الفلك تهوى كأنها	وقد ذعرت من مغرب الشمس غرابان
على لجج خضري إذا هبت الصبا	ترامى بنا فيها ثبير وثهلان
موائل يرمى في ذراها موائل (٢)	كما هببت في الجاهلية أوثان
تقاتل موج البحر واليم والدجى (٣)	تموج بنا فيها هبون وآذان
ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنا	سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

وقال آخر :

وسماء في الثرى مخضلة	لا زور ذبية ما فيها صفا
غطت (٤) الأرض فلم تترك لنا	من فضاء الأرض إلا طرفا
فكان الأرض فيها هائم	غاب إلا هامة أو كتنا

(١) هو ابن دراج القسطل ، واسمه : أحمد بن محمد بن العباس بن أحمد بن سليمان بن مهدي  
ابن دراج ، وفي كنيته خلاف ، ذكره الدكتور محمود طي مكي حواشي ديوانه س ٢١ ، والأيان  
في ديوانه ٨٧ ، ٨٨ .  
(٢) الديوان :

\* موائل ترمى في ذراها موائلاً \*

(٣) الديوان : « يقاتل موج البحر واليم والدجى » .

(٤) ط : « غصت » .

وَكُنَّ الْمَوْجُ فِيهَا مُسْكِرٌ لَبَدُوا لَأَمَّا وَغَالُوا حُجُفًا  
خَافِقٌ رَاجِفَةٌ أَحْشَاؤُهُ كَحُفَا الْمَجُورِ يَهُوَ أَصْفَا

قوله : نَمَى السُّفْرَمَا كَانَ ، أَيْ نَسُوا مَا كَانَ مِنْ طَيِّبِ الْعَيْشِ بِصَفْوِ الْمَصْعُورِ .  
قوله : الْحَدَثُ النَّائِرُ ، أَيْ الْأَمْرُ الطَّارِئُ . لَنَرِيحٍ ، أَيْ لَنَرِيحِ أَنْفُسِنَا مِنْ نَعْبِ  
الْمَوَلِ وَالْخُوفِ ، وَأَرَاخَ الرَّجُلُ : اسْتَرَاخَ وَأَرَاخَ فَيْرَهُ ، وَأَرَاخَ الرَّيْجَ وَأَرَوْحَهَا  
وَاسْتَرَوْحَهَا : وَجَدَهَا . رَبِثَ : قَدَّرَ ، وَالرَّبِثَ الثَّلْبُ وَالْثُبْطُ . تَوَاتَى : تَوَافَقَ .  
اعْتِصَاصُ : التَّوَهُُّ وَتَصَتُّبٌ . نَفِدَ : فَتِيَ . اسْتِنَارَةُ : اسْتِخْرَاجٌ ، بِقَوْلِ : هَلْ  
لَكَ فِي إِدْرَاكِ الْحَظِّ بِالْخُرُوجِ مِنَ السَّفِينَةِ إِلَى الْبَرَّةِ .

• • •

فَنَهَذْنَا إِلَى الْجَزِيرَةِ ، عَلَى ضَعْفٍ مِنَ الْمَرِيرَةِ ؛ لَنَرُكُضَ فِي امْتِرَاءِ  
الْمِيرَةِ ؛ وَكِلَانَا لَا يَمْلِكُ فَتِيلَا ، وَلَا يَهْتَدِي فِيهَا سَبِيلَا ؛ فَأَقْبَلْنَا  
نَجُوسَ خِلَافَتَا ، وَنَتَفِيًا ظِلَالَهَا ، حَتَّى أَفْضَيْنَا إِلَى قَصْرِ مَشِيدٍ ، لَهُ  
بَابٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَدُونَهُ زُمْرَةٌ مِنْ عَبِيدٍ . فَنَاسَمْنَاهُمْ لِنَتَّخِذَهُمْ سُلَمًا  
إِلَى الِازْتِقَاءِ ، وَأَرْشِيَةً لِلِاسْتِقَاءِ ؛ فَأَلْفَيْنَا كَلًّا مِنْهُمْ كَثِيرًا حَسِيرًا ؛  
حَتَّى خَلَيْنَا كَسِيرًا أَوْ أُسِيرًا . فَقُلْنَا : أَيُّهَا الْعِلْمَةُ ، مَا هَذِهِ النُّعْمَةُ ؟ فَلَمْ  
يُجِيبُوا النَّدَاءَ ، وَلَا فَاهُوا بَيِّنَاضًا وَلَا سَوْدَاءَ ، فَلَمَّا رَأَيْنَا نَارَهُمْ نَارَ  
الْجَلَابِيبِ ، وَخَبَرَهُمْ كَسْرَابُ السَّبَاسِيبِ ، قُلْنَا : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، وَرَفَحَ  
الْأَلْسُنُ وَمَنْ يَرْجُوهُ فَايْتَدَرَ خَادِمٌ قَدْ عَلِمْتَهُ كِبَرَةً ، وَعَرَفْتَهُ غَبَرَةً ،  
وَقَالَ : يَا قَوْمَ ، لَا تَوْسِعُوا سَبَبًا ، وَلَا تَوْجِعُوا عَتَبًا ؛ فَإِنَا إِنِّي حُزِنُ  
شَامِلٍ ، وَشُغْلٍ عَنِ الْحَدِيثِ شَاغِلٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو زَيْدٍ : نَفْسُ خِنَاقِ

الْبَثِّ ، وَإِنِّثِ إِن قَدَرْتَ عَلَى النَّفْتِ ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُ مِنِّي مَرَّافًا  
كَافِيًا ، وَوَصَافًا شَافِيًا .

\* \* \*

هَذَا : تَقَدُّمًا . الْمِرِيرَةُ : قُوَّةُ النَّفْسِ . تَرَكُّضٌ ، بَفَتْحِ أَوَّلِهَا ، وَأَصْلُ  
التَّرَكُّضِ ، تَحْرِيكُ الْقِرَائِمِ ، وَمِنْهُ ﴿ وَارْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ ، وَلِهَذَا قِيلَ لِلْجَنِينِ إِذَا  
اضْطَرَبَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ : قَدِ ارْتَكَضَ ، وَمِنْ مُشْكَلِ آيَاتِ الْمَعَانِي :

قَدِ سَبَقَ الْحَلْبَةُ وَهُوَ رَاكِضٌ فَكَيْفَ لَا يَسْبِقُ وَهُوَ رَابِضٌ

الْمُرَادُ : أَنَّ أُمَّهُ سَبَقَتْ الْجَوَادَ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ ، نَاضِافَ السَّبْقِ إِلَيْهِ لِانْصِلَافِهِ  
بِهَا ، وَأَرَادَ بِرَاكِضٍ تَحْرِيكَهُ قَوَائِمِهِ فِي مَقَرِّهِ ، وَالتَّرَكُّضُ يَسْتَعْمَلُ فِي الْحِمْلِ وَغَيْرِهَا  
فَيَقَالُ : رَكَضَ الْبَعِيرُ بِرِجْلِهِ ، وَالطَّائِرُ بِجَنَاحِهِ .

قَوْلُهُ : امْتَرَأْ ، أَيْ اسْتَخْرَاجَ . الْمِيرَةُ : جَلْبُ الرِّزْقِ ، وَمَارُ الرَّجُلِ عَلَى  
أَهْلِهِ مَيْرًا : جَلْبُ لُحْمِ الْقَوْتِ .

نَجُوسٌ خِلَافُهَا ؛ نَطُوفٌ فِي طَرَفِهَا ، قَالَ الْإِيثُ وَابْنُ سَيِّدٍ : الْجَوْسُ وَالْجَوْسَانُ :  
الدَّرْدُ فِي خِلَالِ الدَّوْرِ وَالْبَيُوتِ ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَالْأَزْهَرِيُّ وَأَبُو هَبِيدَةَ :  
جَاسُوا الْمَوْضِعَ : وَطَنُوهُ ، وَفُلَانٌ يَجُوسُ بَنِي فُلَانٍ ، أَيْ يَطُومُ يَطْلُبُ فِيهِمْ .  
وَقَالَ الطَّبْرِيُّ وَالنَّقَاشُ وَالزَّجَاجُ وَالثَّمَالِيُّ : ﴿ جَاسُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> خِلَالَ الدَّيَارِ ، أَيْ طَافُوا  
بَيْنَ بَيْتِهِمْ ، يَفْتَلُونَهُمْ وَيَطْلُبُونَهُمْ ، ذَاهِبِينَ وَجَائِئِينَ . وَالْخِلَالُ : الْفُرْجَةُ بَيْنَ  
الشَّيْئَيْنِ ، وَالْجَمْعُ خِلَالٌ . تَنَتَيًْا : نَسْتَلُّ ، وَتَفَيًْا بِهِ : اسْتَظَلَّ بِهِ ، وَتَفَيًْا : تَقَلَّبَ

أفضينا : وصلنا . مَشِيد: مرتفع البناء، والشَّيد : الحصن . زمرة : جماعة. ناسنهم :  
قربنا منهم ، وناسمه : سارّه وشامّه ، وناسمت الرجل : قربت نسمةك من نسمة ،  
وتحدثت معه سرّاً . أرشية : حبّالا . الارتقاء : الصعود . المَسْك : الجلد ، يريد  
أنه شديد التوجّع ، وهذا كما تقول : لقيت فلاناً في ثوب نمر ، أو في جلد أسد ،  
أى لقيه بادی الشرّ ، قال الشاعر :

فطوراً ترانا في مُسوكٍ جِيادنا      وطوراً ترانا في مُسوكِ الثعالبِ

قال البكريّ : الخيل توصف بالإقدام والثعالب بالزوغان ، فيريد أنهم  
مُقدماتون على أعدائهم يوماً ، ورائعون عنهم يوماً . وقال الأستاذ : أى أَمَرُوا  
فكُتِفُوا بجلود خيلهم المعقورة وفي جلود الثعالب ، كناية عن خُبث الأسير .  
فأهوا : نطقوا . سوداء : كلمة رديئة . نار الحبّاب : ما تطاير من الشرر في  
الهواء بتصادم حجرين أو بضرب حافر في حَجَرٍ ، وتلك نارٌ لامعة فوها ، وقيل :  
الحبّاب رجل يجهل كان يُوقد ناراً ضعيفة لئلا يُتصدّد ، فإن أحسنّ بإنسان أطفأها  
لئلا يُقتبس أحدٌ من ناره ، وقيل : نار الحبّاب نار مراحه ، ولينعله كان إذا  
جاء أحدٌ يوقد منه أطفأها ، وقال عبد الصمد بن المذل في أخيه :

ليت لي منك يا أخى      جارةً من محاربٍ  
نارُها كلُّ شتوةٍ      مثلُ نارِ الحبّابِ

يريد جارة القطامي التي يقول فيها :

إلى حيزبونٍ تُوقدُ للنارَ بعد ما      تَلَفَقَتِ الظّلماءُ من كلِّ جانبٍ

فلما تنازعنا الحديث سألناها عن العتي قالت: معشر من محارب  
 إلا إنما نيران قومي إذا شتوا لطارق ليل مثل نار الحباحب  
 وقيل: الحباحب ذباب يطير بالليل، له شمع كالسراج. قوله: خبرهم،  
 الخبر بضم الخاء، مصدر خبرت أخبر إذا امتحنت، والسباب والبسابس:  
 الأرض المستوية، واحدها سببس وبسبس. شأته الوجوه: قبعت الوجوه.  
 وفي الحديث: «أخذ عليه الصلاة والسلام قبضة من تراب يوم بدر فحشاها في  
 وجوه المشركين، وقال: شأته الوجوه»، ويقال شاة وجه الرجل يشوهه شوهاً  
 وشوّهة، قبح، ووجه مشوه، أي مقبّح، ورجل أشوه وامرأة شوهاه. والألّكع  
 اللثوم، وقد لكع لكافه واللكع، ولُكِعَ ولُكِعَ، إذا لُؤِمَ وسُخِمَ وامرأة لُكَاع  
 وَلُكِيعة. قوله: هلته كبرة، أي أسن وكبر. وعرته عثرة، أي غشيقته ذمعة.  
 والخادم: الخصى، موصوف بطول العمر وسُرعة العثرة، قال الهيثم بن عدي:  
 في الخصى عشر خصال لا تجتمع في غيره: التهمة، والنميمة، والشره، وسُرعة  
 الدمعة، وطول العمر، وكبر القدم، والتبرّي من الصلح، والإجارة في الصغر،  
 والقيادة في الكبر، والاسترخاء في المقعدة وسعة الحجر. لانوسمون سبًا، أي  
 لانكثروا شقمتا عتبا لوما وموجدة، وعتبت عليه أعقب عتبا وعقابا، وأعتبه:  
 أرضاه، والعُتْبَى الرضا، واستعقبه طلبت إليه أن يعقب، وقال النابغة:

\* وإن تك ذا عتبي فثلك بُعْتَب \* (١)

وقال حبيب:

سَرَتْ تَحْمِلُ الْعُتْبَى إِلَى الْعُتْبِ وَالرَّضَا إِلَى السَّخَطِ وَالْعُذْرَ الْجَمِيلَ إِلَى الْحَقْدِ (٢)

(١) ديوانه ١٤، وسدره:

\* فَإِنْ أَكُ مَظْلُومًا فَعَهْدُ ظَلَمَتِهِ \*

(٢) ديوانه ٢١٥

الخلق : العجل يُخَفِّق به كالعقال للجمل يُعَقِّل به . نفس : روح وحل  
عن الخنوق . والبث : العزن . انث : تكلم ، وأصله ابصق ، عرافا : كثير  
المعرفة ، والعراف : العالم بالشيء ، وأصله الكاهن .

• • •

فقال له : اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة ،  
وشاء هذه الرقعة ؛ إلا أنه لم يخل من كمد ، لخلوه من ولد ؛ ولم  
يزل يستكرم المغارس ، ويتخير من المفارش التفائس ؛ إلى أن  
بشر بحمل عقيلة ، وأذنت رقلته بفسيلة ، فنذرت له النذور ،  
وأخصبت الأيام والشهور . ولما حان التاج ، وصيغ الطوق والتاج .  
عسر تخاض الوضع ، حتى خيف على الأصل والفرع ؛ فما فينا من  
يعرف قراراً ، ولا يطمع النوم إلا غراراً . ثم أجهش بالبكاء  
وأعول ، وردد الاسترجاع وطول . فقال له أبو زيد : اسكن  
يا هذا واستبشر ، وأبشر بالفرج وبشر ؛ فعندى عزيمة الطلق ،  
التي انتشر سمها في الخلق . فتبادرت الغلظة إلى مولاكم ، متباشرين  
بانكشاف بلوائكم ، فلم يكن إلا كلاً ولا ، حتى برز من هلم بنا  
إليه . فلما دخلنا عليه ، ومثلنا بين يديه ، قال أبو زيد : إيهنك  
منالك ، إن صدق مقالك ، ولم يفن فالك .

• • •

قُطِبَ هذه البقعة ، أى رئيس هذه الأرض ، وقطب القوم : سيدهم الذى يلجئون إليه .

وشاء هذه الرقعة : مَلَكَ هذه الجزيرة ، وأراد بالرقعة سُفْرة السطرنج ، وشاهها : مَلَكَ جيشها الذى يتصرف فى بيوتها كيف شاء ، وقد أحسن مَنْ قال فيها :

أرضٌ مربعةٌ سَحَرَاءُ من آدم      ما بين خِلَيْنِ موصوفَيْنِ بالسَّكْرَمِ  
تذاكرًا الحربِ فاحتالًا لها شَبَهَا      من غير أن يَسْتَعِيَهَا فيها لِسَفْكِ دِمِ  
هذا يُغَيِّرُ على هذا وذاك حَلَى      هذا يُغَيِّرُ وعَيْنَ الحربِ لم تَمِ  
فانظر إلى فِطْنٍ جاشتْ بِمَعْرِفَةٍ      فى عسكرين بلا طَبِيلٍ ولا عِلْمِ

قوله : كَمَدَ ، أى حزن . المغارس والمغارش : النساء ، كأنَّ التَّنَطَّفَ تَفَرُّسٌ فهنَّ فيكثر الولد منها للفانئس : السكرائم . عَقِيلَةٌ : خَيْرَةٌ ، والعقيلة درة البحر ، وبه تُسَمَّى المرأة لسكرمها وشرَفها ، وكل كريمة من النساء والإبل والخيول فهى عَقِيلَةٌ . الرَقْلَةُ : النُخْلَةُ الطويلة . الفَسِيلَةُ : نُخْلَةٌ تَكْبُرُ فى أصل النخيل ، أراد أن المرأة حلت بولد . نذرت النذور ، أى وَعَدَتْ بفعل خير إن سلم الحمل . أَحْصَيْتَ : عُدَّتْ ، وعلم ما بقى منها . حان الفَتَاجُ : قرب وقت الولادة صَبَغَ : صُنِّعَ . الطَّوْقُ : الثوب بلبسه المولود بغير جيب ، ولما سَبَقَ إلى جذيمة ابن أخته عمرو ، وكان له طَوْقٌ يلبسه فى الصُّفْرِ ، فقال له : البسه فلم يَسْمَعْهُ ، فقال : شَبَّ عمرو عن الطوق ، فذهبت مثلاً ، قال ابن القَبْطُرُنة <sup>(١)</sup> فى الحكم بن حزم ، وكتفه ذلك ابن سراج :

(١) ط : « القبطرية » تصحيف ، صوابه من نفع الطيب ، قال « وكان بنو القبطرية بالأندلس أشهر من نار على علم ، وقد تصرفوا فى البراعة والقلم ، ولهم الوزارة المذكورة والفضائل المذكورة » .

رأى صاحبي عمرًا فكَلَّفَ وصفَه      وحملني من ذاك ما ليس في الطوق<sup>(١)</sup>  
 فقلت له : عمرو كمرو فقال لي      صدقت ولكن شب هذا من الطوق  
 عَسُرَ : صعب . مخاض : تحرك الولد عند الولادة ، وقيل : وجع الولادة .  
 القرار : السكون . القرار : النوم القليل ؛ وهو من غر الطائر فرخه يغرّه ، إذا  
 أطعمه شيئًا بمد شيء ، وأخذه من قول الشاعر :

لا أذوقُ النومَ إلَّا غِرارًا      مثل حسو الطير ماء الشاد<sup>(٢)</sup>

ولا يَطْعَمُ النوم ، أي لا يذوقه ، ويقال : طعمه ونطعمه : ذاقه ، وفي المثل :  
 نطعم نطعم ، أي ذُقْ تَشْتَه . أجش : أي تهيأ للبكاء ، والإجهاش : تغير الوجه  
 عند إرادة البكاء . أعول : رفع صوته بالبكاء . الاسترجاع ، قد تقدم . الطلق :  
 وجع الولادة ، يُسمى طلقًا على التفاؤل للمرأة بالانطلاق بالولد . سمها : ذكرها  
 الجميل . تبادرت : تسابقت .

وجع غلام غيلة وغلما . التلوى : البلاء . كَلَّا وَلَا ، أي كاللفظ بها ، وهي  
 كناية عن قلة الألبث وسرعة الأمر ، ويضرب بلا المثل ، فيقال : أخف من  
 لا على اللسان ، وأقل من لا في اللفظ ، وقال جرير :

يكون نزول القوم فيها كَلَّا وَلَا      غشاشًا ولا يُدْنُون رجلا إلى رجل<sup>(٣)</sup>

غشاشًا أي قليلا . ويقال : لقيته على غشاش ، أي على عجلة ، وقال الكُمَيْت :

(١) نفع الطيب ١ : ٦٣٦ ، فرائد البقيان ١٧٦ . قال في النفع : « وركب أبو الحسن بن  
 القبطرقة إلى سوق الدواب بقرطبة ومعه أبو الحسن بن سراج فنظر له أبي الحسن بن حزم ؛  
 غلامًا كما في قوائمته ؛ وهو يروق كأنه زهر فارق كآئمه ، فسأل أبا الحسن بن سراج أن يقول  
 فأوتج عليه ؛ فثنى عنان القول إليه ، فقال « وذكر البيهقي .

(٢) الكامل ١ : ١٥١ - بشرح الرصافي ، من أربعة أبيات لديها إلى بعض الأهراب ،  
 وفي ط « الثمار » تحريف .

(٣) ديوانه ٤٦١ ، وفيه « رجلا إلى رجل » بالخاء .

( ٢٠ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )

كَلَّا وَكَذَا تَفْمِيزُهُمْ ثُمَّ هَبْجُتُمْ لَدَى حِينٍ أَنْ كَانُوا إِلَى النَّوْمِ أَفْقَرًا<sup>(١)</sup>  
يقول : كان نومهم في القلة والسرعة ، كقول القائل : لا وذا .

وقال الحسن<sup>(٢)</sup> رحمه الله :

يا عاقد القلب مِنِّي هَلَّا تَذَكَّرْتَ خِلَا  
تَرَكْتَ مِنِّي قَلِيلًا مِنْ الْقَلَمِ أَقْلًا  
يَكَادُ لَا يَتَجَزَّى أَقْلٌ فِي الْفِظِّ مِنْ لَا

وفي أبيات البديع :

وَأَرْوَعَ أَهْدَاءَ لِي اللَّيْلُ وَالْقَلَا وَخَمْسَ نَمَسٍ الْأَرْضِ لَكِنْ كَلَّا وَلَا

جعل قوائمه فرسه وهي الخمس نَمَسَ الأرض في المشي كَلَّا ولا على اللسان .  
قوله : برز ، أي خرج . هلم : دعا ، وقال لنا هلم مَثَلْنَا وَقَفْنَا ، ومثل بين  
يديه : انقصب قائمًا . منالك : عطائك . ولم يقل فاك : لم يخطئ رأيك ، وقال  
رأيه فيولة : ضُفَّ وأخطأ .

\*\*\*

فاسْتَحْضَرَ قَلَمًا مَبْرِيًّا ، وَزَبَدًا بِحْرِيًّا ، وَزَعْفَرَانًا قَدْ دِيفَ ، فِي  
مَاءٍ وَرْدٍ نَظِيفٍ ؛ فَمَا إِنْ رَجَعَ النَّفْسَ ، حَتَّى أَخْضَرَ مَا التَّمَسَ ، فَسَجَدَ  
أَبُو زَيْدٍ وَعَفَّرَ ، وَسَبَّحَ وَاسْتَغْفَرَ ، وَأَبْعَدَ الْحَاضِرِينَ وَنَفَّرَ . ثُمَّ أَخَذَ  
الْقَلَمَ وَاسْتَحَفَّرَ ، وَكَتَبَ عَلَى الزَّبَدِ بِالْمُزَعْفَرِ :

(١) اللسان ( لا ) ، وفيه « تَفْمِيزَةٌ » .

(٢) هو الحسن بن هاني ، أبو نواس

أَيُّهَا الْجَنِينُ إِنِّي نَصِيحٌ لَكَ ، وَالنَّصِيحُ مِنْ شُرُوطِ الدِّينِ  
 أَنْتَ مُسْتَعِصِمٌ بِكَيْفٍ كَثِيرٍ وَفَرَارٍ مِنَ الشُّكُونِ مَكِينٍ  
 مَا تَرَى فِيهِ مَا يَرُوعُكَ مِنْ الْفِ مَدَاجِرٍ وَلَا عَدُوٌّ مُبِينٍ  
 فَتَى مَا بَرَزْتَ مِنْهُ تَحَوَّلْتَ إِلَى مَنْزِلِ الْأَذَى وَالْهُونِ  
 وَتَرَأَى لَكَ الشَّقَاءَ الَّذِي تَذْ— قَى فَتَبْكِي لَهُ بِدَمْعٍ هَتُونٍ  
 فَاسْتَدِمَ عَيْشَكَ الرِّغِيدَ وَحَازِرَ أَنْ تَبِيعَ الْمَحْقُوقَ بِالْمُظَنُّونِ  
 وَاحْتَرَسَ مِنْ مُخَادَعِ لَكَ يَرْفِيكَ لِيُلْقِيكَ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ  
 وَلَعَمْرِي لَقَدْ نَصَحْتُ وَلَكِنْ كَمْ نَصِيحٍ مُشَبَّهِ بِظَنِينِ

\* \* \*

وَالزَّبْدُ : حَجَرٌ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْبَهَاضِ دَقِيقُ الثَّقَبِ جَدًّا ، يَوْجَدُ  
 حَاطًا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ بِصَرَفٍ فِي الْأَكْحَالِ . وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : مِنْ خَصَائِصِ  
 الزَّبْدِ الْبَعْرَى أَنَّهُ إِذَا هُمَّتْ عَلَى امْرَأَةٍ مَا خَضَّ سَهْلُ عِلْمِهَا الْوَلَادَةَ ، وَيَكُونُ  
 فِي بَحْرِ الْيَمَنِ . دَيْفٌ : خُطِيطٌ . التَّمْسُ : طَلَبُ عَفْرِ : جَمَلٌ وَجْهَهُ عَلَى الْأَرْضِ ،  
 وَالْمَقَرُّ التَّرَابُ . اسْتَحْفَرُ : جَدَّ وَشَمَّرَ لِلْكِتَابَةِ ، وَيُقَالُ : اسْتَحْفَرُ فِي الْأَمْرِ ، إِذَا  
 نَحَفَزَ فِيهِ . وَقَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْعَرَبِ :

يَا أَمَّا أَبْصَرْنِي رَاكِبٌ مُسْتَحْفَرٌ فِي مَسْرَبٍ لَا حَيْبٍ<sup>(١)</sup>  
 مَازَلْتُ أَحْتَوِ التَّرَبُّ فِي وَجْهِهِ عَمْدًا وَأَحْيَى حَوَازَةَ الْغَائِبِ

(١) تنسب هذه الأبيات للبعري ، وانظر الديوان وحواشيه ص ٣٠١ .

فاجابتها أمها<sup>(١)</sup> :

الحُصْنُ أُولَى لَوْ تَأَيَّبْتَهُ مِنْ حَشِيكَ التَّرْبِ عَلَى الرَّاكَبِ  
 مسرب : طريق لاجب بَيْن . الغائب : زَوْجها . الحصن : العفة . تَأَيَّبْتَهُ :  
 تَعَمَّدْتَهُ وَقَصَدْتَهُ . الزُّعْفَر : اللداد من الزُّعْفَرَان . الجنين : الولد في بطن أمه .  
 النَّصَح : ضدُّ النَّش ؛ قال الخَطَّائِي : التَّصْبِيحَةُ كلمة جامعة معناها حيازة الخطِّ  
 للنصوح ، وقيل : أصلها من نَصَحَ الرجل ثوبه ، أي خاطه ، والنَّصَاح : الخياط ،  
 شَبَّهُوا فِعْلَ النَّاصِحِ بِالْخَطِّاطِ الَّذِي يَلَامُ التَّخَلُّلَ وَالْفَتْوَقَ ، والقوبة النصوح ،  
 كأنها ترقع ما خرقت العصية . مستعصم : مستمسك بمقنع ، واستعصم<sup>(٢)</sup> في ذكر  
 يوسف : امتنع وتأبى . كُنَّ : موضع يكنّ فيه . كَيْن : سائر ، والسكدين :  
 للسُّعُور . والقرار : للسكان المطمئن الذي يَسْتَقِرُّ فيه الماء ، وأراد به الرُّحِم .  
 بُرُوعِكَ : يفرحك . لاف : صاحب . مداح : يَظْهَرُ الْحُبَّ ، ويضمر خلافاً ،  
 وداجاه : سائرَه بالعداوة . بَرَزْتَ : خرجت . الأذى : الضرر . الهون : الهوان .  
 تَرَامَى : نظاهر . هَتُون : كثير السَّيْلَان . وهتفت السماء : صبت . الرُّغِيد :  
 الواسع . المحنوق : الذي لا بُشْكَ فيه . اللظنون : الشكوك فيه ؛ فهو بُشِيرٌ عَلَى  
 الصَّحَى أَنْ يُقِيمَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَا يَخْرُجَ لِلدُّنْيَا . ظَنَيْنِ : متهم .

• • •

ثُمَّ إِنَّهُ طَمَسَ الْمَكْتُوبَ عَلَى غَفْلَةٍ ، وَتَفَلَّ عَلَيْهِ مِائَةُ تَفْلَةٍ ، وَشَدَّ  
 الزُّبْدَ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ ، بَعْدَ مَا ضَمَّهَا بِمِيزٍ ، وَأَمَرَ بِتَغْلِيْقِهَا عَلَى فَنَحَذِ

(١) في الديوان :

قَالَ لَهَا ضَاحِكَةً أُمُّهَا أَنْتِ كَتَلِ الْأَمَلِ الْخَائِبِ  
 (٢) هو قوله تعالى في سورة يوسف ٣٢ ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾

الماخِضِ ، وألّا تملَقَ بِهَا يَدُ حائِضٍ ، فلم يَكُنْ إِلَّا كَذَوَاقٍ  
شَارِبٍ ، أو فَوَاقٍ حَالِبٍ ، حتّى اندَلَقَ شَخْصُ الولدِ ، لِخِصْمِيهِ  
الزَّيْدِ ، بِقُدْرَةِ الواحدِ الصَّمدِ .

فامتلاً القَصْرُ حُبوراً ، واستُطِيرَ عَمِيدُهُ وعبيدُهُ سُروراً ،  
وأحاطتِ الجماعةُ بِأبى زَيْدٍ تُثْنِي عليه ، وتُقَبِّلُ يَدَيْهِ ، وَتَتَبَرَّكُ بِمَسَاسِ  
حِلْمَرِيهِ ؛ حتّى خِيلَ إِلَيَّ أَنَّهُ الْقَرْنِيُّ أُونِسُ ، أو الأَسَدِيُّ دُونِسُ .

• • •

طمس : غطى ، وطمست الدار إذا غطى الغراب آثارها ومحامها . والقفل :  
نفع يخرجُ معه بُصاقٌ متفرقٌ ، وأوله البزقُ ثم القفلُ ، ثم الغثُ ، ثم النفعُ .  
ضَمَخَهَا : طَعَنَهَا . عَيَّرَ : أَخْلَطَ مِنَ الطَّوْبِ . الماخِضُ : الحاملُ . ولا تَمْلَقُ  
بِهَا يَدَ حائِضٍ ، تمويه بأن مكتوبه من القرآن والحائض لا تمسه . الذَوَاقُ : مَنْ  
الطعام أو الشراب بلسانك . القَوَاقِ : ما بين الحليعين من الوقت ، لأن الناقة  
تَحْلَبُ ثم تترك ساعة يرضعها فصيلها لئلا تدر ثم تحلب . اندَلَقَ : خرج بسرعة ،  
وكل شيء يدرّ خارجاً بسرعة قد اندلَقَ ، واندلق التئيفُ من غمده إذا  
سقط من غير أن يسَلَّ . خِصْمِيهِ الزَّيْدِ ، أى خاصيته التى يفرد بها عن الأحجار ،  
واختصتُ بالشئ : انفردتُ به ، وجاءنى خِصْمِيهِ القومُ ، مقصورا ، أى  
خاصتهم ، وخصمتهُ بالشئ خصوصاً وخصوصيةً وخِصْمِيهِ .

ابن جرر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما وُلِدَ في  
أهل بيت غلامٌ إلا أصبح فيهم عزٌّ لم يكن » .  
وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ وُلِدَ مولود فأذن في أذنيه اليمنى وأقام في  
اليمنى ، دلت عنه أم الصبيان » .

حُبُورًا : سرورًا . واختطير : داخله السرور . عبيده : طُمرَ به : توبه .  
 وذكر ابن قتيبة بسند متصل بابن عباس رضى الله عنهما ، أنه قال : مرَّ  
 عيسى بن مريم عليه السلام على بقرةٍ قد اعترض ولدها في بطنها ، فقالت :  
 يا كلمة الله ، ادعُ الله أن يخلصني ، فقال : يا خالق النفس من النفس ، ويا مُخرج  
 النفس من النفس ، ويا مُخلص النفس من النفس خُلمصها ، فألقت ما في بطنها ،  
 فإذا عسرت على المرأة ولادتها فيكتب على مكيال ، ثم تعطاه المرأة .

وذكر الفنجدية بسند متصل بأبي هريرة رضى الله عنه ، قال : يينا  
 عيسى ويحيى عليهما السلام في البرية إذ رأيا وحشيةً ماخضاً<sup>(١)</sup> ، فقال عيسى  
 ليحيى : قل تلك الكلمات : جنة ولدت مريم ، مريم ولدت عيسى ، الأرض  
 تمدوك يا ولد ، اخرج يا ولد ، اخرج .

قال حماد بن زيد : فما يكون في الحى امرأة ماخض ، فيقال هذا عندها  
 إلا ولدت ، حتى الشاة التي يمسر وضعها ، فيقال هذا عندها ، فلا تبرح  
 حتى تضع .

يونس بن عبيد الله : اللهم أنت عُدتي عند شدتي ، وأنت صاحبي عند  
 كربتي ، وأنت ولي نعمتي ، مَنْ قالها عند الغفساء إذا عسر عليها ولدها ، أو  
 على بهيمة ، أذن الله تعالى في خروجه .

وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إذا عسر على المرأة ولادتها ،  
 فليكتب لها بسم الله لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ  
 الْعَظِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا مَشْيَةً  
 أَوْ خَمَاحًا ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ . لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ  
 بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(٢) سورة النازعات ٤٦ .

(١) الماخض : الحامل .

(٣) سورة الأحقاف ٣٥ .

قال سفهان : يكتب هذا في جام وتسقاء .

وذكر من أبي الزناد قال : كنت مثنائاً ، فقبل لي استغفر الله إذا جمعت ،  
فقط فوضع لي بضمة عشر ذكراً .

قوله خيل : أي شبه .

[ ذكر أوبس القرني ]

وأوبس القرني بَشَّرَ به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو من التابعين .

وفي صحيح مسلم : إن أهل الكوفة وقَدُوا على عمر رضى الله عنه ، وفيهم  
رجل يَمْنُ كان يسخر بأوبس ، قال عمر رضى الله عنه : هل هاهنا أحد من قرن ؟  
فجاء ذلك الرجل ، فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن رجلاً  
يأتىكم من اليمن يقال له أوبس ، لا يدع باليمن غير أمّ له ، وقد كان فيه بهاض ،  
فدما الله ، فأذهب الله عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم ، فمن آتته منكم فليستغفر  
لكم .

وفيه عن أسيد بن جابر ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا  
أنه أمداد أهل اليمن سأل : أفهكم أوبس بن عامر ؟ حتى أتى على أوبس ، فقال :  
أنت أوبس بن عامر ؟ قال : نعم ، قال : من مُرَادٍ ، ثم من قرن ؟ قال : نعم ،  
قال : فكان بك بَرَصٌ فبرئت منه إلا موضع الدرهم ؟ قال : نعم ، قال : ألك  
والدة ؟ قال : نعم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يأتي إليكم  
أوبس بن عامر ، مع أمداد أهل اليمن ، من مُرَادٍ ثم من قرن ، وكان به بهاض  
فهرى منه إلا موضع الدرهم ، له والدة هو بها بارئ لو أقسم على الله لأبره ، فإن  
استظمت أن يستغفر لك فافعل ، فاستغفرت فاستغفر له ، فقال عمر رضى الله عنه  
أين تريد ؟ فقال : الكوفة ، قال ألا أكعب لك إلى عاملها ؟ قال : أكون  
في غير الناس أحب إلي . قال : فلما كان في العام القابل حجّ رجل من أنسرافهم ،

فَوَافِي عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسَ ، فَقَالَ : تَرَكْتُهُ رِثَ الْبَيْتِ ، فَلَمِلَ الْمَتَاعَ . قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يَا أَيُّ عَلَيْكُمْ أُوَيْسَ ابْنُ عَامِرٍ مَعَ أُمْدَادِ أَهْلِ الْيَمِينِ مِنْ مُرَادِئِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ، وَكَانَ بِهِ بَرٌّ مِنْ نَبِيِّهِ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دَرَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هَوَّ بِهَا بَارَةً ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبَرَّهُ ، فَإِنْ اسْتَطَمْتُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ قَاتِلٌ . فَأَنَّى أُوَيْسَا فَقَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي ، فَقَالَ : أَنْتَ أَحَدَثَ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ لَهُ : لَقِيتُ عَمَرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ ، فَقَطَّنَ لَهُ النَّاسَ ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ ، قَالَ أُسَيْدٌ : وَكَسَوْتَهُ بُرْدَةً ، فَكَانَ كَلِمًا رَأَى إِنْسَانًا قَالَ : مَنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ !

وَفِي كِتَابِ الْإِحْيَاءِ : أَنَّهُ لَمَّا وَلَّى عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَلْيَقِمْ ، فقاموا ، فَقَالَ : اجلسوا إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ قَرْنٍ ؟ فجلسوا إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا ، فَقَالَ لَهُ عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَرْنِي أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَنْتَ أُوَيْسَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَمَا تَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَاللَّهِ مَا نَبِئْنَا أَحَدًا وَلَا أَجَنًّا وَلَا أَحْوَجَ مِنْهُ إِلَّا فَبَكَى عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا قُلْتُ ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَدْخُلُ فِي شَفَاعَتِهِ مِثْلُ رَبِيعَةٍ وَمِثْلُ رَجُلٍ » . وَلَمَّا كَانَ عِنْدَ أَهْلِهِ كَالْمُجَنُّونِ بَنَوْا لَهُ بَيْتًا عَلَى بَابِ دَارِهِمْ ، فَكَانَ تَأْتِي عَلَيْهِمُ السَّنَةُ لَا يَرَوْنَ وَجْهَهُ ، كَانَ يُخْرِجُ أَوَّلَ الْأَذَانِ وَيَأْتِي بِعَدِّ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، وَكَانَ طَائِفُهُ أَنْ يَلْقَطَ النَّوَى ، فَكَلَّمَا أَصَابَ حَشَقَةً خَبَأَهَا لِإِفْطَارِهِ ، فَإِنْ أَصَابَ مَا يَقُوتُهُ بَاعَ النَّوَى ، وَنَصَدَّقَ بِهِ ، وَإِلَّا اشْتَرَى مِنْهُ مَا يَقُوتُهُ . وَكَانَ لِبَاسُهُ قُطْعُ الْأَكْسَبَةِ مِنَ الْمَزَابِلِ ، يَلْفَقُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ يَلْبِسُهَا ، وَإِذَا مَرَّ بِالصَّبِيَّانِ رَجَوَهُ ، يَظُنُّونَ أَنَّهُ مُجَنُّونَ ، وَلِهَذَا أَعْظَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُرْمَتَهُ ، فَقَالَ : « إِنِّي لِأَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَةِ مِنْ قَبْلِ الْيَمِينِ » إِنْشَاءً إِلَيْهِ .

## [ ذكر الأمير ديبس ]

وأما ديبس فهو الأمير سيف الدولة بن مزيد الأسدي ، وقيل : ديبس بن صدقة بن مزيد ، وذكر أبو الحسن علي بن الحسين بن أبي طالب الباخري الأمير أبا الأحز ديبس بن علي فقال : خدمته ببغداد ، وعبرت إليه أخت يده الجواد - يعني دجلة - وهي زاخرة الأمداد ، فإذا باحة للطارقين مباحة ، وراحة في كفها للعفاة راحة ، وقباب التفت بها غاب القنا ، واشترك مع أسودها الناس في فرائس النوى .

قال الفنجديي : سمعت بعض أهل الفضل يقول ببغداد : لما سمع الأمير ديبس ، أن الرئيس أبا محمد الحريري ذكره في مقاماته ، وأورد فيها بعض صفاته ، أنفذ إليه من الخلع الستية ، والجوائز الهنية ومزية العطية ، ما عجز عنه الوصف ، وكل عنه الطرف ، واقتضاه علو همته ، وممو قدرته . ثم عصى ديبس على الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين أبي منصور الفضل بن المستظهر بالله ، وسمى في إراقة دمه ، وجمع المساكر وحشد ، وقصد بغداد في عسكر عظيم ، وعاث في أطرافها ، وأفسد في أكنافها ، فخرج المسترشد بالله أمير المؤمنين من دار الخلافة ، واجتمعت إليه الأجناد ، وظهر إليه وحمل عليه ، فهزم ديبس وعسكره ، وانتهى إلى الحلة الزيدية ، فانتهبها ، وذلك في الحرم في سنة سبع عشرة وخمسمائة . وانهمز ديبس في خواص من أصحابه وغلمانة خوفاً من الخليفة ، ومر نحو الشام ثم قتل الأمير ديبس بن صدقة بن مزيد في سنة ثلاثين أو في سنة تسع وعشرين ، قتله السلطان مسمود بن محمد بن ملكشاه لأموار أنكرها وأسباب امغمض لها ، نسبت إليه<sup>(١)</sup> .

ثم انشال عليه من جوائز المجازاة ، ووصائل الصلات ، ما قيض له

النِّعَى، وَيُضَيِّضُ وَجْهَ الْمُتَنَى، وَلَمْ يَزَلْ يَنْتَابُهُ الدَّخْلُ، مَذْثُوجِ السَّخْلِ؛  
إِلَى أَنْ أُعْطِيَ الْبَحْرُ الْأَمَانُ، وَتَسَنَّى الْإِتْمَامُ إِلَى عُحْمَانَ؛ فَاصْتَفَى  
أَبُو زَيْدٍ بِالنَّحْلَةِ، وَتَاهَبَ لِلرَّحْلَةِ؛ فَلَمْ يَسْمَحِ الْوَالِي بِمَحْرَكَتِهِ، بَعْدَ  
تَجَرِبَةِ بَرَكَتِهِ، بَلْ أَوْعَزَ بَضْمَهُ إِلَى حُزَاتِهِ. وَأَنْ تُطْلَقَ يَدُهُ فِي  
خِزَاتِهِ.

قال الحارث بن همام: فلما رأيته قد مال، إلى حيث يكتسبُ  
المال، أُنْعِيتُ عليه بالتمنيف، وهَجَنْتُ له مفارقة المألفِ والأليف،  
فقال: إليك عني، واسمع مني.

\* \* \*

قوله: انثال، أى انصب. جوائز: عطايا. وسائل: متصلات غير منقطعة،  
والوسائل: ثياب حر محططة تُصَنِّعُ باليمن يلبسها الفسَاء، قال الشاعر:  
\* لَهَا حُبُّكَ كَكَانَهَا مِنْ وَصَائِلِ \*

فَيُوضُّ: قُدِّرَ وَسَاقٌ يَنْقَابُهُ، أَيْ يَقْصِدُهُ وَيَأْتِيهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.

الدَّخْلُ: الْعَطَايَا الَّتِي تَدْخُلُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ الْأَمِيرِ وَغَيْرِهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ  
الدَّخْلِ: إِذَا كَثُرَ دُخُولُ الرِّزْقِ عَلَيْهِ. وَالسَّخْلُ: الْوَلَدُ.

وَمَا يَسْتَحْسِنُ فِي التَّهْنِئَةِ بِمَوْلُودٍ قَوْلُ الْخُلَوَانِي:

نَجْمٌ تَوَلَّدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ      وَأَيْنَ مَنْ أَبَوَاهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
شَمْسُ الْعَفَافِ وَمَجْدُ الْبَدْرِ بَيْنَهُمَا      تَوَلَّدَ النُّورُ إِلَّا أَنَّهُ بَشَرُ

أخذه من قول ابن الرومي :

شمس وبدرٌ ولداً كوكباً أقسمت بالله لقد أنجها

وجاء الرمادي يهني الفقيه ابن العطار بمولود ، فقال :

يَهْنِيكَ مَا زَادَتْ الْأَيَّامُ فِي عَدَدِكَ      مِنْ فَلَذَةٍ بَرَزَتْ بِالسُّقْمِ مِنْ كِبَدِكَ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّمَا ادهمُّ دهرٌ كان مَكْتَنَبًا      مِنْ انفرادك حتى زاد في عَدَدِكَ  
لَا خَلْفَتَكَ إِلَّا هَالِي تَحْتَ ظِلِّ رَدَى      حَتَّى تَرَى وَلَدًا قَدْ شَبَّ مِنْ وَلَدِكَ

قوله : تَسَنَّى الْإِتِمَامُ ، أى تيسر إتمام الشئ والإفلاح . اكنفى : اقتنع .  
الْفَحْلَةُ : المعطية . أَوْعَزَ وَوَعَزَ ، تقدم ، يعقوب : لا يقال . وَعَزَ بِالتَّخْفِيفِ . حُزَانَتُهُ :  
جفاعته ، وعياله الذين يتحزّون لسكرته وفقدته ، ويحزن هو لِضَيْعَتِهِمْ .  
أَنْحَيْتَ : ملت عليه وقصدته به . التَّعْنِيفُ : القوم والأخذ باللسان . المَأْلَفُ : البهامة  
وموضع الألفة . الْأَلِيفُ : الصَّاحِبُ . إِلَيْكَ عَنِ : نهاعد هنى .

\* \* \*

لَا تَصْبُونُ إِلَى وَطَنٍ      فِيهِ تَضَامٌ وَتُمْتَهَنُ  
وَارْحَلْ عَنِ الدَّارِ الَّتِي      تُغْلِي الْوَهَادَ عَلَى الْقُنَنِ  
وَاهْرَبْ إِلَى كَنْ يَبْقَى      وَلَوْ أَنَّهُ حِضْنًا حَضَنُ  
وَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَقِيَمَ      بِحَيْثُ يَنْغشَاكَ الدَّرَنُ  
وَجُبِ الْبِلَادِ فَأَيْهَا      أَرْضَاكَ فَاخْتَرَهُ وَطَنُ  
وَدَعِ التَّذَكُّرَ لِلْعَا

هِدِ وَالْحَيْنَ إِلَى السَّكَنِ

واعلم بأن الحُرَّ في أوطانه يلقى الغبن  
كالدرِّ في الأصداق يسـتررى ويُنحس في الثمن

• • •

تَصْبُونُ : تَمِمْكُنْ ، وصبوت إليه مِلْتُ بالحبَّة . تُضَامُ : تَذَل . تَمْتَن :  
تَهْتَفِر ، وقال محمد بن بشر في هذا المعنى :

إِذَا أَرَى بِقَدْرِي أَنِّي لستُ من بأكيدِ أهلِ الجَلَدِ  
ليس منهم غير ذِي مَقْلِيذِ قَدْوَى الألبابِ أَوْ ذِي حَسَدِ  
يَتَعَامُونَ لِقَائِي مِثْلَ مَا يَتَعَامُونَ لِقَاءِ الأَسَدِ  
مَطْلِي أَتَقِلُ فِي أَهْلِهِمْ وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَحَدِ  
لَوْ رَأَوْنِي وَسَطَ بَحْرِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَأْخُذُ مِنْهُمْ بِيَدِي

وقال البحتري :

أَشْرَقَ أَمْ أَغْرُبُ بِاسْمِعِدُ وَأَنْقَصَ مِنْ زَمَاعِي أَمْ أَزِيدُ<sup>(١)</sup>  
عَدَنِي عَنْ نَصِيبِي الْعَوَادِي فَبَغَى أَبْلَهُ فِيهَا بَلِيدُ  
وَأَخْلَفَنِي الزَّمَانُ عَلَى رِجَالٍ وَجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ حَدِيدُ  
لَهُمْ حُلَلٌ حَسَنٌ فَهَنْ بِيضٌ وَأَخْلَاقٌ سَمُجَنْ فَهَنْ سَوْدُ

وعن نبا به بلده للقاضي أبو محمد عبد الوهاب ، خرج من بغداد يريد مصر ،  
فشيَّته أكابرها ، ومن أصحاب محاربا جملة موفورة ، فقال لهم : والله لو وجدت  
بين أظهركم رغيفين كل يوم ، ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنيّة ، وانخبر عندهم يومئذ  
ثلاثة رطل بدينار ، وقال :

سلامٌ على بغدادٍ مِنِّي تحيةٌ      وحقٌ لها مني السلامُ المضاعفُ<sup>(١)</sup>  
 لعمرك ما فارقتها قالوا لها      وإني بشطآنٍ تجانيها لعارفُ  
 ولكها ضاقت عليَّ برُحبتها      ولم تكن الأقدار تمن يساعفُ  
 فكانت كخيلٍ كدت أهوى دنوهُ      وتأنى به أخلاقه فيخالفُ  
 وقال أيضاً :

بغدادُ دار لأهلٍ المالِ واسعةٌ      وللمفاليس دار الضنكِ والضيقِ<sup>(٢)</sup>  
 قد صرتُ أمشي مهاناً في أزقتها      كأنني مصحفٌ في كفٍّ زنديقِ

قوله: الوهاد والقن: الانخفاض والارتفاع ، والقنة: أعلى الجبل ، والوهدة:  
 القعدة من الأرض تجري إليها مياه جهاتها . حصناً : جانباً حصيناً مانعاً . أرباً ،  
 أي ارتفع . بغشاك : يُفعل بك . الدرن: الوسخ . المعاهد: منازل سكناه . الحنين:  
 الشوق . السكّن : الأهل . الأصداف : محالّ الجوهر . يستزرى : يستعقر .  
 يبخس : ينقص ، ومعنى هذه الأبيات يقول : أرحل عن بلد يملو فيه قدر أصاغر  
 الناس قدر أكابرهم ، ولا تُقيم فيه على الهوان ، وارفع قدر نفسك من أن تقيم  
 بموضع توستحك فيه الإهانة ، فإن المرء حيث يضع نفسه ، وطُف بالبلاد ، واختر  
 وطنك ما أرضاك ، فإن الحرّ يضيع في وطنه ، ولا يعرف قدره .

الأصمى : سمعتُ بعضَ العرب يقول : الفقر في الوطن غربة ، والغنى في  
 الغربة وطن .

ونظر أبو الحسن إلى بردونٍ يُستقى عليه ، فقال : المرء حيث يضع نفسه ،  
 لو هُلج هذا لم يُبيل بما ترون .

(٢) معجم البلدان ٢ : ٢٤١ .

(١) معجم البلدان ٢ : ٢٣٩ .

الزبير رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن العباد عباد الله ، والهلاك بلاد الله ، فحينما وجدت خيراً فأقم ، واحمد الله » .

وقال هلال بن الملاء الرقي :

لا تجزمن وإن نأت      أرض تُنَالُ بها الحبيّة  
وطنُ الغريب يسارُهُ      والفقر في الأوطان غربة

وقال آخر :

أشد من فاقة الزمان      مقام حرٍّ على الهوان  
فاسترزق الله واستغنِه      فإنه خيرُ مستعان  
فإن نبا منزلٌ بمرٍّ      فن مكانٍ إلى مكانٍ

وقال آخر :

شرق وغرب نجد من غادرٍ بدلاً      فالأرض من تربة والناس من رجلٍ  
وقال آخر :

من ضاق منك فأرض الله واسمعه      من وجه كل مضيق وجه منفرج  
خيرُ المذاهب في الحاجات أنجحها      وأضيق الأسم أدناه من الفرج

• • •

ثم قال : حسبتُ ما استمعت ، وحببتُ هذا أنت لو اتبعت .  
فأوضحت له معاذيري ، وقلت له : كن عذيري . فعدّر واعتذر ،  
وزودحتي لم يذر . ثم شيعني تشيع الأقارب ، إلى أن ركبْتُ  
في القارب . فودعته وأنا أشكرُ الفراق وأذمه ، وأودّه لو كان  
هلك الجنين وأمه

• • •

حسبك : يكفيك . أوضحت : بيّنت . معاذيري : أعتذري ، والعذيرةُ :  
 للمعذر ، ويقال : عذيرك من كذا ، بمعنى هلمّ معذرتك منه ، وقيل : العذير بمعنى  
 عاذر ، فِعُول بمعنى فاعل ، أي هلمّ لمن يعذرك منه .

تطلب : العذير ، مصدر بمعنى التّسكير ، ومعنى عذيري منه ، أي مَنْ  
 يعذّرني منه !

وعذّر : قَبِلَ العذر . والله أعلم .

## المقامة الأربعون وهي التبريرية

أخبر الحارث بن همام، قال: أزممت التبريز من تبريز، حين نبت بالدليل والعزير، وخلت من المجير والمجير؛ فبينما أنا في إعداد الأهبة، وارتداد الصلبة، ألفت بها أبا زيد السروجي ملتقاً بكساء، ومحتقاً بنفساء، فسألته عن خطبه، وإلى أين يسرب مع مربه؛ فأولمأ إلى امرأة منهم باهرة السفور؛ ظاهرة النفور، وقال: تزوجت هذه لتؤنسني في العربة، وترحض عني قشف العربة، فلقيت منها عرق القربة، تمطيني بحق، وتكلفني فوق طوقي، فأنا منها نضو وجي، وحلف شجور وشجي. وها نحن قد تساعينا إلى الخايم، ليضرب على يد الظالم؛ فإن انتظم بيننا الوفاق، وإلا فاطلاق والانطلاق.

قال: فلت إلى أن أخبر لمن القلب، وكيف يكون المقلب؛ فجملت شغلي دبّر أذني، وصحبتهم وإن كنت لا أغني.

\* \* \*

أزممت: عزمت، ولزم مع العزم، والتبريز: الخروج إلى البراري، وهي الأرض الفضاء بلا شجر. تبريز: قرية من كور أذربيجان من ممل خراسان، بينها وبين المراغة عشرون فرسخاً.

نبت: قلعت وارتفعت الجير: الذي يجبرك من الناس ويكفيك شرهم، والمجير: الواهب الجائزة وهي الصلة ارتداد: طلب محققاً. خطبه:

أمره . يسرّب : يذهب . ومِرْبَه : جماعة نسائه . أوماً : أشار . باهرة : ظاهرة .  
والشفور : كشف الغتاب من الوجه . ترخّض : تفسل ، ورخّض الثوب : يرخّضه  
غسله . قشّف : تغيّر ، ورجل مقشّف : لا يتمهد الغسل والنظافة . والقشّف :  
سوء العيش . ومعلّله حقّه ، كناية من جماعه لها ، والمطلّ في الأصل : المدّ ، يقال :  
مطلّ القين الحديد يطلّه مطلاً إذا ، مدّه وطوّله ، فمعى يمتطّلى : تطول على .  
والطروق : الطائفة . نهو ووجى : هزبل من الجفاء ، وأراد به شرّها وما يلقاه  
منها . حلف شجر : صاحب حزن . والشجّا : الاختناق بالمظم وهو شيء  
صعب : ليضرب على يديه : ليكفّه ويمنّمه

• • •

فلما حضرا القاضي ؛ وكان يمين يرى فضل الإمساك ، ويضنّ  
بنفائته السواك ، جثا أبو زيد بين يديه ، وقال : أيدّ الله القاضي  
وأحسن إليه ، إن مطيبي هذه أئمة القياد ، كثيرة الشراد ؛ مع أنّي  
أطوع لها من بنائها ، وأخني هليها من جنانها . فقال لها القاضي :  
ونحك ! أما علمت أنّ الذشوز ينضب الرب ، ويوجب الضرب !  
فقلت : إنه يمين يدور خلف الدار ، يأخذ الجار بالجار ، فقال له  
القاضي : تبّا لك ! أتبذرن في السباح ، وتستفرخ حيث لا إفراخ !  
اهزب عني ، لا نيم عوفك ، ولا أمن خوفك ، فقال أبو زيد : إنها  
ومرسل الرباح ، لا كذب من سجاح !  
فقلت : بل هو ومن طوق الحمامة ، وجنح النعامة ، لا كذب  
من أبي ثامة ، حين نخرق باليمامة !

• • •

( ٢١ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )

لا أنفي ، أي لا أنفع ، الإمساك : الشح ، بضن : يبخل ، والثفانة :  
مانطرحه من فوك من السواك بعد الانتفاع به ، وهذا وإن كان في غاية البخل  
مُتَنَزِعٌ من قول الشاعر :

لقد بخلتُ حق لو أُنِّي سألها      قدَى العين من ضاحي القراب كضدتِ  
وقال آخر في معناه :

يبخل بالماء ولو أنه      منغسٌ في وَسَطِ الغلِ  
شجاً فلا تطمع في خَيْرِهِ      ولو نوسلتَ بجهدِ

وقال آخر :

ما كنتُ أحسبُ أن الخبز فأكمةٌ      حق نزلتُ على أوقى بن منصورٍ  
يا حابس الروث في أعقاب بفلقه      خوفاً على الحب من أقط المصافير

وهذا الباب مستوفى في الرابعة والأربعين :

وما يُستظرف من لفظ السواك ، قول بعض الظرفاء :

قد مجرتُ السواك من أجل أني      إن ذكرتُ السواك قلتُ سواكاً  
وأحبُّ الأراك من أجل أني      إن ذكرتُ الأراك قلتُ أراكاً

جناً : برك ، أيد : قوى مطيقي : زوجتي ، أيتية : حشبة ممقعة على قائدها .  
الشَّراد : الثَّقور ، أخنى : أعطف وأرحم . جنانها : قلبها .

النشوز : عصيان الزوج ومخالفته ، والنشوز أصله الارتفاع . وويج ،  
معناها التوبيخ والتقييح ، وتعمل أيضاً للرحم ، وقوله : وبوجب الضرب  
من قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي  
الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ <sup>(١)</sup> فنشوزهن : عضبناهن . الأزهرى : النشوز : كراهة  
كل واحد من الزوجين صاحبه ، ونشزتُ فنشزُ فهي ناشز

(١) سورة النساء . ٣٤ .

ابن عمر رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا تُسْكِنُوا  
النِّسَاءَ الْغُرَفَ فَيُشْرَفْنَ ، وَلَا تَعْلَمُوهُنَّ الْكِتَابَةَ ، وَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِنَّ بِالضَّرْبِ » .  
ابن عباس رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلَّقُوا  
السُّوْطَ حَيْثُ بَرَأَ أَهْلَ الْبَيْتِ » .

ووصى بعض أهله فقال : « أَنْفِقْ عَلَى أَهْلِكَ مِنْ طَوْلِكَ ، وَلَا تَرْفَعْ عَصَاكَ  
مَنْهُمْ ، وَأَخْفِنَهُمْ فِي اللَّهِ » ؛ فمعنى لا ترفع عصاك ، أى لا تترك تأديبهم فى الله تعالى .  
قوله : وَيَأْخُذُ الْجَارُ بِالْجَارِ ، العرب تسمى قرَج المرأة بالجار ، ودُبُرُها جار الجار ،  
وأخذه الحريرى من قول أعرابى جاء لامرأته وقد اغتلم واشتدت شهوته ،  
فأنظ ، فلما قرب منها وهجم عليها قالت له : إِنْى حَائِضٌ ، قال لها : فَأَيْنَ الْهَيْئَةِ  
الْأُخْرَى ؟ ثم حل عليها وهى تدافعه وتنبهه ، وهو ماض فى شغفه بنشدتها :

كَلَّا وَرَبُّ الْبَيْتِ ذَى الْأَسْتَارِ لَأَهْتِكَنَّ حَلَقَ الْحَقَارِ  
• قد يؤخذ الجارُ بذنب الجارِ •

قال الخليل : المختار : ما استدار من طَوِّقِ الْجَنَنِ ، وكذلك حَقَارُ الظَّفَرِ  
والدبر ، ومما يبين هذا المعنى قول الشاعر<sup>(١)</sup> :

جَارُكَ قَدْ يَجْنِي عِلْمَكَ وَقَدْ تُمَدِّى الصَّحَاحَ مَبَارِكَ الْجُرْبِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَرَبِّ مَاخُوزٍ بِذَنْبِ قَرِينِهِ وَنَجَا الْقَارُوفُ صَاحِبُ الذَّنْبِ<sup>(٣)</sup>

(١) البيتان فى العقد ٥ : ١٥ و ٢٣٧ ، ونسبهما لقزوب بن عمرو ، بقولهما لأيه ، وذكر قبلهما :

يَا كَسْبُ إِنْ أَخَاكَ مِنْعَمَقٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ صَرَّةٌ كَسْبُ

(٢) فى العقد ٥ جانبك من يجني عليك .

(٣) القاروف : لا تتركب ؛ وموضع هذا البيت فى العقد ٥ : ٢٣٧

وَالْحَرْبُ قَدْ تَضَطَّرَّ صَاحِبُهَا نَحْوُ الْمَضُوقِ وَدُونَهُ الرَّحْبُ

أنهذر : أنزرع ، وأنبذر الحبوب تزرع : السباح : الأرض ذات الملح  
والترشح ، وهي لا تنبت شيئاً للوحثها وقلة جفافها ، وأراد : أنزرع نطفتك في موضع  
لا يقبل الولد ، تستفرخ : تلتبس عمل الفرخ . اعزب : غب  
طوق الحمامة : جعل لها طوقاً ، والحمام عند العرب ذوات الأطواق نحو  
الفواخيت والوراشين والقمارى ، ودخلت الماء على أنه واحد للجنس لا للتأنيث ،  
البيت : تقول العرب : حمامة ذكر ، وحمامة أنثى ، والجمع الحمام .  
الشافى : كل ما عبّ وهذر فهو حمام ، يدخل فيه القمارى والوراشين ؛  
سواء كانت مطوقة أو غير مطوقة ، آفة أو وحشية ، وهذا القول كأنه الأكثر  
لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بأخذ الحمام التي تستفرخ في البيوت ،  
وليست ذوات أطواق ، وكان يسميها حماما ، وكان في منزله حمام أحمر ، اسمه  
ورضان ، وقد قدمنا فصلا في الحمام في المصدر  
تخرق الرجل : أوم أنه على حق وصواب ، وهو على خلافه

### [ قصة زواج مسيلة بسجاح ]

وأورد هنا في شرح تزويج مسيلة بسجاح ما يبين سخف نيتها ، وإن  
كان الحريرى قد أشار إلى ذلك في هذه المقامة .

(١) كان مسيلة بن حبيب الخثافي ، ثم أحد بني الدّبل ، قد نسي بالرحمن  
في الجاهلية ، وكان من المعترين .

ذكر وثيمة بن موسى أن مسيلة تسمى بالرحمن قبل أن يولّد عبد الله  
أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما بُدِث رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كانت قريش تقول : إنما يعلم محمدًا رجلٌ يقال له الرحمن ، فنزلت ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ  
بِالْزَمَنِ﴾ (٢) وكانت بنو تميم قد تحاذت في أمر الردة بعد موت النبي صلى الله

(٢) سورة الرعد ٣٠

(١) القصة في تاريخ الطبري ٣: ٢٧٦ وما بعدها

عليه وسلم واختلفوا في ذلك اخلاقاً شديداً ، فبينما هم على ذلك إذ جاءتهم  
صجاح بنت الحارث مقبلةً من الجزيرة ، تقول بنى ربيعة . فأتاهم أسراً كان أعظم  
يقاتلهم فيه من الاختلاف ، وكانت صجاح تمهيةً وبنو أبيها في تطلب ، وأدعت  
النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في الجزيرة ، فاجتمعت عليها بنو تميم  
ورؤساء تغلب ، فأدعت أنها أنزل عليها . « بآية المؤمنين المتقون ، لنا نصف الأرض  
ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قوم يبقون » . فاجتمعت تميم كلها تنصرها ،  
فكان فيهم الأحنف وحارثة بن بدر ووجوه بن تميم ، وكان مؤدبها شبيب  
ابن ربيع الرياحي ، فقالت : « أهدوا الركاب ، واستمدوا للتماب ، ثم اغدوا على  
الرباب ، فليس من دونهم حجاب » . فصمدت إليهم ، وقتلت فيهم قتلاً كثيراً ،  
ثم قالت لأجنادها : اقصدا اليمامة ، فقليل لها إن شوكة أهل اليمامة قوية شديدة  
وقد غلظ أمر مسيلة ، فقالت : « يامعاشر تميم ، اقصدا اليمامة ، فاغربوا فيها كل  
هامة ، واضربوا ناراً ملهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة » ، وإن الله تعالى  
لم يجعل هذا الأمر في ربيعة - تعني نبوة مسيلة - وإنما جعلها في مضر ،  
واقصدوا هذا الجمع ، فإذا قصدتموه عكرتم على قريش .

فسارت في قومها ، وهم عدد لا يحصى ، وبلغ مسيلة الخبر ، فضاق به ذرعاً ،  
وتحصن في حِجر حصن اليمامة ، وأحاطت به جيوشها ، فأرسل في وجوه قومه ،  
وقال : ماترون ؟ قالوا : نسلم هذا الأمر لها ، فإن لم نفعل فهو البوار . فقال لهم  
بدهائه : سدنظر . ثم بعث إليها ، وقال : إن الله قد أنزل عليك وحياً وعلى ،  
فهلمي بمنجم فنقدارس ما أنزل الله ، فن عرف الحق تبعه ، واجتمعنا ، فأكلنا  
العرب أكلاً بقوى وقومك . فأنعمت له ، فأمر بضرب قبة من آدم ، فضربت  
وأمر بالعود المندلي فُبخرت به ، وقال : أكثروا من الطيب ، فإن المرأة إذا  
شمت رائحته ذكرت الباه . وأتته إلى القبة ، وقالت : هات ما أنزل عليك ربك ،

فقال: « ألم تركب فعل ربك بالخيل ، أخرج منها نسمةً تسمى ، ومن بين صفاتي <sup>(١)</sup> وحشي ، من بين ذكرواتي ، وأمات وأحيا ، إلى ربكم يكون لنفسى » . قالت : وما ذاك ؟ قال : « ألم تر أن الله خلقنا أفرأجا ، وجعل لنا النساء أزواجا ، فنولج فيهن قمسا إبلأجا ، ومخرجه منهن إذا شئنا إخراجا » ، قالت : فبأى شيء أمر ربك ؟ قال :

ألهي إلى الخدع      فقد هي لك المضجع  
فإن شئت في البيت      وإن شئت في الخدع  
وإن شئت سلقناك <sup>(٢)</sup>      وإن شئت على أربع  
وإن شئت بثلاثيه      وإن شئت به أجمع

قالت : بل به أجمع . قال : كذلك أوحى إلى . فواقعها فلما قام عنها قالت : إن مثلي لا يُسكح هكذا ، فيكون وضعة على قوسى ، ولكفى مسئلة لك النبوة ، فاخطبني إلى أولمائي يزوجوك ، ثم أقود معك تميما . فخرج وخرجت معه ، واجتمع الحيان : حنوفة وتيم ، فقالت سجاح : إنه قرأ على ما أنزل عليه ، فوجدته حقا ، فقبضته ، ثم خطبها فزوجوه منها .

وقل الأغلب المجلى في ذلك :

قد لقيت سجاح من بعد العمى      ملوحا في العين مشدود القوى  
كان هرق أبرز إذا بدا      حبل عجوز ضفرت سنبعا قوى  
ما زال عنها بالحديث والمنى      والخلق السفساف يردى في الردى <sup>(٣)</sup>  
قال : ألا أدخله ؟ قالت : بلى      فشام فيها مثل محراب القصا

(١) الصفات : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر .

(٢) سلقه : ألغاه على قتاه .

(٣) السفساف : الردى . ويردى مثل يرضى : هلك .

قول لما غاب فيها واستوى لئلا هذا كنت أحسبك الحسى  
والهامة بلد الزرقاء . وسأني ذكرها في الحسين ، فعلى هو ما ذكرنا من  
أمر سجاح ، ذكرها أكثر أهل الأخبار .

وقال الفجديسي : سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقيان ، من بني يربوع ،  
كنيتها أم صادر ، أدعت النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في الجزيرة في  
بني تغلب ، فاستجابوا لها ، وتبعها قوم من نعيم ، وظهر أمرها حتى هابتها العرب  
وصالحها ، لتجوز في بلادهم حيث شاءت . فسمعت بمسيلة في الهامة ، فقالت  
لقومها « عليكم بالهامة ، دُفوا إليها دفيء الهامة <sup>(١)</sup> ، فإنها غزوة صرامة ، لا تلتصقكم  
بعدها ملامة » .

وبلغ مسيلة خبرها فهابها ، وخاف إن هو شغل بها غلبه ثمة بن أنال  
وشرحيل على حُجَر الهامة إذ هما من قبل أبي بكر رضى الله عنه ، فأرسل إليها  
يسأمنها على نفسه ، فأمنته فجاءها في أربعين من بني حنيفة ، فقال لها : نصف  
الأرض لى ، والنصف الذى كان لقريش صار لك ، فقالت : لا يردها نصف إلا من  
جنف ، فأحل النصف . فصالحها على أن يحمل إليها نصف غلات الهامة من  
تلك السنة ، وعلى أن يسلفها ثمن غلات السنة المقبلة . فقبلت منه ، وقدم لها مغلّة  
تلك السنة ، ورجعت إلى الجزيرة ، فلم تزل في بني تغلب حتى نقلتهم معاوية عام  
انفراده بالملك إلى الكوفة ، فانتقلت معهم ، وحسن إسلامها .

[ قصة تخاصم أبي الأسود مع امرأته ]

وأظن أن الحريرى صور تخاصم زوجة أبي زيد معه على تخاصم أبي الأسود  
الدولى مع زوجته عند معاوية .

(١) ط : « الجماعة » تحريف ، والصواب ما أثبتته من تاريخ الطبرى .

حدث أهل الأخبار قالوا : كان أبو الأسود كبيراً عند معاوية ، وكان معاوية يجالسه ويُدْنِيهِ ، ويسأله فنجيبه فيما يعلم ، فبينما هو ذات يوم عند معاوية وقد قدم المدينة إذ دخلت عليه امرأة بَرَزَةٌ<sup>(١)</sup> فقالت : أصلى الله أمير المؤمنين وأمتع به إيمان الله جملتك خليفة في البلاد ، ورفيقاً على العباد ، يُسْتَسْقَى بك المطر ، وَيُسْتَنْتَبِت بك الشجر ، وَيُؤْمَن بك الخائف ، وَيُرْدَع بك الجانف<sup>(٢)</sup> . أنت الخليفة المصطفى ، والأمير المرتضى ؛ قدسأل الله لك الذممة في غير تغيير ، والبركة من غير تغيير ؛ فقد ألجأتني إليك يا أمير المؤمنين أمرٌ ضاق بي عنه الخرج ، من أمر كرهتُ عاره ، لما أردتُ إعظامه ، فليكشف عني أمير المؤمنين ، وليصفني من الخصم ، وليكن ذلك على يديه ، فأني أعود بك وبحقوقك من العار الويل ، والأسر الجليل ؛ الذي يشق على الحرائر ، ذوات البيوت الأخيار . فقال لها معاوية : مَنْ هذا الذي أشمركِ شئارَه ؟ قالت : أمر طلاقٍ جائر ، من يقل غادر ، لا تأخذه من الله مخافة ، ولا يجد بأحد رافة ، قال : وَمَنْ بعلُك ؟ قالت : هو أبو الأسود . فالتفت معاوية إليه فقال : أحق ما تقول هذه للمرأة ؟ فقال : إنما تقول من الحق بعضاً ، وليس أحد بطوق عليها نقضا . أما ما ذكرتُ من أمر طلاقها فحق ، وسأخبرك عن ذلك بصدق ، أنا والله ما طلقتمُا لريبة ظهرت ، ولا من هفوة حضرت ؛ وليكن كرهتُ شمائلها ، ففعلت حبائلها . قال : فأني شمائلها كرهتُ أقال : إناك تهيجها على جواب عتيده ، ولسان شديد . قال : لا بد من جوابها ، قال : هي يا أمير المؤمنين كثيرة الصَّخَب ، دائمة الدَّرَب ، مُهَيِّبَةٌ للأهل ، ومؤذية للبتل ؛ إن ذكر خيراً دفننه ، وإن ذكر شراً أذاعته ، تخبر بالباطل ، وتطير مع المازل ، لا تفكِّل عن عَتَب ، ولا يزال زوجها معها في عتب ؛ فقالت : أما والله لولا حضور أمير المؤمنين ، وَمَنْ حضر من المسلمين ،

(١) امرأة برزة ، أي بارزة الحسن . أو المرأة الجليلة التي تبرز للنوم يجلسون إليها

(٢) الجانف : المائل .

ويجهدون .

ترددت عليك بوادر كلامك بنوادر تردع كل سهامك. فقال معاوية : عزمت عليك لما أجبتني ا فقالت : هو والله يا أمير المؤمنين سنول جهول ، ملحاح بمول ، إن قال فشر قائل ، وإن سككت فقدم غائل ، لث حين يأمن ، ثعلب حين يخاف ، صحيح حين يستضاف ، إن التمس الجود عنده انقمع ، لما يعلم من لؤم آبائه ، وقصر رشائه ، ضيفه جائع ، وجاره ضائع ، لا يحمي ذماراً ، ولا يضرم ناراً ، ولا يرعى جواراً ، أهون الناس عليه من أكرمه ، وأكرمهم عليه من أهانه .

فقال معاوية : ما رأيت أعجب منها . انصرفي رواحاً<sup>(١)</sup> ، فلما كان العشي جاءت ، فلما رآها أبو الأسود قال : اللهم اكفني شرها ، فقالت : كفاك الله شرى ، وأرجو ألا يعذبك من شر نفسك . قال : ناوليني هذا العصي حتى أحمله ، قالت : ما جعلك الله بأحق من يحمل ابني . فوثب فانتزعه منها ، فقال معاوية : مهلاً يا أبا الأسود . قال : يا أمير المؤمنين حماقه قبل أن تحمله ، ووضعت قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه في أدبه ، وانظر في أوده ، أمنحه على ، وألممه حلمي ؛ حتى يكمل عقله ، ويستحكم قلبه ، قالت : كلاً أصلحك الله أحمله خفياً ، وحمله ثقلاً ، ووضعه شهوة ، ووضعت كرهاً . حجري فناؤه ، وبطنى وعاءه ، وندبي سفاؤه ، أكاؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام .

فقال معاوية : ما رأيت أعجب من هذه المرأة ا فقال أبو الأسود : يا أمير المؤمنين ، إنما تقول من الشعر أبياناً فتجديها ، قال : فتكلف أنت لها أبياناً لعلك أن تقهرها بالشعر ، فقال أبو الأسود :

مَرْحَباً بِاتِي تَجُورُ عَلَيَّ      نَمَّ أَهْلًا بِالْحَامِلِ الْمَحْمُولِ  
أَغْلَقْتُ بِأَبْهَا عَلَى وَقَالَتِ      إِنَّ خَيْرَ نَسَاءٍ ذَوَاتُ الْبِعْمُولِ  
شَفَلْتُ قَلْبَهَا عَلَى فَرَاغَا      هَلْ سَمِعْتُمْ بِفَارِغٍ مَشْفُولِ ا

(١) الرواح : العشي .

قالت :

ليس مَنْ قَالَ بالصواب وبالْحَقِّ كَمَنْ حَادَ مِنْ مَلَارِ السَّبِيلِ  
كَانَ حَجَرِي فَنَاءَهُ حِينَ يُضْحَى      ثم تَدْبِي سَقَاؤُهُ بِالْأَصِيلِ  
لَسْتُ أَبْغِي بِوَاحِدِي بِأَنْ حَرِبَ      بدلاً مَا رَأَيْتَهُ وَالْجَاهِلِ

فقال معاوية رضى الله عنه :

ليس مَنْ قَدْ غَذَاهُ طِفْلاً صَغِيراً      وسقاه مِنْ تَدْبِي بِالْجُدُولِ  
هِيَ أُولَى بِهِ وَأَقْرَبُ رَحِمَا      مِنْ أَبِيهِ وَفِي قَضَاءِ الرَّسُولِ  
ثم دفعه معاوية إليها .

\* \* \*

فَزَفَرَ أَبُو زَيْدٍ زَفِيرَ الشَّوَاظِ ، وَاسْتَشَاطَ اسْتِشَاطَةَ الْمُغْتَاطِ ،  
وَقَالَ لَهَا : وَيْلَكَ يَا دَرْفَارِ يَا فَجَارِ ، يَا غُصَّةَ الْبُغْلِ وَالْجَارِ ، أَتَعْمَدِينَ  
فِي الْخَلْوَةِ لِتَمْدِيحِي ، وَتُبْدِينَ فِي الْحَفْلَةِ تَكْذِيبِي !

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ حِينَ بَنَيْتُ مَلَيْكَ ، وَرَتَوْتُ إِلَيْكَ ، أَلْفَيْتُكَ  
أَقْبَحَ مِنْ قِرْدَةٍ ، وَأَيْتَسَ مِنْ قِدَّةٍ ، وَأَخْشَنَ مِنْ لَيْفَةٍ ، وَأَنْتَ  
مِنْ جَيْفَةٍ ، وَأَثْقَلَ مِنْ هَيْضَةٍ ، وَأَقْدَرَمَ مِنْ حَيْضَةٍ ، وَأَبْرَزَ مِنْ قِشْرَةٍ ،  
وَأَبْرَدَ مِنْ قِرَّةٍ ، وَأَنْحَقَ مِنْ رِجْلَةٍ ، وَأَوْسَعَ مِنْ دِجْلَةٍ ؛ فَسَتَرْتُ  
عَوَارِكَ ، وَلَمْ أَبْدِ هَارِكَ . قُلْ أَنَّهُ لَوْ حَبَبْتُكَ شَيْرِينَ بِجَمَاهَا ، وَزُبَيْدَةً  
بِمَاهَا ، وَبَلْقِيسَ بِعَرَشِهَا ، وَبُورَانَ بِفَرَشِهَا ، وَالزُّبَاءَ بِمَلِكِهَا ،

وَرَابِةٌ يُنْسِكُهَا ، وَخَنْدَفٌ يَفْخِرُهَا ، وَالْخُنْسَاءُ بِشَمْرِهَا فِي  
صَخْرِهَا ، لِأَنْفَتُ أَنْ تَكُونِي قَعِيدَةً رَحْلِي ، وَطَرُوقَةً فَحْلِي .

• • •

قوله : زفر : أى تنفس غيظ ، والزفر والزفير رد النفس في جوفه حتى تنفخ  
عروق . قال ابن عرفة : الزفير من الصدر والشهيق من الحلق . الشواظ : النار  
بغير دخان وزفيره : صوت انفاده . استشاط : اشتد غيظه وانفث في جسده .

يا فَجَّارَ : ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَذَفَ  
امْرَأَتَهُ جُلْدَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِائَةَ جَلْدَةٍ بِسِیَاطٍ مِنْ نَارٍ » .

والنخعة : ما يختنق به . والبنفل : الزوج ، وأراد أنها مؤذبة يشقى بها  
زوجها وجارها ، كما يشقى صاحب النخعة . تعمدين : تقصدين . الخلوة . الافراد .  
والحفلة : الاجتماع . بنيت عليك ، أى تزوجتك ، وكانت العرب إذا تزوج  
الرجل بقى على أهله قبة ، فيستوى دخول الزوج بفناء لذلك . رنوت : نظرت .  
ألفيئك : وجدتك . قدة : شراكة تقدر من من جلد غير مدبوغ . والألفنة ،  
واحدة ليف النخل ، وهى التى تكون بين الجرائد . هيضة : هى اللعنة تشول  
إلى القى والإسهال وقشرة الشىء : ما علا عليه

ودجلة : نهر العراق ، وعليه بغداد والبصرة ، وواسط على جرفها ، ويجرى  
على وجه الأرض أربعمائة فرسخ . ولم يحمل الحريرى مبالغة السعة على هذه ؛  
ولما أراد دجلة الموراء ؛ وهى التى انتشر ماؤها في البطاح ، حتى صارت سعتها  
هنالك ثلاثين فرسخاً في مثلها .

وقال ابنه سُكْرَةُ يهجو امرأة بالسعة :

لَا تَعْدُ لَوْىَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَلَلٍ      مَنْ ذَا يَرَاكَ وَلَا يَهْبُو إِلَى الْمَلَلِ (١)

(١) يلمية الدهر ٣ : ١٣ .

إن كنت أبصرتُ أشقى منك في بصرى فلا بلغتُ الذى أهواه من أمل  
 البحر أنت ، وأبصرى ليس من تملكِ وليس بينى وبين البحر من حمل  
 قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبي : زوّجنى امرأة من كلب ،  
 فزوّجه ، فقال له ذات يوم يهزل معه : تزوّجنا إلى كلب ، فوجدنا فى نساءهم سمّة ،  
 فقال الأبرش : يا أمير المؤمنين ، إن نساء كلبٍ خلّقنَ لرجال كلب .

وسمع رجل من كِنْدَةَ رجلاً يقول : وجدنا فى نساء كندة سمّة ، فقال :  
 إن نساء كندة مكاهل فقدّت مَراودها .

قيل : لامرأة تُطلّق كثيراً : ما بالكَ تُطلّقين أبداً؟ قالت : يريدون الضيق :  
 خَفيق الله عليهم .

قوله : فسرت عوارك ، ابن عباس ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من  
 مُسْلِمٍ أَطْلَعَ عَلَى عَوْرَةِ مُسْلِمٍ فَأَذَاهَا عَلَيْهِ شِمَانَةٌ وَعَدَوَانَا إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ  
 أَنْ يَفْضَحَهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً ، وَمَنْ سَتَرَهَا عَلَيْهِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ فِي  
 سَعْرِهِ وَحِجَابِهِ يَوْمَ تُنْبِئُ السَّرَائِرُ وَتُخْرِجُ الْخَبَائِرَ » . حَبَبُكَ : أى حَمَمُكَ .

وشيرين هى بنت أرويز بن هرمز ، وكانت آية فى الجمال ، وغاية فى الحسن  
 والكمال ، فافت نساء زمانها صباهة وظرفاً ، وبهرشهن ملاحّة وأطفاً ، وخلقت فى  
 العراق أناراً منها قصر شيرين ، ولها قصة منظومة مشهورة بالعجمية .

### [ زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد ]

وزبيدة : هى بنت جعفر بن عبد الله بن أبي جعفر المنصور ، زوجها هارون  
 الرشيد ، وجدّها المنصور ، وعمّها المهدي ، وابنها الأمين ؛ فكانت اخلافة  
 قد اكتفتها ، وليس فى بنى هاشم هاشية ولدت خليفة إلا هى . ولدت فى حِمْيَا  
 المنصور ، فسُميت أمة العزيز .

وكان المنصور يرقصها ويقول: لا زُبَيْدَة أنت زُبَيْدَة ! فقلب ذلك على اسمها ، وكانت أموالها لا تنقص ، وأنفقت في سبيل الله وفي الحج وفي بناء المساجد والقناطر ما لم ينفقه أحد قبلها ؛ فمن ذلك ما أنفقت في حفرها للعين المعروفة بعين المشاش بالحجاز ، فإنها حفرتها ، ومهدت الطريق لها في كل رفع وخفض ، حتى أجرتها من مسافة اثني عشر ميلا ، فأحصى ما أنفقت فيها فوجد ألف ألف وستمائة ألف دينار ، دون ما كان في وقت الشغل بها في البذل ، وما عم أهل القافة ، ولما في طريق مكة من العراق آثار كثيرة في مصانع حفرتها ، ويرك أحدها ، تنزل وفود الحج عليها ، فلا نجد ماء إلا فيها ، فيشربون ويسقون إبلهم ، ويتزودون وهم في الكثرة أعداد لا يحصيهم إلا خالقهم ، والكل داعون لزيدة إلى زماننا هذا . وأما آثارها الموكية ، فإنها أول من اتخذت الآلات من الذهب والفضة المكللة بالجواهر . وبلغ ثوب وشى اتخذ لباسها خمسين ألف دينار .

وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والأبنوس ، وكلاهما من الذهب ، ملبسة بالوشى والديباج ، وأنواع الحرير الملون ، وهي أول من اتخذ الخفاف المرصعة بالجواهر ، وشماع المنبر . ولما أفضى الأمر إلى ابنها الأمين رفع منازل الخدم ككؤثر وغيره ، فلما رأت حبه فيهم اتخذت له الجوارى المقدودات الحسان الوجوه ، وعمت رءوسهن ، وجعلت لمن الطرر والأصداغ والأقنعة ، وألبسن الأقبية والقراطين والمناطق ، فبات قدودهن ، وبرزت خصورهن . وبعث بهن إليه ، فاستحسنهن وأبرزهن للناس ، فسموهن الفلاميات .

وأخبارها كثيرة ، وعندما قتل الأمين دخل عليها بعض خدمها ، فقال لها : ما بمجذك وقد قتل أمير المؤمنين ؟ فقالت : وبلك وما أصنع ؟ قال : تخرجين وتأخذين بدمه ، كما خرجت هائشة تطلب بدم عثمان ، فقالت : إني لأأم لك ! فالتفت وطلب الدماء ثم أمرت بتيابها فسودت ودعت بدواة ، فكتبت إلى المأمون :

أخيراً لإمام قام من خير عنصرٍ      وأفضل راقٍ فوق أعوادٍ منبرٍ  
 ووارثَ علم الأولين وفخرهم      إلى الملك المأمون من أمّ جعفرٍ  
 كتبتُ وهوئني تَسْنِهُلُ دموعها      إليك ابن عمي من جُفُوني ومحجري  
 أصبْتُ بأدنى الناس منك قرابةً      ومن زال عن عبي قتلَ نصبري  
 أني طاهرٌ، لا طهر الله طاهراً،<sup>(١)</sup>      فما طاهر في فعله بمطهرٍ  
 فأبرزني مكشوفة الوجه حاسراً      وأهب أموالٍ وحرَق أدوري  
 يعزّ علي هارون ما قد لقيته      وما نالني من ناقص الخلق أهورٍ  
 تَذَكَّرُ أمير المؤمنين قرابتي      فدبتك من ذى قرْبٍ معذكري  
 فإن كان ما أبدى لأمرٍ أمرته      صبرتُ لأمرٍ من قديرٍ مُقدّرٍ  
 ولأن كان ما قد كان منه تعدياً      علي أمير المؤمنين ففيري

فلما قرأها المأمون ، بكى بكاء شديداً ، ثم قال : إني لأقول كما قال علي  
 أمير المؤمنين حين بلغه قتلُ عثمان رضي الله عنهما : والله ما أمرتُ ، ولا رخصيتُ ،  
 اللهم جَلِّ قلب طاهر حزناً .

قال إبراهيم الحربي : رأيتها في المنام ، فقلت لها : ما فعل الله بك ؟ فقالت :  
 غفر لي ، فقلت : بما أغفقت في طريق مكة ؟ فقالت : أما النفقات فرجعت أجورها  
 إلى أربابها ، وغفر لي بنتي .

[ بوران بنت الحسن بن سهل وزوجها بالمأمون ]

وأما بوران فهي خديجة بنت الحسن بن الحسن بن سهل ، تزوجها المأمون  
 على يد إسحاق الموصلي ، وفي هذا التزويج قصة الزَّيْل وهي طويلة ظريفة ،  
 نذكرها على جهة الاختصار ، حدث إسحاق الموصلي قال :

(١) هو طاهر بن الحسين قائد المأمون ؛ قتل الأبين بتدبيره سنة ١٩٨ .

بينما أنا ذات يوم عند المأمون ، وقد خلا وجهه ، وطابت نفسه ، فقال :  
 يا إسحاق ، هذا يوم خلوة وطيب ، فقلت : طيب الله عيش أمير المؤمنين ،  
 وأدام سروره وفرحه . فأخذ بيدي ، وأدخلني في مجالس غدا التي كنا فيها ،  
 فأخذنا من لاداننا وشرابنا حتى غربت الشمس ، فقال : قد عزمت على دخلة  
 إلى دار الحرم ، فلا ترم حتى آتيك ، فنهض وبقيت إلى عامة الليل ، وكان  
 للمأمون أشغف خلق الله بالنساء ، وأشدّهم ميلا إليهن ، فقلت في نفسي : هو في  
 لذة وأنا في غير شيء ، وتذكرت صبيّة اشتريتها ، وكنت عزمت على اقتضاها  
 فنهضت إلى الباب ، فقال الحاجب : أين تريد ؟ فقلت : الانصراف ، قال فإن  
 طلبك ، قلت هو من لذة السرور في شغل عن طلبه ، فقيل لي : إن خلعتك  
 استعطونك وانصرفوا . فجئ بدابة ، فركبتها ومشيت ، فأحسست بالبول ،  
 فعدت إلى زقاق لأبول ، فبليت وقت لأنمّح بالحيطان إذا أنا بشيء معلق من  
 تلك الدور ، فنهضت فإذا بزئيل<sup>(١)</sup> كبير بأربع آذان ، ملبس ديباجا ، فقلت :  
 إن لهذا سببا ، وبقيت أروي في أمره ، ثم قلت : والله لأجلسن فيه كأننا  
 ما كان ، فجلست ، فلما أحسن بي الدين يرقبونه ، جذبوه إلي رأس الحائط ، فإذا  
 أربع جوار يقنن لي : انزل بالزحب والسمّة ، فمشت بين يدي جارية بشمة ،  
 حتى نزلت إلى دار نظيفة إلى مجالس مفروشة ، لم أر مثلاً إلا في دار ملك ،  
 فجلست فاشعرت إلا بعد ساعة ، حتى أزيلت ستور كانت في ناحية الدار ،  
 وإذا وصائف يتأشبن ، في أيديهن الشمع ، وبعضهن بمجامر يجرق فيها العود ،  
 وبينهن جارية تنهادى كأنها البدر الطالع ، فنهضت قائما ، فقالت : مرحبا بك  
 من زائرا وجلست . ثم اضطردت إلى سؤال أبداع اضطراد ، فقلت : انصرف  
 من عند بعض إخواني ، وغرّني الوقت ، وحرّكني البول ، فعدت إلى هذا الزقاق ،

(١) الزئيل : اللالة أو الرماء .

فوجدت زبيلاً معلقاً ، فحملني اللبىذ أن جلست فيه ، فإن كان خطأ فاللبىذ أكسبنيها ، قالت : لا خير ، أرجو أن محمد عاقبة أمرك ، قالت : فما صناعتك ؟ قلت : بزّاز من بغداد ، قالت : فهل رويت من الأسمار شيئاً ؟ قلت : شيئاً ضعيفاً ، قالت : فذا كبرنا ، قلت : إن المداخل حشمة ولكن تهدين ، قالت : صدقت ، فأنشدني لجماعة من القدماء والمحدثين من أجود أقاويلهم ، وأنا مستمع لا أدرى مِمَّ أعجب ! أم من حسن روايتها وجودة ضبطها للغريب ، أم من اقتدارها على النحو ومعرفة أوزان الشعر ! ثم قالت : أذهب ما كان عندك من الحصر ؟ قالت : إى والله ، قالت : فإن رأيت أن ننشدنا ، فأنشدتها لجماعة من القدماء ما فيه مقنع ، فاستحسن ذلك ثم قالت : والله ما ظننت أن يوجد في أبناء السوقة هذا !

ثم أمرت بالطعام فأخضر ، وقالت : المألجة<sup>(١)</sup> أول الرضاع ، فدونك . وجماعت تقطع وتضع بين يدي ، وفي المجلس من صفوف الرياحين وخرائب الفواكه ما لا يسكون إلا عند سلطان ، ودعت بالشراب ، فشربت قدحاً ، ثم سكبت لي قدحاً ، فشربت ، ثم قالت : هذا أو ان المذاكرة بالأخبار وأيام الناس ، فاندفعت فقلت : بلنفي أنه كان كذا ، وكان رجل يقال له كذا ، حتى أنبت على عدة أخبار حسان ، فسررت بذلك ، وقالت : كثر تمنجي أن يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذا ، وإنما هذه أحاديث ملوك ، قلت : كان لي جار يتكلم للوك ، فإذا تمطّل حضرت معه ، فربما حدث بما سمعت ، فأخذتها عنه . فقالت : لعمري لقد أحسنت الحفظ ، وما هذا إلا لقويحة جيّدة ، وأخذنا في المذاكرة إذا سكّت ابتدأت هي ، وإذا سكّمت ابتدأت أنا ، حتى قطعنا عامة

(١) يقال : ملج الصبي أمه ، أى تناول فيها بأذني فم ، والكلام على التنبيه .

الليل ، وبحور العود يتعقب ، وأنا في حالة لو توهمها المأمون لطار فرحاً . فقالت : إنك من الرجال وضوء الوجه ، بارع الأدب ، وما بقي عليك إلا شيء واحد . قلت : وما هو ؟ فقالت : لو كنت تترنم ببعض الأسماء ! قلت : والله لقد يما كلفتُ به ولم أرزقه ، فأعرضت عنه ، وفي قلبي منه حزازة ، وكنت أحب أن أسمع في مجلسي هذا منه شيئاً لتكمل ليلتي ، قالت : كآئك عرضت بنا ! قلت : والله ما هو تعريض ، قد بدأت بالفضل وأنتِ جديرة باستقامته . فأحضر هوداً بأمرها ، ففنت بصوت ماسمعت كعسسه ، مع حسن أدائه ، وجودة الضرب . قلتُ : والله لقد أكل الله فيك خلال الفضل وحبائك بالكمال الراجح ، والعقل الوافر ، والأخلاق الرضية والأفعال السنية . قالت : هل تعرف هذا الصوت ومن غنى فيه ؟ قلت : لا والله ، قالت الشعر : فلان ، وكان سببه كذا والفناء لإسحاق ، قلت : وإسحاق هذا جُمِلتُ فذاك في هذا الحال ! قالت : بخ بخ ! إسحاق بارع هذا الشأن ، قلت : سبحان الله ! لقد أعطى هذا ما لم يطله أحد ، قالت : فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ! فلم نزل كذلك حتى إذا انشق الفجر أقبلت هجوز كأنها دابة لها ، قالت : أي بنية ، إن الوقت قد حضر ، فنهضت عند قولها ، فقالت : مصاحباً ، لتستر ما كنا فيه ، فإن الجالس بالأمانات ، قلت : جُمِيت فذاك ، فأحتاج إلى وصية في ذلك ! وودعتها وجارية بين يدي إلى باب الدار . فتفتح لي ، وخرجت إلى داري فصلبت الصبح ، ونمت .

فأنبهي رسول المأمون فسيرتُ إليه ، فلما رآني ، قال : يا إسحاق ، تشاغلتا هنك ، فما كان حالك ؟ قلت : اشتريت صبية وكنت معلق القلب بها ، فضيت لها ، وشربت معها ونمت ، فقال : بئها مثل هذا ، فهل لك فيما كنا فيه أمسر ! قلت : وما يمنع من ذلك ؟ فنهضتُ إلى مجلس أمس ؛ فلما كان المقاء قال : لايم ، فإني أجيئك ونهض ، فقأملت ما كنت فيه الهارحة ، فإذا هو شيء .

( ٢٢ - فروح مقامات الحريري ج ٤ )

لا يصبر عنه إلا جاهل؛ فخرجتُ. فقال القلمان : الله الله، فإنه أنكر علينا تخليتك ، فومدّهم أن آتى قبل أن يحىء ، وأن خروجى لمذر ، وفي الحين أرجع .

فنهضت إلى الزبيل فجلست فيه ، فرفع بى إلى موضع البارحة ، فإذا هى قد طلعت ، فقالت : لقد عاودت ، فقلت : ولا أظنّ إلا أنى قد ثقلت ، فقالت : مادح نفسه بقرئك السلام ، قلت : فمفوة فتنى بالفضل . قالت : قد فعلنا ، ولا تعدّ ، فأخذنا فى مثل الآية السالمة من المذاكرة والناشدة وغريب الغناء منها إلى العجبر .

فانصرفتُ إلى منزلى وصليت ونمت ، فأنبهنى رسولُ المأمون ، فلما رآنى قال : آيت إلا مكافأة لنا ! فقلت : والله يا أمير المؤمنين ما ذهبت إلى ذلك ، ولكن ظننت أن أمير المؤمنين قد تشاغل عى ببلدته ، وأغفل أمرى ، وجاء الشيطان ، فذكرنى أمر تلك اللعونة ، فبادرت قال : فما كان منك ؟ قلت : قضيت الحاجة منها ، قال : فقد انقضى ما كان بقلبك منها ، وواحدةً بواحدة ، والهادى أظلم . قلت : بل أنا أظلم ، وإليك المذرة ، قال : لا تترىب عليك ، فهل لنا فى مثل حالنا أمس ؟ قلت : إى والله ، فقمنا إلى موضعنا إلى الوقت ، فقال : يا إسحاق ما مزمتك ؟ قلت : لا هذر لى ، قال : فعزمت عليك لتجلس حتى أجيء ، فإنى عازم على الصبح ، وقد نفضت على منذ يومين ، قلت : فاليلة إن شاء الله ، فما هو إلا أن غاب وجاءت وساوسى ، فلما تذكرت ما كنت فيه البارحة هان على ما يلحقنى من سخوطه ؛ فوثبت مبادراً ، فوثب إلى جند الدار ، وحُبست ، فقلت : الله الله ! إنى مدّلق البال بهمض مافى منزلى ، فقالوا : ما لى تركك من سبيل ، فلم أزل أرغب هذا وأقبل يدهذا ، ووهبت خاتمى لهذا ، وردائى لهذا ، وخرجت أعدو وحامراً حتى وافيت الزبول ، فتعدت فيه ، فرفقتُ إلى موضعى ، وأقبلت ، فقالت : صديقنا ! قلت : إى والله ، قالت : أجمعتها دار مقام ؟ قلت : جُعِلت فِدَاكَ ! حق الضيافة ثلاث ، فإن رجعتُ فأنتم فى حلٍّ من دى . قالت :

والله لقد أتيت بحجة ، ثم جلسنا في مثل تلك الحال ، فلما قُرب الوقت علمت أن المأمون لابد أن يسألني ، ولا يفتنني معي إلا بشرح القصّة ، فقلت لها : أراك ممن يعجب بالفناء ، ولي ابن عمّ أحسن مني وجهاً ، وأظرف قدّاً ، وأكثر أدباً ، وأنا حسنة من حسناته ، وهو أعرف خلق الله بفناء إسحاق الموصل ، قالت : طهّلني وتفتح ؟ قلت لها : أنت الحكمة ، قالت : إن كان ابنُ حُك على ما تصف فما نكره معرفته ، ثم جاء الوقت فنهضت فلم أصل إلى دارى إلاّ ورسل المأمون قد هجموا على ، وحلوني حملاً عنيقاً ، فوجدته على كرمي وهو مفتاظ ، فقال : يا إسحاق أخرجك من الطاعة ! قلت : لا والله قال : فما قصّتك وما هذا الانحراف ؟ فأصدّقني ، قلت : في خلوة ، فأوماً إلى من بين يديه فتحوّوا لحدثته الحديث وقلت له : قد وعدتُها في أمرك ، قال : قد أحسنت ، ولولا ذلك لنكّلت بك ، فقلت : قد سلم الله ، فأخذنا في لذتنا في ذلك اليوم ، وهو لا يسمع مني غير حديثها ، فلم يتمّ النهار إلا والمأمون معالق القاب ، فلما جاء الوقت ميرنا وأنا أوصيه وأقول : بحسب أن تظهرني بمحضرتها ، ودعوني من نخوة الملوك ، وكن لي تبعاً ، وهو يقول : نعم ويلك ! وإن قالت : غنّ كيف أصنع ؟ قلت : أنا أدفعها عنك .

ثم سرنا إلى زيلين فقمعدنا فيهما ، فرُفعا إلى الموضع ، فأقبلت فسلمت ، فما تمالك إذ رآها أن بهت في حسننها ، وقالت لي : والله ما أنصفت ابن حُك إذ لم ترفع منزله ، وكان قد قعد دوني ، فقالت : ارتفع فديتُك ، أنت جديد ، وهذا قد صار من أهل البيت ، فنهض إلى صدر البيت ، وأقبلت تُذاكره وتداشده وتمازحه ، وهو يظنّ عليها في كل فن . ثم أحضِر القبهذ فشربنا ، وهي مقبلة عليه وممرورة به ، وهو أكثر ، وأخذت العود ففقت صوتاً ، وقالت : وابن حُك هذا من التجار ؟ قلت : نعم ، قالت : إنسكا لفربيان . فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب ، ثم رأيته ينظر إلى نظر الأسد إلى فريسته ، فصاح : يا إسحاق ، فنهضت وقلت : لبيك يا أمير المؤمنين !

قال : غنّ هذا الصوت ، فلما علمت أنه الخليفة نهضت إلى كِنَاة مضروبة ، فدخلتها ، فلما فرغت من الصوت ، قال : انظر من رب هذه الدار ؟ فسألت عجوزاً ، فقالت : هو الحسن بن سهل ، فقال : على به ، فقابت العجوز ساعة وإذا الحسن قد حضر ، فقال له : ألك ابنة ؟ قال : نعم بوران ، قال : فزوّجتها ! قال : لا والله ، قال : فأنى أخطبها إليك ، قال : هي أمّك ، وأمّرها إليك ، قال : قد تزوّجتها على نقد ثلاثين ألفاً نَحْمِلُهَا إِلَيْكَ صبيحة يومنا ، فإذا قبضت المال فاحملها إلينا ، قال : نعم ، ثم خرجنا .

فقال : يا إسحاق لا يقف على ما وقفت عليه أحد ، فسترت الحديث إلى أن مات المأمون ، فما اجتمع لأحد ما اجتمع لي في تلك الأربعة الأيام . مجالسة المأمون بالنهار ، ومجالسة بُوران بالليل ، ووالله ما رأيتُ أحداً من الرجال في ملوكهم مثل المأمون ، ولا شاهدت امرأة تقارب بُوران فهما وعقلا ، وما أظن أحداً وقف من العلوم على ما وقفت عليه .

وفي السعدي : انحدر المأمون إلى فم الصلح في شعبان سنة تسع ومائتين ، وأملك<sup>(١)</sup> بخديجة بنت الحسن بن سهل ، ونثر الحسن في ذلك الإملاك ما لم ينثره قط ملك في جاهلية ولا إسلام ، نثر على الهاشميين والقواد والسكراب بنادق مسك ، فيهارقاع بأسماء ضياع ، وجوار وأسماء ديار ودواب وغير ذلك ، فإذا وقعت البندقة بيد الرجل ، فتحها فوجدها على قدر سمعه ، ثم ينثر بعد ذلك الدنانير والدرهم ونوافج المسك على عامة الناس ، وأنفق على المأمون وعلى جميع قواده ، فلما أراد المأمون الانصراف إلى مدينة السلام قال له : يا أبا محمد ، سل حوائجك ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أسألك أن تحفظ على مكاني من قبلك ، فأمر المأمون أن يحمل له خراج فارس والأهواز لسنة<sup>(٢)</sup> .

وذكر الحريري في الدرّة أن المأمون لمّا بي على بُوران ، فرش له حصير منسوج بالذهب مأمّته أحد ، وعليه در منثور ، فوجّه الحسن إلى المأمون أن

(١) أملك : تزوج

(٢) مروج الذهب ٤ : ٣٠

هذا نثار يجب أن يُلتَقَطَ ، فقال المأمون لمن حوله من بنات الخلفاء : شرّفن أبا محمد ،  
فدّت كل واحدة منهنّ يدها ، فأخذت دُرّةً وبقيَ باقي الدرّ بلوح على الحصيد  
المذهب ، فقال : قاتل الله أبا نُوَاس ، لقد شتبه بشيءٍ مارآه قط ، فأحسن في  
وصف الخمره والحباب الذي فوقها فقال !

كَأَن صُغْرَى وَكُثْرَى مِنْ فَوَاقِمِهَا      حَصْنَاءُ دَرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ<sup>(١)</sup>  
فكيف لو رأى هذا معاينة !

ويقال : إن الحسن بن سهل نثر في ذلك العرس على المأمون ألف حبة جواهره  
وأشمل بين يديه شمة عنبر ، وزنها مائة رطل ، فاسره المأمون بمائة ألف ألف درهم ،  
وأقطعه مدينة فم الصِّلح ، وهي قريبة من واسط ، وكان العُرس بها .

وذكر المبرد أن الملاحين الذين تصرّفوا في هذا العرس تقيفوا على السهمين  
الفا ، وكانت جراية السلطان عليهم ، وإسّا بقى المأمون على بُوران وأراد غشيانها  
حاضت ، فقالت : أتى أمر الله فلا تستمجلوه ! فنام في فراش آخر ، فلما أصبح  
دخل عليه أفاضل ندمائه يهثوثونه ويدعون له فأنشدهم بديها :

فارس في الحرب منقوسٌ      هارف بالظمن في الظلم-  
رامَ أن يذمي فربسقه      فأنقته من دم بدم

وأكثر الشعراء في ذلك الإملاك ، وأسقطرف منها قول ابن أبي حازم الهاهلي :

بارك الله لحسن      ولُبُورانَ في اتلخن<sup>(٢)</sup>  
يابن هارون قد ظفر      تَ ولسكن بنت منّا

(١) ديوانه ٢٤٣

(٢) البيتان في معاهد التنصيص ٣: ١٣٩ ، من شواهد التوجيه ، وهو إيراد للكلام

بوجهين مختلفين ، وهنا لم يعلم ما أراد بقوله : « بنت من » .

فلما وصلت إلى المأمون قال : لا والله ما ندري أخيراً أراد أم شراً .  
ويشبه هذا أن رجلاً أتى رجلاً خياطاً بثوب ليقطع له منه قميصاً ، فقال :  
والله لأنفصلته لك تفصيلاً ، لا يدري أقبض هو أم قباه ؟ ففعل ذلك ، فقال له صاحب  
الثوب : وأنا والله لأدعوك لك دعاء لا يدري ألك هو أم عليك ؟ وكان الخياط  
يسمى بشراً ، وكان أهوا ، فقال :

خاط لي بشر قَبَاءَ كَئِثٍ هَنِيهٍ سَوَاءَ<sup>(١)</sup>

وأنت المأمون بهما لم يُسمع بمثله قط كان فيه القُرْشُ منسوجةً بالذهب .  
وقال إبراهيم بن العباس الصولي يهني الحسن بمصاهرة المأمون :  
هَنَيْتُكَ أَكْرَمَةً جَلَّتْ نَعْمَتُهَا أَعْلَتْ وَلِيكَ وَاجْتَنَّتْ أَحَادِيكَ<sup>(٢)</sup>  
ما كان يُحْتَجَى بها إلا الإمام ولا كانت إذا قُرِنَتْ بالتخلق تمدوكا  
وماتت بُوران في سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وقد بلغت ثمانين سنة .  
وثم بُوران أخرى وهي بنت كسرى ، وأمها مريم بنت قيسر ، ملكت  
سنة ونصفاً ، وليست المعنية في المقامة .

• • •

[ ذكر بلقيس وعرشها ]

وأما بلقيس فهي ابنة شراحيل بن أبي سرنح بن الحارث بن قيس بن صفي  
ابن سبأ ، وكان سبب مراسلة سليمان إليها أنه فقد الهدهد ، وبه يُعرف قُرْبُ  
الماء من بعده ، فنزل سليمان عليه السلام بمغارة ، فدعا بالهدهد فلم يُوجَدْ ، فقال  
وهو غاضب ﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ ... ﴾<sup>(٣)</sup> الآيات . وكان الهدهد قد قدمه بعرض

(١) معاهد التنصيص ١٣٨:٣ ، ونسبه إلى بشار ، وذكر بعده :

فقلتُ شعراً ليس يدري أمديح أم هجاء

(٢) سورة النمل ٢٠ وما بعدها .

(٣) ديوانه ١٣٥ ، ١٣٦

بَلْقَيْسَ وَبَسَاتِينَهَا ، فَلَمَّا رَجَعَ تَلَقَّتَهُ الطَّيْرُ ، فَقَالُوا : تَوَعَّدَكَ رَسُولُ اللَّهِ بِنَقْفِ رِيْشِكَ أَوْ بِذُبْحِكَ ، فَيَنْقُطُ نَسْلُكَ ، قَالَ : وَمَا اسْتَعْنَى ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : ﴿ أَوَلَيْتُنِيَّ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ، أَيْ بِمَذْرُومِيْن فَأَتَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ : مَا غَيَّبَكَ عَنِّي ؟ قَالَ : ﴿ أَحْطَطُ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَ سَنَنْظُرُ أَصْدَقَتْ .. ﴾ الْآيَاتُ فَوَجَّهَهُ بِالْكِتَابِ ، فَوَافَقَهَا فِي قَصْرِهَا ، فَسَدَّ عَلَيْهَا بِالْكِتَابِ ضَوْءَ طَائِقٍ ، فَالتَفَقَّتْ فَاتَتْهُ إِلَيْهَا الْكِتَابُ ، فَأَخَذَتْهُ وَغَطَّتْهُ بِثَوْبٍ ، وَنَادَتْ فِي قَوْمِهَا فَقَالَتْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ... ﴾ الْآيَاتُ ، فَقَالُوا لَهَا : ﴿ نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ ... ﴾ الْآيَاتُ . ثُمَّ قَالَتْ : إِنْ قَبِلَ الْهَدِيَّةُ فَهُوَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا وَأَنَا أَعَزُّ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

فَلَمَّا رَجَعَ بِالْهَدِيَّةِ قَالَ سُلَيْمَانَ : ﴿ أَتَمِدُّونَ بِيْمَالٍ ﴾ إِلَى ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ . فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهَا رَسَلَهَا بِالْخَبَرِ ، خَرَجَتْ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهَا - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : وَمَعَهَا أَلْفُ قَيْلٍ ، وَأَهْلُ الْبَيْنِ بِسُمُورِ الْقَائِدِ الْقَيْلِ - مَعَ كُلِّ قَيْلٍ عَشْرَةُ آلَافٍ . وَكَانَ سُلَيْمَانَ مَهْمِبًا لَا يَبْدُوهُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْهُ ، فَخَرَجَ فَرَأَى رَهَجًا قَرِيبًا مِنْهُ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : بَلْقَيْسُ ، قَالَ : وَقَدْ نَزَلَتْ مَعًا بِهَذَا الْمَسْكَنِ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ أَبُكُّكُمْ يَا تَبْنِيَّ بِمَرْشِيْهَا ﴾ فَأَتَاهُ بِهِ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمَ الْكِتَابِ قَبْلَ مَا قَطَعَ كَلَامَهُ ، وَصَرَفَ بَصَرَهُ ، فَرَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي . ثُمَّ جَاءَتْ بَلْقَيْسُ وَقَعَدَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ ، فَقَبِلَ لَهَا : ﴿ أَهْمَكِذَا عَرَشُكَ ﴾ فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ ثُمَّ قَالَتْ : تَرَكْتُهُ فِي قَصْرِى وَالْجَنُودِ مُحِيطَةً بِهِ ، فَكَيْفَ جِئْتُ بِهِ ! وَكَانَتْ شَعْرَاءُ السَّاقِينَ ، فَقَالَتْ الْجَنُّ : إِنْ نَسَكَّحَهَا سُلَيْمَانَ فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا مَا نَنْفَكُ مِنَ الْعِبُودِيَّةِ أَبَدًا ، فَهَلُمَّ نَبِيٌّ لَهُ بَنُوْنَا ، فَيَرَى شَعْرَهَا فِيهِ فَلَا يَزْوَجُهَا ، فَبَنُوا لَهُ صَرَحًا أَخْضَرَ مِنْ قَوَارِيرِ كَأَنَّهُ الْمَاءُ ، وَجَمَلُوا فِي بَاطِنِ طَرَائِقِهِ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الدُّوَابِّ وَالْمَسَكِ وَغَيْرِهِ ، وَأَتَقَى سُلَيْمَانَ كَرَمِيٍّ فِي أَقْصَاءِ : فَلَمَّا رَأَى مِنْهُ مَا رَأَى قَعَدَ عَلَيْهِ ، وَدَعَا بِهَا ، فَلَمَّا رَأَتْ صُورَ الْمَسَكِ فِيهِ حَسِبَتْهُ لَجَّةً ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا . فَأَبْصَرَ شَعْرَهَا سُلَيْمَانَ ،

فصرف بصره عنها ، وقال إنه صرح بمرد من قوارير ، فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي .. ﴾ الآية . فقال سليمان للجن : ما يذهب الشعر ؟ فقالوا : له النؤرة ، فاستنكحها سليمان عليه السلام .

وذكر ابن إسحاق أنها لما أسلمت ، قال لها سليمان : اختاري رجلاً من قومك أزوجه ، فقالت : ومثلي يُنكح ، وقد كان لي من الملك والسلطان ما كان ! فقال لها : ما ينبغي أن تحترمي ما أحل الله لك ، فزوجها ذاتمبع ملك همدان ، وملك اليمن ، وردّها معه ، فلم يزل ملك اليمن حتى مات سليمان . وكانت بلقيس من بيت الملكة ، قيل : إنها ولدها أربعون ملكاً ، واختلف في أمها فقيل : إنسيّة وقيل جنيّة .

وأما عرشها ، وهو سريرها ، فقيل : كان طوله ثمانين ذراعاً ، وعرضه كذلك . وكان عرشها صفائح من ذهب وفضة قد ركبت فيه فصوصُ الياقوت الأحمر والأزرق والأخضر والدرّ واللؤلؤ ، وكان له قائمتان من ياقوت وقائمقان من زَرَجَد ، والملك لله وحده ، أقدى سخر لسليمان هذا الملك العظيم ومن أحضر له هذا العرش العظيم قبل رجوع الطرف !

وذكر الحريري في الدرّة : أن صواب لفظ « بانيس » أن تكسر باؤه لأن كل أعجمي يُمرَّب بقياسه أن يالحق بأمثلة كلام العرب ، قال : وعنى ذلك بلقيس .<sup>(١)</sup>

وقرأت في أخبار سيف الدولة أن الخالدين مدحاه ، فبعث إليهما وصيفاً ووصيفة ، مع كل واحد منها بذرة وتخت من ثياب مصر والشام ، فسكنها إليه :

(١) درة الغواص ٦٢ .

لم يَغْدُ شَكَرَكَ فِي الْخَلَائِقِ مَظْلَقًا      إِلَّا وَمَالُكَ فِي الذُّوَالِ حَبِيسٌ<sup>(٢)</sup>  
 خَوَّلْتَنِي شَمْسًا وَبَدْرًا أَشْرَقَتْ      بِهِمَا لَدَيْنَا الظُّلَّةُ الْحَنْدِيسُ  
 رَشَاءُ أَنَا نَا وَهُوَ حُسْنَاءُ «يُوسُفُ»      وَغَزَالَةٌ هِيَ بِهِجَةٌ «بَلْقَيْسُ»  
 هَذَا وَلَمْ تَقْنَعْ بِذَاكَ وَهَذِهِ      حَتَّى بَعَثْتَ الْمَالَ وَهُوَ نَفِيسُ  
 أَنْتِ الْوَصِيفَةُ وَهِيَ تَحْمِلُ بَدْرَةً      وَأَتَى عَلَى ظَهْرِ الْوَصِيفِ الْكَيْسُ  
 وَكَسْرَتْنَا مِمَّا أَجَادَتْ حَوْكَةً      مِصْرُ وَزَادَتْ حُسْنُهُ رَنْقَيْسُ  
 فَذَلَّلْنَا مِنْ جُودِكَ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ      وَالْمَشْكُوحِ وَالْمَلْبُوسِ

فلما قرأها سوف الدولة قال: أحسنا، إلا في لفظ «المنكوح»، إذ ليست مما  
 يخاطب بها الملوك.

وهذا من بدیع نغده الملیح وشواهد ذكائه المصريح .  
 وأما الزبأء: فقد تقدم ملكها في الرابعة والعشرين .

\* \* \*

### [ ذكر رابعة العدوية ]

وأما رابعة فهي<sup>(٢)</sup> بنت إسماعيل العدوية، وكانت قد بلغت من النسك  
 والفضل والزهد منزلة شريفة، وكانت منورة البصيرة، مطهرة السريرة،  
 حطيت بالكاشفات الربانية. وكان سفيان الثوري يذهب إليها وبإهلها من  
 مسائل دينية، ويعتمد عليها، وخطبها عبد الواحد بن زيد، فقالت له بعد أن

(٢) انظر ترجمتها في ابن خلكان ١: ١٨٢.

(١) ديوان الخالدين ١٦٢.

حبيبته أيا ما تم أذنت له: يا شهوان، أى شئ رأيت في من آية الشهوة إلا خطبت  
شهوة نانية مثلك !

وقال أبو سليمان الداراني: بت ليلة عند رابعة العدوية، فقامت إلى محراب  
لها، وقت إلى ناحية من البيت فلم تزل قائمة إلى السحر، فقلت: ما جزاء من قوتنا  
على قيام هذه الليلة؟ قالت: جزاؤه أن نصوم له غذا .

وزارها أصحابها، فذكروا الدنيا وأقبلوا على ذمها، فقالت: اسكتوا عن  
ذمها، فلو لا موضعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ! ألا من أحب شيئاً  
أكثر من ذكره .

واحتاجت رابعة إلى شئ فقيل لها: لو بعثت إلى فلان؟ قريب لها، فقالت:  
والله لا أطلب الدنيا ممن يملكها، فكيف بمن لا يملكها !

وحدث جعفر بن سليمان قال: أخذ يدي سفيان الثوري فقال لي: سربي  
إلى المؤذبة التي لا أجدني أستريح إذا فارقتها - يعني رابعة - قال: فلما دخلت  
عليها، رفع سفيان يديه، وقال: اللهم إني أسألك السلامة ! فبكت رابعة،  
فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: أنت عرضتني للبكاء، فقال لها وكيف ذلك؟  
فقلت: أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها، فكيف وأنت  
مقاطعة بها !

وقال سفيان الثوري لرابعة راحة الله عليهما: ما حقيقة إيمانك؟ قالت:  
ما عبده خوف الفار، ولا رجاء الجنة، فأكون كالأجير السوء، بل عبده حباً له  
وشوقاً إليه، وقالت في معنى ذلك:

أحبك حُبَّين: حبَّ الهوى وحُبَّاً لأنك أهلٌ لذلك

فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حَبَّ الْهَوَىٰ فَشَغَلَنِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ  
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشَفَكَ لِي الْحِجَبَ حَتَّى أَرَكَ  
فَلَا الْحَدَّ فِي ذَا وَلَا ذَا لِيَا وَلَكِنْ لَكَ الْحَدُّ فِي ذَا وَذَلِكَ

وقبل لها : كيف حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : شغلتني  
حبُّ الخالق عن حبِّ المخلوقين .

ودخل سنيان عليها وهي قائمة تصلي ، فلم تترج عليه ، ودخل جعفر - وكان  
يخدمها - فقال لسنيان : أي شيء دار بينك وبينها ؟ قال : ما كلمتني . فقال لها :  
يا سبحان الله ! الشيخ جاء إليك فما كلمته ، فقالت : إن العبد إذا كان مقبلاً على  
الله عز وجل كان الله مقبلاً عليه ، وقد كنت مقبلة على الله عز وجل ، ولست  
أشك في إقباله علي ، فأبما أحب إليك أن أكون مقبلة على الله ويكون  
مقبلاً علي ، أو أقبل على هذا ؟ ثم قالت : الله أكبر .

وقال لها رجل : إني أحبك في الله ، فقالت : فلا تنعمي الذي أحببتني له  
وأنشدت :

أَتَضْمَنُ بِأَنِّي تَرَكْتُ الْمَعَاصِيَ وَأَرْهَنُهُ الْكَفَالَةَ بِاتِّخْلَاصٍ  
أَطَاعَ اللَّهُ قَوْمٌ فَاسْتَعْرَضُوا وَلَمْ يَتَجَرَّعُوا غُصَصَ الْمَعَاصِي

\*\*\*

[ ذكر خندف ]

وأما خندف ، فهي ابنة بنت حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ،  
وهي امرأة إلياس بن مضر ، ولدت منه محرراً وهو مدركة ، وعامراً وهو طابخة ،

وعميراً وهو قَمَمَة ، فندت لهم إبل ، فخرجوا في طلبها فأدركها عمرو ، فسُمِّيَ مدرَكَة ، واقطنص حاسر أرنبا فطبخها ، فسُمِّيَ طابخة ، واطمع عمير في بيته فسُمِّيَ قَمَمَة ، فلما أبطنوا عليها خرجت في إثرهم ، فقالت : ما زلت أخندف في إثركم ؟ فلقبت خندف ، والخندفة بالهرولة ، وهي أمّ عرب الحجاز ، وجميع ولد إلياس من خندف ، والخندف يُنسبون ، وجميع ولد مضر من إلياس وخندف ، فن مدركة كنانة وأسد ابنا خزاعة ، ومن طابخة ضبة بن طابخة ، ومزينة والزباب ، وهم عدى وتميم بن مر بن أد بن طابخة ، وتور وعُكل بن مدركة ، وقريش وهو في كنانة .

ومنها سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى ما في كنانة من الشجعان المشاهير في الجاهلية .

ومن طابخة تميم ، وهي أكبر قبيلة في العرب وأشجعها ، وهي عدد لا يحصى ، ومن لا يدرك .

وقال المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وفود قبائل العرب ودّها بئرهم فقال : ليلبس هذين البرذنين أكرم العرب وأشرفهم حسباً وأعزهم قبيلة ، فأحجم الناس ، فقام الأحمر بن خلف بن بهذلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، فلبس أحدهما وارتمى الآخر ، فقال له المنذر : ما حجتك فيما ادعيت ؟ قال : الشرف من نزار في مضر ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في بهذلة ، قال : هذا أنت في أصلك ، فكيف أنت في عشيرتك ؟ قال : أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة قال : هذا أنت في عشيرتك ، فكيف أنت في نفسك ؟ فقال : شاهد المعين شاهدي ، ثم قام فوضع قدمه في الأرض ، وقال : من أزالها فله مائة من الإبل ، فلم يبق إليه أحد ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

فما نَمَ في سَمَدٍ ولا آل مَالِكٍ      غلام إذا ما قيل لم يقبِهْدَلِ (١)  
 لهم وهَبَ الله ما كان بُردى محرق      بمجد ممد والمديد المحصل  
 فاختدَف هذا الفخر في الجاهلية ثم النبوة ، ثم الملك إلى يوم القيامة وفيها  
 يقول الراجز :

\* وختدَف هامة هذا العالم \*

\* \* \*

[ ذكر الخنساء ]

وأما الخنساء فهي تُماضر بنت عمرو بن الشريد ، من مَراة قبائل سُليم بن  
 منصور بن هكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان ، قدمت على رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم مع قومها بنى سُليم ، ولَسَلِمَ في الإسلام سابقة حسنة ، حضر منهم  
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحرب حُنين ألف رجل .

وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستغشد الخنساء ويهتجبه  
 شعرها ، فكانت تنشده وهو يقول : هيه يا خنساء ! ونظرتها عائشة رضي الله  
 عنها ، وعليها صِدَارٌ من شعر ، فقالت : يا خنساء ، أتلبسين الصِّدار وقد نهى عنه  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : لم أعلم بنهى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ؛ وكان للصِّدار سبب ، كان زوجي رجلاً مَعْلَافاً فأملق ، وأراد أن يسافر ،  
 فقلت له : أقم حتى آتي أخى صخر ، فأنيتَه فشاطرني ، ماله فأتلفه زوجي ، فمدت  
 إليه فعاد بمثل ذلك ، فأتلفه زوجي ، فمدت إليه في الثالثة والرابعة ، فقالت له  
 زوجته : إن هذا المال مَعْلَف ، فامنعها شرار مالك ، فقال :

والله لا أمتحها شرارها وهي حصان وقد كفتني عارها<sup>(١)</sup>  
ولو هلكت خرقت خمارها واتخذت من شعرها صدارها  
فلما هلك اتخذت هذا الصدار .

وقيل لجرير : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، لولا هذه الفاعلة - بمعنى الخنساء -  
قيل له : فيم فضلتك ؟ قال بقولها :

إن الزمان وما نفى عجائبه أبقى لنا ذنباً واستوصل الرأس<sup>(٢)</sup>  
أبقى لنا كل مجهول وفجعنا بالحالمين فهم هام وأرماس<sup>(٣)</sup>  
إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس  
فأجمع علماء الشعر أنه لم تسكن قط امرأة قلبها ولا بعدها أشعر منها .

وكان النابغة الذبياني يجلس لشعراء العرب بمكأظ على كرمي ، ينشدونه  
فيفضل من يرى تفضيله ، فأنشدته في بعض المواسم فأعجب بشعرها ، وقال لها :  
والله لولا أن هذا الأعمى أنشدني قبلك - يعني الأعشى - لفصلتك على شعراء .  
هذا الموسم .

وكان بشار يقول : لم تقل امرأة شعرا إلا ظهر الضعف فيه ، فقيل له :  
أو كذلك الخنساء ؟ فقال : تلك كان لها أربع خصي .  
ومن جيد ما رثت به صخرها قولها :

(١) شرح ديوان الخنساء ٢١ ، الأغاني .

(٢) ديوانها ١٥٥ ، وروايته : وما يفتي له عجب .

(٣) خنما : أحزننا ، والهام : جمع هامة ، أراد به هاهنا الجثث والمرقات . والأرماس :  
القبور ، جمع رمس .

ألا يا صخرُ إن أبكىْتَ عيني      لقد أضحكْتَنِي دَهْرًا طويلاً<sup>(١)</sup>  
بكيتُكَ في نساءِ مَمْلُوكاتِ      وكنتَ أحقَّ منْ أبدَى العوِيلاً  
دفعْتُ بكِ الجليلَ وأنتِ حَيٌّ      فن ذا يَدْفَعُ الخَلْطَ الجَلِيلَ  
إذا قَبِحَ البكاءُ على قَبولِ      رأيتَ بكاءَكَ الحَسَنَ الجَمِيلَ

ومنه :

يؤزِفني التذَكُّرُ حينَ أمسى      ويردُّعُنِي عن الأحزانِ نُكْسي<sup>(٢)</sup>  
على صخرٍ وأنتِ فتى كصخرٍ      ليومِ كَريهةٍ وطِمانِ خَاسِ  
ولم أَرِ مثلهُ رُزْءِ الجنِّ      ولم أَرِ مثلهُ رُزْءِ الإنسِ  
يذكِّرُنِي طلوعُ الشمسِ صَخراً      وأبكيه لَكلِّ غروبِ شمسِ  
ولولا كثرةُ الباكينِ حَوَّلِي      على إخوانهم لَقَلْتُ نَفْسِي  
وما يَبْكونَ مثلَ أخِي ولَمَكنْ      أعزَى النَّفْسِ عَنْهُ بِالتَّامِ

ومنه أيضاً :

أبعدُ أبْنِ عمرو من الِ الشَّريدِ حَلَّتْ بهِ الأرضُ أنْفَالُها<sup>(٣)</sup>  
لَقَمَرُ أَيَّهِ لَقَمَمَ الفَتَى      إذا الفَفسُ أعجَبُها مَالُها  
فإن تَكِ مُرَّةُ أودتْ بهِ      قَد كانَ يَكْثُرُ قَتْلُها  
فخرَ الشَّوامِخِ من قَدِيدِهِ      وزُلْزَلَتِ الأرضُ زَلْزالُها

(١) ديوانها ٢٢٥ .

(٢) ديوانها ١٥٠ ، وفيه : « مع الأحزان » .

(٣) ديوانها ٢٠١ ، وقبله :

ألا مالِ مملوك أم مالِها      وقد أخضل الدَّمعَ يَرزُبالها

ومنه أيضاً :

أعيني جوداً ولا نجمداً      ألا تبكيان لصخر القدي<sup>(١)</sup>  
 ألا تبكيان الجريء الجمل<sup>(٢)</sup>      ألا تبكيان الفتى السودا  
 طويل الدجادر فيع العما      دساد مشيرته أمرداً

ومنه أيضاً :

نمرقني الدهر نهشا وحزاً      وأوجعني الدهر قرماً وغمزا<sup>(٣)</sup>  
 وأفني رجالي فبادوا مما      فأصعبت من بينهم مستغزاً<sup>(٤)</sup>  
 كأن لم يكونوا حتى يفتي      إذ الفاس إذ ذك من عزبزا  
 وكانوا سراً بني مالك      ونخر العشرة مجداً وعزاً  
 جززنا نواصي فرسانها      وكانوا يظنون ألا تبعزاً  
 ومن ظن بمن يلاق الحرو      بآلأ يصاب فقد ظن عجزاً

ومنه أيضاً :

يا صخر و زاد ماء قد تبادره<sup>(٥)</sup>      أهل للوارد وما في ورده عار  
 مني السببنتي إلى هو جاء معضلة      له سلاحان أنياب وأظفار<sup>(٦)</sup>

(١) الديوان : ٤١ •

(٢) ديوانها ٤١ •

(٣) الديوان :

(٤) ديوانها ١٤٣ •

• فأصعب قلبي لهم مستغزاً •

(٥) الديوان : الفر •

(٦) ديوانها ٧٥ •

وما عَجُولٌ عَلَى بَوِّ نَحْنٍ لَهُ لَهَا حَبِيبَانِ إِعْلَانٍ وَإِسْرَارُ  
تَرْتَعِ مَارْتَعَتْ<sup>(١)</sup> حَتَّى إِذَا ذَكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ  
يَوْمًا بِأَوْجَعٍ مِنِّي حِينَ فَارَقَنِي صَخْرٌ فَلَدَهْرٍ إِحْلَاةٌ وَإِمْرَارُ  
وَأَنَّ صَخْرًا لَوَالِهِنَا وَسَيِّدُنَا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَارُ  
وَأَنَّ صَخْرًا لِنَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ  
وَحَدَّثَ الْمُنْضِلُ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا يَوْمًا عَلَى بَابِ مَنْزِلِي ، أَحْتَاجُ إِلَى دِرْهَمٍ  
وَاحِدٍ ، وَعَلَى دِينَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، إِذْ جَاءَنِي رَسُولُ الْهَدْيِ ، فَقَالَ : أَجِبْ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَمَا بَشْتُهُ إِلَى الْغُلَّةِ سَاهِيًا سَمَى بِي عَنْدَهُ . ثُمَّ  
دَخَلْتُ مَنْزِلِي ، وَلَبِسْتُ ثِيَابِي ، وَسَرْتُ إِلَهِهِ ، فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَوْمَأَ إِلَيَّ  
بِالْجُلُوسِ ، فَلَمَّا سَكَنَ جَأَشِي ، قَالَ لِي : يَا مُنْضِلُ ، مَا أَفْخَرُ بَيْتَ قَالَتِهِ الْعَرَبُ ؟  
فَأُتِجَ عَلَيَّ سَاعَةٌ ، ثُمَّ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلُ الْخُلَفَاءِ ، فَاسْتَوَى جَالِسًا  
وَكَانَ مَعَكُنَا ، فَقَالَ : أَيْ ، [ بَيْتٌ هُوَ ؟ ] فَقُلْتُ قَوْلَهَا :

وَأَنَّ صَخْرًا لِنَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فَقَالَ : قَدْ قُلْتَ لَهُ فَأَبَى عَلَيَّ - وَأَوْمَأَ إِلَى إِسْحَاقَ<sup>(٢)</sup> بْنِ بَزِيعٍ - قُلْتُ : الصَّوَابُ  
مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُنْضِلُ ، حَدِّثْنِي حَدِيثَهُ حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ، قَالَ :  
أَنْشَدَنِي ، فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَ الْحَسَنِ بْنِ مُطَهَّرِ الْأَسَدِيِّ :

وَقَدْ تَغَيَّرَ الدُّنْيَا فَوَضَحَى غَيْثُهَا فَقِيرًا وَبَثَّرَى بَعْدَ بَوْسٍ قَهْرُهَا  
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ تَغْيِيرٍ عَيْشَةٍ وَأُخْرَى صَفَا بَعْدَ كَدٍّ خَدِيرُهَا  
فَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ حَلَاوَتُهُ تَنْفَى وَيَبْقَى مَرَبُّهَا

(٢) مِنَ الْأَغَاثِي .

(١) ط : « فُكِلَتْ » .

(٣) فِي الْأَغَاثِي : نَأْوَمًا إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ بَزِيعٍ ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ قُلْتَ لَهُ ذَلِكَ فَأَبَاهُ .

( ٢٣ - شَرْحُ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ ج ٤ )

وكان المهدي رقيقاً فبكى ، وقال : يا مفضل ، كيف حالك ؟ قلت : كيف يكون حال مَنْ عليه عشرة آلاف درهم ، وليس معه منها درهم واحد ، قال : يا إسحاق ، أعطه عشرة آلاف درهم قضاء لدينه ، وعشرة آلاف درهم يستعين بها على حاله ، وعشرة آلاف درهم يصلح بها من شأنه <sup>(١)</sup>.

ورأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الخنساء تطوفُ بالبيت محلوقة الرأس ، تبكى وتلطم خدّها ، وقد علقت نعلَ صَخْرٍ في خوارها ، فوعظها فقالت : إِنِّي رُزِيتُ ظَرْساً لَمْ يُرْزَأْ أَحَدٌ مثله ، فقال : إِن في الناس مَنْ هو أعظم مرزاةً منك ، وإِن الإسلام قد غطّى ما كان قبله ، وإِنَّه لا يَحِلُّ لَكَ لطمُ وجهك ، ولا كشف رأسك ، فكفّت من ذلك وقالت :

قَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكَ وَاسْتَفِيقِي      وَصَبْرًا إِنْ أَطَقْتِ وَلَنْ تُطِيقِي <sup>(٢)</sup>  
وَقُولِي إِنَّ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ      وَأَكْرَمَهُمْ بِصَحْرَاءِ الْعَفِيقِ  
أَلَا هَلْ تَرْجِي مَنْ لَنَا إِلَهًا إِلَى      وَأَيَّامٌ لَنَا بِلَوَى الشَّقِيقِ  
وَإِذْ فِينَا مَعَاوِيَةُ بْنُ حَمْرٍو      عَلَى أَدَمَاءَ كَالْجُلُجْلِ الْفَنِيقِ <sup>(٣)</sup>  
فَنَبْكِيهِ فَقَدْ أَوْدَى حَمُودًا      أَمِينَ الرَّأْيِ عَمُودَ الصَّدِيقِ <sup>(٤)</sup>  
فَلَا وَاللَّهِ لَا تَسْلُوكِ نَفْسِي <sup>(٥)</sup>      لِفَاحِشَةٍ أَتَيْتُ وَلَا عُمُوقِ <sup>(٦)</sup>  
وَلَسَكُنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرًا <sup>(٧)</sup>      مِنَ التَّغْلِيلِ وَالرَّأْسِ الْخَلِيقِ

وأما أبو العباس المبرد فقال : وقالت الخنساء ترى أخاها معاوية بن عمرو ، وكان أخاها لأبيها [ وأُمها ، وكان صخر أخاها لأبيها ] <sup>(٨)</sup> وكان أحبهما إليها ،

(١) الخبر والعمر في الأغاني ١٦ : ٢١ ، ٢٢ . (٢) ديوانها ١٧٣ .

(٣) أدماء : نالة بيضاء . والفنيق : الفحل من الإبل .

(٤) الديوان : « فبكيه » . (٥) الديوان : « ماسليت نفسي » .

(٦) الديوان : « بفاحشة علقت » .

(٧) الديوان : « بمالقة فإن الصبر خير » . (٨) من السكامل .

واستحق ذلك لأمر : منها أنه كان موصوفاً بالحلم مشهوراً بالجلود ، معروفاً بالتقدم والشجاعة ، محظوظاً في المشهورة ، ثم أنشد الأبيات المقدمة <sup>(١)</sup> .

وكان صخر أحمل رجل في العرب ، وكان سبب قتله أنه جمع جمعاً ، وأغار على بني أسد بن خزيمه ، فنذروا به والفقوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فرفض أصحاب صخر عنه ، فطمنه ربيعة بن ثور الأسدي ، فأدخل جوفه حلقة من الدرع ، فاستقل <sup>(٢)</sup> منها ، وسار إلى أهله فاندمل عليه الجرح ، وتأنى منه مثل الهدى ، فأضناه ذلك حولاً ، فسمع سائلاً يقول لامرأته : كيف صخر اليوم ؟ فقالت : لحي فبرجى ، ولانيت فينقى ، ولقد لقينا منه الأمرين - وامرأته بديلة الأسدية وكان سبأها من بني أسد ، وانخذها لنفسه - فلما سمع قولها علم أنها برمت منه ، ورأى نحران <sup>(٣)</sup> أمه عليه ، فقال :

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا      وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مُضْجِعِي وَمَكَانِي  
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ جِنَازَةً      عَلَيْكَ ، وَمَنْ يَفْتَرُّ بِالْخَدَّائِنِ  
أُمِّ بَأْسِ الْحَزْمِ لَوْ اسْتَطِيعَهُ      وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعِمْرِ وَالْأَنْزَوَانِ  
لِعَمْرِي قَدْ نَبِهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا      وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ  
فَأَيُّ اسْرِيءَ سَاوِي بِأُمِّ حَلِيلَةٍ      فَلَاحِشٍ إِلَّا فِي شَقَى وَهَوَانِ

ثم عزم على قطع ذلك الموضع ، فلما قطعه يئس من نفسه ، فقال :

أَجَارَتْنَا إِنْ ائْطُوبَ قَرِيبُ      عَلَى النَّاسِ ، كُلِّ الْخَطِئِينَ تَصِيبُ  
أَجَارَتْنَا إِنْ غَرِبَ غَرِيبَانِ هَاهُنَا      وَكُلِّ غَرِيبٍ لِّلْغَرِيبِ نَسِيبُ

(١) الكامل ٤ : ٥١ .

(٢) ط : « فاستقل » تحريف . وفي الكامل : « استقل بها » .

(٣) الكامل : « حزن أمه » .

فلما مات دفن في أرض بنى سليم بقرب عيب<sup>(١)</sup>.

وحضرت الخنساء القادسية مع بنينا وم أربعة رجال ، فقالت لهم من أول الليل : يا بني إنكم أصلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو ؛ إنكم لبنور رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ماخفت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعملون ما أعد الله تعالى للمؤمنين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين . واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الدنياه ، يقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَوَازِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، فإذا أصبعتهم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا لقتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت من ساقها ، وجلت نارا على أوراقها ، فتيمموا وطيسها ، وجاهدوا ريسيسها ، تظاهروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة . فلما أضاء لهم الصبح باكروا مرا كزم فتقدموا واحداً بعد واحد ، يُنشدون أراجيز يذكرون فيها وصية المجوز لهم ، حتى قتلوا من آخرهم ، فبأنها الظير ، فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقلمهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة .

وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنينا الأربعة ، وكان لكلٍ منهم مائتة درهم ، حتى قبض رضي الله تعالى عنه .

قوله : قهدة رحلى ، أى امرأة يلقى . وناقاة طروقة : بلغت أن يطرقها الفعل . وأنفت . استنكتفت وكرهت .

\*\*\*

قال : فتذمرت المرأة وتذمرت ، عن ساعدها وشمرت ، وقالت له : يا ألام من مادر ، وأشام من فاشير ، وأجبت من صافر ، وأطيش .

(١) الخبر والشعر في الكامل ٤ : ٦٦ ، مع اختلاف في العبارة وتغيير في الأبيات .

من طامر؛ أترميني بشنارك، وتفرى عريضى بشفارك، وأنت تعلم  
أنك أحقر من قلامة، وأعيب من بزة أبي دلامة، وأفضح من  
حبة، في حلقة، وأحير من بقة، في حقة.

ومبك الحسن في وعظه وأنفذه، والشعبي في علمه وحفظه،  
والخليل في مروضه ونحوه، وجريراً في غزله ومجوه، وقسافي  
فصاحته وخطابته، وعبد الحميد في بلاغته وكتابته، وأبا عمرو في  
قراءته وإعرايه، وابن قريش في روايته عن أعرابه؛ أنظني  
أرضاك إماماً لمخزأبي، وحسماً لقرباني، لا والله ولا بواباً لبأبي،  
ولا فصلاً لجرباني.

\* \* \*

تذمرت: غضبت، وتذمر الرجل، إذا رأى ما يكرهه فنضب ونهدد، والتذمر:  
اللام والحض، وتذمر قائد الجيش أصحابه يذمرهم، إذا لامهم وأصمهم ما يكرهون  
ليجذوا في القتال. تفترت: تشبهت بالنمر، ولا يوجد النمر إلا مستكراً  
مضباناً، ونمر الرجل وتفتت: تفكك وتغير. حسرت عن ساعدها: شمرت عن  
ذراعها. أطيش: أخف، والطيش: خفة العقل.

والطامر: البرغوث، يقال له طامر ابن طامر. قال الأصمعي: كنت بالبادية  
فرايت أعرابياً قد بسط كساءه ليفليه في الشمس، فوقفت أنظر إليه، فجعل  
يأخذ البراغوث، ويدع القمل، فقلت له: لم تأخذ بعضاً وتدع بعضاً؟ فقال:  
أبدأ بالفرسان ثم أعكر<sup>(١)</sup> على الرجال.

(١) عكر على الشيء: كره وانصرف إليه.

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يسبُّ برغوثاً، فقال : « لا تنسبه فإنه نبيه نبياً من الأنبياء لصلاة الفجر » .

أبو الدرداء رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا آذاك البراغيث ، فخذ قَدْحاً من ماء ، واقرأ عليه سبع مرات ، ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ التَّوَكَّلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . فكفوا شرَّكم وأذاكم هنا ، ثم تَرَشَّ الماء حول فراشك ، فإنك تبیت الليلة آمناً من شرِّها » .  
شَنَارَك : عيبك وعارك . تَفَرَّى : تقطع ، وفَرَّى : يستعمل في القَطْع على جهة الإصلاح ، وقد جاء هنا في الإنشاء ، ومنه قول الشاعر :

فَرَى نَائِبَاتُ الْأَهْمَرِ بَيْنَ وَبَيْنِهَا وَصَرَفَ الْيَالِي مِثْلَ مَا فَرَى الْجِلْدُ

ابن سيدة : فَرَى الشيء يفريه فريباً وفَرَاهُ تفريةً ، كلاهما شقٌّ وأفسده .  
وأفراه أصلحه ، والمُفَرِّقُونَ من أهل اللغة ، يقولون : فرى : شقَّ للإفساد وأفرى للإصلاح . وقيل : أفراه أفسده ، وفراه : قطعه للإصلاح . قال الأصمعي رحمه الله : أفرى الجلدَ مَزَقَهُ وأفسده ، يُفريه إفراءً ، وفري المَزَادَةُ بفريها فريباً : خرزها .  
القَلَامَةُ : ما يقص من الظفر ، وبها يتعلق وسخه ، فهي مع حقارتها مستفدرة .

### [ ذكر أبي دلالة ]

وأما أبودلالة، فاسمه زَنْدٌ - باللون - بن الجون ، وهو كوفي أسود ، مولى لابي أسد ، أدرك آخر أيام بني أمية ، ونهغ في أيام بني العباس ، ومدح السَّفَاح والنصور والمهدى ، وكان صاحب نوادر ومُلَحٍّ ، وكان خليعاً فاسد الدين ، ردى المذهب ، وقد تقدّم له شيء من ذلك في الصَّلَاة والحج ، ونذكر له هاهنا شيئاً في الصيام ، ونضيف له فنوناً من سائر مُلَاحِهِ .

وأما بقاته فكانت جامعةً لعيوب الدواب كلها ، وكانت أشوة الدواب -

(١) سورة إبراهيم ١٢

خِلْقَةً فِي مَنَظَرِ الْعَيْنِ، وَأَسْوَأَهَا خِلْقًا فِي مَخْبَرِهَا، فَكَانَ إِذَا رَكِبَهَا تَبِعَهُ الصَّبِيَانِ  
يَقْضَا حَكُونَ بِهِ، وَكَانَ يَقْصِدُ رُكُوبَهَا فِي مَوَاقِبِ الْخُلَفَاءِ وَالْكِبَرَاءِ، لِيَضْحَكَهُمْ  
بِشَاسِهَا؛ حَتَّى نَظَمَ فِيهَا قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ<sup>(١)</sup> وَهِيَ:

أَبْعَدَ الْخَلِيلِ أَرْكَبُهَا كَرَامًا      وَبَعْدَ الْفَرْغِ مِنْ حُضْرِ الْبَغَالِ<sup>(٢)</sup>  
رُزِقْتُ بُعْمَلَةً فِيهَا وَكَالٌ      وَلَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الْوِكَالِ<sup>(٣)</sup>  
رَأَيْتُ عَيُوبَهَا كَثُرَتْ وَغَالَتْ<sup>(٤)</sup>      وَإِنْ أَكْثَرْتُ نَمَّ مِنَ الْمَقَالِ<sup>(٥)</sup>  
لِيُحْصِيَ<sup>(٦)</sup> مَنْطِقِي وَكَلَامَ غَيْرِي      عَشِيرَ خَصَالِهَا، شَرُّ الْخِصَالِ<sup>(٧)</sup>  
فَأَهْوَنُ عَيْنِيهَا أَنِّي إِذَا مَا      نَزَلْتُ وَقُلْتُ: إِمْسِي لِاتَّبَاعِي  
تَقُومُ فَمَا تَبَدَّتْ<sup>(٨)</sup> هُنَاكَ شَيْئًا      وَتَرْتَحْنِي وَتَأْخُذُنِي قِتَالِي  
وَحِينَ رَكِبْتُهَا أَذَيْتُ نَفْسِي<sup>(٩)</sup>      بِضَرْبِ بَالِيَيْنِ وَبِالسَّمَالِ<sup>(١٠)</sup>

(١) وردت هذه القصيدة في ثمار القلوب للشمالي ٣٦١-٣٦٤، وكتاب الغول في البغال  
للجاحظ، وأبيات منها في الأغاني ١٠: ٢٦٥، ونهاية الأرب ١٠: ٨٩.

(٢) ثمار القلوب: «بعد الفرغ» والبيت في كتاب البغال ونهاية الأرب:

أَبْعَدَ الْخَلِيلِ أَرْكَبُهَا وَرَادًا      وَشُقْرًا فِي الرَّحِيلِ إِلَى الْفَعَالِ

(٣) الوكال: الحسب والبطء.

(٤) كذا في كتاب البغال: وفي ثمار القلوب: «وميت فيها». وفي نهاية الأرب:  
«وعالت» وقرأ: «ولست».

(٥) كتاب البغال ونهاية الأرب وثمار القلوب: «ولو أفنيت مجتهدا مقال».

(٦) ثمار القلوب: «ليحصي».

(٧) ثمار القلوب: «فخير خصالها شرح الحصال»، ولم يرد هذا البيت في نهاية الأرب.

(٨) ثمار القلوب: «فاستبرهناك سيرا». وفي كتاب البغال: «تقوم فما تريم لافا».

استعجنت».

(٩) ثمار القلوب: «وحين ركبته أذيت نفسي».

(١٠) ثمار القلوب: «أركبها».

وبالزجلين أركضها جمعا  
أناي خائب يستنأم<sup>(٢)</sup> متى  
وقال تبعمها ؟ قلت أرتبطها  
فأقبل ضاحكا نحوى سرورا  
هلم إلى يخلو بي خداعا<sup>(٣)</sup>  
قلت بأربعين فقال أحسن  
فأنرك خمسة منها لعلني  
فلما ابتاعها مني وبنت  
أخذت بثوبه وبرئت مما  
برئت إليك من ممش<sup>(٤)</sup> قديم  
فها لك في الشقاء وفي الكلال<sup>(٥)</sup>  
عريق<sup>(٦)</sup> في الخسارة والضلال  
بحبك إن يعمي غير غال  
وقال أراك سهلا ذا جال  
وما يدري الشقي بمن يحالي  
إلى فإن مثلك ذو سجال<sup>(٧)</sup>  
بما فيه بصير من الخبال  
له في البيع غير المستقال  
أعدت عليه من سوء الخلال  
ومن جرد<sup>(٨)</sup> ومن ببال الخالي<sup>(٩)</sup>

(١) بعده في كتاب القول في البغال ونهاية الأرب :

رياضة جاهلٍ وعليج سوءه  
من الأكراد أحبن ذى سعال  
شقيم الوجه هلباج هدان  
نموس يوم حلٍ وارتحال  
فأذهبها بأخلاق سماج  
جزاه الله شرا عن عوالي  
فلما هدني ونفى رقادى  
وطال لذلك همى واشتغالى  
أنيت بها الكفاسة مستغنيا  
أفكر دائما كيف احميالى  
بمهمة سلمة ردت قديما  
أطمئنها على الداء المضال  
فبينما فكرتني في السوم تمرى  
إذا ما نمت أرخص أم أغالى

(٢) كتاب البغال وثمار القلوب ونهاية الأرب : « حتى شق » .

(٣) فيما عدا القريبى : « قديم » .

(٤) كتاب البغال ونهاية الأرب : « وراوغني ليلخلو بي خداعا » .

(٥) السجال هنا : المباراة والساجلة ، يريد أنه لا يماكس في الثمن » .

(٦) اللشش : ورم يأخذ في مؤخر عظم الوظف أو باطن الساق .

(٧) الجرد في الدواب : ورم في مؤخر عروق الفرس يعظم حتى يمنه المشى .

(٨) في كتاب البغال ونهاية الأرب وثمار القلوب : « وتغريق الجلال » وبعبده فيها :

ومن فرط الحران ومن جهاج  
ومن ضعف الأسافل والأعال

ومن فتق بها في البطن ضخم  
ومن قطع اللسان ومن بياض  
ومن عض الغلام ومن خراط<sup>(٣)</sup>  
وأفطى من فرج الذر مشها  
وتكسر سرجها أبدا شماسا  
ويذبر ظهرها من مس كف  
نظلت لركبة منها وقمدا  
ومشغار<sup>(٧)</sup> تقدم كل سرج  
وتخفى لونسير على الحشايا  
إذا استعملتها عتوت وبالت  
وتضرب أربعين إذا وقفنا  
فقطع مطلق ونحول بيني  
وتذعر للدجاجة إذ تراها

ومن عقالها<sup>(١)</sup> ومن انفثال  
بعينها ومن قرض الحبال<sup>(٢)</sup>  
إذا ماتم صحك بارتحال  
بها عرن ودا من سلال<sup>(٤)</sup>  
وتقص للإكاف على اغتيال<sup>(٥)</sup>  
وتهزم في الجلم وفي الجلال<sup>(٦)</sup>  
يخاف عليك من ورم الطحال  
تصير دقيد على القذال  
ولو تمشى على دمث الرمال  
وقامت ساعة عند البال  
على أهل المجالس للسؤال  
وبين حديثهم فيما توالى  
وتنفّر للصغير وللخمال

(١) العقال : داء يأخذ في قوائم الدابة .

(٢) كتاب البغال : « بناظرها ومن حل الحبال » ، وبعده :

وعقال يلازمها شديد  
تقطع جلدها جربا وحكا  
ومن هذم المايف والركال  
إذا هزلت وفي غير الهزال

(٣) كتاب البغال ونهاية الأرب : « ومن عض العضاض ومن عباب » .

(٤) العرن : داء يأخذ الدابة في آخر رجلها ، وفي غير العربي : « وألف »

(٥) في كتاب الهزال :

ونلقى سرجها أبدا شماسا  
وتنقط في الوحول وفي الرمال

(٦) في نهاية الأرب :

وتهزم لها الجلم إذا خصينها  
ويذبر ظهرها من الجلال

(٧) ط : « ومشغار » ، والصواب ما أنبئه من نهاية الأرب .

فَأَمَّا الْاِغْتِلَافَ فَأَذِنَ مِنْهَا      مِنْ الْأَتْبَانِ أُمُشَالُ الْجِبَالِ  
وَأَمَّا الْقَتَّ فَاتٍ بِالْفِ وَفَرٍ      بِأَعْظَمِ حَمَلٍ أَحْمَالُ الْجَمَالِ  
فَلَسْتُ بِعَالِفٍ مِنْهَا ثَلَاثًا      وَعِنْدَكَ مِنْهُ عَوْدٌ لِلْغِلَالِ  
وَأِنْ عَطِشْتُ فَأَوْرَدَهَا دُجَيْلًا      إِذَا أَوْرَدْتَ أَوْ نَهْرِي بِلَالٍ <sup>(١)</sup>  
فَذَلِكَ لِرِيَّهَا سَقِيَتْ حَمِيًّا      وَإِنْ مَدَّ الْفَرَاتُ فَلَا تَهَالِ  
وَكُنْتَ قَارِحًا أَيَّامَ كَسْرِي <sup>(٢)</sup>      وَتَذَكَّرْ نُبْعًا هُنْدُ الْفَعَالِ  
وَقَدْ دَبَّرْتَ وَنُعْمَانٌ صَبِي <sup>(٣)</sup>      وَقَبْلَ فِصَالِهِ تِلْكَ الْإِسَالِ <sup>(٤)</sup>  
وَتَذَكَّرْ إِذْ نَشَأَ بِهَرَامٍ جُورٍ <sup>(٥)</sup>      وَعَامِلُهُ عَلَى خَرْجِ الْجَوَالِ  
وَقَدْ مَرَّتْ بِقَرْنٍ بِمَدِّ قَرْنٍ      وَآخِرُهُ مَهْدِيهَا لِهَلَاكِ مَالِ  
فَأَبْدِنِي بِهَا بَارِبَ طِرْفَا <sup>(٦)</sup>      يَزِينُ جَمَالَ مِشْيَتِهِ بِجَمَالِ

وَأُنْشِدَهَا الْمَهْدَى ، فَقَالَ : لَقَدْ أَقْلَتَ مِنْ بَلَاءٍ عَظِيمٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ مَكَّثْتُ شَهْرًا أَنْتَوِّعُ صَاحِبَهَا أَنْ يَرُدَّهَا . فَقَالَ الْمَهْدَى لِصَاحِبِ دَوَابِّهِ :  
خَيْرُهُ بَيْنَ مَرَكِبِينَ فِي الْإِصْطَبْلِ ، فَقَالَ : إِنْ كَانَ الْاِخْتِهَارُ إِلَى فَقَدْ وَقَعْتَ فِي شَرِّ  
مِنَ الْبَغْلَةِ ، وَلَكِنْ مَرَهُ يَخْتَرُ لِي ، فَعَمِلَ .

وَفِي الْقَصِيدَةِ أَلْفَاظٌ مِنَ الْغَرِيبِ أُبَيِّنُهَا ، فَهِيَ يَقَالُ : وَآكَلَتْ الْعَدَابَةَ  
وَكَالَا : أَسَاءَتْ لِلسَّيْرِ . وَرَمَحَتْ تَرْمِجَ : ضَرَبَتْ بِرَجْلَيْهَا وَالْمَشْشُ : دَاءٌ فِي قَوَائِمِهَا .  
وَالْجُرْدُ : اسْتَرْخَاءُ الْعَصَبِ ، وَالْعُقَالُ : أَنْ تَنْقَبِضَ الْقَوَائِمُ وَلَا تَنْهَيْتُ ، وَالْخِرَاطُ :

(١) يُشِيرُ إِلَى النَّهْرِ الَّذِي حَفَرَهُ بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ بِالْبَصْرَةِ .

(٢) الْقَارِحُ مِنْ ذِي الْخَافِرِ : الَّذِي شَقَّ نَاجِيَهُ وَطَلَمَ .

(٣) كِتَابُ الْبَغَالِ : « وَنُعْمَانُ فَطِيمٌ » .

(٤) كِتَابُ الْبَغَالِ : « وَذُو الْأَكْتَفِ فِي الْحَجَجِ الْحَوَالِ » .

(٥) بِهَرَامِ جُورٍ ، مِنْ مُلُوكِ سَاسَانَ .

(٦) الطَّرْفُ : الْفَرَسُ الْجَوَادُ .

الجاح ، والتَرَن : حكة وشقاق في القوائم ، وقد عرن عَرْنَا ، وقص يقمص ويقمص  
قصا وقمصا : رفع يديه ممّا وطرحهما ممّا ، وعجن يديه ، وقطا يقطو :  
قارب الخطو .

وكان لأبي دلامة يرذون أعجف محطّم هريم ، فدخل على المهديّ يوما  
وبين يديه سلّة الوصيف ، قال : يا أمير المؤمنين ، إني جلبتُ لهابك مهرًا  
ليس لأحدٍ مثله ، وأحببت أن أهديه لك ، فإن أحببت أن تشرّ في بقبوله فأمر  
بإدخاله ، فخرج وأدخل برذونه ، فقال له المهديّ : أيّ شيء هذا وبلك ! ألم تزعم  
أنه مُهر ، فقال له أبو دلامة : أو ليس هذا سلّة الوصيف قائما بين يديك تسميه  
الوصيف وله ثمانون سنة ! فإن كان سلّة وصيفًا فهذا مُهر ، فجعل المهديّ  
بضحك وسلّة يشقه ، فقال له المهديّ : وبلك ! إن لهذه أخوات ، والله  
ليضحكن بك في المحافل . قال : والله يا أمير المؤمنين لأنضحتنه ، فليس في  
مواليك أحد إلّا وقد وصلني غيره ، فما شربت الماء له قط . فحك عليه المهديّ  
أن يشتري نفسه بثلاثة آلاف درهم ، فقال له سلّة . على ألاّ تعاود ، فقال  
أبو دلامة : أفعل ، فحملها إليه .

وعما ينتظم بهذا النمط أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حلّ أبا العيناء على  
فرس ، فكذب إلى أبيه : أعلم الأمير أمره الله أن أبا محمد أراد أن يبرّني فمضى ،  
وأن يركبني فأرجاني ، أمر لي بدابة تقف للنبذة ، وتغرّ بالنبذة ، كالغضب  
الهابس عفاء ، وكالمهجور الهائس دفاء ، قد أذكر الرواة عروة المذرى  
والجنون العامريّ ، مباعداً أعلاه لأسفله ، حباقة مقرون بسعاه ، فلو أمسك  
لترجيت ، ولو أفرد لتعزّبت ، واسكنه يجمعها في الطريق للعمور ، والجلس  
المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، يضحك من فعله النّسوان ،  
ويقتاع من أجله الصبيان ، فن صائح بصبح : داوه بالطباشير ، ومن قائل

يقول : نَقَّ له الشعر ، قد حفظ الأخبار وروى الأشعار ، ولحق العلماء في  
 الأمصار ، فلو أعين بنطق لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي وعامر الشعبي .  
 ولم أوتَ من أمر الأمير أعزّه الله ، وإنما أُتيتُ من كاتبه الأعور ؛ الذي إذا  
 اختار لنفسه أصاب وأكثر ، وإذا اختار لغيره أخبث وأنزر ، فإن رأى الأمير  
 أن يبدلني وبريحي بمركوب بضحكى كما أضحك مني ، يحمر بحسنه وفراجه ،  
 ما سطره العيب بقبحه ودنائه ، ولست أذكر سرجه وجامه ، لأن الأمير أكرم  
 من أن يساب ما يهديه ، وينقص ما يمضيه . فوجهُ إليه يردون بسرجه وجامه ،  
 ثم اجتمع بابنه محمد عنده ، فقال له عبيد الله : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني أنه  
 يشتريه الآن منك بمائة دينار ، وهذا ثمنه لا يؤخر عنك ، فقال : أعز الله الوزير  
 لو لم أكذب مستزبدا ، لم أذهب مستفيدا ، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز :  
 ﴿ أَنَا وَادُوتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وقال ابن رشيقي في بقل :

أوصيكَ بالهفل شراً	فإنه ابن الحمار <sup>(١)</sup>
لا يصالح الهفل إلا	لكدِّ والأسفار
كالعبدان لم تُهنئ	جَنَى على الأحرار
ما اعراض بفلأ يطرف	إلا أخو إدبار <sup>(٢)</sup>

وله أيضاً فيه :

فأوصيكو بالهفل شراً فإنه	من العَيْرِ في سوء الطَّبَاعِ قريب <sup>(٣)</sup>
وكيف يحمي الهفلُ يوماً بحاجه	تَسَرَّ وفيه لَحْمٌ نصيباً

(١) نَفْلُه الميمى في التنف ٣٦ .

(٢) الطرف بالكسر : الفرس الجواد ؛ والباء دخلت على المتروك .

(٣) نَفْلُه الميمى في التنف ٦ .

وله من قصيدة :

أَوْ بَعْدَ لَيْلٍ سَفَوَاءَ تَعْرِضُ لِفَتَى      فَتُضَالُ نَحْتُ السَّرْنَجِ أُمٌّ غَزَالٍ<sup>(١)</sup>  
سَأَلْتُ إِلَى الْأُمِّ الدَّجَابَةِ مِنْ أَبِي      وَزَهَتْ عَلَى الْأَهَامِ وَالْأُخْوَالِ  
وَكَأَنَّهَا قَدْ أَفْرِغَتْ فِي قَالِي      لِأَنَّهَا خُلِقَتْ عَلَى تِمْنَالِ  
وله من قصيدة أيضاً :

كَأَنِّي بَعْضُ نُجُومِ السَّمَاءِ      تَصْعَدُ فِي الْجَوِّ ثُمَّ انْخَدِرُ  
عَلَى رِسَالَةٍ مِنْ هَيْبَاتِ الْمَوِ      لِكِ سَفَوَاءَ مَلُومَةٍ كَالْحَجَرِ  
تَعَاوَنَ فِي جَبْدِلِ أَعْضَائِهَا      بَنُو أَخْدَرٍ وَبَنَاتِ الْأَفْرِ  
ولمجد بن يسير<sup>(٢)</sup> الخارحى في بئلة :

تَزَهَتْ مِنْ الْخَلِيلِ الْعِثَاقُ نَجَادَهَا      مِنْهَا وَعِثَقَ سَوَافٍ وَلَبَّانٍ<sup>(٣)</sup>  
وَلَهَا مِنَ الْأَعْمَارِ عِنْدَ مَسِيرِهَا      قِيَحَةٌ<sup>(٤)</sup> وَطُولُ صَبَارَةٍ وَمِرَانٍ  
رجعنا إلى أخيار أبي دلالة .

يحكى أن المهديّ أو المنصور - أنشده ما أعجبه ، فكساه طيلسانا وأمر له  
بمال ، وعاهدته ألاّ يشرب الخمر ، فحلف له وخرج إلى بني داود بن عليّ  
فضحكوا به . وقصّ عليهم خبره فسقوه حتى أسكروه وأخرجوه ، فأعلم  
المهديّ الخمر ، فأرسل فيه ، وأمر الرسول بسجته وتغريق ساجه ، وألاّ يمكن

(١) قلله في التنف ٦٣ .

(٢) ط : « بشر » تحريف ، وهو مجد بن يسير ، عامر ظريف من المحدثين . وله ترجمة في  
العصر والشعراء ٨٧٩ - ٨٨٠ والأغانى ١٢ : ١٣٩ - ١٣١ .

(٣) القول في البغال ٧٥ من مقطوعة طلب فيها من موسى بن عمران بئلة لرحله . وفيه :  
« نجاهما » .

(٤) القول في البغال « جد » ، وفيه « قال ذلك لأن حافر المير أوقف الحوافر » .

عن قرطاس ولا مداد ، ففعل به الرسول ذلك ، فانقبه في جوف الليل فنادى جاريته فقال له السجبان: طمئة في كبذك فقال له : ويلك لمن أنت ، وأين أنا ؟ فقال له : سَلْ نفسك أين كنت عشاء أمس ؟ فاستحلفه مَنْ أنت؟ فقال : أنا السجبان ، بعث بك أمير المؤمنين وأنت سَكْران ، فأمرني أن أحبسك مع الدجاج ، فقال : أحب أن تُسَرِّج لي سراجا ، وتأتييني بدواة وقرطاس ، ولك هندی صِلَة ، فقال له: أما السراج فنعم ، وأما القرطاس والدواة ، فقد أمرت ألا أمكنك منهما . فلما أتاه بالسراج وجد ساجه مخروفا ملطخا بإزبال الدجاج ، ورأى نفسه جالسا بينها ، فقال له : ادع لي ابني دلامة ، فدعاه ، فأمره أن يجيّد حلقة رأسه ، وأن يأتيه بفخمة ، ففعل ، فكتب على رأس ابنه :

أَمِنْ صِهْبَاءٍ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ      كَانَ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ<sup>(١)</sup>  
 نَهَشَ لَهَا الْقُلُوبَ وَتَشْتَبِهَا      إِذَا بَرَزَتْ تَرْتَفِقُ فِي الزُّجَاجِ  
 أَقَادَ إِلَى السَّجُونِ بَنِي جُرْمٍ      كَأَنِّي بَعْضُ عَمَالِ الْخِرَاجِ  
 وَلَوْ مَعَهُمْ حَبِستَ لَكَانَ خِمْرًا      وَلَكِنِّي حُبِستُ مَعَ الدَّجَاجِ<sup>(٢)</sup>  
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَدَنِكَ نَفْسِي      فَهَيْمَ حَبِستُنِي وَخَرَقْتَ سَاجِي  
 عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَاقَيْتَ شَرًّا      تَلْبِيزُكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

ثم قال : يا أمير المؤمنين، هذه أمانة ، فإذا قرأتها فزق الرقعة. ثم أمر دلامة أن يدخل على أمير المؤمنين ويقرئه ما في رأسه ، فأتى الباب وصاح : دعوة

(١) وبمده في الأغاني :

وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَقِّي      لَقَدْ صَارَتْ مِنَ الْغَطَفِ الْقَفْصَاجِ

(٢) وبمده في الأغاني :

وَقَدْ كَانَتْ تَحْبِرُنِي ذُنُوبِي      بَأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِي

الظلم ، فعلم أمير المؤمنين بمكانه فأمر بإدخاله ، فكشف رأسه ، وقال : إن ظلامتي مكتوبة في رأسي ، فأذني منه حتى قرأها فاشتدّ ضعفه ، وعجب من حياته وأمر بإخراجه ، وقال : ما كان أحوج هذه الرقعة أن تمرّق ، ثم وصله بصلته ، ونهاه أن يوجد سكران <sup>(١)</sup> .

وخرج المهدي يتصيد ومعه علي بن سليمان ، فسمح له قطيع من الظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدي سهماً فصرع ظلياً ، ورمى علي بن سليمان سهماً فصرع كلباً ، فقال أبو دلالة :

قَدْ رَمَى الْمَهْدِيُّ ظَلِيًّا      شَقَّ بِالسَّهْمِ فُؤَادَهُ  
وَعَلَى بَنِ سُلَيْمَانَ      رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ  
فَهَبِثْنَا لَهَا كُلَّ امْرِئٍ      بِأَكْلِ زَادِهِ  
فَضَعَكَ الْمَهْدِيُّ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ .

ومن ملحه ، أنه دخل على المهدي ، وعنده وجوه بني هاشم ، فقال : أنا أعطى الله عهداً لئن لم تنتهج واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك ، فنظر إلى القوم ، فكلّمنا نظر إلى واحد غمزه بأن عليه رضاه ، قال : فعلت أئني وقعت ، وأنها عزيمة من عزماته لا بدّ منها ، فلم أر أدمى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

أَلَا أَيْلِخْ لِهَيْكَ أَبَا دُلَامَةَ      فَلَيْسَ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا كِرَامَةٍ  
إِذَا لَبِسَ الْعِمَامَةَ كَانَ قَرْدًا      وَخَنَزِيرًا يَكُونُ بِلَا عِمَامَةٍ  
جَعَتْ دِمَامَةٌ وَجَعَتْ لَوْثًا      كَذَلِكَ الْوُثْمُ تَقْوِمُهُ الدِّمَامَةُ  
فَإِنْ تَكُ قَدْ أَصَبْتَ نَعِيمَ دُنْيَا      فَلَا تَفْرَحْ فَقَدْ دَنَتْ الْقِيَامَةُ

(١) الخبر في الاغانى ١٠ : ٢٥٢ مع اختلاف في رواية الخبر والعمر .

فضحكوا ، ولم يبق أحد إلا أجازَه <sup>(١)</sup> .

وخرجت <sup>(٢)</sup> له صبيّة فأخذها على كنفه ، فبالت عليه فرمى بها ، وقال :

بَلَلْتُ عَلَى - لَاحِيَّتِ - نَوْبِي      فَبَالَ مَلِكُ شَيْطَانِ رَجِيمٍ  
فَمَا وَلَدْتُكَ مَرْيَمُ أُمِّ عِيسَى      وَلَا رَبَّكَ لَقَمَانُ الْحَكِيمِ  
وَلَكِنْ قَدْ تَضَمُّكَ أُمُّ سَوْءٍ      إِلَى لَبَاتِهَا وَأَبُ لَثِيمِ

ولما خرجت الخيزران إلى الحج تلقّاهما ، فصاح : الله الله في أسمى أفعاله  
عن أمره فقال : إني شيوخ كبير ، وأجرك في عظيم ، تهين لي جارية تؤنسني  
وترفق بي ، وتربّحن من عبوز عندي ، قد أكلت رِفْدِي ، وأطأت كَدِي ،  
وقد عزف <sup>(٣)</sup> جلدَها جلدي ، وتمنيت بُعْدَها ، وتشوقت قَعْدَها ، فوعدها بها ،  
فلما جاءت من الحج دخل على أم عُبَيْدة حاضمة موسى وهارون ، فدفع إليها  
رقعة ، فدفعتها إلى الخيزران وفيها :

(١) الخبر في الأغاني ١٠ : ٢٥٨ .

(٢) الخبر في الأغاني ١٠ : ٢٤٠ : « دخل أبو عطاء السندی يوما إلى أبي دلامة ، فاحتبسه  
عنده ، ودعا بطعام فأكلوا وشبعا ، وخرجت إلى أبي دلامة صبيّة فعلمها على كنفه ، فبالت عليه ،  
فنبذها من كنفه ، ثم قال : بللت على ... البيتين ، ثم التفت إلى أبي عطاء ، فقال له : أجز ، فقال :

صَدَقْتُ أَبَا دُلَامَةَ لَمْ تَلِدْهَا      مَطْمَرَةٌ وَلَا فَخْلٌ كَرِيمُ  
وَلَكِنْ قَدْ حَوَّشَهَا أُمُّ سَوْءٍ      إِلَى لَبَاتِهَا وَأَبُ لَثِيمُ

فقال له أبو دلامة : عليك لعنة الله ! ما حملك على أن بلغت بي هذا كله ! واقة لا أجازها  
بيت شعر أبدا . فقال أبو عطاء : لأن يكون الحرب من جبهتك أحب إلي .

(٣) الأغاني : « عاف » .

وفيهما :

أَبْلَغِي سَيِّدَتِي إِن شئتِ يَا أُمَّ عَبِيدَةَ  
أَيُّهَا أَرْشَدُهَا اللَّهُ وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً  
وَعَدْتَنِي قَبْلَ أَنْ تَحْرُجَ لِحُجٍّ وَلِيَدَةَ  
إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَيْسَ فِي يَدَيَّ قَبِيلَةٌ  
غَيْرُ عَجْفَاءٍ مَجُوزٍ سَاقِمًا مِثْلَ الْقَدِيدَةِ  
وَجْهَهَا أَقْبَحُ مِنْ حَوْثِ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَةٍ  
مَا حَيَاتِي - مَعَ أَتْنِي مِثْلَ حَرَمِي - بِجَمْعِيَدَةٍ (١)

فَضَحِكْتَ وَاسْتَعَادَتْ «حَوْثًا فِي عَصِيدَةٍ» وَهِيَ تَضَعُكَ ، ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَارِيَةِ :  
خُذِي مَا عِنْدَكَ فِي قَصْرِي وَامْشِي إِلَيْهِ . فَلَمَّا بَلَغَهَا الرَّسُولَ مَنْزِلَهُ لَمْ يَجِدْهُ ،  
فَدَفَعَهَا إِلَى امْرَأَتِهِ ، وَدَخَلَ دُلَامَةً وَأَمَةً تَبْكِي ، فَسَأَلَهَا فَأَخْبَرَتْهُ وَقَالَتْ : إِنِّي أَرَدْتُ  
بِرَّتِي يَوْمًا مِنَ الذَّهَرِ ، فَالْيَوْمَ . قَالَ لَهَا : قَوْلِي مَا شِئْتَ أَلَهُ ، قَالَتْ : تَدْخُلُ  
إِلَيْهَا ، وَتُعَلِّمُهَا أَنَّكَ مَالِكُهَا ، فَتَطْعُمُهَا فَتَعْرُمَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا شَغَلْتَهُ لِحْفَانِي وَجَفَاكَ .  
فَقَعَلَ ، وَجَاءَ أَبُو دُلَامَةٍ فَسَأَلَهَا عَنْهَا ، قَالَتْ : هِيَ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ ، فَدَخَلَ وَمَدَّ  
يَدَهُ إِلَيْهَا ، وَذَهَبَ لِيَتَبَلَّمَهَا ، فَرَأَتْ شَرِيحًا مَحْطَمًا فَبِهِجَ الْوَجْهِ ، قَالَتْ : نَعَجْ  
وَإِلَّا لَطَمْتُكَ لَطْمَةً دَقَّقْتُ بِهَا أَنْفَكَ . قَالَ : وَبِهَذَا أَوْصَيْتُكَ سَيِّدَتِكَ ؟  
قَالَتْ : إِنِّي بَعَثْتَنِي إِلَى فَتًى مِنْ صَفْهِهِ كَذِبًا وَكَذًا ، وَقَدْ نَالَ حَاجَتَهُ مِنِّي آفًا .  
فَلَمْ أَنَّهُ دَهَاءٌ مِنْ دُلَامَةٍ وَأَمَةٍ (٢) ، فَخَرَجَ وَلَطَمَهُ وَلَتَبَهُ (٣) . وَحَلَفَ أَلَّا يَفَارِقَهُ  
إِلَّا إِلَى الْمَهْدِيِّ ، فَضَيَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ حَتَّى دَخَلَ إِلَى الْمَهْدِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : مَا بَالُكَ

(١) الْأَغَانِي : « بِسَمِيدَةٍ » .

(٢) الْأَغَانِي : « فَلَمْ أَنَّهُ دَهْمٌ مِنْ أُمِّ دُلَامَةٍ وَابْنِهَا »

(٣) لَيْبِهِ : أَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ ، أَيْ جَمَعَ تِلْبَاهُ عِنْدَ صَدْرِهِ وَنَحَرِهِ فِي الْمَصُومَةِ ثُمَّ جَرَّهُ .

( ٢٤ ) - شَرْحُ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ ج ٤ )

وَنَحَكَ الْقَتْلَ لَهُ : حَمَلُ بَنِي هَذَا ابْنُ الْخَلْبِيشَةِ مَا لَمْ يَمْلِكْ أَحَدٌ بِأَبِيهِ ، وَلَا يَرْضِيهِ إِلَّا أَنْ تَقْتُلَهُ ، وَأَخْبِرَهُ الْخَبِيرَ . فَضَعَكَ لِلْمَهْدِيِّ حَتَّى اسْتَقْلَى ، وَأَبُو دَلَامَةَ يَقُولُ : بِمَجْعِكَ فَعَلَهُ ، فَضَعَكَ مِنْهُ ! قَالَ : عَلَى السَّيْفِ وَالنَّطْعِ ، قَالَ دَلَامَةُ : اسْمِعْ حَبِيقِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَمَا سَمِعْتَ حُجَّتَهُ ، قَالَ : هَاتِي ، قَالَ : هَذَا الشَّيْخُ أَصْفَقُ النَّاسَ وَجْهًا ، وَهُوَ بَنِيكَ أُمِّي مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَغْضَبْتَ ، وَنَبَكْتُ جَارِيَتَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فَغَضِبَ . فَضَعَكَ الْمَهْدِيُّ أَخَذَ مِنْ ضَعْعِكَ الْأَوَّلَ ، قَالَ : دَمَهَا لَهُ [ يَا أَبَا<sup>(١)</sup> دَلَامَةَ ] ، وَأَنَا أَهْطُكَ خَيْرًا مِنْهَا ، قَالَ : عَلَى أَنْ تَخْطَأَهَا بَيْنَ الْمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَّا نَاكَبْنَا كَمَا نَاكَ هَذِهِ ، وَحَافَ دَلَامَةُ إِنْ عَادَ لِيَقْتُلَنَّهُ<sup>(٢)</sup> .

وَجَاءَ دَلَامَةُ لِأَبِيهِ فِي مَحْفَلٍ ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ لِلْجَمَاعَةِ : إِنْ شِئْنِي كَا تَرُونَ قَدْ كَبُرَ سَنَتُهُ ، وَرَقَّ جِلْدُهُ وَدَقَّ عَظْمُهُ ، وَبَنَّا إِلَى حَيَاتِهِ حَاجَةٌ ، وَأَنَا لَا أَزَالُ أَشِيرُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ يَمْسُكُ رِمَقَهُ ، وَيَبْقَى قُوَّتُهُ ؛ فَيُخَالَفُنِي . وَأَرْغَبُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَسْأَلُوهُ قَضَاءَ حَاجَةٍ فِيهَا صِلَاحٌ جَسْمِهِ ، فَقَالُوا : حَبِّيًا وَكِرَامَةً ، فَأَخَذُوا أَبَا دَلَامَةَ بِالْأَسْتَحْمِ ، قَالَ : قُولُوا لَهُ الْخَبِيرُ فَلْيَقُلْ مَا يَرِيدُ ، فَسَتَعْمَلُونَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَّا بِهَيْلَةٍ . فَقَالَ : إِنَّمَا يَقْتُلُهُ كَثْرَةُ النَّيْلِ ، وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْهُ إِلَّا الْخِصَاءُ ، فَتَمَازُونَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَخْصِيَهُ ، فَضَعَكُوا مِنْهُ كَثِيرًا ، وَقَالُوا لِأَبِيهِ : قَدْ سَمِعْتَ فَا عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : قَدْ مَرَّ فَعَمَّ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِخَيْرٍ ، وَقَدْ جَعَلْتُ أُمَّهُ حَكَمًا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَقَوْمُوا إِلَيْهَا ، فَدَخَلُوا عَلَيْهَا وَقَصَّوْا الْقِصَّةَ عَلَيْهَا ، فَأَقْبَلَتْ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَقَالَتْ : إِنْ أَبَى أَبْقَاهُ اللَّهُ ، قَدْ نَصَحَ أَبَاهُ وَبَرَّهَ ، وَأَنَا إِلَى بَقَاءِ أَبِيهِ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَيْهِ ؛ إِلَّا أَنْ هَذَا الْأَمْرُ لَمْ يَقَعْ فِيهِ تَجَرُّبَةٌ عَلَدْنَا ، وَلَا جَرَتْ بِهِ عَادَةٌ ، وَهُوَ قَدْ آذَى مَعْرِفَةَ ذَلِكَ ،

(١) مِنَ الْأَهْلَانِ .

(٢) الْخَبِيرُ فِي الْأَهْلَانِ ١٠ : ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

فليهدأ بنفسه فليخمسها، فإذا عوفى ورأينا ذلك قد أبقى عليه أترأ محموداً ، احتشمه  
أبوه على علم ، فحمل القوم يضحكون وَيَعْجَبُونَ من اتفاقهم في الخُبث .

وأمره المهديّ أن يلزم المسجد في رمضان ، وقال له : إن تأخرت فلتسرب  
الخر ، ولئن علمتُ ذلك لأقتلنك ، فشق عليه ذلك ، ونشفع إليه بكل إنسان ، فلم  
يشفعه ، فأدخل إلى رِبْطَة رَمْعَة ، - وكان للمهديّ لا يخالفها - وفيها :

أبانا رِبْطَة أَتَى كُفْتُ عِيداً لأبيها  
فمضى يرحم الله وأوصى بي إليها<sup>(١)</sup>  
جاء شهرُ الصوم بمشي مِشْيَةً لا أشتبهها  
قائداً القلّة ليدُر كَأَنِّي أبتغيها  
تنطح القِيلةُ شهراً جَبَنِي لا تأتليها<sup>(٢)</sup>  
فاطلي لي فَرَجاً مِنْهَا وأجري لك فيها

فضحكت ، وقالت : بصبر حتى تمضي ليلة القَدَر ، فقال : إذا مضت ليلة  
القَدَرِ فِي الشهر . وكعب إليها :

(١) بعده في الأغاني :

وَأَرَاهَا نَسِيتَنِي مِثْلَ نَسِيَانِ أَخِيهَا

(٢) بعده في الأغاني :

وَلَقَدْ عَشْتُ زَمَاناً فِي فَيَافَى وَجِيهَا

فِي لَيَالٍ مِنْ شِتَاءٍ كُنْتُ شَبِيحاً أَصْطَلِهَا

قَاعِداً أَوْ قَدْ نَاراً لَضِيَابٍ أَشَقَوِيهَا

وَصَبُوحٍ وَغُبُوقٍ فِي مِلَابٍ اخْتَسِيهَا

مَا أَبَالِي لَيْلَةَ الْقَدَرِ رَ وَلَا تُسَمِّئِيهَا

خَافِي إِيْلَكَ فِي نَفْسٍ قَدْ اخْتَضِرَتْ    قَامَتْ قِيَامَتُهَا بَيْنَ الصَّلَافِ  
مَالِيَةُ الْقَدْرِ مِنْ هَمٍّ فَأُطْلِبَهَا    إِلَى أَخَافِ الْمَنَابِ قَبْلَ هِشْرِهَا  
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي خَيْرٍ أَوْ مُلْهُ    فِي لَبْلَةٍ بَعْدَ مَا قُنَا ثَلَاثِنَا  
بِالْهَلَةِ الْقَدْرِ قَدْ كَثُرَتْ أَرْجُلُنَا    بِالْهَلَةِ الْقَدْرِ حَقًّا مَا تُنَمِّينَا  
فَلَمَّا قُرَأَتْهَا ضَحَكْتَ ، وَدَخَلْتَ إِلَى الْمَهْدَى فَشَنَعَهَا<sup>(١)</sup> فِيهِ . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ

• • •

وعلى قومه : جاء شهر الصوم قال أبو القاسم النعماني : أنشدني الفقيه  
أبو الحسن بن زرقون :

أَشْهَرَ الصَّوْمِ مَا مَلَكَكَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ شَهْرِ  
عَلَى أَنَّكَ حَرَمْتَ عَلَيْنَا لَذَّةَ الشُّكْرِ  
وَقَرَعَ الْكَأْسَ بِالْكَأْسِ وَرَشَفَ الثَّنْفَرَ بِالثَّنْفَرِ  
وَلَمَّا وَالَّذِي شَرَّ فَاؤْفَانِكَ بِالذِّكْرِ  
وَمَا أَمْسَى يَصَلِّي فِيكَ مِنْ شَفْعٍ وَمِنْ وَثَرِ  
أَسْرُورٍ بَانَ تَفْنَى عَلَى أَلَاكَ مِنْ عُغْرِ

وقال ابن المعتز :

تَجَلَّى عِشَاءُ هِلَالِ الصَّيَامِ    بِنَحْسٍ عَلَى الْكَأْسِ وَالْبَرْبَطِ  
وَكَمْ مِنْ فَنَى رَاحَ بَيْنَ الْقَمَاهِ    نَ شَوَانِذَا فَرَحَ مُقْرِطِ  
وَكَانَ نَشِيطًا فَلَمَّا رَأَى    هَمَّ بِهِمْ وَلَمْ يَنْشَطِ  
فَأَعْرَضَ عَنْهُ كَأَعْرَضَتْ    فَعَاةٌ عَنِ الْجَانِبِ الْأَشْمَطِ

(١) الخبر والدمر في الأغاني ١٠ : ٢٤٩ : ٢٥٠

وقال ابن رشيق :

لَا حَ لِي حَاجِبِ الْمَلَكَ عِشَاءَ فَتَمَنَيْتُ أَنْتَنِي مِنْ سَحَابٍ<sup>(١)</sup>  
قُلْتُ أَهْلًا وَلَيْسَ أَهْلًا لِي قُلْتُ وَلَكِنْ أَسْمَعُهَا أَحِبَّائِي  
مُظَاهِرٌ حُبُّهُ وَعِنْدِي بُغْضٌ لِمَدْوَةِ الْكُؤُوسِ وَالْأَكْوَابِ  
الْحَقِيقَةُ : الضَّرْطَةُ ، والحَلْفَةُ جَمَاعَةُ النَّاسِ ، وَرَبَّمَا تُؤَدِّي فَضِيحَتُهَا أَمَامَ الْقَوْمِ  
إِلَى أَنْ يَمُوتَ صَاحِبُهَا غَمًّا ، وَقَدْ وَجَدَ ذَلِكَ .

• • •  
[ أَفَّا كِه ]

وَحَبِيقٌ أَعْرَابِيٌّ فِي جَمَاعَةٍ فَاسْتَحْيَا ، فَأَشَارَ نَحْوَ اسْتِهِ ، وَقَالَ : إِنَّهَا خَلْفُ  
نَطَقَتْ خُلْفًا .

وَذَكَرَ الْحَرِيرِيُّ أَنَّ مَطْعَمَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبُحْيَى بْنَ زِيَادٍ وَحَمَادَ الرَّائِدِيَّ كَانُوا  
بِشَرِّ بَنِي ذَاتِ يَوْمٍ ، وَمَعَهُمْ نَدِيمٌ لَهُمْ ، فَبَرَزَتْ مِنْهُ قُلَّةٌ ، فَجَعَلَ يَغَابُ عَنْهُمْ أَبَا مَاءٍ ،  
فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَطْعَمٌ :

أَمِنْ قُلُوبٍ غَدَتْ لَمْ يُوْذِهَا أَحَدٌ إِلَّا تَذَكَّرَهَا بِالزَّمَلِ أَوْطَانَا  
خَانَ الْعِقَالُ لَهَا قَانِبَتْ إِذْ تَفَرَّتْ وَإِنَّمَا الدُّنْبُ فِيهِ لَذَى خَانَا  
أُظْهِرْتَ مِنْكَ لَنَا هُجْرًا وَمَعْبُورَةً وَغَبْتَ عَنَّا ثَلَاثًا لَسْتَ تَنْفُسَانَا  
مَوْتٌ عَلَيْكَ فَا فِي النَّاسِ ذُو إِبِلٍ إِلَّا وَأَبْنَقَهُ بِشَرُّدَنْ أَحِبَّانَا  
دَخَلَ<sup>(٢)</sup> أَبُو الْفَضْلِ بَدِيعُ الزَّمَانِ عَلَى الصَّاحِبِ بْنِ عُبَادَةَ فَرَحَّ بِهِ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ  
عَلَى سَرِيرِهِ ، فَحَبِيقُ الْبَدِيعِ حَبِيقَةٌ مُنْكَرَةٌ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَنْفِي عَنْ نَفْسِهِ الْاِتِّهَامَ ،  
فَقَالَ : يَا مَوْلَانَا هَذَا سَرِيرُ التَّخْتِ ، فَقَالَ لَهُ : بَلْ صَفْهِرُ التَّخْتِ ، فَخَرَجَ الْبَدِيعُ  
خَجَلًا ، وَانْقَطَعَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الصَّاحِبُ :

(١) نقله في التنقيح ١٢

(٢) بَيِّنَةُ الدَّهْرِ ٣ : ١٨٨

قل للصغيرى لا تذهب على خجلٍ من ضَرْطَةٍ أشبهت نايًا على عودٍ<sup>(١)</sup>  
فإنها الريح لا تستطيع تدفعها إذ لست أنت سليمان بن داود  
تزوج أعرابى امرأة ، فلما دخل عليها عابثها ، فضرطت ، فخرجت غضبي  
إلى أهلها ، وقالت : والله لا أرجع إليه أو يقل ما فعلت ، قال لها : عودى لأقل ،  
فصادت ، فعاثها فضرطت أخرى ، فقال :

طالبتي دينا قديما فلم أذنيك حتى زدت في قرضك  
فلا تلوميني على مُطله إن كان ذا دابك لم أقضك  
قيل لأعرابى : مات قول فى الضرطة ؟ فقال : لا بأس بها ، وربما سببت  
الضرطة وأنا راكع فى الصلاة .

قدم أبو علقمة الأزدي على الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي بالبصرة ، قال  
الفضل جلسائه : إذا جلسنا على المائدة وأبو علقمة معنا فليضرط أحدكم ثم الآخر  
ثم الآخر ، وليسكن بين كل ضرطتين فرجة ، فلما وضعت المائدة فعلوا ذلك ،  
فأخذ أبو علقمة المائدة ، وقام بها ، فقيل له : إلى أين يا أبا علقمة ؟ قال : إلى  
الكنيف ، فمن أراد منكم أن يخرجاً كان قريباً .

وجلس فقيل إلى بشار ، فضرط بشار ضربة منكرة ، فظن الرجل أنها فلقه ،  
ففى فى حديثه ، فضرط بشار ثانية وثالثة ، فقال له : ما هذا يا أبا معاذ ؟ قال :  
رأيت أو سمعت ؟ قال : بل سمعت ، قال : كل ما سمعت ربح لا تصدق حتى ترى .

قوله : حقّه ، أى وعاء للطيب ، ويقال له : حق والجمع حقاق ، وتبدل عامقنا  
من قافه كافا ، والروائح العطرة مضرّة بهذه الهوام المنقنة ، وقد قال المتنبي :  
بذى الذبابة من إنشادها ضررٌ تضرّ كما تضرّ رياح الورد بالجمل<sup>(٢)</sup>

(١) بليمة الدمع :

يا بن الخضيرى لا تذهب على خجلٍ لحادث منك مثل الناي والعود

(٢) ديوانه ٣ : ٤٠

قوله بك ، أى حسبك .

\*\*\*

[ ترجمة الحسن البصرى ]

وأما الحسن فهو أبو سعيد بن أبي الحسن البصرى ، وهو من التابعين . ولد بالمدينة لستين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وأمه اسمها خيرة ، وكانت مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت تُعطيها ثديها إذا اشتغلت أمه ، فدرت ثديها له باللبن ، فأظهر الله تعالى بركة ذلك اللبن عليه . وأبوه مولى لامرأة من الأنصار ، وقيل إن أبويه كانا مملوكين لرجل من بنى الفجار ، فتزوج امرأة في بنى سلمة من الأنصار ، فساقهما إليها من مهرها فأعتقتهما ، وكان أحسن الناس لفظاً ، وأبلغهم وعظاً ، وكان زاهداً عالمًا مقدماً في العلم والدين على نظرائه من التابعين .

وكان الحجاج له معظماً و متمجّباً من فصاحته ، ولم ينفك من مجلس وعظ أو تدريس علم ، إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وقال أبو عمرو بن العلاء : مارأيت قطُّ أوعظَ ولا أفصحَ من الحسن البصرى .

وقال أبو أيوب التستختاني : ما سمع أحد كلام الحسن البصرى إلا نقل عليه كلام الرجال .

قال حميد : قال لى الشعبي ونحن بمكة : أحب أن اختلج بالحسن ، فقلت : ذلك للحسن ، فقال : إذا شاء ، فجاء الشعبي ، فقلت له : ادخل عليه ، فإنه فى البيت وحده ، فقال : أحب أن تدخل معى ، فدخلنا فإذا الحسنُ قبالة القبلة يقول : يا بن آدم ، لم تكن فكرونت ، وسألت فأعطيت ، وسئلت فنفمت ، فبئس ما صنعت ! ثم يذهب فيرجع بعيد ذلك حتى أعادها مراراً ، فقال لى الشعبي : يا هذا انصرف فإن الشيخ فى غمد ما نحن فيه .

ولما دخل على الحجاج فقال له : ما تقول في علي وعثمان ؟ قال : أقول فيها ما قال مَنْ هو خيرٌ مني بين يدي مَنْ هو شرٌّ منك ، قال : وَمَنْ ذلك ؟ قال : موسى وفرعون حيث قال له فرعون : ﴿ فَأَمَّا الْقُرُونُ الْأُولَىٰ قَالَ : عَلِمَهَا مِنْدَرَبٍ فِي كِتَابٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

الشمعي قال : قدمنا على الحجاج في البصرة في جماعة من قراء الشام والعراق في يوم صائف شديد الحر ، وهو في آخر ثرثرة أبيات ، فدخلنا الأول فإذا فيه الثلج والماء قد أرسل فيه ، وفي الثاني أكثر وفي الثالث أكثر ، والحجاج قاعد على سريره وعنبة بن حمود إلى جانبه ، فجلسنا على الكراشي ، ودخل الحسن آخر مَنْ دَخَلَ ، فقال الحجاج : مرحباً بأبي سعيد ! اخلع قميصك ، فحمل الحسن يمالج زرة القميص فأبطأ به ، فطأطأ له الحجاج رأسه تطلقاً به حتى حله ، وجاءت جارية بدُهْنٍ فوضعت على رأس الحسن وحده ، فقال له الحجاج : يا أبا سعيد ، مالي أراك منهوك الجسم ، لعل ذلك من قلة نفقة وسوء ولاية ! ألا تأمرلك بنفقة توسّع بها على نفسك ، وخادم لطيف ! فقال : إني من الله تعالى آتني سعة ونعمة وإني منه لفي عافية ، ولكن الكبر والحر ، فأقبل الحجاج على عنبة ، وقال : لا والله ، بل العلم بالله والزهد فيما نحن فيه ، فلم يسمعها الحسن ، وسمعتها أنا قُرْبِي من عنبة ، وجعل الحجاج يسأله حتى ذكر علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال منه وذلنا منه مرضاة له ، وفرقا من شره ، والحسن حاض على إبهامه ، فقال له : مالي أراك ساكتاً ؟ فقال : وما عسى أن أقول : فقال : أخبرنا برأيك في أبي تراب ، قال : إني سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ يَحْمِلُ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِبْرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرؤوف رحيم ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فليؤمن هدى الله ، ومن أهل الإيمان وابن متهني الله صلى الله

عليه وسلم وخفّته على بنه ، أحبّ الناس إليه ، وصاحب سوابق مباركات سهت له من الله عز وجل ، لن نستطيع أنت ولا أحد من الناس يحظرها عليه ، ولا يحول بينه وبينها . فتغيّر وجه الحجاج وقام مفضّباً عن سريره ، ودخل بيتاً خلفه . وخرجنا وأخذت بيد الحسن ، قلت : يا أبا سعيد ، أغضبت الأمير ، وأوغرت صدره ، فقال : إليك عني يا عامر ، ألت شيطاناً من الشياطين إذ تواقفه في رأيه ! ألا صدقت إذ سئلت أو سكّنت فسلمت ! قلت : قلنا والله ، وأنا أعلم بما فيها ، قال الحسن : فذلك أعظم في الحجة عليك ، وأشدّ في التّهمة . ثم خرجت إلى الحسن التّحف والطرّف ، وكانت له للزّفة واستخف بنا وجفانا ، فكان أهلاً لما أتى إليه ، وكنا أهلاً لما أتى إلينا ، فما رأيت مثل الحسن بين المطاء إلا مثل الفرس العربي فيما بين المقاريف ، وما شهدنا بدم شهداً إلا برّز علينا بفضله ، وقال لله ، وقلنا موافقة للولاء ، وكان يقول : جدّدوا هذه الأنفس فإنها سريعة الدّثور ، واقدّعوها فإنها طامحة وإنسكم إن لم تقدّعوها تنزع بكم إلى شر غاية .

وقال لطرّف بن عبد الله بن الشّخير : عظ أحبابك ، فقال له : إني أخاف أن أقول مالا أفعل ، فقال له : يرحمك الله ، وأبنا يقول ما يعمل ابود الشيطان أنه ظفر بهذه منكم ، فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر .

ونظر إلى الناس في مصلى البصرة يضحكون ويلعبون في يوم عيد ، فقال : إن الله تعالى جعل الصوم مضماراً لعبيده ، ليستبقوا إلى طاعته ، ولتَمزِي لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ، ومسيء بإساءته عن تجديّد ثوب أو ترجيل شعر .

ومات في سنة عشرة ومائة وله تسعون. وتقدم موت ابن سيرين بمائة يوم،  
ومات في رجب ليلة الجمعة .

وقال عبد الواحد بن زيد : رأيت ليلة مات الحسن في النوم أبواب السماء  
كأنها مفتحة ، وكأن الملائكة صفوف ، فقلت : إن هذا لأمر عظيم ، فقال لي  
قائل : ألا إن الحسن البصري قدِم على الله وهو عنه راض !

وسمع بعض أصحابه في منامه ليلة مات كأن منادياً ينادي في السماء : (إن الله  
اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ) ، واصطفى الحسن  
البصري على أهل زمانه .

### [ ترجمة الشعبي ]

والشعبيّ ، اسمه عامر بن عبد الله بن شراحيل بن عبيد بن ذى كهار الشعبيّ  
من شعب تهمذان ، وكنيته أبو عمرو ، منسوب إلى شعبان بن عمرو ، وهو من  
رحمة ، فن كان منهم باليمن فهو حميريّ ، ويقال له شعبانيّ ، ومن كان بالعراق  
فهو همدانيّ ، ويقال له شعبيّ . وولد لست سنين من خلافة عمر رضى الله عنه .  
سمع على بن أبي طالب رضى الله عنه والحسن والحسين وجماعة من الصحابة  
رضوان الله عليهم أجمعين ، وهو كوفيّ ، وبه يُضرب المثل في الحفظ ، فيقال :  
أحفظ من الشعبيّ .

وقال الزهريّ : العلماء أربعة : سعيد بن المسيّب بالمدينة ، وعامر الشعبيّ  
بالكوفة ، والحسن البصريّ بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وقال ابن شُبْرُمة : سمعت الشعبيّ يقول : ما كعبتُ سوداء في بيضاء إلى

يومى هذا ، ولا حدّنى رجل قطّ بحديث إلا حفظته ، ولا أحببت أن يُعيدَه علىّ .  
وقال الشعبي لأصحابه : ما أروى شيئاً أفلّ من الشعر ، ولو شئت لأنشدتكم  
شهر الأعياد .

وكان الشعبي فقيهاً عالماً حافظاً أدبياً ، وقال : لولا ما زوجت في الرحم  
ما قامت لأحدٍ معي قاعة .

وكتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابث إلى رجلاً يصلح للدين والدنيا ،  
أنتخذه سميراً وجليساً ، فبعث إليه بالشعبي ، فلما دخل عليه وجده مفتقراً ، فقال :  
ما بال أمير المؤمنين ؟ قال ذكرت قول زهير<sup>(١)</sup> :

كأنى وقد جاوزتُ سمعن حجةً      خلعتُ بها عني عذار الجاهلي  
رمنتي بناتُ الدهر من حيث لا أرى      فكيف بمن يرعى وليس برام  
فلو أنني أرمتي بنبل رموتها<sup>(٢)</sup>      ولكنني أرمتي بنير سهامي  
على راحتين تارة وعلى المصا      أنوه ثلاثاً بدمع قوسامي<sup>(٣)</sup>

فقال له الشعبي : ليس كذلك ، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة :

كأنى وقد جاوت سبعين حجةً      خلعت بها عن منكي ردائها<sup>(٤)</sup>  
فلما بلغ سبعاً وسبعين ، قال :

(١) الأغانى « أصبحت كما قال عمرو بن قيس » .

(٢) الأغانى « ولو أنها نبل إذا لا تقيتها »

(٣) موضعه في الأغانى :

وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ      وتأميلُ عامٍ بعد ذلك وعامٍ

(٤) ملحق ديوان لبيد ٣٦١

بانت تشكى إلى الموت مجبهة<sup>(١)</sup> وقد حلتك سبما بعد سبعمنا  
فإن تراخت ثلاثاً تهلني أملاً<sup>(٢)</sup> وفي الثلاث وقلا لثمانينا  
فلما بلغ التسعين ، قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذى الناس كيف ليهد<sup>(٣)</sup>  
وغنيت سبماً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود  
فلما بلغ عشرين ومائة ، قال :

أليس ورأى إن تراخت منيق لزوم للمصا تحفى عليها الأصابع<sup>(٤)</sup>  
أخبر أخبار القرون التي مضت أنوه كأتى كلما قت راكم<sup>(٥)</sup>  
فلما بلغ ثلاثين ومائة حضرته الوفاة ، فقال :

نمى ابتغى أن يبش أبوها وهل أنا إلا من ربهمة أو مضر<sup>(٦)</sup>  
قوما فقولا بالذى أنا أهله ولا تخميشاً خذاً ولا تخلفاً شمر  
وقولا هو للره الذي لا صديقه أضع ولا خان الخليل ولا غدر  
إلى الحول ثم اسم السلام عليها ومن يهك حولاً كاملاً قد اعتذر

(١) الأغاني :

• قامت تشكى إلى الموت مجبهة •

(٢) الأغاني « فإن تزدى ثلاثاً » .

(٤) ديوانه ١٧١

(٣) ديوانه ٣٠

(٥) الديوان :

• أدب كانه كلما قت راكم •

(٦) ديوانه ٢١٣ ، وبعدة في الديوان :

ونامحتان تنذبان بماقل أخاتقة لا عين منه ولا أثر  
وفي ابني نزار أسوة إن جرهتيا وان تسالأم نخبرافيههم الخيرة  
وفيمن سوام من ملوك وسوقة دعائم عرش خانه الدهر فانقر

قال الشعبي: فلقد رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعا أن يميمشها<sup>(١)</sup>.  
وقال الحريري في الدرّة: حدثني أحد شبوخي أن ليل الأخیليّة كانت  
تتكلم بلغة بهزاء، فتكسر حرف المضارعة، فتقول: «أنت تَنظُم» فاستأذنت يوما  
على عبد الملك بن مروان وبخضرتة الشعبي، فقال: أناذن لي بأمر المؤمنين  
في الغنص منها؟ فقال: افعل، فلما استقرّ بها المجلس قال لها الشعبي: يا بلي،  
ما بال قومك لا يكتنون! فقالت: ويحك أما نكتفي - بكسر النون - فقال: لا والله  
ولو فعلت لا غنصت، فنجلت عند ذلك، واستفرق عبد الملك في الضحك.

الأصمعي: وجه عبد الملك الشعبي إلى ملك الروم في بعض الأمور، فاستكبر  
الشعبي، فقال له: من أهل بيت الملك أنت؟ قال: لا، فلما أراد الرجوع إلى  
عبد الملك حمله رقعة لطيفة، وقال له: إذا بلغت صاحبك جميع ما يحتاج إلى معرفته  
من ناحيتنا فادفع إليه هذه الرقعة، فلما رجع إلى عبد الملك ذكر له ما احتاج إلى  
ذكره، ونهض. فلما خرج ذكر الرقعة، فرجع فقال: بأمر المؤمنين إنه تحلى  
إليك رقعة أنسيها، فدفنها إليه ونهض فقرأها عبد الملك، وأمر برده. فقال:  
أعلمت ما في الرقعة؟ قال: لا، قال: فيها عجب من العرب كيف ملكت غير  
هذا! أفندري لم كتب إلى بهذا؟ قال: لا، قال: حسدي عليك، فأراد أن يغري  
بقتلك، فقال الشعبي: لوراك بأمر المؤمنين ما استكبرني. فبلغ ذلك ملك الروم،  
فذكر عبد الملك وقال: لله أبوه! والله ما أردت إلا ذلك.

وكان الشعبي خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج، فلما هزم  
عبد الرحمن أتى به موثقا مع الأسرى، وكان حكم الحجاج فيهم: من أقر أنه  
كافر أبقاء، ومن أقر أنه مسلم قتله. قال: فلما جئت باب القصر لقيني يزيد  
ابن مسلم كاتبه، فقال: إنا لله يا شعبي، لسا بين دفتيك من العلم! وليس

(١) الخبر والشعر في الأغاني ١٨، ١٤٣.

بيوم شفاعه، قلت له : وما المخرج ؟ فقال بؤ للأمر بالشرك والنفاق ، وبالحرى أن تدجو ، فلما دخلت على الحجاج قال لى : وأنت يا شعبي ممن حرج علينا ! قلت : أصلح الله الأمير ! أخزن بنا المنزل ، وأجذب بنا الجناب ، واستخلصنا الخوف ، وضاق الملك ، وخطبتنا <sup>(١)</sup> قفنة ، لم نكن فيها بررة أولياء ، ولا فجرة أقوياء ، قال : لله أبوك ! لقد صدقت والله ما بررتهم بخروجكم علينا ، ولا قويتهم . خلوا سبيلهم .

وكلم ابن هبهمة في قوم حبسهم ، فقال : إن كنت حبستهم بباطل ، فالحق يطلقهم ، وإن كنت حبستهم بحق ، فالعفو يسعهم .

ودخل عليه رجل من النوفكى ، وهو جالس مع امرأة ، فقال : أئسكا للشعبي ؟ فقال له : هذا ، فقال : ما تقول أصلحك الله في رجل شتمنى في أول يوم من رمضان هل يؤجر ؟ فقال له الشعبي : أما إن كان قال لك : يا أحمق ، فأرجو له الأجر .

وسأله آخر ، فقال : ما تقول في رجل أدخل إصبه في أنفه في الصلاة ، فخرج عليها دم ، أترى له أن يجتمع ؟ فقال : الحمد لله الذى نقلنا من الفقه إلى الحجابة . وسأله آخر : كيف كانت تسمى امرأة إبليس ؟ قال ذلك نكاح لم نشهده ودخل الحتام فرأى داود الأودى بلا مئزر ، فغمض عينيه ، فقال له داود : متى سميت يا أبا عمرو ؟ فقال : مذ هتك الله سترك . ومات في سنة أربع ومائة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

[ ذكر الخليل بن أحمد ]

والخليل رحمه الله هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى ، ينسب إلى فراهيد بن مالك بن قثم بن عبد الله بن مالك بن نصر الأزدى ، ويقال : السجمدى . واليحمد بطن من الأزد .

وكان الخليل من أزهد الناس وأعلام نفساً ، وأشدّهم تعمقاً ، ولقد كان الملوكة بقصدونه ويقرّون إليه لينال منهم ، فلم يفعل ، وكان يعيش من بُستانٍ له خلقه عليه والده ، وكان يفزو سنة ويهيج أخرى ، حتى جاءه الموت .

محمد بن حميد ، قال : تزوّجت إلى جبران الخليل ، فنزلت عليهم ، فكنت أسمع قرآن الخليل طول الليل ، فقالوا لي : ما عرفنا من هذا الرجل إلا ما ترى ، وإنه لمضرب عتافي غزوٍ وَحَيٍّ فتعوحش إليه ، وقالوا : لا يجوز الصراط بعد الأنبياء والصحابة أدقّ ذهنًا من الخليل . وكانت تلك الفضيلة فيه ببركة اسم أبيه ، لأنه أوّل من تسمّى بأحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أبو عاصم : دخلت عليه قبل وفاته بأيام ، فقال : والله ما فلت قطّ فملا أخاف على نفسي منه وكان لي فضل ففكر ، صرفته إلى جهةٍ ودِدْتُ أني كنت صرفته إلى غيرها . وما علمت أني كذبت متممداً قطّ ، وأرجو أن يغفر الله لي العاقل .

واجتمع أدباء من كل أقطاف ، فجعل أهل بلد يرفعون علماءهم ، ويقدّمونهم حتى جرى ذكر الخليل ، فلم يبق أحد إلا قال : الخليل أذكى العرب ، وهو مفقاح العلوم ومصرفها .

المنضر : ما رأى الرايون مثل الخليل ، ولا رأى الخليل مثل نفسه . وكان أشعث الرأس ، شاحب اللون ، قشيف الهيئة ، معترق الثياب ، متقلع القدمين ، مغموراً في الناس لا يُعرف .

محمد بن الفضل : كان بالهجرة رجل يعطى دواء لظلمة البصر ، فوقف به الناس ، فأتاه ذلك بمن كان يستعمله ، فدُكر للخليل فقال : أله نسخة ؟ فقالوا : لم نجد لها ، قال : فهل كان له آنية يعمل فيها ؟ قالوا : نعم ، إناء يجمع فيه أخلاطاً ، قال : فجيئوني به ، فجعل ينشّته ، ويخرج نوعاً نوعاً حتى

أخرج خمسة عشر نوعاً ، ثم سأل من جمعها ومقاديرها فعرفه مَنْ كان يعلم مثله فعله ، وأعطاه الناس ، فانتفعوا به مثل تلك المنفعة . ثم وجدت النسخة في كُتُب الرجل ، فإذا فيها ستة عشر خطأ ، فلم يقل إلا عن خلط واحد .

وكتب إليه ملك اليونان كتاباً باليونانية ، نفلاً به شهراً حتى فهمه ، فقيل له في ذلك ، قال : قلت : لا بد أن يفتح الكتاب باسم الله تعالى وما أشبهه ، فهزئت أول الحروف على ذلك حتى انقاست لي .

النضر بن شميل . جاء رجل من حلقة يونس ، فسأل الخليل عن شيء ، فأطرق بفكر ، فقالوا له : ما هذا مما يحتاج إلى فكر بفكر فيه ؟ فقال لهم : فما الجواب عندكم ؟ قالوا : كذا ، قال : فإنه يزيدكم في الجواب كذا ، قالوا : يقول كذا ، يقول : كذا ، فاقطعوا ، فقال : ما أجبت بجواب قط إلا وأنا أعرف آخر ما على فيه .

وكان يخرج من منزله فلم يشعر إلا وهو في الصحراء ، ولم يردّها لشغله بالفكر .

وقال النضر : سمعت الخليل يقول : الأيام ثلاثة : فمهود وهو أمس ، ومشهود وهو اليوم ، وموعود وهو غد .

وقال الخليل : إذا نسخ الكتاب ثلاث نسخ ولم يعارض به نحول بالفارسية .

ورأى مع رجل دقراً وفيه خط دقيق ، فقال لصاحبه : أيسن يا هذا من طول عمرك ؟

وقال : إن لم تعلم الناس نوباً فعلمهم ليعلم بتعليمهم عليك ، ولا تخرج من تفرع السؤال ، فإنه يذهبك على علم ما لم تعلم .

وقال : أكثر من العلم لفهم ، واختر قليلاً منه لتحفظ .

وكان يقول : إذا خرجتُ من منزلي لقيتُ أحدَ ثلاثة ، إمّا رجلاً أعلم بشيءٍ مني ، فذلك يوم فائدة ، أو مثل فذلك يوم مذكرة ، أو دُوني فذلك يوم ثواب .

وقال : من الناس مَنْ يدرى ويذرى أنه يدرى ، فذلك عالم فاتبعوه ، ومنهم مَنْ لا يدرى ولا يذرى أنه لا يدرى ، فذلك جاهل فاحذروه ، ومنهم مَنْ يدرى ولا يدرى أنه يدرى ، فذلك ضالٌّ فأرشده .

وكان يقول : إذا أردت أن تعلم خطأ معلمك من صوابه فجالس غيره .  
وقال : أنا أول مَنْ سَمِيَ الأوعية ظروفاً ؛ لأنها جُعِلَتْ ظرفاً للأدب والنظافة .  
وقال : أدركت بعض ما أنا فيه بأطراح الحشمة بيني وبين المعلمين ، وَمَنْ رَقَّ وجهه في طلب العلم رَقَّ علمه .

وقال : إذا أخطأ بمحضرتك مَنْ تعلم أنه يأنف بإرشادك فلا تردّ عليه خطأه ، فذلك إذا نبتته على خطئته أسرعَتْ إفادته ، واكتسبتْ مداوته .

وقال : اجمل ما تسكتب بيت مال ، وما في صدرك للنفقة .

وقال : العلوم أفعال والسؤالات مفاتيحها .

وقال : الناس في سجن ما لم يمازحوا .

وقال : الرجل بلا صديق ، كاليمين بلا شمال .

وقيل له : إن استفساد الصديق أهونُ من استصلاح العدو ، قال : نعم ، كما أن تخريب الثوب أهونُ من نسيجه .

وقيل له : ما الجود ؟ فقال : بذل الجهود ، قيل له : فما الإهد ؟ قال : ألاّ تطلب المفقود ، حتى تفقد الموجود .

وقال : الدنيا أمدّه والآخرة أبده .

( ٢٠ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )

وقال: حسب امرئٍ من الشرِّ أن يرى في نفسه فساداً لا يصلحه ، ومن علم بفساد نفسه علم إصلاحها ، وأصبح التحول أن يتحول المرء من ذنب إلى غير توبة ولا إفلاح منه .

وقال : الدنيا أصدقاء معجورة وأشياء متباينة ، وأقارب مقبادة ، وأباعد مقاربة .

وقال : ثلاثة أشياء أنا أحبها لنفسي ولن أحب ربه : أحب أن أكون بيني وبين ربي من أفضل عبادي ، وأكون بيني وبين الخلقة من أوسطهم ، وأكون بيني وبين نفسي من شرِّهم . وقال عبد الله بن داود : لو كتب شيء بالذهب لكتب هذا .

ونظر في فقه لأبي حنيفة ، فقيل له : كيف ترى؟ فقال : أرى جدًّا وطريق جدًّا ، ونحن في هزل وطريق هزل .

وقال عبد الله بن داود : لقد نال الناس بالخليل وعلمه الرغائب ، وإلانة ليلان أخصاص البصرة ، بزهد فيما يرغب فيه .

وقال : ثلاثٌ يُنسين المصائب : مرَّ القبالي ، والمرأة الحسناء ، ومحادثة الرجال .

النضر : سمعت الخليل يقول : التواني إضاعة ، والحزم بضاعة ، والإنصاف واحة ، والججاج وقاحة .

وكان له غلام كثير الخلاف عليه ، فقال له يوماً : قُمْ ، فقال : لا أقوم ، فقال : أقم : فقال : لا أقم ، قال : فأى شيء تصنع ؟ قال : لا أصنع شيئاً . ويشبه هذا قول الشاعر في امرأته :

سكتُ فقالتِ لم سكتَ من الحقِّ      وقلتُ فقالت: مادعاك إلى التفتُّنِ<sup>(١)</sup>  
 فأومأتُ هل من حالةٍ بين ذاوذا      فقالت وذا الإيماء أيضاً مع الخنقِ  
 فلم أر لي إذ حلت الغربَ راحةً      من الشرِّ إلا في المروب إلى الشرِّ  
 فلما أنبت الشرِّق ألقيتها به      وقد قدمت لي منه في ضيق الطَّرِيقِ

ولأنما أكثرنا من أخباره لأنها آداب ، وحِكْمٌ مَنْ اقْدَى بها اعدى ،  
 وما تركناه من أخباره أكثر ، وذكر النحر والعروض مؤخر إلى الحسن إن  
 شاء الله تعالى :

ولقدّمه في الدلم ضربت العمراء به المثل ، فمن ذلك قول أبي تمام يهجو  
 ههناش بن لهيعة :

ولو نشر الخليلُ له لعمتُ      بلادته على فِطْنِ الخليلِ<sup>(٢)</sup>  
 فما أدري حماني من رشادي      دحاني أم حماك من الجهلِ  
 وقال آخر :

يا مَنْ يزيدُ نَمَقًا      وتباخُضًا في كل لحظة  
 واقه لو كفتَ الخليلَ      لما رَوَّينا عنك لَفْظَةً

وأنشد المبرد :

لم تدري ما علمُ الخليلِ فقنّدي      ببيان ذاك ولا حدودَ المَدِينِ

وقال المعري :

إذا قيل نُسكٌ فالخليلُ ابنُ آزرٍ      وإن قيل فهمٌ فالخليلُ أخو القُومِ

ابن مزاحم الشاعر: كان الخليل صديقاً لي ، فدخلت عليه يوماً ؛ فقال : أجز .

رأيت غنى الإنسان نفساً زكوة

قلت :

• مُطَهَّرَةٌ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ وَبَاطِلٍ •

قال :

• نفى عاجل الدنيا مديح ورفعة •

قلت :

• وخيرٌ عظيم عاجلٌ بعد آجلٍ •

قال : والله جئت بما في نفسي ، ثم قال :

كَأَنَّكَ كُنْتَ قَدْ خَامَرْتَ قَلْبِي جِئْتَ بِمَا شَقَّيْتَ بِهِ الْفَلِيلَا

رَأَيْتَ بَرَاعَةَ الْإِيْمَازِ أَشْفَى فَصَارَ كَثِيرُ غَيْرِكَ لِي قَلِيلَا

وله :

الْعِلْمُ يُذَكِّي عَقُولاً حِينَ يَصْحُبُهَا وَقَدْ يَزِيدُهَا طَوْلَ التَّجَارِبِ

وَذُو الْعَادِبِ فِي الْجَهْلِ مَقْرَبٌ بَرَى وَيَسْمَعُ أَلْوَانَ الْعَجَائِبِ

وكان صديق ساجان بن حبيب ، وأنشده الشعراء ، فشاغل عنهم سليمان ،

فذكروا ذلك لخليل فكتب إليه :

لَا تَقْبَلَنَّ الشَّرَّ ثُمَّ تَعْقُهُ وَتَنَامَ وَالشُّعْرَاءُ غَيْرُ نَهَامِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَنْصَفُوا حَكَمُوا لَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْحُكَّامِ

وَجَنَابَةِ الْجَانِي عَلَيْهِمْ تَنْفَعِي وَكُلُّهُمْ مِمَّنْ تَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ

• • •

## [ ذكر جرير ]

وأما جرير فهو ابن عطية بن الخطّاق. شاعر من فحول العرب ، وانفقت  
 العلماء على أن أشعر الإسلاميين جرير والفرزدق والأخطل ، وأكثُرهم على  
 تفضيله عليهما . وسأذكر لك شيئاً من غزله ومجوده ، نستدل به على منزلة  
 شرفه في الشعر : ورايت أمه وهي حامل به كأنها ولدت جهلاً من شعر أسود ،  
 فلما سقط جعل ينزّو في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة ،  
 فأنجبت فائزة فأولت الرؤباء ، فقبل لها : نلدين غلاماً شاعراً ذا أسير وشدة  
 وشكيمة وبلاء على الناس ، فلما ولدت سمته جريراً ، باسم الجبل الذي رآته ، فهاجاه  
 ثمانون شاعراً ، فذليهم .

وقال جرير : ماعشقتُ ولو عَشِقتُ لنسبت نسيباً تسمُّه المعجوز فبهكى على  
 حاقنها من شبابه . قالوا : وأرق ما جاء في النسيب قوله :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يَحْيَيْنِ قَتْلَانَا (١)  
 بَصُرَ مَنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ لَهْ وَهَنْ أَضْعَفُ خَلْقَ اللَّهِ أَرْكَانَا  
 أَسْمَعُهُمْ مُثَلَّةً لِأَنْسَابِهَا غَرِقُ هَلْ مَا نَرَى تَارِكٌ لَعْنِ إِنْسانَا

ومثل هذا أوجب على الحريري أن يذكر جريراً بالفضل ، وإلا فقد أخذ  
 عليه في ذكر جرير بالفضل ، وإنما الذي اشتهر في زمانه بالفضل مثل عمر بن أبي  
 دهممة وكثير عزة وبجميل وقيس بن ذريح وأمثال هؤلاء ، وإنما اشتهر جرير  
 بالمدح والمجهر ، ولا نطباها قد جاء في شعره من الفضل الرقيق كثره ، وإن كان  
 عسكناً إذ لم يشق . قال الجاحظ : كان الفرزدق مشتهراً بالنساء ، ومع ذلك

(١) دابولہ ۵۹۵ ، ۵۹۶ ونہ ، « فی طرفہا مرض »

فليس له بيت واحد في النسيب ، وكان جرير عفيفاً لم يمشق امرأة قط ، ومع ذلك فهو أغزل الناس شعراً .

وسئل الفرزدق عنه فتنفس حتى كادت حيازيمه تنشق ، ثم قال : قاله الله ! فما أحسن ناحيته وأشر دافعيته ، والله لو تركوه لأبكي الشابة على أحبائها ، والمجوز على شبابها ، ولسكنهم هزؤه فوجدوه عند المهراش ناهجاً ، وعند الجراء قارحاً ، ولقد قال بيتاً ، لأن أكون قلته أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، وهو :

إذا غضبت عليك بدو نعيم  
حسبت الناس كلهم خضاباً<sup>(١)</sup>

وقال مسعود بن بشر : قلت لابن مغازل : من أشعر الناس ؟ قال : من إذا شئت جد ، وإذا شئت لعب ، وإذا شئت أطمعك لعبه ، وإذا رمقته بعد عليك ، وإذا جد فبما قصد له آيسك من نفسه . قلت : مثل من ، قال : مثل جرير إذ يقول حين لعب :

إن الدين غدواً بلبك غادروا      وشلاً بعميك لا يزال مميهاً<sup>(٢)</sup>  
غيضن من عبرتهن وقلن لي      ماذا لقيت من الهوى واقبها !  
ثم قال حين جد :

إن الذي حرم السكارم تغلباً      جمل الخلالة والعبوة فيها<sup>(٣)</sup>  
مضر أبي وأبوللوك فهل لكم      لاخزر تغلب من أبي كائنا  
هذا ابن عبي في دمشق خليفة      لو شئت قاذكم إلى قطيعة

(٢) ديوانه ٧٨

(١) ديوانه ٧٨

(٣) ديوانه ٧٨ ، ٧٩

فلما بلغ عهد الملك هذا، قال : ما زاد ابن المراهقة أن جعلني شرطياً له ، أما إنه  
و قال : « لو شاء ساقكم » لستقنهم إليه كما قال .

ونزل الفرزدق حين قدم على الأخوص فقال : ما تشتهي ؟ قال شواء وظلأ  
وغناء ، قال : ذلك لك ، ومضى به إلى قينة ففتته :

ألا حتى الدمار بسند إني أحبُّ حبَّ فاطمة الديار<sup>(١)</sup>

إذا ماحل أهلك بأسلمتي بدارة صلصل شحطوا مزارا<sup>(٢)</sup>

أراد الظاعنون ليعرّموني فهاجوا صدع قلبي فاصطاروا<sup>(٣)</sup>

فقال : ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز ! قال : أو تدرى ابن هذا ؟ قال :

هو لجريريه جوك ، قال : ويل لابن المراهقة ! ما كان أحوجه مع عقافه إلى صلابه

شعري ، وأحوجني مع فسوق إلي رقة شعره ، وفي الفرزدق منها :

وكنت إذا نزلت<sup>(٤)</sup> بدار قوم رحلت بخزنية وتركت هارا

وقال جرير :

لقد طال كتمانى أمانة حبها فهذا أوان الحب تبذروا شواكله<sup>(٥)</sup>

وإني وإن لام الموائل مولع بحب الفضامين حب من لا يزاله

ولما استقر الحب ألتى بي العصا<sup>(٦)</sup> ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقلن تزوّج لا يكن لك حاجة<sup>(٧)</sup> وقلبك لا تشغل وهن خواغله

(١) ديوانه ٢٨٠

(٢) الديوان : « المزارا »

(٣) الديوان : « ليعزوني »

(٤) الديوان : « حلت »

(٥) ديوانه ٤٧٨

(٦) الديوان :

• فلما التقى الحيمان ألتيت العصا •

(٧) الديوان :

« وقلن تزوّج لا تكن لك ضيعة »

وقال أيضاً :

يا أخت ناجية السلام عليكم  
لو كنت أعلم أن آخر مهديكم  
قبل الرحيل وقبل يوم المذل<sup>(١)</sup>  
يوم الفراق فلت مالم يفعل  
وقال أيضاً :

بفسي من نجته عزيز  
ومن أمس وأصبح لا أراه  
على ومن زيارته ليام<sup>(٢)</sup>  
ويطرقني إذا جمع النيام  
أذكر إذ نودنا سلمتي  
بفرع بشامة سقي البشام  
وقال أيضاً :

لا تكفرن إذا جمعت تلومي  
كان الخليل ثم الخليل فزايلا  
لا بدت القرناء أن يفرقوا  
لا يذهبن بفك الإكثار<sup>(٣)</sup>  
ولقد تهدل بالدار ديار  
لعل يسكر عليهم ونهار  
ومن هجوه في الراعي :

ففض الطرف إنك من نعيم  
ومندما قال هذا البيت وثب قائماً حتى أصاب السقف رأسه ، وقال :  
أخبرته والله وغصصته ، وقد مت أخويه عليه ، والله لا يفلح بعدها ، وكان كما قال ،  
ما أفلح بعدها هو ولا نعيم .

وقال في جندل بن الراعي :

أجندل ما تقول بنو نعيم  
إذا ما الأيرني است أهلك غابا<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ٤٤٣ :

يا أم ناجية السلام عليكم  
قبل الزواج وقبل يوم المذل<sup>(٥)</sup>

(٢) ديوانه ٥١٢ .

(٣) ديوانه ٢٠١ .

(٤) ديوانه ٧٥ .

(٥) ديوانه ٧٥ .

وأنشد القصيدة والفرزدق واقف ، فلما بلغ إلي قوله :

• تَرَى بِرَحاً بِأَجْعٍ إِسْكَنْيَهَا •

وضع الفرزدق يده على فيه ، وغطى منفته فقال :

• كَذَبْتَكَ الْفَرَزْدَقُ حِينَ شَابَا •<sup>(١)</sup>

فانصرف الفرزدق وهو يقول: اللهم أخزِه ، ولقد طلت حين بدأ البيت  
ألا يقول غيرها ، ولكن طمعتُ ألا تأنته .

وقال في ابن جلا :

تَمَرَّضْتُ نِيَمَ لِي عِداً لِأَخِيَّتِهَا      كَأَنَّ تَمَرَّضَ لَأَسْتِ الْخَارِىَ الْحَجَرِ<sup>(٢)</sup>  
بَانِيَمَ تَنِيَمَ عَدَى لَا أَبَالِكُمُ      لَا يَلْقِيَنَّكُمْ فِي سَوْدَةٍ عَمُرُ

وقال بذكر أمه :

تَقُولُ وَالْمَبْدُ مَسْكِينُ يُزَحِّمُهَا      وَفَقَا فِدَاكَ أَنْتَ الْفَاكِحُ الذِّكْرُ<sup>(٣)</sup>

وبينا جرير ينشد في زوجته :

لَوْلَا الْحِيَاءُ لَمَادَنِي اسْتِعْبَارُ      وَلَزَلْتُ قَبْرَكَ وَالْحَيِيبُ يُزَارُ<sup>(٤)</sup>  
كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الضَّجْبُ فَرَاشَهَا<sup>(٥)</sup>      كَتَمَ الْحَدِيثُ وَعَفَّتِ الْأُمَرَاءُ  
لَا يَلْبِثُ الْقَرْنَاءُ أَنْ يَتَصَدَّقُوا      لَيْلٌ يَكْرَهُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ

إذ طلع الأُخُوصُ قَطَعَ إِنْشَادَهُ ، ورفع صوته ، يقول :

عَوَى الشَّعْرَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَى فَقْدِ أَصَابِهِمْ انْتِقَامُ<sup>(٦)</sup>

(٢) ديوانه ٢٨٣

(١) ديوانه ٦٩

(٤) ديوانه ١٩٩ ، ٧٠١

(٣) ديوانه ٢٨٦

(٥) الديوان : « هَجَرَ الْخَلِيلُ فِرَاشَهَا » .

(٦) ديوانه ٥١٣ ، الأغاني ٨ : ٦٥

إذا أرسلتُ صاعقةً عليهم رأوا أخرى تحرق فاستداموا<sup>(١)</sup>  
فصطلم<sup>(٢)</sup> للسامع أو خصى<sup>(٣)</sup> وآخر عظم هامته حطام

ثم عاد . فقيل : لم فلت هذا ؟ قال : إني نهيت الأحرص أن يمين الفرزدق  
[ على ]<sup>(٤)</sup> وإني والله بابي عمرو بن عوف مانعوت من شاعر قط ، ولولا  
حكم مانعوت منه .

الأصمعي : حدثني أبي قال : رأى رجل جريرا في اللثام ، فقال : مانعل الله  
بك ؟ قال : خفلي ، قال : بماذا قال بتكبيره كبرت الله في الحر . وهو ماء بالبادية .  
قال : فافعل أخوك الفرزدق ؟ قال : هيهات أهلكه قذف الحصينات .  
قال الأصمعي : لم يدعه في الحياة ولا في المات ، وتوفي سنة أربع  
عشرة ومائة .

• • •

[ ذكر قس بن ساعدة الإيادي ]

وأما قس بن ساعدة الإيادي ، فيضرب به المثل في الفصاحة والخطابة ،  
فيقال : أبلغ من قس ، وهو أسقف نجران ، وهو من حكماء العرب ، وكان  
مؤمناً بالله ومبشراً برسوله ، وهو أول من خطب متوكفاً على عصا ، وأول من  
كعب : من فلان إلى فلان ، وفيه يقول الأحمسي :

وأنصح من قس وأجرى من الذي بذى العين من خفان أصبغ خادرا<sup>(٥)</sup>  
ولما قدم وفد بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سأله من رجل

(١) استداموا ، أي اخطروا .

(٢) مصطلم : مقطوع (٣) من الأغانى

(٤) في معجم البلدان : خر : ذهب من أهراس المدينة .

(٥) البيت ليس في ديوانه

(٦) الخبر في الأغانى ١٥ : ٢٤٦

كان فيهم نازلاً ، يقال له : قُسّ بن ساعدة الإبادي ، قالوا : هلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأيته بمكاف يخطب على جبل له أوزق<sup>(١)</sup> وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا ، واسمعوا وعُوا ، من عاثر مات ، ومن مات فات ، وكلّ ما هوأت آت ، ليلٌ موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تقور ، وبحر يور . أمّا بعد ، فإنّ في السماء ظبراً ، وإنّ في الأرض لغيراً ، مالي أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أم تركوا كما هم فناموا . أقسم بالله قسّ قسماً حقاً ، فما حنث ولا أثم ، إنّ لله ديناً هو أرضى من ديننا ، هذا الذي عن عليه ، ثم قال أياناً ما أحفظها ، فقال رجل من الأنصار : أنا شاهد بارسول الله ، بأبي أنت وأمي اقل : فأنشدنا ، قال : سمعته يقول :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر  
أنا رأيت موارد الموت ليس لها مصادر  
ورأيت قومي نحوها تمضي الأصغر والأكابر  
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين عابر  
أيقنت أنّي لا محال حيث صار القوم صائر

وقال صاحب الأغاني<sup>(٢)</sup> فيه هو قسّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن أيدعان<sup>(٣)</sup> بن النّير بن واثلة بن العظمتان بن عبدة مناة بن يقدم بن أفضى ابن دُعَمَى بن إباد .

وكان يند على قيصر زائراً فيسكرمه ويعظمه ، فقال له قيصر : ما أفضل العلم ؟ قال : معرفة الرجل بنفسه ، قال : فما أفضل العقل ؟ قال : وقوف المرء عند حله ، قال : فما أفضل الأدب ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه : قال : فما أفضل

(١) الأوزق : الذي فيه سواد وبياض .

(٢) الأغاني ١٠ : ٢٤٦ ط : د أرمان ، والمثبت من الأغاني

المروءة ؟ قال : قلة رغبة المرء في إخلاف وعده ، قال : فما أفضل المال ؟ قال : ما قضيَ به الحق.

ابن عباس رضى الله عنهما : وفد الجارود بن عبد الله في وفد عبد القيس ، وكان سيِّداً في قومه ، معظماً في عشيرته ، فأمن وآمن قومه ، فسرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بهم ، ثم قال : يا جارود ، هل في جماعة عبد القيس من يعرف لنا قسّاً ؟ قال : كلنا نعرفه بارسول الله ، وأنا كنت من بينهم ، أفقر أثره ، وأطلع خبره ، كان قسّاً سبطاً من أسباط العرب ، صحيح النسب ، فصيحاً ، ذا شبة حسنة ، عمر سبعانة سنة ، بتقفر القفار ، ولا تيكثه دار ، ولا يُقره قرار ، يتحسّى في تقفره بعض الطعام ، ويأنس بالوحوش والهوام ، يلبس الأسوح ويتبع السباح على منهاج المسيح ، لا يغير الزهانة ، مقرّاً بالوحدانية ، تُضربُ بمكثه الأمثال وتكشف به الأحوال ، وتنبه الأبدال ، أدرك رأس الحواريتين سمعان ، فهو أول من ناله<sup>(١)</sup> من العرب وأعبد من تعبد في الحقب ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذر سوء المنقلب والمآب ، ووعظ بذكر الموت ، وأمر بالعمل قبل الفوت ، الحسن الأنفاذ ، الخاطب بسوق عكاظ ، العارف بشرق وغرب ، وبأس ورطب ، وأجاج وعذب ، كاتى أنظر إليه ، والعرب بين يديه ، يقسم بالرب الذي هو له : كيبلفن السكباب أجله ، وليوفين كل عامل عمله ، ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من هواه أدكارُ      وليالٍ خلاصنَ نهارُ  
ونجوم يحثها قمر الأئيل وشمسٌ في كلِّ يومٍ تدارُ  
ضوءها بطمس العيون وإرعا      دُ شديد في الخافقين مثارُ  
وغلام وأخطَّ ورضيعٌ كلُّهم في القراب يوماً يزَارُ  
وقصور مشيدة حوت الخيـرَ وأخرى خَوَتْ فـهـنَ قفَارُ  
وكثير ممَّا تقصرُ عنه      حـدسـة النـاظـر الذي لا يحـارُ

(١) ناله ، أى تعبد .

وَالَّذِي قَدْ ذَكَرْتُ دَلَّ عَلَى اللَّهِ نَفْسًا لَهَا هَدَىٰ وَاعْتَبَارُ  
 قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلَى رِسَالِكَ يَجَارُودُ ، فَلَسْتُ أَنْسَاءُ بِصَوِّقِ  
 حِكَازٍ ، عَلَى جِلِّ لَهُ أَوْزَقٍ ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ مُوَوَّقٍ ، مَا أُخْلِقَ أَحْفَظُهُ ، فَهَلْ  
 فِيكُمْ لِمُعْشَرٍ لِلْهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَنْ يَحْفَظُ لَنَا مِنْهُ شَيْئًا ؟ فَوَثَبَ أَبُو بَكْرٍ قَائِمًا ،  
 وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا أَحْفَظُهُ وَكُنْتُ حَاضِرًا بِمُكَازَظٍ حِينَ خُطِبَ فَأُطْلِبُ ،  
 وَرَهْبٌ وَرَغَبٌ ، وَحَذَرٌ وَأَنْذَرٌ ، وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعُصُوا ،  
 وَإِذَا وَعَيْتُمْ فَاتَّقِعُوا ، إِنَّهُ مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلَّ مَا هُوَ آتٍ  
 آتٍ ، مَطَرٌ وَنَبَاتٌ ، وَأَرْزَاقٌ وَأَقْوَاتٌ ، وَأَبَاءٌ وَأُمَهَاتٌ ، وَأَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ ، وَجَمْعٌ  
 وَشَقَاتٌ ، وَأَيَّاتٌ بَعْدَ آيَاتٍ ، إِنْ فِي السَّمَاءِ تَلْمِيزٌ ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ آيَمٌ ، لَوْلَا  
 دَاجِرٌ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَجْرَاجٍ ، وَأَرْضٌ ذَاتُ رَنَاجٍ ، وَبَحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ ، مَا لِي أَرَى  
 النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَكُوا هُنَاكَ فَنَامُوا ؟  
 أَقَسَمَ قُسٌّ بِاللَّهِ قَسْمًا حَقًّا لَا آتِمًا فِيهِ وَلَا حَاسًا ، إِنَّ اللَّهَ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَهِهِ مِنْ  
 دِينِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَنَبِيًّا قَدْ حَانَ حَيْثُهُ ، وَأَخْلَسَكُمْ أَوَانُهُ وَأَدْرَكَكُمْ إِبَّانُهُ ،  
 فَطُورِي لِمَنْ آمَنَ بِهِ فِهْدَاهُ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ وَعَصَاهُ ! ثُمَّ قَالَ : تَبًّا لِلْأَرْبَابِ الْغَفْلَةِ  
 مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ، وَالْمُتَرَوْنَ لِلْمَاضِيَةِ ! بِأَمْعَشَرِ إِيَادٍ ، أَيْنَ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ ، وَأَيْنَ  
 لِلرَّبِضِ وَالْعُمُودِ ، وَأَيْنَ الْفَرَاغَةُ الشَّدَادِ ؟ أَيْنَ مَنْ بَنَى وَشَتَدَ ، وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ ،  
 وَغَرَمَ الْمَالَ وَالْوَلَدَ ! أَيْنَ مَنْ بَنَى وَطَنِي ، وَجَمَعَ قَاوِمِي ، وَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى .  
 أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ أَمْوَالًا ، وَأَطْوَلَ مِنْكُمْ أَجَالًا ، طَعَنَهُمُ الثَّرَى بِكُلِّكَلِهِ ،  
 وَمَزَقَهُمْ بِطُغُولِهِ ، فَتَلَّكَ عَظَامَهُمْ بِالْيَةِ ، وَيَبُوتَهُمْ خَاوِيَةً ، عَمَّرَهَا الذَّنَابُ الْعَاوِيَةَ .  
 كَلَّا بَلْ هُوَ لِلْمُبُودِ ، لَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ . . . الْأَيَّاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ . قَالَ : ثُمَّ جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ ، وَقَامَ رَجُلٌ ذُو هَامَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَقَامَةً جَسَمَةٍ ، فَقَالَ : يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ،  
 وَصِفُوهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ قُسٍّ عَجَبًا ؛ أَشْرَفَ لِي جِلِّي عَلَى وَادٍ ،

وشجر من شجر عاد ، مُورقة مونة ، وقد تهطل أغصانها . قال : فدنت منه ،  
فلذا بُقس في ظل شجرة ، بيده قضيب من أراك يـسكت به الأرض وهو  
يترنم ، ويقول :

بانا عى للوت والمعود في جدثٍ عليهم من بقايا خزم خرق  
دعهم فإن لهم يوماً يطاح بهم فهم إذا انتهبوا من نومهم فرق  
حق يعودوا بحال غير حالهم خلقاً جديداً كما من قبلها خلقوا  
مهم عراة ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها المنهيج الخلق

قال : فدنت منه ، وسلّمت عليه ، فردّ على السلام ، وإذا بعين خراة ،  
في أرض خوارة ، ومسجد بين قبرين ، وأسد ين عظمين ، ولوذان به ، وبتمتحن  
بأثوابه ، فأراه أحدهما أن يسبق إلى الماء ، وتبعه الآخر يطلب الماء ، فضر به قس  
بالقضيب ، وقال : ارجع تسكلتلك أمك ! حتى يشرب الدمى ورّد قهلك . فرجع  
ثم ورد بعده ، فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال : هذان قبر أخوين لي كانا يهدان  
الله ممي في هذا المكان ، لا يشركان بالله شيئاً ، فأدركهما الموت فقبرتهما ،  
وهما أنا بين قبريهما ، حتى ألحق بهما . ثم نظر إلى السماء فتفرغرت عمناء بالدموع ،  
وانسكب عليهما ، وجعل يقول :

خَلَيْتُ هَبّاً طالماً قد رقدتما أجداً كما لا تقضيان كراماً<sup>(١)</sup>  
ألم تملسا أنى يستمعان مفرد ومالي فيها من خليلٍ سواكما  
مقيم على قبريكما لصتُ بارحاً طول اللآيالي أو يُجيب صداكما  
أبككمكما طول الحياة وما الذي يردّ على ذى عولة إن بكما كما  
كانكما والموت أقرب غاية بروحى في قبريكما قد أناكما

(١) الأغاني ١٥ : ٢٤٨

أَمِنْ طُولِ نَوْمٍ لَا تَجِيْبَانِ دَاعِيَا      كَأَنَّ الْقَدَى يَسْقَى الْعَقَّارَ سَقَا كَمَا  
فَلَوْ جُمِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَقَابَةٌ      لَجِدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَا كَمَا  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ قُتْلًا، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَنْبِعْهُ اللَّهُ  
أُمَّةً وَحِدَةً» .

\* \* \*

[ ذكر عبد الحميد ]

وأما عبد الحميد ، فهو ابن يحيى بن حميد ، كاتب مروان بن محمد ، آخر ملوك  
في أمية ، وكتب أيضا للمنصور . وقيل إنه قتل مع مروان .  
وكان رأسا في الكتابة ، ومقدما في الفصاحة والخطابة ، بليغا مرسلًا ، وقال  
فيه ابن هبدره : كتب عبد الحميد بن يحيى لعبد الملك بن مروان ، وكتب  
إسليمان بن عبد الملك ، وليزيد بن عبد الملك ، ثم لم يزل كاتبًا لخلفاء بني أمية ؛  
حتى انقضت دولتهم <sup>(١)</sup> .

وعبد الحميد أول من فتق أكام البلاغة ، وسهل طرقها ، وفك رقاب  
الشعر <sup>(٢)</sup> .

وقال له مروان حين أيقن بزوال ملكه : قد احتجت أن تصد مع عدوي ،  
وتظهر الفدر بي ؛ فإن أعجابهم بأدائك بدموم إلى حسن الظن بك ، فإن  
استطعت أن تنفسي في حياتي ، وإلا لم تمجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي . فقال  
له عبد الحميد : إن القدي أشرت به على أنفع الأمرين لك ، وأقبحهما لي ، وما عندي  
إلا الصبر حتى يفتح الله لي ولك ، أو أقتل معك . ثم قال :

أَمِيرُ وَفَاءٍ ثُمَّ أَظْهَرَ خَدْرَةَ      فَنِي بِمَذْرُ بُوَيْسِجٍ النَّاسَ ظَاهِرُهُ <sup>(٣)</sup>

(١) المقدم ٤ : ١٦٥

(٢) المقدم ١ : ٩٢

وعبد الحميد هو صاحب الرسائل والبلاغات ، وهو أول من أطلال الرسائل ، واستعمل الحميدات في فصول الكتب ، واستعملت بعده ، وهو القائل :  
البلاغة تقرير المعنى في الأفهام ، من أقرب وجوه الكلام .

ولم يزل الشعراء ومهّرة الكتبة يضربون ببلاغته وكتابته الأمثال في كتبهم وأشعارهم في القديم والحديث ، كفضل الصاحب وقرنائه ، مع طابع تنجح ولفظ عذب ، وصلة نثر بنظم ، فإن شاء قال : أنا الوليد ، وإن شاء قال أنا عبيد ، وإن شاء قال : أنا عبد الحميد ، وإن شاء قال : أنا سعيد .

وقيل : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .

• • •

[ ذكر أبي عمرو بن العلاء ]

وأما أبو عمرو فهو ابن العلاء ابن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث ابن جَلْهَم بن خُزَيم بن مازن بن مالك بن عمرو بن نعيم : واسمه وكنيته واحد في الأشهر .

الفتجديهي : اختلف في اسمه على تسعة عشر قولاً ، فقيل : اسمه محمد أو حميد أو حماد أو عثمان أو سفوان أو غير ذلك ، وأصحها زَبَّان .

واختلف في مولده ، فقيل : ولد سنة خمس وسعين بمكة في أيام عبد الملك ابن مروان : وقيل : سنة سبعمين .

أبو عبيدة : كان أبو عمرو أستاذ طوبلاً خرب اليدين ، حاد النظر ، ما رأيت مثله قبله ولا بعده في فهمه ولا عليه ، وكان صاحب غريب ونحو وعلم ، وهو أحد الأئمة في القراءة ، وعنه أخذ يونس والأصمعي وأبو عبيدة . وفيه يقول الفرزدق :

ما زِلْتُ أَغْلِقُ أَبْوَابًا وَأُنْتَحِهَا حَتَّى أَنْتُ أَبَا عمرو بن عمارٍ  
وقال ابن مجاهد : كان أبو عمرو مقدِّمًا في عصره ، عالمًا بالفراة ووجوهها ،  
قدوة في العلم باللغة ، إمام الناس في العربية .

وكان مع ذلك متمسكًا بالآثار ، ولا يكاد يخالف في اختياره ما جاء من  
الأئمة قبله ، متواضعًا في علمه .

وقال أبو عبيدة : كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام العرب  
وأنسابها وغمورها ، وكانت دياره ملء بيت ، فأما تنسك أحرقها ، وجعل على  
نفسه أن يحتم القرآن في كل ثلاث ليال ، فلما أسن اختلط بالناس ، واحتاجوا  
إليه فعول على حفظه ، فأملئ من حفظه كتب الناس ووقع عليه الإجماع .

روى الأصمعي عن أبي عمرو قال : كنتُ أسمر مع مسلم بن قنينة الباهلي  
وكان بمجبه الزوى على السين ، فأنشدني ليلة سبعين قصيدة على السين لستين شاعرًا ،  
اسمهم عمرو .

الأصمعي : كان لأبي عمرو كل يوم من غلة داره قلسان : فلس يشتري  
به كوزًا ، وفلس يشتري به ربحانا ، يشرب في الكوز يومه ، ويشمُ الربحان  
يومه ، فإذا أمسى تصدق بالكوز ، وأمر الجارية أن تحبف الربحان وتدقه  
في الأشتان .

الأصمعي : قال أبو عمرو : كنت في ضيعة ، فاشد على الحر ، فسكنت  
أدور في سِدْرٍ فيها نصف النهار ، فسمعت قائلًا يقول :

وإن امرءًا دنياه أكبرُ همهُ      لمستمك منها بجمل غرور<sup>(١)</sup>

(١) الخبر والبيت في طبقات النحويين والنحويين لأبي زيد ٣٣ .

( ٢٦ - شرح مقامات الحريري ج ١ )

فقلت : إنسى أم جئى ؟ فما أجابنى ، فنقشته فى خانمى ، فكان نقش خاتمه .

الأصمعى : كنت واقفاً بالمرئبد ، وإذا أنا بأبى عمرو ، فلما بصُر بى مال إلى ، فقال : ماوقوفك هنا يا أصمعى ؟ قلت : لى أحب المرئبد وأكثُر الجلوس فيه ، فقال : الزمه ، فإنه يشدّ النظر ويجلو البصر ، ويجمع بين ربيعة ومضر . ثم أردت الانصراف ، فقال : إلى أين يا أصمعى ؟ فقلت : إلى صديق لى ، فقال : إمّا لفائدة أو لعائدة أو لمائدة وإلا فلا . ثم قال لى : مالى أراك بلا عمامة ؟ قلت : لا عمامة لى ، فنزع عمامته عن رأسه فدفعها لى ، فكبر ذلك على ، فقال لى : إن لى بدلها إحدى عشرة عمامة ، ثم قال لى : الزم العمامة ، فإنها تشدّ اللام ، وتحفظ الهامة ، وتزيد فى القامة ، ثم استخرج من كمّة كيساً فدفعه لى ثم قال : يا أصمعى ، لازنم بخير مادمتم تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، فإذا تركتم ذلك سلط الله عليكم أقواماً غلاظاً فظاظاً ، خبّرتكم على قدر معرفتكم .

وأما قراءته وإعرابه المذكوران فى القامة ، فإن شجاع بن نصر ، قال : قلت لأبى عمرو : كيف طلبت قراءة القرآن ؟ قال : لم أزل أطلب أن أقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما أنزل عليه ، فقلت له : وكيف ذلك ؟ قال : هرب أبى من الحجاج ، وأنا شابٌّ ، فقدمنا مكة ، فلقيت بها عدة من التابعين يمتن قرأ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثل مجاهد وسعيد ابن جبير ومطاء وغيرهم ، فقرأت عليهم القرآن ، وأخذت العربية عن العرب الذين سبقونا باللعن ، فهذه التى أخذت بها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشدّد يدك بها .

وقال : خرج أبى ماردا من الحجاج إلى اليمن ، فإننا لندسير فى الصحراء باليمن إذ لحقنا لاحقٌ يُبشّد :

رَبَّمَا نَجْزِعُ النَّفُوسَ مِنَ الْأُمُورِ لَهُ فَرْجَةٌ كَعَلِ الْعِقَالِ<sup>(١)</sup>  
 فقال له أبي : ما الخبر ؟ فقال : مات الحجاج ، فأنا بقوله : « فَرْجَةٌ » بفتح  
 الفاء أخذتُ مروراً متى يموت الحجاج ، فقال أبي : اصرف ركبنا إلى البصرة .

الفنجدبى : رأيت في بعض الفوائد أن الحجاج قال لأبي عمرو : ما وجه  
 قراءتك : ( إِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ غُرْفَةً ) بفتح الغين ؟ فقال : أبلغني ربي ، فقال :  
 قد أبلغتك الغرات . وقال : قاتل الله ابن أم الحجاج ، لئن لم تأتني بالجواب إلى  
 خمسة عشر يوماً لأقتلنك شرّ قتلة ، ووكل به موكلين ، فخرج أبو عمرو بطوف  
 في أحياء العرب ، فلم يجد له حُجَّةً إلى يوم وعده ، فخره الموكلون به ليرجعوه إلى  
 الحجاج ، فسمع راعياً ينشد : رَبَّمَا نَجْزِعُ النَّفُوسَ ... البيت ، فقال له أبو عمرو :  
 كيف تنشد هذا البيت : له فَرْجَةٌ أو فُرْجَةٌ ، فقال : فَرْجَةٌ وفُرْجَةٌ ، وكذلك كل  
 ما جاء على قَمَلَةٍ ، فلنا فيه ثلاث لغات ، فقال له أبو عمرو : فما سبب إنشادك  
 هذا البيت في هذا الوقت ؟ فقال : إِنَّا كُنَّا خَائِفِينَ مِنَ الْحَجَّاجِ ، وَقَدْ بَلَّغْنَا نَعْيَهُ ،  
 قال : والله لا أدرى بأيهما كنت أشدَّ فرحاً ، بوجداني الجواب والحجة لقولى  
 واختباري ، أم بموت الحجاج !

سفيان بن عيينة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت له :  
 يا رسول الله ، قد اختلفت على القراءات ، فبقراءة مَنْ تأمرني أن أقرأ ؟ قال :  
 بقراءة أبي عمرو بن العلاء .

وقال أبو العباس بن سُرَيْج : من أراد أن يتظرف فعلوه بمذهب الشافعي ،

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت ، وهو له اللسان ، ( فرج ) وذكر قبله :

\* لَا تَضَيِّقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تُكْشَفُ غَاوُهَا بِغَيْرِ احْتِمَالٍ \*

وقراءة أبي عمرو بن العلاء وشعر ابن المعتز ، فقبل له : قد عرفنا مذهب الشافعي  
وقراءة أبي عمرو بن العلاء ، فأنشدنا من شعر ابن المعتز ما يوجب الظرف فأنشد :

كنت صباحي قري عين نصرت أمسي صريع بين  
بعين نفسي أصبت نفسي فإله بيني وبين عيني

وكان يقول : إنما نحن فيمن مضى ، كقبل في أصول نخل طوال .

وقال أبو عمرو : ناظرت عمرو بن عبيد في الوعيد ، فقال : إن الله تعالى  
لا يؤمننا بشيء فيخلقنا ، فقلت له : يا أبا عثمان<sup>(١)</sup> ، ليس لك علم بالآفة ، إن خاف  
الوعيد عند العرب ليس بخلف ، وأنشد :

وإني وإن أوعدته أو وعدته ليس كذب إيمادي ويصدق مؤيدي<sup>(٢)</sup>

وقال أبو عمرو : كنت رأسا والحسن حتى . وتوفي بالكوفة سنة أربع  
وخسين ومائة ، وهو ابن ست وثمانين سنة ، وعلى قبره مكتوب « هذا أبو عمرو  
ابن العلاء مولى بني حنيفة » .

وإنما قيل هذا لأن أمه كانت من بني حنيفة .

أبو عبيدة : دخل أبو عمرو على ساجان بن عبد الملك ، فسأله عن شيء  
فصدقه فيه ، فلم يمجبه ما قال ، فخرج أبو عمرو وهو يقول :

أنفت من الدل عند اللوك وإن أكرموني وإن قرؤوا  
إذا ماصدت لهم خفتهم ويرضون متى بأن يكذبوا

وقال أبو بكر بن مجاهد : رأيت أبا عمرو في المنام ، فقلت : ما فعل الله

(١) أبو عثمان كنية عمرو بن عبيد .

(٢) البيت كما في اللسان ( وعد ) لعامر بن الطفيل ، وروايته .

• أخلف إيمادي ومُنجز مؤيدي •

بك؟ فقال لي : دعني مما فعل الله بي ، مَنْ أقام ببنداد على السنة والجماعة ومات ، نُقل من جنة إلى جنة .

• • •

### [ ذكر مناقب الأصمعي ]

وأما ابن قُريب ، فهو أبو سميح عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصم ، وإلى أصم هذا يُنسب . وأصم يُخَذُّ من بني قتيبة بن معن بن أقر بن سميد بن قيس بن عيلان ، وبنو معن هم بنو باهلة ، وباهلة امرأة من تهمدان تزوجت معنًا فذُنب ولده إليها . والأصم في اللغة الضامر الذي ليس بمنفتح ، ومنه الصَّومعة لضمرها ، وتديق رأسها ، ومثله قولهم : جاء بريدة مصممة ؛ إذا رققها وأخذ<sup>(١)</sup> رأسها ، وسهم متصمغ : متطاع بالدم ، فانضمت قذذه<sup>(٢)</sup> .

وكان الأصمعي حافظًا عالمًا فطنًا عارفًا بأشعار العرب وأخبارها ، كثير الطواف بالبادية لافتناس علومها وتلقي أخبارها ، فهو صاحب غرائب الأشعار ، وعجائب الأخبار ، وقدوة الفضلاء ، وقبلة الأدباء ، قد استولى على الغايات ، في حفظ اللغات ، وضبط العلوم الأدبيات ، صاحب دين معين ، وعقل رصين ، وكان خاصًا بالرشيد ، أخذًا لصلاته كثيرًا ، وقد تقدّم في هذا الكتاب من الحكايات المسندة إلى الأصمعي ، ما يدل على تبحره وحفظه .

ومن حكاياته عن أعرابه على ما أشار له الحريري هنا : حدث الأصمعي رحمه الله ، قال : أعرابي : حُسن التدبير مع الكفاف ، أكنى من الكثير مع الإسراف .

الأصمعي سمعت أعرابيًا يقول : مَنْ كساه الحياة ثوبه ، أخفى على الناس هيبته .

(١) ط : د أخذ .

(٢) القذذ : جمع قذذ ، وهي ريش السهم .

الأصمعيّ: قال أعرابيٌّ: من اقتصد في الغنى والفقر ، فقد استعدّ لنائبات الدهر .

قال : وقال أعرابيٌّ : مداوة الحكيم أقلّ عليك ضرراً من مودة الجاهل منهم .

قال : وقال أعرابيٌّ : أعجزُ الناسَ مَنْ تهرى في طلب الإخوان ، وأعجز منه مَنْ ضيّعَ مَنْ ظفّرَ به منهم .

وقال : تزوّج أعرابيٌّ إلى بعض الحاضرة ، فلما كان ليلة دخوله بها ، إذا هي أدماء مجدورة ، فخرج من البيت وهو ينشد ويقول :

زَوَّجْتَنِي أَدْمَاءَ مَجْدُورَةٍ      كأنها من خَشَبِ الْبَيْتِ  
قُبُوحَةُ الْوَجْهِ لَهَا مِنْظَرٌ      يَفْرَ مِنْهُ مَلَكُ الْمَوْتِ

قال : وجرى بين أعرابيٍّ وبين امرأته كلام بالمِرْبَدِ ، فسقمت ، فقال لها : اسكتي ، فوالله ما شَرُّكَ بوارِدٌ<sup>(١)</sup> ، وما فوك ببارِد ، ولا نديك بناهد ، ولا بطُنك بوالد ، ولا الخير فوك بزائد ، ولا الشرّ فيك بواحد ، وما أنا لك بحامد ، ولا بعد موتك بواجد .

[ مجلس للأصمعيّ عند الرشيد ]

ونذكر بعد ذلك حكاية المشهورة مع الرشيد ووزرائه ، ومحتمل طولها لما احتوت عليه من غرائب الآداب ، وكان مجاسَ مذاكرة بين أفراد ، فأظهر كلّ رجل منهم أفضل ما يذكّر .

حدث الأصمعيّ قال : استدعاني الرشيد في بعض الايام ، وقد تصرّمت قطعة من الايل ، فراءتني رسله ، ولم أفتأ أن مثلت بين يديه ، وإذا في المجلس يحيى بن خالد وجعفر والفضل ، فلما لحظني الرشيدُ استدعاني ، فدنوت منه ،

(١) الشعر الوارد : الطويل المستزسل .

فتبين ما لبسى من الوجل ، فقال لى : ائفريخ روعك ، فاردناك إلا ما يراد  
له منك ، فسكتت هههه إلى أن ثابت إلى نفسى بعد أن كادت تطير شامعا ،  
فقال : إني نازعت هؤلاء القوم فى أشعر بيت قالته العرب فى التشبيه ، ولم يقع  
إجماعنا على بيت ، فأردناك لفصل هذه القضية ، واجتداء ثمرة الخطأ<sup>(١)</sup> فيها .  
قلت : يا أمير المؤمنين ، إن التعمين على بيت واحد فى نوع واحد - قد وسعت  
للعرب فيه ، وجملته مقلدا لأنكارها ، ومستراحا لخواطرها - لبعيد أن يقع  
النص عليه ، ولكن أحسن الناس تشبيها امرؤ القيس فى قوله :

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَاطِبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعُتَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي<sup>(٢)</sup>  
وفى قوله :

كَانَ هَوْنُ الْوَحْشِ حَوْلَ خَبَائِثِنَا وَأَرْحَامُنَا الْجَزَعُ الَّذِى لَمْ يَثْقُبِ<sup>(٣)</sup>  
وفى قوله :

وَلَوْ مِنْ نَثَا غَيْرِهِ جَاءَنِي وَجُرْحُ الْإِنِّ كَجُرْحِ الْوَدِ<sup>(٤)</sup>  
وفى قوله :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ<sup>(٥)</sup>  
فألقت إلى يحيى ، وقال : هذه واحدة ، قد نص على امرؤ القيس أنه  
أبدعهم تشبيها . قال يحيى : هى لك يا أمير المؤمنين ، ثم قال لى الرشيد : فما أبدع  
تشبيهاته عندك؟ قلت : قوله بصف فرسا :

(١) الخطار : المراهنة

(٢) ديوانه ٣٨ ، والمخفف : ردى ، التمر

(٣) ديوانه ٥٢ والجزع : الخرز

(٤) ديوانه ١٨٥

(٥) ديوانه ٣١

كَانَ تَشْوَقَهُ بِالضَّمِيِّ تَشَوُّفُ أَزْرَقِ ذِي مِخْلَبٍ (١)  
إِذَا قَرَعْتَهُ حَلَالٌ لَهُ تَقُولُ سَلَبْتُ وَلَمْ تَسْلِبْ

فَقَالَ : هَذَا حَسَنٌ ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُهُ :

فَرُحْنَا بِكَابْنِ الْمَاءِ يُجَنَّبُ وَسَطُنَا تَصَوَّبَ فِيهِ الْعَيْنُ طَوْرًا وَتَرْتَقِي (٢)

فَقَالَ جَعْفَرٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا هَذَا الَّذِي تَحْكُمُ ؟ قَالَ الرَّشِيدُ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ :  
يَذْكُرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَقَعَ اخْتِيارُهُ عَلَيْهِ ، وَنَذْكُرُ مَا اخْتَرَنَاهُ ، وَيَكُونُ الْحُكْمُ  
وَأَقْرَبًا بَعْدَ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَسْرَضْتُ ، فَاسْتَعْمَلْتُهَا - يَقَالُ : أَمْرُضُ الرَّجُلَ : إِذَا قَارَبَ  
الْأَصْوَابَ - ثُمَّ قَالَ الرَّشِيدُ : بَلْ تَبْدَأُ يَا بَحِي ، فَقَالَ بِحِي : أَحْسَنُ النَّاسِ تَشْبِيهاً  
بِأَبْنَةِ فِي قَوْلِهِ :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ (٣)  
وَفِي قَوْلِهِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذَرِّكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُنْعَى مِنْكَ وَاسِعُ (٤)  
وَفِي قَوْلِهِ :

بَيْنَ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مَوْثِيٍّ أَكَارُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّقِيلِ الْفَرْدِ (٥)  
فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَمَّا تَشْبِيهُهُ مَرَضَ الطَّرَفِ فَحَسَنٌ ، إِلَّا أَنَّهُ عِجْزُهُ بِذِكْرِهِ  
الْمَلَّةَ ، وَتَشْبِيهُهُ الْمَرَأَةَ بِالْعَلِيلِ . وَأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَاقِ الْعَامِلِيِّ :  
وَكَاثِنَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَائِمٍ (٦)

(١) لم يرد هذان البيتان في ديوانه .

(٢) ديوانه ١٧٦ وفي ط : « بكأس الماء » ، تصحيف صوابه من الديوان .

(٣) ديوانه ٣٠ .

(٤) ديوانه ٥٥ .

(٥) ديوانه ١٨ .

(٦) الخلاصة ٢١ .

وَسَفَانُ أَفْصَدَهُ النَّمَامُ فَرَنَّتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ  
وَأَمَّا تَشْبِيهِ الْإِدْرَاكِ بِاللَّيْلِ ، فَقَدْ نَسَاوَى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَمَا يَدْرُكَ كَانَهُ ، وَإِنَّمَا  
كَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمَا لَيْسَ لَهُ قِسْمٌ ، حَقٌّ بِأَنِّي بِمَعْنَى يَنْفَرِدُ بِهِ ، وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ :  
إِنَّ قَوْلَ الْهَرَمِيِّ فِي هَذَا أَحْسَنُ ، لَوَجَدَ مَسَاغًا إِلَى ذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ :  
فَلَوْ كُنْتُ بِالْعَفَاءِ أَوْ بِسِنَامِهَا نَخَلْتُكَ إِلَّا أَنْ تُصَدِّتْرَانِي  
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

\* طَاوَى الْمَصِيرَ كَسَيْفِ الصَّهْقَلِ الْفَرْدِ \*

فَالطَّرْمَاحُ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَعْنَى ، لِأَنَّهُ أَخَذَهُ لِحُجُودِهِ وَزَادَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ النَّابِغَةُ  
اخْتَرَهُ ، وَقَوْلُ الطَّرْمَاحِ :

يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَانَهُ سَهَفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُبْعَدُ

فَقَدْ جُمِعَ فِي هَذَا الْبَيْتِ اسْتِمَارَةُ لَطِيفَةٍ بِقَوْلِهِ : « وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ » وَتَشْبِيهِهُ  
اِثْنَيْنِ بِقَوْلِهِ : « يَبْدُو وَتُضْمِرُ » « وَيُسَلُّ وَيُبْعَدُ » ، وَجُمِعَ حَسَنُ التَّقْسِيمِ  
وَصَحَّةُ الْمَقَابَلَةِ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَاسْتَقْبَشَ الرَّشِيدَ وَبَرَقَتْ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ ، حَتَّى خَلَتْ بَرَقَاتُ  
يَوْمِضٍ مِنْهَا ، وَقَالَ لِهَيْجِي : فَضَلْتُكَ وَرَبَّ السَّكْمَةِ ، فَانْتَفَعَ بِحَيٍّ ، فَكَانَ  
الرَّمَادُ ذَرًّا عَلَى وَجْهِهِ ، قَالَ الْفَضْلُ : لَا تَعْجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَتَّى أَمُرَ مَا قُلْتَهُ  
بِسَمْعِهِ ، فَقَالَ : قُلْ ، قَالَ : أَحْسَنُ النَّاسِ تَشْبِيهَا طَرَفُهُ فِي قَوْلِهِ :

وَوَجْهُهُ كَانَ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِذَاءَهَا عَلَيْهِ نَقَى الْاَلَوْنَ لَمْ يَتَغَدَّرْ<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٣١٠ (ضمن مجموعة مختار الفعري الجاهلي) وفي ط : « يتجدد » ، تحريف .

وفي قوله :

بشق حباب الماء حَبِزَومُها بهـا      كما قَسَمَ التَّربُّ المِغَابِلُ بِالْيَدِ<sup>(١)</sup>

قال : فقلت : هذا حَسَنٌ وغيره أحسن منه ، قد شرَكَه في هذا المعنى جماعة من الشعراء ، وبعد فطرفة صاحب واحدة ، لا يُقَطعُ بقوله مع التجوُّز ، وإنما يمتدُّ من أصحاب الواحدة قال : وَمَنْ أَصْحَابُ الْوَاحِدَةِ؟ قلت : الحارث بن حِزْرَةَ في قوله :

أَذْنَنَّا بَيْنَهُمَا أَسْمَاءَ      رَبِّ تَأْوِيلُهُ مِنْهُ التَّوَاهُ<sup>(٢)</sup>  
والأسمع الجعفي في قوله :

هل دان قلبك من سُلَيْمِي فَأَشْفِي      ولقد عنيت بمحبها فيما مَفَى<sup>(٣)</sup>  
والأنوه الأودي في قوله :

لَمَّا تَرَى رَأْمِي فِيهِ تَذَعَّ      وشواني خَلَّةً فيها دَوَارُ<sup>(٤)</sup>  
وعليمة في قوله :

• طحَّابَكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَّانِ طَرُوبُ<sup>(٥)</sup>

وسويد بن أبي كاهل في قوله :

بَسَطَتْ رَابِعَةُ الْحَبْلَ لَنَا      فوصلنا الحبلَ منها فَاتَّسَعَ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ٣٠٩ .

(٢) مطلع المعلقة ٤٣٣ - بشرح ابن الأنباري .

(٣) لم يرد في مقصورته الأصمعية ٤٤ .

(٤) ديوانه ١١٤١ ( مجموعة الطرائف الأدبية )

(٥) مطلع قصيدته البائية ٤١٨ ( مختار الشعر الجاهلي ) وبقيته :

• يعود الشَّكَبَ عَصَرَ هَانِ مَشُوبُ •

(٦) مطلع قصيدته المفضيلة ص ١٩١ .

ومرو بن كلثوم في قوله :

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِرِينَا وَلَا تُنَبِّئِي خُورَ الْأَنْدَرِينَا<sup>(١)</sup>

ومرو بن ممد يسكرب في قوله :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّامِي السَّمِيعِ بُورَقِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ<sup>(٢)</sup>

فاستخفت الرشيد الأرمينية ، وقال : ادنه ، فإنك جُعَيْش وحدك ، وزدت

في عبي نبلا ، فقال جعفر :

\* أَبَيْتُ قَلِيلًا بِدَرْكِ الْمَرْجَا سَحَل \*

بمرّض بأنه قد يجوز أن يدرك ما يحاوله ، فقال له الرشيد : فاتفك والله  
الدوابق ، وجئت سُكَيْنَا<sup>(٣)</sup> ذا زوائد أربع ، قال : ورأيت الحمية في وجهه ، فقال  
جعفر : على شريطة حلمك . قال : أترأى بسع غيرك وبضيق عنك ؟ فقال جعفر :  
لست أنص على شاعر واحد أنه أحسن الناس في بيت تشبيهها ، ولكن قول  
امري القديس :

كَانَ غُلَامِي إِذْ عَلَا حَالَ مَقْنِهِ عَلَى ظَهْرِ بَازٍ فِي السَّمَاءِ مَحْتَقٍ<sup>(٤)</sup>

وقول عدي بن الرقاع :

يَتَمَاوِرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مَلَاءَةً غَبْرَاءَ مَحْكَمَةٍ هُمَا نَسَجَاهَا<sup>(٥)</sup>

تُطَوِّى إِذَا وَرَدَا مَكَانًا جَاسِمًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أَمْسَلَتْ نَشْرَاهَا<sup>(٦)</sup>

(١) مطلع المعلقة ٣٧١ - يشرح ابن الأنباري .

(٢) مطلع قصيدته الأصمعية ٦١ .

(٣) السكيت : ما يمس آخر الحلية من الخيل .

(٤) ديوانه ١٧٣ .

(٥) أمالي المرتضى ١ : ١٠٣ ، ١٠٤ وفيه : « ملأه بيضاء » .

(٦) ط : « خاستاء » وما أثبتته من أمالي المرتضى . والجاسي : النليظ من الأرض . وأسملت :

صارت إلى سهولة الأرض . وفي الأمالي : « إذا وطئنا مكانا » .

وقول النابغة :

بأنك شمسٌ والملكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبٌ<sup>(١)</sup>  
قال الأصمعي : قلت : هذا حسن كله بارع ، وغيره أحسن منه ، وإنما يجب  
أن يقع التعمين على ما اخترعه قائله فلم يُعترض له ، أو تعترض له شاعر ، فوقع  
دونه ، فأما قول امرئ القيس :

\* على ظنِّهٍ بازٍ في السَّماءِ محلقٍ \*

فن قول أبي دؤاد :

إذا شاء رأكبه ضمه كما ضمَّ بازٍ السماءَ الجناحُ<sup>(٢)</sup>  
وأما قول عدي :

\* يَتَمَّاوران من الغبارِ ملاءةً \*

فمن قول الخنساء :

جاري أباه فأقبلا وهما يَتَمَّاوران مُلاءةَ الحُضِرِ<sup>(٣)</sup>

وأول من نطق به جاهلي من بني عقيل ، قال :

ألا يا ديارَ الحَيِّ بالبرَدانِ عَفَّتْ حَجَجٌ بَعْدِي لِمَنْ نَمَانِي<sup>(٤)</sup>  
فلم يبق منها غير نؤي مهديم وغير أنافي كالركي دِفَانِ  
وَأَنَارِ هَابٍ أَوْرَقِ الدُّونِ سَافِرَتْ به الرِّيحُ والأمطارُ كلَّ مَكَانِ

(١) ديوانه ١٣

(٢) ديوانه ١٣ وفيه « إذا شاء فارسه » وقط : « الجناحا »

(٣) ديوانها ٢٥٩ .

(٤) خزائن الأرب ٣ : ٢٧٦ ومهجم البلدان ٥ : ٣ ، وزهر الآداب ٩٢٦ ، وتغني هذه  
الآيات إلى ابن مقبل ، كما تنسب لابن أحر .

قِفَارٌ مَرَوْرَآةٌ يَحَارُّ بِهَا الْفَطْلُ وَيُضْحِي بِهَا الْجَابَانُ يَغْتَرِكَانُ<sup>(١)</sup>  
يُثِيرَانِ مِنْ نَسْجِ الْغُبَارِ عَلَيْهِمَا قِمِيمَيْنِ أَسْمَالًا وَيَرْتَدِيَانِ  
وشارك هدياً أبو النجم، وأورده في أحسن لفظ ، قال يصف عيرا وأناثا  
وما أثاراه من الغبار بعدوهما :

أَلْقَى بِجَنْبِ الْقَمَاعِ مِنْ حِيَالِهَا مَرْبَا لَهَا وَانْشَامَ فِي مِيرْبَالِهَا  
وَأَمَّا قَوْلُ النَّابِغَةِ :

• بَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ •

فقد تقدمت فيه شاعر قديم من شعراء كنفذة يمدح عمرو بن هند ، وهو  
أحق به من النابغة ؛ إذ كان أباً عُذْرَتِهِ ، فقال :

كَادَتْ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِذْ رَأَوْا لِعَمْرِو بْنِ هِنْدٍ غَضِبَةً وَهُوَ هَاتِبُ  
هُوَ الشَّمْسُ وَاقْتَبَّ يَوْمَ سَمَدٍ فَأَفْضَلَتْ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ

قال : فسكأتني والله ألقيت جهمراً حَجَرًا . فاهتز الرشيد فوق سريرته ، وكاد  
يطير عجباً وطرباً ، وقال : والله ، لَلَّهِ دَرَكٌ يَا أَصَمْعِي ، اسمع الآن ما كان وقع  
عليه اختياري ، فقال : ليقُلْ أمير المؤمنين أحسن الله توفيقه ، فقال : عَيِنْتَ عَلَى  
ثَلَاثَةِ أَشْغَالٍ ، أَفَسَمِ بِاللَّهِ إِنِّي أَمْلِكُ السَّبْقَ بِأَحَدِهَا ، فقال بحجي : خَفِّضْ عَلَى هَيْبَتِكَ ،  
فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ ، ثم قال الرشيد : أُنْعِرْ يَا أَصَمْعِي نَشِيمًا  
أَفْخَرَ وَأَعْظَمَ فِي أَحْتَرِ مَشَبِّهِ وَأَصْغَرَهُ فِي أَحْسَنِ مَعْرُضٍ ، مِنْ قَوْلِ عَنْتَرَةَ الْقَدِي  
لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَّا يَهُدَى سَابِقُ ، وَلَا نَازِعَهُ مَنَازِعُ ، وَلَا طَمَعَ فِي مَجَارَاتِهِ طَامِعُ ، حين شبّه  
ذباب الرّوض العازب في قوله :

(١) المرواة : المغازة ، والجابان ، مثنى جاب ، وهو الحمار الفليظ من حر الوحش .

وخلأ الذبابُ بها فليس يبارح غِرْدًا كفعَل الشَّاربِ المُرْتَمِّ (١)  
هزِجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فَمَلَّ الْمَكِيبَ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ

ثم قال : يا أصمعي هذا من التشبيهات المُنْقَمِ التي لا تنتج ، شبهت بالريح  
العقيم التي لا تُنتج ثمرة ، ولا تُلْقِح شجرة ، فقلت : كذلك هو يا أمير المؤمنين ،  
وبمجدك آلمت ما سمعت قط أحدا يصف شعرا بأحسن من هذه الصفة ،  
ولا استطاع بلوغ هذه الغاية ، فقال : مهلا ، لا تعجل أن تعرف أحسن من قول  
الخطيئة يصف لغام ناقته ، أو نعلم أحدا قبله أو بعده شبه تشبيهه حوث بقول :

تَرَى بَيْنَ لَحْيَيْهَا إِذَا مَا رَتَحَتْ لُغَامًا كَنَسَجِ الْعَمَكِبُوتِ الْمَدَدِ (٢)

قلت : والله ما علمت أحدا تقدمه إلى هذا التشبيه ، أو أشار إليه بعده  
ولا قبله ، قال : أنعرف يوما أبداع وأوقع من تشبيه الشماخ لنعامة سقط ريشها ،  
وبقي أثره في قوله :

كَأَنَّمَا مُنْذَنِّي أَقَاعَ مَا مَرَّطَتْ مِنَ الْعِفَاءِ بِلِيَدَيْهَا الشَّاهِلِ (٣)

قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، فالتفت إلي يحيى ، فقال : أوجب ،  
فقال : ووجب ، فقال : أأزبدك ؟ فقال : وأى خبر لم يزِدني منه أمير المؤمنين !  
قال : وقول النابغة الجعدي :

رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَهْلَ بِطَعْنِهِ كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْبَيَانِيِّ الْمُسَمِّ (٤)

(١) المعلقة ٣١٤ ، ٣١٥ - بشرح ابن الأنباري .

(٢) ديوانه ٢٣ ، الترغم : الصوت الضعيف . ولغام البعير زبده .

(٣) ديوانه ٢٧٨ ، أقاع : جمع قم ، وأصله اقدى على رأس الثمرة . ما مرطت : ماتفت .

والعفاء : الريش .

(٤) ديوانه ١٤٣ . والناب : الناقة المسنة . والبرد المسهم : المخطط .

ثم انفت إلى الفضل ، فقال : أوجب؟ قال : وجب ، قال : أزيدك ، قال :  
ذلك لأمر المؤمنين ، قال : قول الأعرابي :

به ضرب أُنْدَادِ الْعَطَايَا كَأَنَّهُ مَلَاعِبُ وَلَدَانٍ نَحْمَطُ وَتَمَضُّعُ

ثم انفت إلى جعفر ، فقال : أوجب؟ قال : وجب ، قال : أزيدك ، قال :  
لأمر المؤمنين علو الرأي ، قال : قول هدي بن الرقاع :<sup>(١)</sup>

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ لِمَرْةٍ رَوْقَهُ قَلَمُ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

قلت : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت حسد عدياً عليه جرير ، قال : وكيف  
ذلك؟ قلت : زعم أبو عمرو بن العلاء أن جريراً قال : لما ابتدأ عدي بنشد :

• عَرَفَ الدَّيَّارَ تَوَهُمًا فَأَعَادَهَا •<sup>(٢)</sup>

قلت في نفسي : ركب والله مركباً صعباً ، سيُبدع فيه ، فإزال يتخلص  
من حسن إلى حسن ، إلى أن قال :

• تَرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ لِمَرْةٍ رَوْقَهُ •

فرحمته ، وظننت أن مادته تقصُر به ، فلما قال :

• قَلَمُ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا •

حالت الرحمة حسداً ، فقال : لله أبوك يا أصمعي؟ ثم أطرق ورفع رأسه ،  
وقال : أترك تهنئي في انحطاطك في هواي؟ قلت : كلا يا أمير المؤمنين ،  
إنك لتجمل عن ذلك ، قال : انظر خمساً ، قلت : قد نظرت ، قال : فالسابق لمن؟  
قلت : لأمر المؤمنين ، قال : فقد أحسست لك في العُشر والعُشر كثير ، ثم

(١) الحبر والشعر في الأغاني ٩ : ٢١٦ ، ٢١٧

رعى بطرفه إلى يحيى ، وقال : المال الساعة ، وأولى لك ! فإكان ساعة حتى  
 حشرت اليدُ بيني وبينه ، ورأيت ضوء الصبح قد غلب على ضوء الشمع ،  
 فأغار إلى خادم على رأسه ، كم هي ؟ فقال : ثلاثة آلاف ألف درهم ، فقال :  
 دونك احتمل ثلاثين ألفاً إلى منزلك ، ونهض عن مجلسه ، وأمر الخدم بمعاونتي  
 على تحمله ، فسكانت أسعد ليلة ابتدم فيها الصباح عن أحده بالفى .  
 فهذه الحكاية تدلّك على تبهره فى علوم العربية وسعة حفظه .

• • •

نبح ابن الرّمادى عفترة فى قوله : « وخلا الذباب » بقوله :  
 وكأسٍ كربق الإلف شذّشها به      وعيشى من هذا الشراب المُشذّش  
 إذا ما نربنا كأسنا ضُبّ فضلها      على روضنا للمسرح المتخلخل  
 وقال ابن الرومى :

وأذكى نسيمُ الرّوض ريعانَ ظله      وغنى منى الطير فيه فرجما  
 وكانت أهازيجُ الذباب هنا كم      على شدّواتِ الطير صوتاً موقفاً

وكان أبوه قريب بخلافه ، كان نذلاً خسيساً ، وكان عطاء الملك أنى  
 بجماعة من البصرة إلى قريب فوجدوه ماتتاً بكساء ، نائماً لشمس ، فوكزه  
 برجله ، وصاح به : قم يا قريب وبلك ! قال : ألقيت أحداً من أهل العلم قطاً  
 أو من أهل الافة أو الفقهاء أو من الحدّثين ؟ قال : لا والله ، قال لمن حَضَرَ :  
 اشهدوا على ماسمتم ، لا يقول لكم غداً الأصمى أو بعد غد : أنشدنى والدى  
 أو حدّثنى ؛ ففضحه .

• • •

ومن حكاياته من أبيه قال الأصمعي : حدثني أبي قال : أني مهدد للكم  
ابن مروان برجل مع بعض من خرج عليه ، فقال : اضربوا عنقه ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ، ما هذا جزائي منك ، قال : وما جزاؤك ؟ قال : والله ما خرجت  
مع فلان إلا بالطيرك ، وذلك أني رجل مشنوم ، ما كنت مع رجل قط  
إلا غلب وهُزِم ، وقد بان لك حمة ما أدميت به ، وكنت عليك خيرًا لك من  
مائة ألف معك . فضحك منه وخلق سبيله .

وكان للأصمعي ابنٌ ظريف ، فعيل له يوما : ابن أبوك ؟ قال : في بيته  
يكذب على الأعراب .

ومرض الأصمعي فماده أبو ريعة - وكان يحب أهل الأدب - فقال له :  
أقرضني خمسة آلاف درهم ، ففعل ، وقال : أنشئني غير هذا ؟ قال : نعم ، فصا  
حسنا ، وسيفا قاطعا ، وبزدونا حسنا وسرجا محلي ، فبعت بذلك إليه .

وكان إسحاق<sup>(١)</sup> الموصلي يهظمه ويقرأ عليه ، فدخل الأصمعي يوما على  
الفضل بن يحيى وإسحاق ينشده في صفة فرس :

كأنه في الجبل<sup>(٢)</sup> وهو سائم      مشتمل جاء من الختام  
يسور بين السرج والجام      سور القطامي إلى الختام<sup>(٣)</sup>

فقال الأصمعي : هات بفتيتها ، فقال له إسحاق : ألم تقل لي : ما بقي منها شيء ؟  
فقال : ما بقي إلا هونها . ثم أنشد بعد ذلك ثلاثين بيتا ، فغضب إسحاق وعرف  
الفضل قلة شكره لمارفة ، وبخله بما عنده ، وأخذ يصف فضل أبي عبيدة  
وبزاهه ، وبذله لما عنده ، واشتماه على علوم العرب ، فأنفذ إليه الفضل مالا جليلا .

(١) الحبر والعمرى الأغانى ٥ : ٣٥٢ ( بيروت ) مع تصرف واختصار .

(٢) الجبل لدابة ، كالتوب للسان .

(٣) يسور : يثب . والقطامي : الصقر .

( ٢٧ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )

واسقطه من البصرة ، وسمى بالأصمى عند الرشيد ؛ حتى حط منزله . وقال  
إسحاق يهجوهُ :

أليس من المجائب أن قرنا أصميصَ باهلياً يستطيلُ  
ويزعمُ أنه قد كان يُنفقُ أما حرو وبسأله الخليلُ  
إذا ما قال: «قال أبي» عجبنا لما باني به ولما يقولُ  
وجلله عطاءُ الملك عاراً تزولُ الراسياتُ ولا يزولُ  
قل لأبي (بيعة إذ عصاني وحاذ به عن القصدِ السبيلُ  
لقد ضاعت بُرودك فاحسبنا وضاع الفصّ والسيف الصقيلُ  
فأما الخسة الآلاف فاعلم بأنك غبنها لا تستقبلُ

والأصمى لا يقدح هذا القدر في جانبه ، لأنّ بعض محاسنه يغطّي كل  
كل مساوئه .

وكان منشؤه بالبصرة ، وبها توفّي سنة تسع عشرة ومائتين وبلغ ثمانيا  
وثمانين سنة .

قوله : محرابي ، وما بعده في معناه ، بمعنى فَرَجَها . والإمام وما بعده ، بمعنى  
به ذكره . وسمّى محرابُ المسجد محراباً لأنه يباعده من ليس من أهله أن يقربه ،  
إذ هو أرفع من المسجد ، وفلان حَرَبَ لفلان ، أي مهاده له . والقِرَاب : وعاء  
من جلد يُجمل فيه السيف مع غده . والقِرَاب : وعاء الزاد .

• • •

فقال لها القاضي : أَرَأَيْكَ شَأْنًا وَطَبَقَةً ، وَحِدَاةً وَبُنْدُقَةً ،  
فاترك أيتها الرجلُ اللَّدَدَ ، واسلُكْ في سَيْرِكَ الجَدَدَ .  
وأما أَنْتِ فَكُنِّي عن سِبابِهِ ، وِقَرِّي إِذَا آتَى الْبَيْتَ  
مِنْ بَابِهِ .

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : وَاللَّهِ مَا أَسْجُنُ عَنْهُ لِسَانِي ، إِلَّا إِذَا كَسَانِي ،  
وَلَا أَرْفَعُ لَهُ شِرَاعِي ، دُونَ إِشْبَاعِي . فَحَلَفَ أَبُو زَيْدٍ بِالْمَحْرَجَاتِ  
الثَّلَاثِ ، إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ سِوَى أَطْمَارِهِ الرِّثَاثِ .

فَنَظَرَ الْقَاضِي فِي قَصَصِهِمَا نَظَرَ الْأَلْمَعِيِّ ، وَأَفْكَرَ فِكْرَةَ  
الْأَوْذَعِيِّ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا بِوَجْهِ قَدْ قَطَبَهُ ، وَحِجْنٍ قَدْ قَلَبَهُ ،  
وَقَالَ : أَلَمْ يَكْفِكُمَا التَّسَافَهُ فِي تَحْجِاسِ الْحُكْمِ ، وَالْإِقْدَامِ عَلَى  
هَذَا الْجُرْمِ ، حَتَّى تَرَاقَيْتُمَا فِي فُحْشِ الْمُقَادَعَةِ ، إِلَى خُبْتِ  
الْمُعَادَعَةِ ! وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ أَخْطَأْتَ اسْتِكْمَا الْخُفْرَةَ ، وَلَمْ يُعِيبْ  
سَهْمُكُمَا الثُّغْرَةَ ؛ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعَزَّ اللَّهُ بَيْقَاتِهِ الدِّينَ ،  
نَصَبَنِي لِأَقْضَى بَيْنِ الْخُصْمَاءِ ؛ لَا لِأَقْضَى دَيْنِ الْغُرَمَاءِ . وَوَحَقُّ  
نِعْمَتِهِ الَّتِي أَحَلَّتَنِي هَذَا الْمَحَلَّ ، وَمَلَكَتَنِي الْعَقْدَ وَالْحِلَّ ، لَنْ لَمْ  
تَوْضَعَا لِي جَلِيَّةَ خَطْبِكُمَا ، وَخَيْثَةَ خَبْكُمَا ، لِأَنْتَ دَنْ بِكُمَا فِي  
الْأَنْصَارِ ، وَلَأَجْمَلُنْكُمْ عِبْرَةً لِأُولَى الْأَبْصَارِ .

• • •

وَالْهَذَى : شِدَّةُ الْخُصُومَةِ . الْجَدَدُ : الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ ، وَاللَعْنُ فِي قَوْلِهِ : اسْلُكْ  
فِي سَبْرِكَ الْجَدَدَ ، جَاءَهَا فِي الْفَرْجِ لَا غَيْرَ ، وَفِي النَّيْلِ : مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ  
أَمِنَ النَّارَ .

قَرَى : اسْكَنَ . الْبَيْتُ ، كِتَابَةٌ مِنْ فَرْجِهَا . مِنْ بَابِهِ ، يَرِيدُ الْآلَ بِأَخَذِ  
الْجَارِ بِالْجَارِ . وَقَوْلُهَا : إِلَّا إِذَا كَسَانِي ، قَالَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اَعْرُوَا  
النِّسَاءَ بِزَمَنِ الْحِجَالِ » .

والشراع : قَلَعَ السفينة ، وأرادت برفه كشف ثيابها ورفع رجلها حين يظوها ، وقال أبو نواس في ممتاء :

ترَفَّقَ قَلْبُهَا قَدْ أَوْجَعَتْهُي وَأَلْفَتْ قُرْطِي بَخْلَاحِيَةٍ

والقُرْطُ في الأذن ، والخلخال في الرجل ، فانظر متى يحتمل . وقال ابن الرومي في ذلك :

يا أحمد بن سديد لو بَعُرْتَ بها إذا الأكف لساقيها خلاخيلُ  
وقال البصري :

لَمْ تَخْطُ باب الدُّهْلِيزِ خَارِجَةً إِلَّا وَخَلْخَالَهَا مَعَ الشَّافِ<sup>(١)</sup>

وقال ابن الرومي :

لو أن رجلي عِرْسَنَا يداها<sup>(٢)</sup> ما أخطأتها رحة تَفْشَاهَا  
قد خُلِيت مرفوعةً رِجْلَاهَا كَأَنَّا يَسْتَغْفِرَانِ اللَّهَ  
وله أيضاً :

شَبَّخَ لَنَا يَكْفَى أبا حَفْصَلٍ أَفْرَنُ مِثْلَ الْأَيْلِ الْأَثُولِ<sup>(٣)</sup>  
تَبَيَّتْ فِي مَنْزِلِهِ نِسْوَةٌ يَلْبَسُنَّ ثَوْبَ الْبَيْلِ كَالْمَنْزِلِ  
يَعْمَلْنَ فِيهِ عَمَلًا صَالِحًا بِرَفْعِهِ اللَّهُ إِلَى أَسْفَلِ  
يَسْتَغْفِرُ الْخَاسِ بِأَيْدِيهِمْ وَهَنْ يَسْتَغْفِرُونَ بِالْأَرْجُلِ

قال الأصمعي : قلت لأمة ظريفة : يا جارية هل في يديك هل ؟ قالت : لا ، ولكن في رجل .

والحُرْجَاتُ الثلاث : هي الطلاق واللعيق والثنى إلى مكة ، وقيل : هي الثلاث والحُرْجَاتُ : فيها حَرَجٌ ، أي إثم وضيق .

(١) ديوانه ١٤١١ (٢) المرس : امرأة الرجل . (٣) الأثول : الأحمق

وحدث أبو حاتم ، عن الأصمعي عن عيسى بن عمر ، قال : اشكى رجل  
اسرائيل ، فقال له شيخ من بني نصر ، كان أسنّ مده : ألا تكثرت بها بالحرجات  
- يعني الطلاق - قال : قاتلك الله ! فما أغرك ، وعلى الطلاق ثلاثا .

حدثنا أبو بكر محمد بن أسد الدبلي قال : سمعت أبا فتان الدارع يقول :  
الطلاق الثلاث البت لازم لي ، لقد سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول :  
الطلاق الثلاث ، البت لازم لي ، لقد سمعت أبا عمرو بن العلاء ، يقول الطلاق  
الثلاث البت لازم لي ، إن كانت العرب قالت أخكم من هذه الأبيات .

كُنْ لِلدَّكَاكِيرِ بِالْفَرْأِ مَقْنَعًا فَلَوْلَ يَوْمًا لَا تَرَى مَا تَكْرَهُ  
فَلَرَبَّمَا اسْتَفَرَّ الْفَقَى فَتَنَافَسَتْ فِيهِ الْعَبُورُ وَإِنَّهُ لَمَيُوتُ  
وَلَرَبَّمَا خَزَنَ الْكَرِيمُ لِسَانَهُ حَفَرَ الْجَوَابَ وَإِنَّهُ لَمَيُوتُ  
وَلَرَبَّمَا ابْتَسَمَ الْكَرِيمُ مِنَ الْأَذَى وَفَوَّادَهُ مِنْ حَرِّهِ يَتَأَوَّى

قوله : أطواره الرنثاء ، أي ثيابه الخلقاء . الألمى : المتوقد الحاضر الذهن .  
ابن الأعرابي : الألمى : الذي إذا لمع له أولُ الأسر عرف آخره ، فيمكنني بظنه  
دون تعيينه . واللوذمي : الفطن الذكي الظريف الحديد الفؤاد . قطّبه : عبّسه .  
مجنّ : ترُس . وقلّبه ، كناية عن إبداء الشر بعد الخير ، وقد تقدّم . التّسافه :  
الإغشاش . والشّم . الجرّم : الذنب . المقاذفة : المشائمة بما فحش . الثّغرة : الحفرة  
في أصل العنق . خَبَكَا : خدامكما وغشكما . أُنْدَدَنْ : أسمع الناس بما يتكلم  
عندي من المكروه ، ونَدَدَ به : شتمه وأسمه الفقيح . الأمصار : البلاد . عبرة :  
موعظة . أولى الأبصار : أهل العقول .

\*\*\*

فأطرق أبو زيد إطراق الشجاع ، ثم قال له :  
سماع سماع :

أنا السَّروَجِي وَهَذِي عِرْسِي	وَلَيْسَ كَفَاً الْبَدْرُ غَيْرُ الشَّمْسِ
وَمَا تَنَافَى أَنْسُهَا وَأَنْسِي	وَلَا تَنَاهَى دِيرُهَا عَنْ قُسِّي
وَلَا عَدَتِ سُقَيَايَ أَرْضَ غَزِي	لَكِنَّا مِنْذُ لِيَالٍ خَمِيسِ
نُضْبِحُ فِي ثَوْبِ الْعُلُوى وَنُهْسِي	لَا نَعْرِفُ الْمَضْغَ وَلَا التَّحْسِي
حَتَّى كَأَنَّا نَخْفُوتِ النَّفْسِ	أَشْبَاحُ مَوْتِي نُشِيرُوا مِنْ رَمْسِ
فَإِنْ قَرَّ الْعَصْبُ بَرُّو النَّاسِي	وَشَفْنَا الضَّرَّ الْإِلِيمُ الْفَسِّ
فَمَنَّا لَسَعْدِ الْجَدِّ أَوْ لِلنَّخْسِ	هَذَا الْمَقَامَ لِاجْتِلَابِ فَلِيسِ
وَالْفَقْرُ يُلْجِي الْحَرَّ حِينَ يُرْسِي	إِلَى التَّجَلَّى فِي لِبَاسِ اللَّبْسِ
فَهَذِهِ حَالِي وَهَذَا دَرْسِي	فَانْظُرْ إِلَى يَوْمِي وَوَسَلْ عَنْ أَمْسِي
وَأْمُرْ بِجَبْرِى إِنْ تَشَاءُ أَوْ حَبْسِي	فَفِي يَدَيْكَ صِحَّتِي وَنُكْسِي

• • •

أطرق : أمال رأسه حاكنا. الشجاع : الحية . سماع سماع ، أى اسمع منى ،  
كفء البدر : أى نظيره ، والكف : الخظير والمثل . دبرها : لرجها . قُتِي : ذَكَرِي .  
وأصل التيز للنصارى ، والقس والقسيس : عالمهم وعابدهم . عَدَت : جارت .  
وخرجت عن طريقها . والسُقيا : الشرب ، وهى هنا مصدر بمعنى السقى .  
والتحسى : شرب الحسوة ، وأراد بالمضغ والتحسى أكل الخبز واللحم ، وحسنو  
مرقه . وقيل : المضغ فى الرخاء والحسنو فى الشدة ، كاستعمالهم فيها حسنو السخينة

وغرها . وعز : قل . الناسي : الالفداء بالفهر ، وقد ناسى ناسيا إذا اقتدى بفعل  
غيره وتعبّر ، وهذا باب غلبت عليه الخفاء بقولها :

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْهََاكِينِ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَعَلْتُ نَفْسِي <sup>(١)</sup>  
وَمَا يَكُونُ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَعَزَّى النَّفْسَ مِنْهُ بِالنَّاسِ

فزاد عليه ابن العباس الرومي ، في المعنى وبيّنه حتى استحقته حيث قال :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَمْجَحُ نَمَ بِأَسْوَى يَوْسَى أَوْ يَمُوتُ أَوْ يَمُوتُ أَوْ يَنْسَى <sup>(٢)</sup>  
أَبَتْ نَفْسِي الْمَلَاعَ لِرِزْوَانِهِ كَفَى رِزْوَانَهُ لِنَفْسِي رِزْوَانُ نَفْسِي  
أَنْجَزَ عُ وَحْشَةً لِفِرَاقِ أَلْفٍ وَقَدْ وَطَّنَهَا لِحُلُولِ رَمْسِي

فذهب في هذه الأبيات كل مذهب ، ثم أراد أن يظهر ما عنده من فضل

الملة وحسن التصرف ، فقال :

بِأَشْبَاهِي وَأَيْنَ مِثِّي شَبَابِي أَذْنَتِي أَيَّامُهُ بِاتَّقْضَابِ  
وَمَعَزَةٍ مِنَ الشَّهَابِ مُوسَى بِمَشِيبِ اللَّذَاتِ وَالْأَحْصَابِ  
قُلْتُ لِمَا انْتَهَى يَمَدُّ أَسَاءِ بِمَصَابِ شَبَابِهِ بِمَصَابِ  
لَيْسَ نَاسُوكُلُومُ غَيْرِي كُلُومِي مَا بِهِ مَا بِهِ وَمَا بِهِ مَا بِهِ

وكرر هذا المعنى فأحسن ما شاء ، وذهب فيه مذاهب أخرى ، فقال :

خَلِيلِي قَدْ قَلَّامَانِي بِالْمَوْتِ وَأَنْعَمْنَا لَوْ أَنَّ نِيَّ أَنْتَمَلَّ <sup>(٣)</sup>  
الْهََاكِينِ إِنْ تَارَى وَإِلَّا فَا أَلَسَى وَعَيْشِكَ إِنْ لَّا ضَلَالٌ مُضَالٌ  
وَمَارَاحَةُ الرِّزْوَانِ فِي رِزْوَانِهِ أَيْجَلُ مِنْهُ بِمَعْنَى مَا يَحْتَمِلُ  
كَلَامًا لِي أَوْ فِي الرِّزْوَانِ مُثَقِّلٌ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ مُثَقِّلُ الظَّهِيرِ مُثَقِّلٌ  
وَضَرْبٌ مِنَ الظَّالِمِ الْخَفِيِّ مَكَانَهُ تَمَزَّيْتُكَ بِالرِّزْوَانِ حِينَ نَاقَلْتُ

(٢) زهر الآداب ٩٢٩

(١) ديوانها ١٥٣

(٣) زهر الآداب ٩٢٩ .

ولابن رضى :

رأيت التمزى مما يهيجُ على المرء ساكن أوصابه<sup>(١)</sup>  
وما نال ذو أسوة سلوة . ولكن أنى الحزن من بابه  
تفكر فى مثل أرزائه فذكره مابه مابه

وقال ابن رضى : أخذته من قول عمر بن أبى ربيعة :

وذو الشوق القديم وإن تمزى مشوق حين يلقى العاشق<sup>(٢)</sup>

وأخذه عمر من قول مقسم بن نيرة :

وقالوا أنبى كل قبر رأيتهُ أقبر نوى بين اللوى والد كادك<sup>(٣)</sup>  
قلت لهم إن الأمى يبتئ البكا دعونى فهذا كله قبر مالك<sup>(٤)</sup>

• • •

خُفوت : ضعف النفس من شدة الجوع ، وخَفَتْ خفوتا : ضعف وسكن  
ومات . والأشباح : الأشخاص ، وأصل الشبح الشخص يُبصره على بده  
فلا تعرف ماهو ، ويقع الشبح على كل شخص مرئى . نُشروا : أحيوا .  
رمى : قبره ، والمسى : لصوق جارحة بأخرى . الجلد : الحظ والنصيب . يرمى :  
يُثبت ويقم . العجلى : البروز والظهور . الأبس : الغلوط .رمى : نوى الخلق

(٢) ديوانه ٤٠٣ ، وفيه :

(١) التنف ١٤

• وذو القلب المصاب ولو تمزى •

(٣) أمالى القالى ٢ : ١ ، وذكر ليه :

لقد لأمى عند القبور على البكا رفيعي لتذارف الدموع السوانك

(٤) فى الأمال : • إن الشجا يبت الشجا • وذكر بده :

ألم تره فيما يقسم ماله وتأوى إليه مريمات الضرائك ؟

الضرائك : الفقراء السهو الحال -

الجبر : أن تُغْنِيَ الرَّجُلَ مِنْ فَقْرٍ ، أو تصلح عظمه من كثره ، وجبره الله : سدّ مفارقته . والنكس : بضم النون : عود المرض بعد القوة ، ونكس نُكْسًا .

• • •

فقال له القاضي : لَيْسَ بِأَنْسُكَ ، وَلِتَطِيبَ نَفْسُكَ ، فَقَدْ حَقَّ  
كَ أَنْ تُغْفَرَ خَطِيئَتُكَ ، وَتُؤَفَّرَ عَطِيتُكَ . فنارت الزوجة عند ذلك  
واستطالت ، وأشارت إلى الحاضرين وقالت :

يا أهل تبريز لَكُمْ حَاكِمٌ أَوْفَى عَلَى الْحُكَّامِ تَبْرِيزًا  
مافيه مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ يَوْمَ النَّدَى فِسْمَتُهُ ضِيْزَى  
قصدهُ وَالشَّيْخُ نَبِيٌّ جَنَى عُدِرَ لَهُ مَا زَالَ مِنْ زُوزَا  
فَسَرَحَ الشَّيْخَ وَقَدْ نَالَ مِنْ جَدْوَاهِ تَخْصِيصًا وَتَمِيْزَا  
وَرَدَّنِي أَخِيْبَ مِنْ شَأْمٍ بَرَقَا خَفَا فِي شَهْرِ تَمُوزَا  
كَأَنَّهُ لَمْ يَسْذِرْ أَتْنِي الْتِي لَقَنْتُ ذَا الشَّيْخِ الْأَرَاخِيْزَا  
وَأَتْنِي إِنْ شِئْتُ غَادَرْتُهُ أَضْحُوْكَةً فِي أَهْلِ تَبْرِيزَا

• • •

لَيْسَ : أي ليرجع . تُؤَفَّرُ : تكثر . نارت : ظهرت ، وأفشت مرّما .  
واستطالت : جرحت بلسانها ، وأعلت كلامها . أوفى : أنصف عليهم وزاد .  
تبريزا : ظهورا وسبقا . ضيزى : غير مستوية ، فيها بحس ونقصان ، وقد ضار  
الحاكم ، إذا جار ، وضازه بغيره ضيزا ، إذا نقصه ومنعه حقه . ويمكن أن مزبدا  
المدنى - وهكى أبا إسحاق - صلى يوما ، فلما فرغ من صلاته قالت امرأته : اللهم

أشركني في دعائه ، فقال مزيد اللهم أصابني ، قالت امرأته: أما على هذا فلا ، فقال  
بأصر راطة ، تلك إذا قسمة ضيزى .

قوله والشيخ : منصوب على المفعول معه . نبى : نطلب . القدى :  
السكر . وجئى العود : ما بجى من عمره ، وأرادت كرم القاضى . مازال  
مهزوزاً ، أى مازال القاصدون يهزون عوده فيساقط عليهم جفاه ، فعلى مازال  
مهزوزاً ، أى مطلوب منه المطايا . جدواه : عطاياه . تخصمها : ترفها . تميزاً :  
تميزاً ، وقد تخصم الرجل : تشبه بالخواص ، وتميز : تشبه بالأعيان . شام :  
فاطر للبرق . خفي : لمع . تموز : يوليه بالسريانية ، وهو أشد الشهور حرّاً .  
لغت : فهمت وحفظت . غادرت : تركته . أضحوكة : يضحك به من رآه .

• • •

قال : فلما رأى القاضى اجتراء جنائهما ، وانصلاّت لسانهما ، علم  
أنه قد مضى منهما بالداء الميأ ، والداهية الدهياء ؛ وأنه متى منح أحد  
الزوجين ، وصرف الآخر صفر اليدين ، كان كمن قضى الدين  
بالدين ، أو صلى المغرب ركعتين . فطاسم وطرسم ، واخرنطم  
وبرطم ، وهمهم وغغمم ، ثم التفت يمنة وشامة وتملل كآبة  
وتدامة ، وأخذ يذم القضاء ومتاعبه ، ويعددشوايته ونوايته ، ويفند  
طالبه وخاطبه . ثم تنفس كما يتنفس الحريب ، وانتحب حتى كاد  
يفضحه التحيب ، وقال : إن هذا الشئ عجيب ! أُرشق في موقف  
يسمّين ! ألزم في قضية بغير من ! أطيع أن أرضى الخصمين ،  
ومن أين ومن أين !

• • •

اجترأ : إقدام وتشجع جَنَانَهُمَا : قلبهما ، يريد أنهما لم يهاباه . انفصالات  
لسانها : خروجه بالكلام وطاقته بالشر ، وانصلت السيف : تسلل من غمده  
وخرَج . مُنَى : بُلَى . الداء المباء : الدى يعي الطبيب . والداهية : كل أمر  
فظم لا يطاق . الدعياء : مهالفة وتأكيد لعنى الداهية ، أى الداهية الشديدة .  
منَح : إعطاء . صِفَر : فارغ . وَمَنْ قَفَى الدِّينَ بالدِّينِ ، فسكاته ما قضا وأندوا :  
إذا كنت تقضى الدِّينَ بالدِّينِ لم يكن قضاء ولكن كان غُرْمًا على غُرْمٍ  
تملل : توجع وتقلب . كآبة : حزن وهم . شوايب : ما يكره ويحفظ  
به . نوائبه : نوازله . يَغْدَى : يُحْطَى . الحرب : الحزون السلوب ماله ، وقد  
حرَّبه ، إذا سلَّه « فعمل » بمعنى « مفعول » . انتحَب : بكى . يفضعه : يشهره .  
أرشق : أرمى ، والأرشق جملة السهام تُرمى مجتمعة ، وقال لبيد<sup>(١)</sup> .

فرميت للقوم رِشْقًا صائبًا ليس بالطينس ولا بالفتمل

وإذا وقعت السهام مجتمعة عند الفَرَضِ سُمِّيَتْ رِشْقًا . القضية : القضاء .  
والحكومة . الفرَمَ والفرامة واحد .

\*\*\*

ثم قَطَفَ إِلَى حَاجِبِهِ ، الْمُنْفِذَ لِمَآرِبِهِ ، وقال : ما هَذَا يَوْمٌ حُكْمٌ  
وَقَضَاءٌ ، وَفَصْلٌ وَلِإِنْصَاءٍ ؛ هَذَا يَوْمُ الْاعْتِمَامِ ، هَذَا يَوْمُ الْاِغْتِرَامِ ،  
هَذَا يَوْمُ الْبُخْرَانِ ، هَذَا يَوْمُ الْخُسْرَانِ ، هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ، هَذَا  
يَوْمٌ نُسَابٌ فِيهِ وَلَا تُصِيبُ ؛ فَأَرِحْنِي مِنْ هَذَيْنِ الْمِهْذَارَيْنِ ، واقطع  
لِسَانَهُمَا بَدِينَارَيْنِ . ثم فَرَّقَ الْأَصْحَابَ ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ ، وَأَشِيعَ

(١) ديوانه ١٩٤ ، والرشق ، بكسر الراء : أن تُرمى سهام كثيرة دفعة واحدة .

أَنَّهُ يَوْمٌ مَذْمُومٌ ، وَأَنَّ الْقَاضِيَ فِيهِ مَهْمُومٌ ؛ إِيْلًا يَخْضِرُنِي خُصُومٌ .  
 قَالَ : فَأَمَّنَ الْحَاجِبُ عَلَى دُعَائِهِ ، وَتَبَاكَى لِبُكَائِهِ ثُمَّ تَقَدَّ أَبَا زَيْدٍ  
 وَعَرِّسَهُ الْمُتَقَاتِلِينَ ، وَقَالَ : أَشْهَدُ إِيَّاكُمْ لِأَخْيَلِ الثَّقَلَيْنِ ؛ وَلَكِنْ  
 احْتِرِمَا مَجَالِسَ الْحُكَّامِ ، وَاجْتَنِبَا فِيهَا فُحْشَ الْكَلَامِ ؛ فَمَا كُلُّ  
 قَاضٍ قَاضٍ تَبْرِيزٍ ، وَلَا كُلُّ وَقْتٍ تُسْمَعُ الْأَرَاجِيزُ ، فَقَالَا لَهُ :  
 مِثْلُكَ مَنْ حَجَبَ «وَشُكْرُكَ قَدْ وَجَبَ» ، وَنَهَضَا وَقَدْ حَظِيَا بِدِينَارَيْنِ ،  
 وَأَصْلِيَا قَلْبَ الْقَاضِي نَارَيْنِ .

\* \* \*

مَآرِبُهُ حَوَانِجُهُ . الْبُخْرَانُ : كَالْهَوَمِ السَّاجِعِ مِنَ الْمَرَضِ ، وَالْبُخْرَانُ هُنْدُ  
 الْأَطْبَاءِ : مِدَافَةُ عَظُومَةٍ تَقَعُ بَيْنَ الطَّبِيعَةِ وَالْعِلَّةِ ، وَبَحَرُ الرَّجُلِ بَحْرًا ، إِذَا اجْتَهَدَ فِي  
 الْمَدْوِ طَالِبًا أَوْ مَطْلُوبًا ، فَانْقَطَعَ وَضُفُفَ . وَرَجُلٌ بَحْرٌ : مَسْلُوكٌ ذَاهِبٌ لِقَامِ  
 عَصِيبٍ : شَدِيدٍ . الْمَهْذَارَيْنِ : الْكَثِيرَيْنِ الْكَلَامِ بِلَا فَائِدَةٍ . اقْطَعَ لِسَانَهُمَا ،  
 أَيْ صِلَهُمَا حَتَّى يَنْقَطَعَ بِالْذِينَارَيْنِ كَلَامَهُمَا ، وَهَذَا الْفِعْلُ الَّذِي هُوَ قَطْعُ الْإِنْسَانِ  
 بِالصَّلَةِ قَدْ نَطَقَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُعْطِيَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ مِنْ  
 نَفْلِ حُنَيْنٍ ، مَائَةٌ مَائَةٌ ، وَأُعْطِيَ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ أَبَاعِرُ ، فَسَخَطَهَا وَقَالَ :

أَنْجَمِلُ نَهْيٍ وَنَهَبَ الْمُبَيِّنُ بَيْنَ عُيُفَةٍ وَالْأَفْرَعِ<sup>(١)</sup>

وَمَا كَانَ حَصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ

وَمَا أَنَا دُونَ أَمْرِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُخَفِّضِ الْهَوَمَ لَمْ يَرْفَعْ

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اقْطَعُوا عَنْ لِسَانِهِ» . فَأُعْطِيَ حَتَّى رَضِيَ وَقَدْ جَاءَ فِي

(١) العمر والشعراء ٧١٨ .

التقوادر في حكاية ليلي الأختيلة حين قال الحجاج : يا غلام اذهب إلى فلان ، قتل  
له يقطع لسانها ، فأمره بإحضار الحجام ، فقالت : ثم كلتك أمك ! إنما أمرك أن تقطع  
لساني بالصِّلَّة ، وهي لفظة مستعملة عند مَنْ له أمرٌ ونهى .

قوله : أَمَّن ، قال : آمين ، ومعناه الرغبة في الإجابة . تباكي : اسم عمل  
الهلكاء . الثَّقَلَيْنِ : الإنس والجن ، والواحد ثَقْلٌ وَثِقْلٌ كَمَثَلٍ وَمِثْلٍ ، وأصله  
ما يُحْمَلُ مِنَ الشَّيْءِ الثَقِيلِ ، فقيل لهما : ثَقْلَانِ ، لأنهما كالثَّقَلِ على الأرض .  
والفحش في القول كالفاحشة في الفعل . نهضا : تقدما . شكرك قد وجب :  
يقال : وَجَبَ البَيْعُ والحق ، ومعناه وقع ، ومنه قوله تعالى : ( فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا )<sup>(١)</sup>  
أى وقعت على الأرض وسقطت . ووجب الحائط : سقط ، ووجب قلبه : فزع  
وخفق . حَفِيًّا : سَيِّداً . أصلياً : أو قدأ والصَّابِ به .

(١) سورة الحج ٢٦ .

## تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله : « لَقِمتُ منها عَرَقَ القِرْبَةِ » ، هذا مثلٌ يُضربُ لِمَنْ يَلْقَى شِدَّةَ  
مِنَ الأَمْرِ الَّذِي يُرَاوِلُهُ ، كما أَنَّ حَامِلَ القِرْبَةِ يَلْقَى جَهْدًا حَتَّى يَفْرُقَ .  
وقوله : « جَمَلُهُ دَبْرَ أَذْنِي » ، بمعنى طَرَحْتُهُ ، وهو كَقَوْلِهِ تعالى :  
( فَتَبَذُّوه وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ) .

وقوله : « أَكْذَبُ مِنْ سَجَاحٍ » ، بمعنى أَلْقَى تَنْبِئَاتٍ فِي عَهْدِ مُسَيِّلَةِ  
الكَذَابِ ، وَسَارَتْ إِلَيْهِ لُتْفَاظُهُ وَتَحْتَبِرُهُ نِمَ آمَنَتْ بِهِ ، وَوَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ !  
وهذا الاسمُ ، مَبْنِيٌّ عَلَى الكَسْرِ ، مِثْلُ حَدَّامٍ وَقَطَامٍ ، لِسُكُونِهِ مِنَ الأَسْمَاءِ  
لِلْعُدُولَةِ ، وَاشْتِقَاقِهِ مِنَ السَّجَاحَةِ ، وَهِيَ الشَّهْوَةُ ، وَمِنْ قَوْلِهِمْ : مَلَكَتْ  
فَأَسَجِحَ .

وقولها : « أَكْذَبُ مِنْ أَبِي ثُمَامَةَ » ، هذه كُنْيَةُ مُسَيِّلَةِ الكَذَابِ ، وَكَانَ  
تَنْبِيًّا بِالْإِيمَانَةِ . وَتَخَرَّقَ بِهَا ، إِلَى أَنْ سَارَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَضَى اللَّهُ عَنْهُ قَتْلَهُ .  
وقوله : « لَا نَعِيمَ عَوْنُكَ » . العَوْنُ : الْحَالُ ، وَالْعَوْنُ أَيْضًا الذِّكْرُ ،  
وَيُدْعَى لِلْهَانِ عَلَى أَهْلِهِ فَيُقَالُ لَهُ : « نَعِيمَ عَوْنُكَ » .

وقوله : « يَا دِفَارَ يَا جَارَ » . هَذَانِ الأَسْمَانُ مَعْدُولَانِ مِنْ دَافِرَةٍ وَطَاجِرَةٍ ،  
وَالدَّفَرُ : الْفَقْرُ ؛ وَبِهِ تُصْهِتُ الدَّنَا أَمْ دَفَرٌ ؛ وَكُلٌّ مَأْتِيٌّ بِصِفَةِ غَالِبَةٍ ، نِمَ عُدِلَ  
بِهَا إِلَى « فَعَالٍ » ، بُنِيَ عَلَى الكَسْرِ عِنْدَ الْفَدَاءِ ، كَقَوْلِهِ : بِأَلْكَاعِ بِأَخْبَاطِ ،

يَا دَفَارٍ يَا جَارٍ ، ولا يجوز استعمالُ ذلك في غير النداء إلا في ضرورة الشعر ،  
كقول الخطيب :

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ نِمَ آوَى إِلَى يَتِ قَعْدَتُهُ لَسْكَامِ

وأما قوله : « أَتَحَقُّ مِنْ رَجُلَةٍ » ، فهي ضرب من الحِمْضِ تَذُبُّبٌ فِي  
بجاري السَّيْلِ فَيَجْرُفُهَا .

وأما قولها : « الْأُمُّ مِنْ مَادِرٍ » ، فهو رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ ؛  
كَانَ اتَّخَذَ حَوْضًا لِسَقْيِ إِبِلِهِ ، فَلَمَّا رَوَيْتْ سَلَحَ فِيهِ ، وَمَدَّرَهُ بِسَلَحِهِ ؛ لثَلَا  
يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ .

وأما قولها : « أَشَامٌ مِنْ قَاشِرٍ » ؛ فَإِنَّهُ فَعْلٌ كَانَ فِي قَبَائِلِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ  
سَعْدَةَ بْنِ تَمِيمٍ ، مَا طَرَفَ إِلَّا مَانَتْ . وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِهِ الْعَامُ الْمَجْدِبُ ، وَتُسَمَّى  
قَائِرًا لِقَشَرِهِ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ النَّهْثِ .

وأما قولها : « أَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ » ، فَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَفْسِيرِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ :  
عَنَى بِهِ كُلَّ مَا يَصْفُرُ مِنَ الطَّيْرِ ، وَخَصَّ بِالْجَبْنِ لِكَثْرَةِ مَا يَتَّقِيهِ مِنْ جَوَارِحِ  
الْجَوِّ وَمَصَائِدِ الْأَرْضِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ طَائِرٌ بَعِيثُهُ ؛ إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ تَعَلَّقَ بِبَعْضِ  
الْأَغْصَانِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَصْفُرُ طَوْلَ لَيْلِهِ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَنَامَ فَيُؤْخَذَ . وَقِيلَ :  
إِنَّهُ الَّذِي يَصْفُرُ بِالرَّأَةِ لِرَيْبِهِ وَهُوَ يَجِبُنْ وَقْتَ صَغِيرِهِ مَخَافَةَ أَنْ يُظْهَرَ عَلَى أَمْرِهِ .  
وَقِيلَ : إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ فِي الثَّلِّ الْمَصْفُورُ بِهِ ؛ وَهُوَ الَّذِي يَنْذِرُ بِالصَّغِيرِ لِيَهْرَبَ ،  
فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَاعِلٌ هُنَا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ أَيُّ  
مَدْفُوقٍ وَكَقَوْلِهِمْ : رَاحِلَةٌ بِمَعْنَى مَرْحُولَةٍ ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ ، وَقَدْ جَاءَ  
« مَفْعُولٌ » بِمَعْنَى « فَاعِلٌ » ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ حِجَابًا مَسْفُورًا ﴾ ، أَيُّ سَاتِرًا .

وكفوه تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾

وأما قوله : « أَطَيْشٌ مِنْ طَامِرٍ » ، فالمراد به البرغوث ؛ وبسَمِي طَامِر ابن طامر ؛ لكثرة وثوبه .

وأما قول القاضى : « أَرَاكُمْ شَنًّا وَطَبَقَةً ، وَحِدَاةً وَبُذْقَةً » ، فإنه أراد به أن كلاً منسكاً كفء لصاحبه و قاروم له . ولكل من المتلین تفسير مختلف فيه . أما شَنٌّ وطَبَقَةٌ ؛ فإن العلماء مختلفون فى معنى قولهم : « وافق شَنٌّ طَبَقَةٌ » ، فقال الأَكْثَرُونَ : إنهما قَبِيلَتَانِ ؛ فشَنٌّ هو ابن أنصى بن دُهمى ابن جَدِيلة بن أسد بن رَبِيعَةَ بن نزار . وطَبَقَةٌ حَيٌّ من إِيَاد ؛ وكانت طَبَقَةٌ لَا نَطَاقَ ، فأوقعت بها شَنٌّ ، فانقصت منها .

وقال بعضهم : كان شَنٌّ رجلاً من دُهاة العرب ، وكان الزَّمَنُ نفسه أَلَّا يَتَزَوَّجُ إِلَّا بِامْرَأَةٍ تَلَامَعُهُ ، فكان يحوب البلاد فى ارتياد طَلَبِقِهِ ، فصاحبه رجلٌ فى بعض أسفاره ، فلما أخذ منهما السَّيْرَ ، قال له شَنٌّ : أَنَحْمِلُ أَمْ أَحْمَلُ ؟ فقال له الرجل : يا جاهل وهل يحمل الزَّاكِبُ الرَّاكِبُ ! فأمسك وساراً حتى أتيا على زرع ، فقال له شَنٌّ : أنرى هذا الزَّرْعَ أَكِلَ أَمْ لَا ؟ فقال له : يا جاهل ، أما تراه فى سنبله ! فأمسك إلى أن استقبلتهما جَنَازَةٌ ، فقال له شَنٌّ : أنرى صاحبها حَيًّا أَمْ لَا ؟ فقال : ما رأيتُ أَجْهَلَ منك ، أترام تَحْمِلُوا إلى القبر حَيًّا ! ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل ، فصار به إلى منزله ، وكانت له بنت تسمى طَبَقَةٌ ، فأخذ يُطْرِفُهَا بِحَدِيثِ رَفِيقِهِ ، فقالت له : ما لعلنى إِلَّا بالصواب ، ولا أسفمُكَ إِلَّا بما بَسَفْتَهُمْ من مثله ذَوُوا الْأَلْبَابِ . أما قوله : أَنَحْمِلُ أَمْ أَحْمَلُ ، فإنه أراد : أَنَحْدُثْنِي أَمْ أَحْدُثُكَ ، حتى نَقْطَعَ الطَّرِيقَ بِالْحَدِيثِ . وأما قوله : أنرى هذا الزرع أَكِلَ أَمْ لَا ؟ فإنه أراد : هل استسلف أَرْهَابُهُ فَمِنْهُ

أم لا ؟ وأما استفهامه من حياة صاحب الجنازة ، فإنه أراد به : أخلف عقبا يحيا ذكره به أم لا . فلما خرج إلى الرجل حدثه بتأويل ابنه كلامه ، فخطبها إليه ، فزوجها إياها ، فلما سار بها إلى قومه وخبروا ما فيها من الدماء والافطنة قالوا : وافق سنن طَبَقَة ، فصار مثلاً .

وحكي من الأصمعي ، مثل من تفسير هذا المثل فقال : أظن أن الشن وعاء من آدم كان قد استشن ، فلما اتخذ له غطاء واقفه ، ضرب فيه هذا للث . وأما حدأة وبندقة ؛ فإنه يقال في المثل المضروب لمن يفزع بعدوه أو يبلى بنظيره : حداحداً أو وراكك بندقة ؛ وكان الأصل حدأة بإثبات الهاء ، فرخم في الداء وقد اختلف في المراد بهما ، فقول : الحدأة هو الطائر المعروف ، وبندقة الراعي . وقيل : إنها قبيلتان من سمد العشيرة ، فأغارت حدأة - وكانت تنزل بالكوفة - على بُندقة ، وكانت تنزل باليمن ، فقاتل منهم ، ثم كرت بندقة على حدأة فأحمت عليهم .

وروى بعضهم هذا المثل : حدا حدا ، غير مهموز ، على مثال عصا وقفا ، وزعم أنه اسم القويعة .

وأما قوله : « أخطأت استسكا الحفرة » ؛ فإنه مثل يضرب لمن يخطيء في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه .

وأما قوله : « طلسم وطرم » ، فعنى طلسم كره وجهه ، ومتنى طرم طرم أطرق . وقوله : « اخرنطم وبرطم » أى غضب وقطب وجهه .

وقيل : معنى اخرنطم غضب مع تكبر . ومعنى برنطم غضب مع تعبس .

وأما قوله : « همهم وغهم » أى لم يبين الكلام .

تم الجزء الرابع من كتاب شرح المقامات للشربشى ويليهِ الجزء الخامس وأوله شرح المقامة الحادية والأربعون .

( ٢٨ - شرح مقامات الحريري ج ٤ )

## فهرس المقامات

صفحة

- المقامة الحادية والثلاثون الرملية . تتضمن وعظ أبي زيد لأصحاب  
في حال مسيرهم ، وكونه جمع في ذلك العام ماشياً . ٣٥ - ٣
- المقامة الثانية والثلاثون الطيبة أو الحربية . تتضمن أن أبا زيد  
قام فيها بمائة مسألة فقهية ملفزة . ١٠٤ - ٣٦
- المقامة الثالثة والثلاثون التفليسية ، تتضمن أن أبا زيد به لقوة  
وقام في المسجد مكدياً . ١٢٢ - ١٠٥
- المقامة الرابعة والثلاثون الزيدية ، تتضمن أن أبا زيد باع ولده  
في صفة غلام واشتراه الحارث . ١٦٤ - ١٢٣
- المقامة الخامسة والثلاثون الشيرازية ، تتضمن أن أبا زيد رب  
بكرا وطلب ما يحجزها به ، وكفى بذلك عن الحر . ١٩٢ - ١٦٥
- المقامة السادسة والثلاثون اللطية ، تتضمن أن أبا زيد  
بالمقايضة ، أي بما يمانلها من الكلام . ٢٢١ - ١٩٣
- المقامة السابعة والثلاثون الصمدية ، تتضمن محاسبة أبي زيد عند  
القاضي مع ابنه ينسبه إلى العقوق . ٢٥٣ - ٢٢٢
- المقامة الثامنة والثلاثون المروية ، تتضمن كون أبي زيد دخل  
مكدياً عند الوالي فلم يجبه وتعرض له بذلك . ٢٨٨ - ٢٥٤
- المقامة التاسعة والثلاثون العمانية والصحرارية ، تتضمن ركوب  
أبي زيد البحر ، وأنه كتب عزيمة الطاق للحامل فوضعت حملها . ٣١٩ - ٢٨٩

المقامة الأربعون القبرية ، تتضمن نخاسم أبي زيد وزوجته  
عند القاضي وأخذها منه دينارين .  
٢٢٠ - ٢٢٣

### امتدراك

وقع خطأ في صفحة ١٦٥ في عنوان المقامة ، والصواب : « المقامة الخامسة  
والثلاثون الشيرازية » .

فهرس الموضوعات

صفحة	
٦- ٤ .. .. .	عما قيل في الأوطان .. .. .
١٤- ٧ .. .. .	ذكر مكة ومما لها .. .. .
٢٣- ٢١ .. .. .	ذكر المرائين وما قيل فيهم .. .. .
٣١- ٢٨ .. .. .	عما قيل في المناق من اشعر .. .. .
٦١- ٤٥ .. .. .	نقيه العرب وفتواه .. .. .
٦٨- ٦١ .. .. .	الملاحن والمعارض .. .. .
٧٩- ٧٢ .. .. .	ذكر قباح الوجوه من أهل العلم وغيرهم .. .. .
٨٢، ٨١ .. .. .	عما قيل في وصف القلم .. .. .
٨٥- ٨٢ .. .. .	ذكر مدح الشعراء للشعر .. .. .
٩٧- ٨٩ .. .. .	ترجمة الإمام الشافعي .. .. .
١٠٤- ٩٨ .. .. .	فصل في زيارة قبر الرسول عليه السلام .. .. .
١٠٩- ١٠٦ .. .. .	عما قيل في أداء الصلاة لوقتها وما جاء في تركها .. .. .
١١ ، ١٠٩ .. .. .	ذكر مدينة قفليس .. .. .
١١٥- ١١٣ .. .. .	من كلام الأعراب .. .. .
١٣٣- ١٣٠ .. .. .	ذكر الفلمان وأخبار عشاقهم .. .. .
١٤٢- ١٣٨ .. .. .	ذكر العرجي وإيراد بعض شعره .. .. .
١٤٣، ١٤٢ .. .. .	فصل في التضمين .. .. .
١٤٧- ١٤٣ .. .. .	خبر للنضر بن شميل مع المأمون .. .. .
١٤٧ .. .. .	حكاية أبي حنيفة والإسكاف .. .. .

١٤٩-١٤٧	.. .. .	من حكايات الجوارى والغلمان
١٦٢-١٥٩	.. .. .	قصة يوسف عليه السلام
١٦٤-١٦٣	.. .. .	عما جاء من الشعر على أخبار يوسف عليه السلام
١٧٤-١٧٢	.. .. .	ذكر مسألة نحوية
١٨١-١٧٦	.. .. .	وادي البسات
١٩٠-١٨٥	.. .. .	حكايات وأشعار حول الحجر
١٩٢، ١٩١	.. .. .	عما قيل في ذم الغناء ومدحه
١٩٤، ١٩٣	.. .. .	ذكر ملطمة
١٩٨، ١٩٧	.. .. .	عما قيل في المودة بين الشعراء
٢٠٤-٢٠٢	.. .. .	الحرباء وما ورد فيها من الشعر
٢٠٦-٢٠٤	.. .. .	قصة سليمان في الحرب
٢٠٨-٢٠٦	.. .. .	من وصف الشعراء للخمر
٢٢١-٢١٧	.. .. .	فصل في تفسير الأحاجي
٢٢٧-٢٢٥	.. .. .	ذكر مناقب سلمان الفارسي
٢٣١-٢٢٩	.. .. .	ذم العتوق
٢٣٦، ٢٣٥	.. .. .	بين أبي تمام وعبد الصمد بن العنفل
٢٣٨-٢٣٦	.. .. .	عما قيل في ذم السؤال
٢٤٣، ٢٤١	.. .. .	فضل المال
٢٥٨-٢٥٧	.. .. .	ذكر مرو
٢٦١-٢٥٨	.. .. .	العيافة والزجر
٢٦٦-٢٦٣	.. .. .	من غرر الدائع
٢٧٢-٢٧٠	.. .. .	الذكر الحسن

صفحة	
٢٧٦، ٢٧٥ .. .. .	مدح السكرم وذم البخل
٢٧٩-٢٧٦ .. .. .	مما قيل في الشيب
٢٨٤-٢٨٢ .. .. .	مما قيل في طول الليل
٢٨٨، ٢٨٧ .. .. .	فصل في مدح الأدب
٢٩١، ٢٩٠ .. .. .	مما قيل في العذار
٢٩١ .. .. .	ذكر سحر
٢٩٧، ٢٩٦ .. .. .	ذكر الطوقان
٣١٢، ٣١١ .. .. .	ذكر أوبس القرني
٣١٣ .. .. .	ذكر الأمهر ديس
٣٢٧-٣٢٤ .. .. .	قصة زواج مسيامة بسجاح
٣٣٠-٣٢٧ .. .. .	قصة تخامم أبي الأسود مع امرأته
٣٣٤-٣٣٢ .. .. .	زبودة بنت جعفر زوج الرشيد
٣٤٢-٣٣٤ .. .. .	بوران بنت الحسن بن سهل وزواجها بالمأمون
٣٤٥-٣٤٢ .. .. .	ذكر بلقيس وعرشها
٣٤٧-٣٤٥ .. .. .	ذكر رابعة العدوية
٣٤٩-٣٤٧ .. .. .	ذكر خندف
٣٥٦-٣٤٩ .. .. .	ذكر الخفصاء
٣٧٣-٣٥٨ .. .. .	ذكر أبي دلامة
٣٧٨-٣٧٥ .. .. .	ترجمة الحسن البصري
٣٨٢، ٣٧٨ .. .. .	ترجمة الشعبي
٣٨٨-٣٨٢ .. .. .	ذكر الخليل بن أحمد
٣٩٤، ٣٨٩ .. .. .	ذكر جرير

صفحة	
٣٩٩-٣٩٤ .. .. .	ذكر قس بن ساعدة الإلادي ..
٤٠٠، ٣٩٩ .. .. .	ذكر عبد الحميد السكاك ..
٤٠٥-٤٠٠ .. .. .	ذكر أبي عمرو بن العلاء ..
٤٠٦، ٤٠٥ .. .. .	ذكر مفايق الأصبغ ..
٤١٦-٤٠٦ .. .. .	مجلس للأصبغ عند الرشيد ..

